ثقافة الهند

المجلد السابع عشر العدد الاول

يناير ١٩٦٦

مجلس الهند للروابط الثقافية

ثقافة الهند

تصدر أربع مرات فى السنة : يناير ، إبريل ، يوليو ، أكتوبر

ثمن الاشتراك خالص الأجرة

فى الهند	فى الخارج
الاشتراك السنوى : عشر روبيات	الاشتراك السنوى : عشرون شلنا
العدد الواحد : روبيتان ونصف	العدد الواحد : خمس شلنات

ترسل المجلة عندما يسدد الدفع مقدما ، ولا ترسل بالحوالات البريدية .

توجه المراسلات والطلبات بهذا الشأن إلى سكرتير المجلس ، لا إلى رئيس التحرير .

توجه الكتب للاستعراض والمجلات المبادلة والمراسلات المتعلقة بهما ، إلى رئيس التحرير

طبعها ونشرها
إنعام الرحمن ،
سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية .
آزاد بهون ، دهلى الجديدة ١
[illegible] نورى المحدودة بمدراس ١٣ .

ثقافة الهند

فصلية

1966

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

رئيس التحرير ـ شمعون طيب على لوكهندوالا

جلد ١٧ شماره ١

المجلد السابع عشر | يناير سنة ١٩٦٦ | العدد الاول

الصفحة

محتويات هذا العدد

١ القانون الأسلامى فى الهند .... للاستاذ آصف على اصغر فيضى ١
تعريب : الاستاذ محمد منور نيفار

٢ المعادن بجمون وكشمير .... للاستاذ دواركا ناتهـ گپتا ١٧
تعريب : الاستاذ زبير احمد الفاروقى

٣ النساء المسلمات الشهيرات فى الهند .... للاستاذ محمود الحسن الندوى ٢٨

٤ دور الفن المعمارى كما يكشف
عنه الفن الهندى القديم .... الدكتور ديوا مرتى ٣٧
تعريب : الاستاذ واضح رشيد الندوى

٥ أسطول كجرات .... للاستاذ السيد ابى ظفر الندوى ٤٧
تعريب : الاستاذ عميد الزمان
القاسمى الكيرانوى

٦ لداخ فى طريق التقدم .... الاستاذ كوشك بكولا ٧٨
تعريب : الاستاذ فصيح الدين الدهلوى

٧ فن البناء الاسلامى فى الهند .... للدكتور ضياء الدين ديسائى ٨١

٨ نظرة على شعراء العربية فى الهند .... للاستاذ ابى محفوظ الكريم المعصومى ٩١
تعريب : الاستاذ سعيد الاعظمى الندوى

٩ الأنباء الثقافية ....

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس : المستر محمد على كريم تشاجلا

يهدف المجلس — كما ينص دستوره — إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع فى معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها
(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية
(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

القانون الاسلامى فى الهند

الاستاذ آصف على اصغر فيضى

من الطبيعى ان يقسم تاريخ القانون الاسلامى فى الهند الى ثلاث فترات الاولى : فترة الحكم الاسلامى من سنة ١٢٠٦ م الى سنة ١٨٥٧ م . والثانية : فترة الحكم الانجليزى من سنة ١٦٦١ م الى سنة ١٩٥١ م والثالثة : فترة الحكم الجمهورى التى بدأت باعلان دستور الهند فى ٢٦ يناير عام ١٩٥٠ . وأنتم ترون أن هذه الفترات ليست منفصلة فيما بينها انفصالا تاما بل تتداخل وتتضارب بعضها فى بعض فهذا التقسيم لم يوجد كما تقتضيه قواعد الحساب ، ولكنه يبين الى حد ما التطور التاريخى والتسلسل الزمنى لكل نظام من نظم الشريعة مما يدل على ان الشريعة الاسلامية فى الهند تعمل ايضا مثل القوانين الأخرى كأداة اجتماعية ولا تبقى على حالة ثابتة .

ومن سوء الحظ انه رغم وجود مواد كثيرة فى الكتب والمذكرات والمراجع التاريخية حول امور الادارة لاتوجد لدينا رواية منظمة إما عن القانون الاسلامى وتطوره أو عن تنفيذ الاحكام القانونية فى كل فترة من الفترات لاشك ان لدينا معلومات تامة عن القانون نفسه وعن النصوص التى يمكن تطبيقها ولكن لاتوجد عندنا رواية صحيحة عن طرق تنفيذ المحاكم الاحكام القانونية ، وللاسف لايوجد فى هذا الموضوع سوى كتاب واحد وهو للاستاذ م . ب . احمد لاشك ان هذا الكتاب قيم ومفيد ولكنه ناقص من عدة نواح .

فترة الحكم الاسلامى

يمكن ان تقسم هذه الفترة الى فترتين : الاولى فترة حكم السلاطين والثانية فترة حكم الملوك المغول . وفى الفترة الاولى حاول الحكام تطبيق

الشريعة الاسلامية بشكل متشدد ولكن سرعان ما اخذت تظهر صعوبات عديدة فى هذا السبيل، وعندما تولى الحكم الملوك المغول اصبحت من العادة المتبعة ان ينفذ القانون الاسلامى للمسلمين فقط بينما سمح لغير المسلمين باتباع قوانينهم وتقاليدهم الخاصة بهم بدون ان تؤثر عليهم أية اعتبارات أخرى.

فقد منح المغول حرية تامة لرعيتهم الغير مسلمة بالاخضاع لقوانينها وتقاليدها الخاصة. بعدما جاء الانجليز اتبعوا نفس السياسة. فالسلاطين المسلمون الذين حكموا على الهند احضروا معهم نظاما شرعيا ولكنهم لم يأتوا الى بلد همجى أو وحشى، وانما كانت توجد فيه مجموعة من القوانين الناضجة فى فكرها وهى التى تسمى بـ «دهرما» (Dharma). والمسلمون هم الذين وضعوا القانون الهندى المعروف الذى نص على ان يكون القانون الاسلامى خاصا بالمسلمين فيما يكون القانون الهندوسى خاصا بالهندوس. وقبلت شركة الهند الشرقية هذا القانون فيما بعد ثم صدقت عليه الحكومة البريطانية والآن اصبح هذا القانون ثابتا فى الاتحاد الهندى.[٢]

ومن المعلوم أنه لاسيادة فى الاسلام إلا لله وان الملك يحكم على رعيته باسم الله وكخادم ووكيل له. ومن واجب الملك ان يتأكد من ان أوامر الله تطاع بحذافيرها ولا تخالف إلا اذا اقتضت الضرورة نظراً لاعتبارات اجتماعية هامة.

---

(1) Outlines of Muhammadan Law 2nd., 42; M. B. Ahmed, Administration of Justice in Medieval India, 32. (2) Fyzee, op. cit., 37; Ahmad, 90-91 and other places. (3) Ahmed, 66.

وكان القاضى بصفته وكيلا للملك يتشدد فى تنفيذ الاوامر وكان نفسه تحت سلطة القانون . واذا صادف ان اصدر اوامر مخالفة للشريعة فانه لن يخاطر بوظيفته فحسب بل قد يتعرض فى اخطر الاحوال لحكم الاعدام بتهمة الردة عن حكم الله[1] .

والامراء المسلمون من وجه عام لم يتدخلوا فى امور القضاء وامتنعوا عن تغيير احكام الشريعة ولكن بمرور الزمن وجدت عدة احكام اتخذت شكلا قانونيا وسلم بها كقوانين ثابتة واصبحت نافذة المفعول . ووجدت التفرقة بين الشريعة أى القانون المقدس وبين القانون العادى الذى قام على أسس علمانية . واصبحت القوانين فى اواخر عهد المغول مقسمة الى ثلاثة انواع :-

(١) احكام الشريعة . وهى كانت خاصة بالأمور الدينية وحدها مثل الردة وتغيير الدين والبدعة الدينية .

(٢) احكام الجناية وقانون فوجدارى ، وهما القانونان الخاصان بالجرائم والأخطاء مثل السرقة والسكر والزناء والفسق .

(٣) مراسيم الملك وهى كانت تتعلق بهدية الاراضى فى النظام الاقطاعى وهى يمكن ان تقارن بمراسيم الروم أو بأوامر المجالس الملكية البريطانية أو بقانون نامه أى نصوص القوانين التى كان يصدرها السلاطين الاتراك .

وعلاوة على هذا كانت هناك ثلاثة مصادر اضافية للقانون .

(٤) العادات والتقاليد أى قانون العرف . كان هذا فرعا هاما من القانون الهندى . فقد جاء فى «دهرما» أن التقاليد تلغى

---

(1) **Ahmed, 67.**

النص المكتوب فى القانون . بينما جاءت فى الشريعة ان النص (المستمد من القرآن والسنة) هو الأمر النهائى الذى لايمكن تغييره . وأما عن الاجماع أو القياس فمن المشكوك عما اذا كانت التقاليد تخضع لهما . فلهذا استبقت بعض الطوائف التى تحولت من الهندوسية الى الاسلام قانونها التقليدى اذ انها اعتبرته مفيداً ومناسبا لروحها المادية والمعنوية . ومن أحد الامثلة على ذلك هو القانون الفاطمى كما جاء فى كتاب دعائم الاسلام (1) والآخر القانون الحنفى كما هو مطبق فى كشمير حيث أصبح من العادة المتوارثة ان تحرم الوارثة اذا كانت الوارثة ابنة أو أختا من نصيبها من الاراضى .

(٥) استخدام الفتاوى واحكام السلف . ورغم ان الشريعة لاتسلم باحكام السلف كما هى مذكورة فى القانون العام فى الهند وفى اماكن اخرى فى العالم فان جميع دول العالم تسلم بشكل أو آخر قوة الاقناع التى تمتاز بها الفتاوى ، والفتوى التى يصدرها اى عالم كبير لاتتمتع فقط بالسلطة القانونية بل تنال الرضى المعنوى . وكان يوجد فى المحاكم القانونية مفتون ومتخصصون فى علم القانون وكان عليهم ان يسهروا ليلا ونهاراً باحثين عن احكام السلف . ومع ذلك كان يضطر القاضى الى اصدار حكمه الخاص . ولذا يعتبر كتاب الفتاوى لعالمكيرى الوحيد من نوعه وهو خاص بالقانون الحنفى كما هو مطبق فى الهند . وقد ترجم السيد نيل بى . ى . بيللى

---

(1) Da'a'im, II, Para: 1394.

جزءاً من هذا الكتاب وسماه « ملخص القانون الاسلامى » وهو مؤلف فى جزءين احدهما يتعلق بالقانون الحنفى السنى والآخر يتعلق بالقانون الشيعى الاثنى عشرى وهو مستمد من كتاب شرائع الاسلام لنجم الدين الحلى وكتاب بيللى يعتبر اهم مرجع للقانون الاسلامى فى الهند وقد أثنى القضاة والكتاب على هذا الكتاب ثناء كبيراً . (وقد ظهرت طبعته الثانية فى انجلترا فى عام ١٨٧٥ م) . وفى الماضى القريب ظهر كتاب الفتاوى لمولانا عبدا لحى اللكهنوى وهو مؤلف فى ثلاثة اجزاء وقد ظهرت طبعته الاولى عام ١٩٢٦ م . ويعتبر هذا العالم من اكبر علماء الهند . ويكون من المناسب لو قام احد العلماء الناقدين فى هذا القرن بدراسة حول هذا العالم ، وهناك عالم آخر خلَّد اسمه على الزمن هو مولانا اشرف على التهانوى الذى ألف كتاب امداد الفتاوى (فى اربعة اجزاء طبع فى مطبعة مجتبى) وهذا الكتاب ايضا متداول جداً بين الناس فى الهند . ثم ان هناك فتاوى دار العلوم فى ديوبند بولاية اتربراديش يصدرها مفتى الدار . وتبذل الآن الجهود لطبع مجموعة ضخمة من هذه الفتاوى التى تزيد عن مائة ألف فتوى ولها اهمية بالغة إذ أنها تتعلق بالمشاكل الاجتماعية والسياسية الخاصة بشبه القارة الهندية .

وأهل الشيعة عندهم مبدأ واضح حول الاجتهاد ، والشيعة الاثنى عشرية لهم مجتهدوهم وهناك مجموعة من الفتاوى التى

تعتبر هامة جداً وهى الفت فى اللغة الفارسية، باسم جامع الشتات (راجع القانون الاسلامى لطيبجى والقانون الاسلامى لامير على) وأما عند الفاطميين فلم تجمع الفتاوى فى كتاب واحد ولكن هناك مجموعتين من الاسئلة والأجوبة وهما تعتبران أهم مرجع اهم. احدهما الحواشى (فى جزءين) والثانى مسائل سيدى امينجى بن جلال، وهى تعتبر اجوبة للاسئلة التى وجهت للداعى فى ذلك الوقت. (راجع كتاب الدليل الى الأدب الاسماعيلى لمؤلفه ولادمير ايوانف طبعة الجمعية الاسيوية الملكية فى لندن).

وجميع هذه الفتاوى تعد من أوثق المصادر ولها قيمة كبيرة ولكن القاضى حر فى اتخاذ الرأى الذى يكون مناسبا لمنطق العقل والمبادئ السامية. فالشئ الذى عرف فى القانون الانجليزى باحكام السلف لم يوجد قط فى القانون الاسلامى كما فهم فى الهند فى العصور الأولى.

٦) العدالة والحق - العدالة والمساواة والضمير المخلص. لايوجد نظام محدد للمساواة كما هو معروف فى القانون البريطانى ولكن تصدر تعليمات للقاضى فى بعض الاحوال بتخفيف شدة القانون كما هو مفسر هنا. وعلاوة على هذا كانت هناك قواعد خاصة بالقاضى نفسه وهى تسمى بادبيات القاضى فهى خاصة بالسلوك الشخصى للقاضى لكى يقوم بمهمته على الوجه المطلوب ويبعث فى نفوس الناس الثقة نحوه.

اروع مثال على هذا هو الرسالة التى بعث بها عمربن الخطاب لى ابى موسى الأشعرى عند ما عينه قاضياً[١]. والمؤلف العظيم لكتاب الهداية يعطى نصيحة قيمة ومخلصة لأحد القضاة الشبان الذى يواجه فى المحكمة مدعيا عادلا[٢]. ويمكن ان تغير هذه النصيحة طبقا لظروف القرن العشرين، وان المحامين فى العصور الوسطى اكتشفوا ببراعتهم وسائل اخرى لتجنب القانون وهذه الوسائل سميت بالحيل.

وكان الحكام المسلمون متسامحين مع رعيتهم الغير مسلمين ولم يتشددوا عليهم إلا فى حالات استثنائية وسمحوا لهم بممارسة عاداتهم الدينية واتباع قوانينهم الخاصة بهم وكان القاضى يستشير مفتيا مسلما ورجلا من البراهمة فقيها فى الدين والقانون. وقد شكل مجلس العموم البريطانى لجنة سرية فى عام ١٧٧٢-١٧٧٣ وهى اوصت بالتصديق على هذه العادة التى كان الحكام المسلمون يتبعونها.

وهناك دلائل كافية تبين على ان مستوى القضاء اثناء حكم المغول كان عاليا رغم بعض الأخطاء والانحرافات ويؤيد رأى الاستاذ احمد[٣] عدة مؤرخين، وعلاوة على ذلك فقد حافظ الانجليز الذين خلفوهم على هذا النظام ولم يحدثوا فيه سوى بعض تغييرات ضرورية. ولاشك أن العدل والتنفيذ القضائى كانا يتطلبان بعض تغييرات وفقا لروح ذلك العصر فلذا

---

(1) Fyzee, Modern Approach to Islam (Asia Pub. House, 1963) 41 sqq. (2) Hamilton, Hedaya, 338 a.
(3) Ahmed, 272 to end.

أوجدوا اصولا للتغيير والتشريح التى فسرت بها النظم القديمة وغيرت بالتدريج من بعض النواحى فقط بدون تغيير ميزته الانفرادية ، وجرى هذا التغيير على اسس العدالة والمساواة والضمير المخلص .

وكانت توجد فى ذلك الوقت محاكم خاصة للقضايا الجنائية تسمى بمحاكم فوجدارى واخرى للقضايا المدنية تسمى بمحاكم ديوانى ، وهناك معلومات كثيرة فى مصادر عديدة لم تنشر بعد عن اعمال هذه المحاكم ولكن لايوجد كتاب منظم عنها وعن تطورها التاريخى .

وأما فيما يتعلق بالاجراءات فنجد بعض التفاصيل مسجلة ولكن كل شئ كان يتوقف على هوى السلطان كما هو الحال فى كل دولة استبدادية وكان السلطان يتمتع بسلطة اعفاء حكم من الاحكام . ويذكر ان حكم الموت رميا بالاحجار كان قد أصدر لامرأة من كجرات بتهمة الزناء ولكن الحاكم اعفاها من هذه العقوبة .

ويطول بنا الحديث اذا ذكرنا تفاصيل الاجراءات التى كانت تتخذ فى المرافعات ولكن من الأكيد أنه كان فى ذلك الوقت نظام رضى به الشعب تبنى والانجليز هذا النظام فيما بعد . ثم عندما انشئ الحكم البريطانى أدخلت قوانين حديثة على أسس المساواة كما ادخلت اجراءات وانظمة جديدة .

فترة الحكم البريطانى

يلاحظ فى ترتيبى للفترات أن النفوذ البريطانى تبدأ من عام ١٦٦١ بينما يستمر نفوذ المغول الى عام ١٨٥٧ . ولابد لى ان اشرح وجه التناقض فى هذا الترتيب . ان القانون البريطانى فى الهند يبدأ منذ انشاء شركة الهند الشرقية فى عام ١٦٠٠ أى اثناء حكم الملكة اليزابث الأولى وصدر مرسومان فى عام ١٦٠٠ وعام ١٦٠٩ قد خولا السلطة بوضع القوانين

بحيث تكون هذه القوانين والأوامر والدساتير والمرسومات والتسجيلات والغرامات والعقوبات معقولة ولاتكون متناقضة أو مخالفة للقوانين والتقاليد فى مجتمعنا هذا.[١]

وبدأت شركة الهند الشرقية تنفذ سلطتها القضائية منذ صدور مرسوم الملك شارلس الثانى فى عام ١٦٦١ وكانت مسئولية تنفيذ السلطة القضائية مقصورة على المصانع التابعة للشركة فى الهند حتى عام ١٧٥٦.[٢] ووقعت حادثة هامة فى تاريخ القانون الهندى وهى تسليم البرتغال جزيرة بومباى الى الانجليز وتأجير الملك شارلس الثانى هذه الجزيرة الى شركة الهند الشرقية فى عام ١٦٦٨ بحكر قدر بعشر جنيهات سنويا. وفى ذلك المكان انشئت فى عام ١٨٥١ احدى المحاكم الثلاث وانشئت المحكمتان الأخريان فى كلكتا ومدراس. وهذه المحاكم حافظت على التقاليد البريطانية السائدة فى مجال القضاء، ونفس هذه التقاليد انتقلت الى الاتحاد الهندى فى عام ١٩٥٠، وهذه التقاليد تقوم على اساس المحافظة على استقامة السلطة القضائية وذلك باعطاء الحرية والاستقلال التام للقضاة وهذه هى من احدى الظواهر البارزة فى الجهاز الادارى العام فى الهند الآن.

وقد لعبت محكمة بومباى دوراً هاما فى تطور القانون الاسلامى وفروعه، وأنا لا أريد ذكر التفاصيل الغير ضرورية وانما اشير الى الحقائق التالية :

---

(1) Setalvad, The Common Law of India (London, 1960), 4. (2) George Claus Rankin, Background to Indian Law (Cambridge, 1964), 1.

(١) قضية اغا خان (بين المدعى العام وبين الداعية محمد ضد محمد حسن حسين (تاريخ فرقة خوجه التابعة للاسماعيلية، والاسماعيليون لا يتبعون القانون الحنفى السنى[1]).

(٢) بين حاجى بى بى وآغاخان[2]. وقد صدر فيها الحكم بأن اتباع فرقة خوجة هم اسماعيليون، يجب ان يميزوا عن الاثنى عشرية.

(٣) بين باياباى وباياباى[3] حيث صدر الحكم بانه منذ صدور قانون الشريعة فى عام ١٩٣٧ لا بد من تفسير الوصية لأى ميمنى من كتش طبقا للقانون الاسلامى.

(٤) بين المدعى العام فى بومباى ويوسف على[4] وبين حسن على ومنصور على[5] وهاتان القضيتان تتعلقان بطائفة بهورا الداودية والقضية الاولى معروفة بقضية چندا بهاى كلا وهى تتعلق ببعض التبرعات والقضية الثانية تتعلق بالضريح فى برهانبور حيث اثير سؤال حول مكانة الداعى المطلق الحالى وتقرر فى النهاية ان السيد ملاجى عبده اللقب المناسب لهذه المكانة وان له سلطة اخراج اى شخص من هذه الطائفة. وكان هذا موضوعا لقضية اخرى منذ وقت قريب وقررت دار القضاء

---

(1) (1866) 12 Bom. H. C. R. 323, per Arnold J.
(2) (1908) 11 Bom. L. R. 409. (3) (1942) Bom. 847, s.c.
(4) (1921) 24 Bom. L. R. 1060. (5) (1947) L. R. P. 75 I. A. I., s. c. 50 Bom. L R. 389.

> العالى بأن الحكم الذى اصدرته محكمة بومباى (والى الغت فيه سلطة الداعى المطلق فى اخراج اى فرد من جماعته) لا يخضع لسلطة الدستور الهندى وان الداعى المطلق لطائفة بهورا الداودية يستطيع ان يتمتع بسلطة الأخراج وقد اثار هذا القرار شعورا بالمضايقة بين افراد الطائفة ولم نسمع اية قضية اخرى من هذا القبيل . والجدير بالذكر هنا ان طائفة بهورا اخذت تتطور تطورا سريعا الآن باتباع الوسائل الحديثة فى الحياة وبتلقى التعليم ويستنكر افرادها محاولة الداعى المطلق بادارة الحكم على اساس افكار قديمة قاسية .

وهناك احكام عديدة تتعلق بالجماعات التجارية الكبيرة مثل الخوجه والبهرة وميمنى كتش ولذا لها اهمية كبيرة . ولكن هناك احكام أخرى أيضا تبين من الناحية القانونية البحتة ان احكام محكمة بومباى تأتى فى المرتبة الثانية من الاهمية بعد احكام محكمة الدآباد وهذه الاحكام توضح المشاكل للطالب الذى يدرس القانون ولكن بعضها الآخر قد تضله . وقد يشتمل حكم هام على اخطاء جسيمة إذ أن القضاة الذين اصدروه لم يكونوا دارسين الدين الاسلامى وثقافته ولم يكونوا يعرفون اللغة العربية أو الفارسية أو الاردية . وانما اصدروا حكمهم واثقين فى مبدأ العدالة والمساواة والضمير المخلص فهم حاولوا بجرأة شرح نظام قانونى قديم متطور جدا . وان نجاحهم فى محاولاتهم هذه تدل على مدى ذكائهم ومهارتهم العلمية واذا كانوا قد اخطاؤا فى بعض القضايا فانهم معذورون . وعلى كل حال هم يستحقون الثناء من وجه عام .

وان اول اثر لتطبيق القوانين الاسلامية والهندوسية توجد فى مرسوم الملك جورج الثانى الذى صدر فى عام ١٧٥٣ وبموجب هذا المرسوم هم أعفوا من محاكم العمدة وسمحوا ببت المسائل على اساس قوانينهم المدنية الخاصة[1] . ووضع قانون هام فى عام ١٧٧٢ لأجل تنفيذ هذه السياسة بشكل بناء وبموجبه طلب من العلماء المسلمين ورجال الدين الهندوسى بأن يحضروا المحاكم كمستشارين قانونيين وليساعدوا القضاة فى التوصل الى القاعدة الصحيحة التى يجب تطبيقها . ونحن رأينا ان هذه السياسة كانت استمراراً لسياسة التنفيذ القضائى السابق ثم جاء فى النهاية القانون المفصل المهم جدا والذى وضعه اللورد هاستنكس فى عام ١٧٧٢ واتخذ هذا القانون صفة رسمية فى عام ١٧٨٠ وقد نص فيه ما يلى :-

«ان جميع القضايا المتعلقة بالوراثة والزواج والطائفة الدينية أو اية اصطلاحات أو نظم دينية اخرى ستعالج على اساس القانون الاسلامى اذا كانت خاصة بالمسلمين وتعالج على اساس القانون الهندوسى اذا كانت خاصة بالهندوس . ولابد من التمسك بالقوانين والتقاليد الخاصة بالمدعى عليه فى كل قضية .»

ومن المهم ان نذكر هنا ان الشريعة الاسلامية تطبق فى الدول الاسلامية على اساس أن يصدر القاضى حكمه بناء على دراسته الشخصية للقضية بدون اى اعتبار للفرع الدينى الذى ينتمى اليه المدعى ، ولكن العادة المتبعة فى الهند تخالف القانون الاسلامى السائد فى العالم كله لأن المحكمة فى ذاتها لاتتبع لأى دين أو لأية عقائد ورسومات وانما يستعلم

---

(1) W. H. Morley, Digest, i, clxix.

عن طائفة أو ديانة الشخص المتعلق بالقضية وتطبق القوانين الخاصة بها. واذا حدث نزاع تتخذ القوانين الخاصة بطائفة المدعى عليه اساسا للفصل فى القضية.[١]

وعند ما حلت قوانين الحكم البريطانى محل قوانين الشركة واصبح المحامون الانجليز الماهرون يقولون مناصب القضاء وجد ان القانون المحلى سواء كان اسلاميا أو هندوسيا يناقض القانون العام. وقد سمحت مراسيم الملك جورج الاول فى عام ١٧٢٦ باصدار الحكم على اساس العدالة والحق. وكان ذلك اول مرة استخدم فيها اصطلاح عام ولكن لم يحدد معناه بالضبط ولكنه كان يعبر عن وجهات النظر البريطانية عن العدالة والحق كما فهمها المحامون الانجليز. وكان من الطبيعى ان يستنبط رجال القضاء احكامهم من موارد القانون العام الغنية بالمعلومات.

ثم ظهر اتجاه آخر جديد هو ان القضاة سمحوا باصدار احكامهم على اساس العدل والمساواة والضمير الخالص وذلك فى الحالات التى لا توجد فيها قوانين خاصة واضحة. ولاشك أن الحكم على أساس القانون العام والمساواة قد أزال فى اغلب الاحيان بعض الصعوبات فى القانون الاسلامى كما فسرها الاحناف وطبقت فى الهند فهى غيرت بحيث اتفقت مع الآراء الحديثة فى العدالة الاجتماعية.

---

(1) Wilson, (5th ed. Calcutta, 1921), Anglo-Muhammadan Law, 31; Sir George Rankin, Background to Indian Law, 9; Robasa Khanum v. Khodad Irani, (1946), 48 Bom. L. R. 864, 878; Fyzee, op. cit.

فمثلا القانون الخاص بالسيدات المتحجبات والقانون الخاص بولى الامر فقد اجريت تغييرات فى القانون الخاص بالطلاق حيث يتطلب تحديد الجريمة فقد غير هذا القانون حتى يتفق مع فكرة المساواة كما تفهمها المحاكم الحديثة.

ونستطيع ان نسرد هنا فى ايجاز الاصلاحات التى ادخلها الانجليز فى مجال القانون :-

(١) القانون الجنائى. ألغى القانون الجنائى الاسلامى وحل محله فى عام ١٨٦٠ القانون الهندى للعقوبات.

(٢) ألغى الرق فى عام ١٨٤٣.

(٣) وأبطل قانون تحريم الحقوق المدنية بتهمة الارتداد عن الدين. وذلك بموجب قانون رقم ٢١ الذى صدر فى عام ١٨٥٠!.

(٤) بدلا من سن البلوغ المبكرة حددت سن البلوغ بثمانية عشر عاما بموجب قانون سن البلوغ الصادر فى عام ١٨٧٥.

(٥) انشئت محكمة عليا فى كل من الولايات الثلاث فى عام ١٨٥١. ثم انشئت محاكم مماثلة فى جميع الولايات بموجب قانون المحاكم العليا (راجع صفحة ٢٤-٢٥. فى فكتوريا فصل رقم ١٠٤).

(٦) طبقت قوانين المساواة على القانون الخاص بالعطايا إذ أنها كانت تؤثر على السيدات المتحجبات (راجع كتاب طيبجى ص ٣٥٩ وفيضى ص ٩٢).

(٧) طبق اللورد سمر مبدأ العطية المفقودة فى قضية بين محمد مظفر على موسوى وزاهدة خاتون.

(٨) استعان السير ارثر ولسن باحكام السلف فيما يتعلق بالاسلام الى مدى بعيد فى قضية بين باقر على خان وانجمن آرا بيكم.

(راجع تفاصيل هذه القضية فى كتاب اسس القانون الاسلامى الاستاذ فيضى ص ٣٩ الطبعة الثانية الصادرة سنة ١٩٦٠).

هذه الحقائق المذكورة آنفا لاتشمل جميع النقاط التى أثر فيها القانون الانجليزى على القانون الخاص بالمسلمين فى الهند. وانما حاولنا ان نجمع هذه الحقائق كمحاولة اولى فى هذا السبيل راجين ان يأتى بعدنا من يستمر فى مواصلة الابحاث فى هذا الموضوع بحيث يفيد الجميع بدراسة أكمل وأتم.

وان تدخل القانون الانجليزى لم يكن من المفيد دائما ولم يوضح تماما حسبما أخذ من المصادر الاصلية. وقد ارتكب خطأ فى القضية المتعلقة باوقاف العائلة بين ابى الفتح محمد اسحاق ورسومى دهور چودرى وهى قضية معروفة جدا. فقد اعتبر فيها نوع من الوقف غير قانونى وذلك على اساس مبدأ مأخوذ من القانون الانجليزى. وذلك النوع من الوقف مقبول عند جميع المسلمين بمختلف فرقهم. وقد سببت هذه القصة صعوبة كبيرة وفوضى خطيرة حتى اضطرت الحكومة الهندية فى ذلك الوقت الى التدخل واصدرت مرسوما ألغت فيه قرار المحكمة واعادت الحق الى موضعه.

وقد تبنى الانجليز من الحكام المغليين ـ كما رأينا من قبل ـ سياسة عدم التدخل فى قوانين الاحوال الشخصية لكل طائفة دينية. واروع مثال لهذا ولعله آخر مثال له هو القرار الخاص بالشريعة الصادر فى عام ١٩٣٧، وبموجبه ألغيت جميع العادات والتقاليد المتناقضة للشريعة واعطيت الاهمية

الأولى للقانون الاسلامى الخالص وقد وافق الشعب الهندى على هذا القرار وهو اصبح نصا فى الدستورى الهندى. وقد جاء فى مادة ٢٥ من الدستور: «ان جميع الافراد لهم حق متساوى فى حرية الضمير والعقيدة ولهم الحرية فى اتباع وممارسة ونشر الدين.

وذكر فى مادة ٢٦ منه :—

ان كل طائفة أو فرقة دينية لها الحق فى الأمور التالية بشرط أن تحافظ على النظام العام والمبادئ الاخلاقية والصحية :—

(١) انشاء الهيئات وادارتها لاهداف دينيه وخيريه.

(٢) ان تتولى أمورها بنفسها فيما يتعلق بالمسائل الدينية.

(٣) ان تمتلك الاملاك الثابتة والغير ثابتة.

(٤) ان تدير هذه الاملاك طبقا للقانون.

ومادة رقم ٢٩ من الدستور تحمى أولا: مصالح طائفة اقلية ذات لغة ودين وثقافة خاصة بها. وثانيا: لن يرفض أى مواطن من الالتحاق فى أى معهد تعليمى تابع للدولة أو يتلقى المعونات المالية من الدولة على أساس الدين والعنصر واللغة أو ايا منها».

«المقال» قرى فى ندوة «الهند والعالم العربى» عقدت فى دلهى
من الخامس عشر الى العشرين من شهر فبراير ١٩٦٥ م.

تعريب: الاستاذ محمد منور نينار

---

(1) (1930) L· R· 57 I· A· 125, s·c· 32 Bom· L· R. 633·

(2) (1902) I· L· R· 25 All· 236, s· c· 30 I·A· 94·

(3) (1894) L· R· 22 I· A· 76, s·c· I·L·R· 22 Cal· 619·

المعادن بجمون وكشمير

للاستاذ دواركا ناتھ گپتا

تمتاز جموں (كشمير) التى تبرز على خريطة الهند كدرة فى التاج بكثرة المعادن ووفرتها ۔ ولقد قام فى السنوات الماضية بعض المهر الهنود مثل سى . ايس . ميدلمس (C. S. Middlemis) ووادیا (Wadia) وسمپسن (Simpson) وستيوارد (Steward) وجوتى پرشاد (Joti Prasad) وگادون (Gadwin) ولبھورام (Labhu Ram) بمساحة الولاية لتباشر المهمة فيما بعد كل من مصلحة مساحة الارض الهندية (Geological Survey of India) ومجلس الزيت والغازات الطبعية اللتان انجزتا العملية ۔ ومن الصعب تقدير هذه الثروة الثمينة باسرها ولكن المعادن التى تم الاكتشاف منها الى الآن تبشر بكل تاكيد ان دولة كشمير تتمكن يوما ما من اقامة المصانع بنفسها ، وكذا توجد مقنعا الى حد ما المسألة البطالة فى الولاية فيما يلى بعض المعادن التى تزخربها الولاية ۔

١ — الوقود (Fuels) :

(الف) النفط (Petroleum) :

بحثت مجلس الزيت والغازات الطبعية من النفط فى قرية مانسر التى تقع على بعد حوالى ٣٠ ميلا شرقى جمون ۔ واشتعلت من الغاز الطبيعى الذى تم العثور عليه فى مانسر اللهب اصفر اللون التى دلت على وجود الزيت ۔ والمكان المتوقع الآخر الذى خص فيه الزيت فانه يقع بالمقرب من مراد بور بمركز رياسى وحيث اكتشف مجلس الغاز

الطبيعي بوجود النفط فيه اثناء عملية لحفر البئر ـ ويعتقد الجيولوجيون ان هذه المناطق انما جزء من خرام براكين زيت .

واكتشف المستر سي. ايس. ميدلمس (C. S. Middlemis) «ناربدن دوم» (Nar-Budhan Dome) الذى يشابه بكهار دوم (Khar Dome) وفى هذه المناطق يشابه «العمر» و «ليتهالوجيكل» والصخور بعضها من بعض ـ اما «كوتلى» (نوع من النفط) فانه يوجد فى «راجورى» و «نوشهره» ومن الممكن العثور على كميات كثيرة منه فى كشمير ايضا .

(ب) پيت (Peet) :

يوجد الپيت فى بعض مناطق الهند وايضاً فى رواسب النهر «جهلم» وفى مستنقعات الاودية العالية من كشمير .

(ج) لكنائت[1] (Lignite) :

هوفحم من نوع رديئ ويقال له فحم الكشمير الأسمر ايضاً ويوجد كثيراً فى «نيجى هامه» (Nichihama) من خطة «هندواره» و «رائــے تهن» من «بركام» وبوادى اولاب اى بشمالى نهرالجنجا ـ ويبلغ مقدار هذا الفحم حسب تقرير المستر سى. ايس. ميدلمس (C. S. Middlemiss) ١٢٨ مليون طن ـ وقد استخرج منه الى الآن ٣٢٠٠ طن فقط خلال عام ـ ولكن الحكومة الكشميرية ستنفق

---

(١) مواد نباتية مستحجرة تستعمل وقوداً .

ملايين الروبيات لاخراجه على نطاق واسع ـ والمادة التى تخرج مع هذا الفحم نافعة جدا فى صناعة الاسمنت .

وقد استخدم هذا الفحم فى الماضى القريب لتنضيج الآجر وتكللت هذه التجربة بالنجاح ـ ويمكن بفضلها اقتصاد ثلثة مليون منا من الحطب فى سرى نگر فقط التى كانت تعانى نقصا شديداً منذ فترة فى الحطب ـ وبالاضافة الى هذا فانه من المتوقع ايضاً ان تفضى هذه التجربة الى التقليل من ثمن الآجر الى حد كبير الذى يباع الآن بثمانين الى تسعين روبية لكل الف آجر .

وزد على هذا ان هذا الفحم يوقد فى فصل الشتاء بالمواقيد فى المكاتب الرسمية ويستخدم فى مصانع الصوف وغير ذلك من المصانع الكبرى ـ ويصنع من منتوجات تقطير لگنائت (Lignite) الغاز للسيارات وفينولز (Phenols) .

(د) فحم (Coal) :

ان المناطق التى يوجد الفحم فيها بمقادير كبيرة هى «كالاكوت» و «متكا» و «ماهوكاله» و «چكهر» و «دانسال» و «سلول كوٹ» فتوجد هناك ذخائر للفحم التى يبلغ مقدارها الى ١٢ مليون طن ـ وتختلط معه حسب اكتشاف الجيولوجيين مواد من «ايوسين» (Eocene) و «المونيم» و «النحاس» و «الزنك» و «الرصاص» ـ وكذلك يستخدم

فى اخراج المعادن الخام هذه ـ ولم تتصل ذخائر الفحم هذه بالشوارع اتصالا وثيقاً ـ ويمكن لنا ان نزود البنجاب بالفحم لاقامة الشوارع باثمان رخيصة مقارنة بالبنغال ـ ويشابه فحم ايوسين الهندى، بلگنائت فى خصائصه. ولكن الفحم الذى يوجد بكشمير يتميز بخصائص انتهريكتك (Anthractic) وهذا نتيجة للحركة الارضية فى العصر[١] الثلاثى (Terteary) ـ ومما يليق بالذكران الفحم الذى يوجد «بكالاكوت» صلب و سيمى بتمينس (Semi-bitemenous) ولذلك يغلى ويطرق قبل ان يعرض فى السوق ـ وقد اختلط معه فى نفس الوقت كثير من الكبريت ـ

٢ — المعادن الخامة (Ore Deposits) :

(الف) غرافيت (Graphite) : وهو يوجد فى بعض معادن الفحم بجمون ويستخدم فى صناعة «البنسلين» والزيت الاسود والحبر للتصوير و «الاليكترودس» (Electrodes) .

(ب) بكسيت[٢] (Bauxite) ـ انه وجد فى «چكهر» من نواحى «رياس» فى سنة ١٩١٩ م بفضل استقصاء المستر سى ـ ايس ـ ميدلمس. ويوجد ايضاً فى «جنگل گلى» و«سكهوال گلى» و «سالال» و «دينهاسه» و«سنگه مرگ» و «پونچه» و«چهارباری» ـ ويوجد هذا المعدن فى جمون

---

(١) فى الجيولوجيا ـ الذى بدأت فيه الاحياء الليونة بالظهور.

(٢) تراب يستخرج منه الشب والاليمونيم.

بالخطوط الارضية المتوازية لمعادن الفحم۔ ويقدر ان الحجر الخام من النوع الاول يوجد به «المونيم» من نسبة سبعين بالمائة الى ثمانين بالمائة۔ ومن المعتقد ان ذخائر هذا الحجر الممتاز تبلغ الى حوالى عشرين مليون طن. ويقول المستر دى. اين. رواديا ان وجود هذه الذخائر يسمى باصطلاح «ليتريكتيك» (Leterictic) ۔ ويرى المستر سى۔ ايس فاكس ان يقام مصنعا للفخار فى «بنون» وكذلك يجب ان تبذل اقصى الجهود لصناعة ميولائت (Mulite) و«سيلمنائت» (Silliminite) ۔ وتقوم الحكومة الكشميرية بانشاء هذا المصنع بجمون بتكاليف ثلاثين آلاف روبية وتستورد الاجهزة الخاصة به من تشيكوسلوفاكيا۔

ولو ان الباكسائت بجمون يوجد بقدر كبير ولكنه لايفيد فى صناعة الااليمونيم۔ وفيه سلكا بقدر وافر وهو صعب السحق متعزر الذوبان مع الحامض۔

وفيما يتعلق بالكهرباء فانه يمكن الحصول عليها من «جندرباگا» و «دان گرام» الواقعة بالمقرب من سلال باكسائت۔

وليست مهمة استخدام المعادن الخام بحيث تدر بالربح من الامور الهينة سهلة التحقيق لايطبقها الارجل خبير مارس العملية وجربها۔

٣ ـ الحديد :

كان يصنع الحديد النظيف من الحديد الخام فى الازمنة الغابرة ويدل عليه دلالة واضحة جسر «رام بن» الذى يقوم على نهر «جناب» ـ ومن المعتقد ان هذا الجسر قد استخدم فى تعميره حديد استخرج من مناطق «چكهر» و«سالال» ـ وهناك معادن كثيرة للحديد فى منطقة «كهاندلى» من نواحى «راجورى» ـ ويوجد هذا الحديد بمديرية جمون من الوية «رياس» ـ وان حجر الحديد الخام يوجد بقدر كبير فى «تالال» التى تقع بجنوب شرقى «بسنت گڑه» و«ڈوڈه» ـ وكذلك عثر على معادن الحديد الخام فى «كالا كوت» بالقرب من معدن الفحم ـ ويوجد ايضاً فى كل من «اننت ناج» و«برنج» و«كرنا» و«سيره» من اعمال «هندواره» و«اورى» و«گريز» و«سوپور» ولايمكن الحفر من هذه المصادر واخراجها كلية ما دامت لم تتوفر وسائل المواصلات (النقل) فى هذه المنطقة بكل سهولة ـ

٤ ـ النحاس والزنك والرصاص :

وتعتبر منطقة «رياسى» التى تمد من «سالال كيتا» الى «سكهوال كلى» من اغنى المناطق لحجر النحاس الخام ـ وتبشر الدلائل بوجود هذا الحجر فى مناطق اخرى ايضاً من «كشتوار» و«كارگل» و«نسكار» ـ وبالاضافة الى هذه المناطق فانه قد تم الاكتشاف عنه فى «بايتهال» قبل

سنوات ، متبعثرا فى ارض مساحتها ميل واحد ـ ولقد اكتشف من حجر الزنك الخام الذى يسمى بـ «زنك بليند» (Zinc Blande) ايضاً فى وادى «ابجى» من نواحى «دارابى» فى سنة ١٩٢٥ الهندوكى ـ وتقدر ذخيرته من الحجر الخام بعشرة آلاف طن ـ ومن المتوقع ان يوجد فيها منجماً غنيا لهذا الحجر الذى يختلط به الزنك بنسبة ٦٨ بالمائة ـ والكبريت بنسبة ٣٢ بالمائة ـ وفى الاوقات الغابرة كانت المنطقة الشمالية «لزين دارابى» معروفة لما فيها من العملات والحجر الخام للفضة ـ

٥ — گيلنا (Galena) :

توجد ذخائر سيد (Sead) فى صورة گيلنا بغابات «بونيارو» بوادى كشمير ويمكن الحصول عليه فى «رامسو» و«كوتلى» و«كشتوار» ـ ويوجد هذا المعدن الخام فى صفائح من الحجر المعروف بلائم استون ـ وتعد عشر على گيلنا فى «رياسى» مختلطا بوسامات من اوچرس الاصفر والاحمر ـ وحسب التقارير قد انتج گيلنا بكشتوار بقدر ١٠٥ مليون طن.

٦ — ايلمينائت (Allemenite) :

يوجد هذا المعدن فى «واركها» بمديرية كشمير .

٧ — ميگنيسائت (Megnesite) :

انه يوجد «بشاركان» التى تقع على مقرب من شارع «لداخ» ويمتاز بشئ من الصلابة فيه .

٨ — بيراتش (Bartyes) :

يقال له الكحل الابيض ـ وهذا المعدن الخام يوجد فى ثقوب حجر «كريت لائم» ويمكن استخدامه فى مصانع النفط والزجاج ـ ويوجد بكثرة بمناطق «نانگل» فى وادى «انجى» و «كويلتاں كيان» ـ اما وجوده فانه رهين لحركة «كريت لائم استون» فى باطن الارض ـ وبما انه يوجد بالمحاذاة من الحدود المشتبه فيها ولذلك فانه من المتعذر التأكد فى محل وجوده.

٩ — جبسم (Gypsim) :

وحسب تقرير المستر دى . اين . واديا تمتد مناجم «جبسم» فى سلسلة جبال «ارى» (Uri) بكشمير الى مسافة تقرب من ٢٥ ميلا ـ وتشتهر بوجوده المناطق الكثير نحو «اسلام آباد» و «رامبن» و «عسر» و «لچهى بوره» و «بيگانا» و «كهاينان» ـ وفى سنة ١٩٥٧ و ١٩٥٨ م ـ اكتشفت جماعة من مصلحة المساحة الهندية عن اسباب وجودها بصورة كاملة ـ ولا يمكن فى الوقت الحاضر صناعة الاسمنت و«سلفوريك ايسد» باستخدام «جبسم» بسبب مشكلة توفير الشوارع والطرق ـ ولذلك لايستعمل الا بقدر ضئيل فى صناعة الجبس الجاف (Plaster of Paris) ـ ويتحقق هذا الغرض بنشأ مصنع فى «باره موله» تبلغ تكاليفه ٢٫٥ مليون روبية ـ

١٠ — حجر كريم (Gem Stone) :

(الف) جوهرة :

ان كشمير تجدر بان تسمى مخزن الجواهر وخصت هذه الجوهرة فى سنة ١٨٨١ م۔ ومصادرها توجد بقرية « سمجن » من نواحى « بادار » التى ترتفع حوالى ١٤٨٠٠ - ١٤٩٠٠ قدماً من سطح البحر۔ وتبقى هذه المنطقة مغطاة بالثلوج فى اكثر ايام السنة۔ وان الغمامية التى تحيط بالارض عند ما تتصل بهذه الجوهرة تبدى منظرا رائعا يجذب القلوب ويقر الاعين۔ وتلك هى اعجوبة خاصة من عجائب كشمير.

(ب) ايكوميرائن (Aquimarine) :

توجد هذه الجوهرة القليل الثمن بـ « دأسا » التى تقع فى « والتى ستان » (Waltistan).

(ج) روبيے لائت (Rubellite) وگرين تور مالين (Green Tourmaline) :

توجد قطعات من هذا المعدن بموضع يبعد من معدل الجوهرة بحوالى سبعة اميال وكذلك توجد فى احراق « گرےنائت » بعيدا منه بميل واحد ويسمى النوع الاخضر « لتورمالين » « اندى كولائت » (Indicolite).

(د) كوارتز (Quartz) :

توجد قطعات من كوارتز فى اقلال « بادار » و « كشتوار » وتوجد « بشنگر وادى » ايضا۔

(٥) سربن‌تائن (Serpentine) :

ويسمى بحجر الحية ويوجد فى اعالى وادى «شنكر» ويستخدم فى صناعة فناجين الشاى والغلايين والاطباق ۔ ولذا يمكن انشاء مصنع لقطع الجواهر «بسرى نگر» ۔

١١ — ادوات البناء :

تعرف «زى وان» و«انت ناج» و«مانسبل» و«اتهم واجان» بما فيها من الادوات الثمينة ۔ وكما يظن المستر دى . اين . واديا قد استخدم جص «تراشك» (Triassce) فى بناء العمارات والمعابد القديمة والميت المشهور «مارتند» ۔

١٢ — اسمنت :

من مشروعات الحكومة الكشميرية انشاء مصنعين ، احدهما بجمون والآخر بسرى نگر ۔ وقد اخذت مصلحة المساحة الهندية نماذج للاسمنت من اعراق حجر «گريت لائم» ۔ ولم تتمكن المصلحة من اخذها من انجن لان الكونه فى اعماق الارض ۔

١٣ — الالوان البنائية :

وجدت المادة (Ochreous) بقدر وافر فى حجر «گريت لائم» بجمون ۔ وهى توجد فى «اردواز گرے نائت» ويستخدم فى بناء العمارات ۔ وبجمون منشأة لهذه الالوان ۔ وكذلك يمكن انشاء مصنع كهذا فى «باره موله» ۔

الختام :ـــ

وفى المعادن الاخرى التى توجد بالهند ذخائر "أرجيت عمر" وعلى ذلك تكشف الحفريات المتزائدة عن ان السلسلة المركزية بجبال الهملايا استخدمت فيها صخور "ارجين" وهى تشابه صخور "راجبوتانه" و"مدهيه براديش" و"سنگم" .

وبدأت الحكومة بحركة واسعة للتنقيب عن الذخائر المعدنية الكامنة فى مختلف انحاء الدولة ۔ ولاشك فى ان هذه التنقيبات تزيد من ثروتنا القديمة بقدر ملحوظ ۔ وانشأت الحكومة المركزية بالدولة قسماً جديداً لمصلحة مساحة طبقات الارض ۔ وتبذل هذه الوكالة مساعى مشكورة لمساحة المعادن ۔ وقد بدأت حينئذ فى "جنگل گاى" و"كوئله رام بن" و"پنچ هامه" و"سمبه هال" حركة الحفر للجص والكنائت والرصاص ۔

والحاصل ان مجهوداتنا المستمرة فى الميادين الصناعية قد بلغت الدولة الى عصر جديد للازدهار الصناعى ۔ وان هذا العصر يبشر اجيالنا القادمة بالرخاء وبمستقبل باهر زاخر ۔

وعند ما تحقق الدولة ما ترنو اليه من احراز التقدم الصناعى بصورة كاملة ، بحيث يبشر بالسعة والدقة والرخاء، سترحب الفطرة به قائلة انه لمن شق عجاب ۔

ترجمة : للاستاذ زبير احمد الفاروقى الجونفورى

النساء المسلمات الشهيرات فى الهند

الاستاذ محمود الحسن الندوى

(١)

فى البلدان الشرقية ، وخاصة تلك التى خضعت للنفوذ الاسلامى ، تحتل المرأة - بصورة عامة - مكانا وراء الستار . ولم يعن المورخون الا نادراً - نشاطها المتنوع فى مختلف ميادين الحياة الوطنية فى السياسة وفى الاجتماع وفى الثقافة مثلا بينما وصفوا مآثر الرجال بدقة واسهاب . وقد نال المثل السائر - مكان المرأة فى بيتها - رواجاً عاما ، تاييداً قوياً فى الوعظ والارشاد والخطب والوصايا المأثورة عن رجال الدين والعلماء والفلاسفة المسلمين كما هو الحال عند الطوائف الشرقية الاخرى فاصبحت هذه الكلمة المأثورة - مكان المرأة فى بيتها - جزأ من ايمان الشعب المسلم وعقيدته على وجه العموم - وعلى كل حال ، ليس هناك مجال للفكرة السائرة فى كثير من الاذهان أن الاسلام قد رد المرأة إلى موقف احط شأناً فى المجتمع ، او ان المسلمين كطائفة عاملوا المرأة بازدراء ولم يعترفوا بمواهبهن الفطرية ونتاج قرائحهن الطبيعية رغم أنها كانت تستحق كل إعجاب وتقدير . ولعل السبب الحقيقى فى استحياء مورخينا من ذكر الخصائص البشرية والتحف الفكرية للمرأة هو نوع من الاحترام المفرط . فالمرأة بالنسبة للمسلمين «امانة مقدسة ، وهى «الحريم» او «الحرم» كما يسمونها ، والتى يجب ان تصان وتحافظ ببالغ الخطورة والعناية ، من العيون الزائغة وذوى القلوب المريضة . وانها لم تخلق لتجر الى حضيض الزحام والضوء الساطع بدون اية داعية شرعية الى ذلك ، وليس من اللائق ان تذاع مآثرها مهما تبلغ من العظمة والخطورة لانها تختص بازواجهن واقرباءهن من الرجال فقط .

وإلى اى حد رسخت جذور هذه الظاهرة الخرافية فى العصور المتأخرة ، يمكن تقديره بالحقيقة الواقعة بانه كان يعتبر من العار أن يذكر اسم المرأة الحرة الكريمة . فاذا اضطر أحد إلى الاشارة إلى إمرأة فيقول «بنت فلان» او «زوجة فلان» او «اخت كذا وكذا من الناس» ويضيف اليها كلمات توصيفية مبالغ فيها كـ «عصمت پناه» (ملجأ العصمة) او «عفت مآب» (منبع العفاف) - ولذلك فلا يوجد هناك إلا القليل النادر من المؤلفات عن المآثر والاعمال الجليلة التى قامت بها المرأة فى مختلف الأقطار الاسلامية فى داخل البلاد وخارجها . وقد بقيت فى طى الخفاء حكاية الخدمات التى أدينها لأبنائهن واخوتهن وازواجهن وما قدمن من الامثلة البطولية الرائعة للتضحية والفداء لمصلحة أسرهن وبلدهن والمساهمة العظيمة التى قمن بها فى اصلاح شعوبهن من الناحيتين الروحية والمادية - بقيت هذه الحكاية الممتعة بدون ان يسردها أحد أللهم إلا بعض المقسطين من الكتاب الذين حاولوا الانصاف بهذا الجنس الناعم ولكنهم لم يستطيعوا سد الفراغ . فنمر هنا وهناك بين صفحات التاريخ باسماء بعض السيدات التى لم يسع حتى لكتابنا المتحمسين للآراء الاجتماعية التقليدية ان يسدلوا الستار على شخصياتهن البارزة ومكاسبهن الجليلة . ورغم كل ذلك لايصعب ادراك أهمية الدور الخطير الذى لعبته المرأة المسلمة فى العصور الوسطى للتاريخ الهندى ، حتى من خلال المعلومات اليسيرة التى يزودنا بها مؤرخونا المتغطرسون على رغم أنوفهم .

كان جميع السلاطين المسلمين الذين حكموا الهند خلال هذه الفترة بالذات ، ماعدا اولئك الذين ينتمون الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم

واللوديين والسوريين، ينحدرون من اصل تركى او مغولى، وقد حملوا معهم الى هذه البلاد التقاليد البدوية لأسلافهم الذين قضوا حياتهم فى الظعن والترحال من مكان الى مكان سعيا وراء لقمة من العيش وكأس من الماء، فى مراتع آسيا الوسطى، ولايمكن المواظبة على عزل المرأة عن المجتمع فى حياة الظعن والترحال فتمتعت المرأة التركية ـ مثل اخواتها السابقات فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ـ بشئ من الحرية التى قلما توجد فى الشعوب الأخرى. واعتبرت كاخوتها من الرجال فى سائر الشئون المتعلقة بالحرب والسلم وسارت مع الرجل جنباً بجنب فاحسنت الظعن والفروسية واستغلت نفوذها فى تصرفات الرجل حتى استشاروها فى سائر الشئون الهامة. وهكذا يصف لنا ابن بطوطة بشئ من الاسهاب انه كيف كانت الملكات فى اسرة الخان الاعظم يعقدن المجالس الملكية ومحاكم القضاء ويستقبلن الزوار فكانت «قطلق نكار» أم الامبراطور «بابر» واخته «خان زادى بيگم» من كبار مستشاريه اثناء الحملة التى قام بها لاسترجاع دولة ابيه وهى مملكة فرغنا. كما كان همايون مؤسس الدولة المغولية فى الهند يستشير نسوة حرمه بصراحة، وقد خص ثلاثة ايام فى كل اسبوع للاجتماع بهن. وحتى فى العصور المتاخرة نرى بعض الاميرات الذكيات امثال «نورجهان» و «جهان آراء» يقمن بدور فعال فى شئون الدولة.

ولاشك فى أن تعدد الزوجات كان شائعا على نطاق واسع وخاصة فى الأسر الارستقراطية إلا ان الضرائر لن يعشن فى اكثر الاحيان معاً فى سلام ووئام، تشارك بعضها بعضا فى الأفراح والأتراح. ولايثور فى اذهانهن ـ إلا نادراً ـ شرعية أو معقولية هذا التقليد، وبالجملة كانت حياتهن فى غاية من السعادة والهناء.

ولم يحط ذلك من كرامتهن وشرفهن ولم يبعدهن عن موقفهن جنبيا لازواجهن فى جلائل اعمالهم. وفى الهند تعرض المسلمون فى بداية الامر نظام اجتماعى كان يختلف كثيرا عما ألفوه من التقاليد الاجتماعية ولكنهم سرعان ما تبنوا المبادئ السامية لذلك النظام الاجتماعى واخذوا منه ما اعجبهم من النواحى الخلقية والاجتماعية التى كان يتحلى بها ذلك النظام الهندى آنذاك . فأثرت فى نفوسهم بصفة خاصة المثل العليا للفتوة الهندوكية واعجبهم الولاء والحب الذى تضمره المرأة الهندوكية ازوجها وهكذا نشأ من اندماج الثقافتين الهندوكية والاسلامية فى مدة من الزمن نظام للفتوة يتضمن احسن النواحى التقليدية للطائفتين الهندوكية والاسلامية والذى اصبح بحيث لاتوازيه ثقافة فى تاريخ الجنس البشرى باجمعه .

ونقدم فى هذا المقال الوجيز باختصار بعض مآثر السيدات الفاضلات من العصر الاسلامى فى الهند اللاتى عرفن ببراعتهن فى السياسة والادارة والحكم ونبوغهن فى حل المسائل العويصة ، واكثرهن من طبقة الاميرات ونساء البلاط الملكى . وذلك لأننا لم نعثر إلا نادرا على مآثر الطبقة الكادحة ، فقد بقيت ـ جلائل الاعمال التى قامت بها آلاف من نساء الطبقة الأدنى او المتوسطة دون طبقة الاميرات — بقيت فى طى الخفاء ولا تزال . إلا اننا استطعنا العثور على اثنين او ثلاث منهن عرفن بحسن سجيتهن وصفاء نيتهن فبرزن فى الحياة العامة بفضل ما أدين من خدمات جليلة اثناء اضطراب حبل الحكم فى دلهى ولم يتسنح لهن تولى مقاليد الحكم او شق سبيلهن الى قلوب الامراء الاقوياء . إلا ان تاييدهن قد شجع اولئك المخلصين الذين يعملون لرفع المستوى الخلقى والروحى للرجل العادى .

الملكات والاميرات

(رضية سلطانة)

تمتز رضية سلطانة بنت الألتمش الملك من اسرة الموالى ، بكونها ملكة وحيدة فى التاريخ إعتلت عرش دلهى حيث عينها ابوها خلفا له ، بعد عودته فورا من حملته لكواليار ، وتم تنفيذ هذا القرار رغم المعارضة الشديدة من قبل امراء الدولة والحاشية الذين حاولوا تضليل الراى واحتجوا على فكره اعتلاء المرأه عرش الحكومة . ولكن الملك الالتمش كان سئ الظن بكفاءات ابناءه فلا يرى احدا منهم صالحا لأن يكون خلفا له فى الحكم . وعلى العكس من ذلك لم تكن رضية تجيد تلاوة القرآن فحسب بل كانت تشارك فى عدة علوم اخرى وتتحلى بجميع الخصائص الاساسية التى يجب أن يتحلى بها اى ملك حازم . اضف الى ذلك ما كانت تتمتع بثقة ابيها لبسالتها الفائقة وجرأتها الغريبة فقد رافقت اباها فى مختلف حملاته . هذا ما اشار اليه المؤرخ فرشته حيث يقول : لقد استطاع اناس ذوو الفطنة والبصيرة ادراك الحقيقة الاساسية بانها ليست فيها اية نقيصة تمنعها عن تولى مقاليد الحكم سوى انها خلقت فى صورة انثى . وقد اثبتت الاحداث التى ظهرت اثناء مدة حكمها القصير الذى انتهى الى نهاية مؤلمة ، معقولية هذه الملاحظة .

وعند ما توفى الالتمش فى عام ١٢٣٦ م نصب الامراء الأتراك احد ابناءه ركن الدين فيروزشاه على العرش معارضين فى ذلك رغبة الملك الراحل . وسلم فيروزشاه زمام الادارة والحكم إلى أمه « شاهى تركان » وهى إحدى الجوارى التركية فاصبحت مستبدة بالامر واضطهدت الملكات الاخرى تحت خطة مرسومة ، فقتلت البعض وأعمت السلطان قطب الدين

ابن الالتمش الأصغر . فأثار ذلك حفيظة الأمراء الأشراف وقاموا بثورة ضد ركن الدين وعينوا رضية سلطانة ملكة لدلهى — اعتلت رضية العرش فى عام ١٢٣٦ م وازاحت اللثام عن وجهها واقامت المحكمة فى قصر ابيها . ولكنها واجهت مشكلة معقدة وهى ان الاشراف الشمسيين الذين لم يستطع الالتمش نفسه التغلب عليهم الا بعد جهد مرير ، ارادوا استئثار السلطة فى ايديهم وفوق ذلك لم يعترف بعضهم بخلافة رضية فأثاروا حركة التمرد ضدها ، ولكن رضية الجريئة لم تستسلم امام الضغط ونهضت لمواجهة جيوشهم المتألبة واستنجدت فى ذلك الملك نصير الدين ملك أوده . ولكن هزمه الامراء المعارضون واعتقلوه قبل ان تنضم جنوده الى جيش رضية . الا ان الملكة رضية نجحت فى مطاردة المتمردين وهزمتهم والقى القبض على احد منهم يدعى بملك كچى واعدم . وطورد الآخر وهو علاء الدين شيرخانى حتى قتل فى « بهل » ونجا ثالث هاربا الى سرمور حيث توفى بعد قليل .

وعاد الهدوء الى مملكة رضية بعد هذه الاحداث إلى حد ما ، فانتهزت الفرصة وقامت بادارة ملكها الواسع الممتد ببراعتها الموهوبة وبحزم وحكمة واحست بانه من الضرورى — لمصلحة البلاد — التخفيف فى سلطة وقوة الامراء الاتراك . ولاجل ذلك رفعت درجة ياقوت العبد العباسى الى منصب رئيس الأصطبلات الملكية وافاضت عليه بالمراحم الخسروانية وجعلته منافسا للاشراف الشمسيين ولكنها — سوء الحظ اخطأت فى تقدير نفوذ الشمسيين وقد جلب عليها البلاء تحيزها المفرط لياقوت حيث عاد عليها فى الامراء الموثوق بهم معادين لحكمها . ونهض

الملك اعز الدين كبير خانى احد الامراء الاتراك حاكم ولاية لاهور معلنا العداء السافر والتمرد ضد الدولة. وعلى كل حال، فقد نجحت الملكة رضية فى قمع التمرد بيد من حديد واضطر هو إلى الاستسلام، ثم رفع شريف بهتنده علم الثورة على حكمها. وعند ما توجهت الملكة لمواجهة الخطر الجديد انتهز الاشراف الاتراك من معسكرها فرصة غيابها وقتلوا ياقوت فاصبحت رضية بعد مقتل حارسها الامين اسيرة فى ايدى المتمردين الاتراك الذين حملوها معهم الى بهتنده حيث حبسوها فى القلعة وعقدوا الصلح مع ملك بهتنده ونصبوا بهرام شاه شقيق الملكة رضية سلطانا على عرش دلهى.

ولكن رضية الجريئة لم تدع لليأس سبيلا الى قلبها حتى تلك اللحظة بالذات، فاستطاعت ان تستميل ملك بهتنده الذى كانت لديه اسيرة وضمته الى عسكرها ثم تزوجت معه. وجندت جيشا كبيرا من الكوخار وملاك الاراضى. وخرج الجيش لاسترجاع العرش المفقود ولكنها واجهت مرة ثانية جيشا أكبر من جيوشها تحت إمرة القائد المحنك جلال الدين بلبن صهر الالتمش وانهزمت بعد قتال عنيف وقع فى ساحة كيتهال، انهزمت مع صبى وزوجها الى بهتنده وجمعت جيشا آخر كآخر محاولة لاسترداد العرش ولكن القدر لم يساندها فانهزم جيشها مرة أخرى. وعندما كانت رضية وزوجها الطونيا يبحثان عن ملجأ سقطا فى ايدى بعض الملاك الذى قتلهما فى عام ١٢٤٠ م. وهكذا انتهت حكومة هذه الملكة الذكية التى اخفقت فى مسعاها ليس بسبب اى قصور فى ذاتها ولكن بسبب خيانة وتحيز امرائها. انها حكمت البلاد ثلاث سنوات ونصف

سنة وخلال هذه الفترة لم يستطع احد ان يدل على اية خطيئة سياسية ارتكبتها طبقا لما كتبه خسرو المورخ . ودفنت فى ناحية من دلهى القديمة تعرف بـ « بلبلى خانه » حيث يضطجع جثمان هذه الملكة العظيمة من اعظم بنات الهند النبيلات .

گل بدن بيگم

وهى كريمة الامبراطور بابر من زوجته دلدار بيگم، ولدت عام ١٥٢٣ م ، وتبنتها فيما بعد ماهم بيگم ملكة بابر الاولى وام الامبراطور همايون . كانت تتثقف بثقافة عصرية جيدة رغم انها عاشت بين اوضاع سياسية غير مستقرة فى مختلف الاماكن بشمالى الهند وتارة فى كابول عاصمة افغانستان ، تزوجت بخفر الخواجة ورزقت بنتا اسمتها رقيه سلطان ، ثم زوجتها فيما بعد بالامبراطور أكبر . خرجت فى عام ١٥٧٥م قاصدة مكة المشرفة للحج ووصلت الى هناك بعد مشقة شديدة وعناء طويل . واستغرقت الرحلة حوالى عامين واقامت بالحجاز ثلاث سنوات ونصف سنة بذلت خلالها اموالا طائلة على الفقراء والمساكين واهل العلم ، ثم عادت بسلامة الى الهند بعد ان عانت نفس المشقات والمتاعب الشديدة التى ابتليت بها فى الوصول الى الحجاز وقضت السنوات العديدة من حياتها الاخيرة فى الاكثار من العبادة والاعمال الصالحة وفعل الخيرات والصدقات . ثم انتقلت الى رحمة الله فى عام ١٦٠٣ م بالغة ثمانين سنة من عمرها وكانت وفاتها خسارة كبرى للامبراطور اكبر وأمها، لانها كانت تساعدهما فى حل كثير من المشاكل العويصة بفضل ذكائها المتوقد وفطانتها وتجاربها القيمة . فلقد سجلت هذه السيدة اسمها خالدا فى التاريخ بتاليفها

كتاب «همايون نامه» سردت فيه وقائع وقصصا حول حياة الامبراطور همايون، ورغم ان هذا الكتاب صغير ولكنه يعتبر ديوانا قيما لعهد همايون، وكتبته باللغة الفارسية باسلوب سهل بسيط يصور للقارئ العهد الهمايونى واسرته، بوضوح، وكانت كلبدن بيگم تحسن الشعر فقد وهبها الله قريحة تساعدها على قرض الشعر وابراز الفكر فى حلة جميلة جذابة إلا انه لسوء الحظ لم يعن الادباء به فطوى عليه النسيان.

(المقال بقية)

دور الفن المعمارى كما يكشف عنه الفن الهندى القديم

الدكتور د. ديواهوتى

إن الفن المعمارى هو مجهود طائفى . أما الفنون الأخرى فانها تشكل وسائل الفرد للتعبير عن نفسه رغم أنها تتعلق بعلاقة وثيقة مع الزمن ، ولكنها بمثابة مجهود حكيم يرمى إلى نشر رسالة واضحة معينة : ولكن الفن المعمارى بسبب كونه مجهودا مشتركا لا يستطيع الا فى مناسبات عديدة نادرة ان يتصف بهذه الميزة فانه لا يؤدى الا رسالة وحيدة وهى وصف حالة الانسان . ومما لاشك فيه أنه بمر الأيام تستطيع مثل المجتمع التى نشأت بدقة واتقان وانتقلت من مزايا شخصياتها المكونة إلى الأجيال الأخرى ، ان تجد التعبير فى مجهوداتها البنائية والنحتية ، ولكنه يصح مع ذلك القول أنه فى الوقت الذى يحتمل أن يرمز بعض الفنون الشخصية مثل صناعة الخزف والرسوم عن اتجاهات المستقبل فالفن المعمارى يكشف بامانة وصدق عن مزايا الشعوب السابقة فى عصرها العتيق .

وقد قيل أن معرفة كيفية الفن وسبب كيفيته لا يستحق بالأهمية من أجل التمتع بالفن المعمارى ، ولمثل هذا السبب فن الموسيقى . او الرسم ، الا اذا كان المقصود من دراسة هذه المجهودات التخليقية الحصول على منفعة لا تزيد عن تقدير فنى لاغير . ولكن كشف المعانى فى الفن الصادق ليس إلا أمر جانبى . اما الأمور الهامة الحقيقية فهى ما يوصيه هذا الفن وما يبلغ من رسالة وتحقيق إذا كان الفن يستكمل جميع هذه المزايا بصدق وأمانة . ويقول Ananda K. Coomaraswamy ان لتقدير

البشر لأى شئ مصنوع يعين معالمه وجود الجمال وموقعه، وإستخدام المواد وأهميته . . . . ووصف افلاطون هذا المثل الاغريقى «النافع نبيل، والمؤذى دنئ» بانه احسن مثل.

ورغم ان الفن لم ينحصر قط على الحدود الجغرافية والاجتماعية التى أوجدها الانسان فقد أنشأ الانسان دوائر محدودة حوله لتقدير الفن.

ويتحتم ان جميع الفنون عند ما وجدت باخلاص النية كانت ولاتزال تضمر فيها نوعا من السمو والمجد ولكن عصبيات الانسان وجهالته قد غطت بصيرته بانه اخفق من ان يشير به. وكذلك توجد قوة الترفع والثروة فى اصحابها خصائل الازدراء باى فن ينتمى إلى اناس دونهم فى المجتمع او مستوى المعيشة.

لا يمكن التقدير الصادق لأى عمل فنى إلا اذا تناوله الانسان بغض النظر عن البيئة التى تحيط به والظروف التى نشأ فيها عند ما تنكشف افكار ومثل وتطلعات صانعيه وتجلت المصادر التى يتغذى بها وبالفاظ اخرى يجب ان يوضع الفن امام مرآة صادقة تاريخية وثقافية للتمتع به تمتعا كاملا. وهنا نحتاج الى دراسة الحضارات التى كانت اساسا لفنونها. وكذلك نحتاج حاجة ملحة إذا كنا نرغب فى تحقيق نجاح فى مهمتنا، إلى اتخاذ موقف فكرى ينظر الى الخلافات الناشئة فى معالجة موضوع البحث بصحة، وتقدير، واعتبار. وفى الواقع لامفر منه لانه لا يتفق رجلان فيجب إذن ان ندع حضارتين فى حالتهما الطبيعية بدون اى تدخل. وعلى كل حال توجد علاقة مشتركة وحيدة تجمع جميع الفنانين وهى العامل الوحيد الذى يمنح الفن وحدة وصبغة عالمية، وهذه العلاقة هى قوة الأخذ

فى قلب الفنان وهى القوة التى لا يقهرها ولا يقدر على كبتها مع انها توجد فى قلبه. وهذه القوة هى التى تدفعه إلى البحث عن اى شئ يمكن التعبير عنه فى اى شكل من الأشكال، وهى مصدر لارتياح عالى يحظى به الفنان، والمتمتع بفنه.

إن العوامل التى تسيطر على شكل كل بناء ثلاثة، غرض البناء، حاجات الناس، واتقان البنائين فى انفسهم فى عملهم والتى تشتمل على معرفتهم وتقاليدهم والمواد التى توجد فى ذلك العصر بوفرة وفى غاية من السهولة.

ولا يمكن شرح غرض الانسان الذى يضعه نصب عينه فى إنشاء فن التعمير عبر العصور الغابرة، إلا إذا وضعنا جميع حاجاته معا، فيها حاجاته الطبيعية والفكرية والنفسية. وإن كل مجهود معمارى كبير، سواء كان ذلك المأوى الأول الذى انشأه الانسان، او المبانى التى شيدت فى القرون الوسطى فى شكل القبب او المنارات على المعابد، أو المبانى الحديثة ناطحة السماء والمبانى الطويلة لاسكان آلاف من الناس فى مدن مزدحمة والتى بنيت بغرض سامى، ومقدرة كافية يتخذ جلالها بنفسها.

إننا نجد فى الهند مثلما نجد فى كل مكان فى العالم، انواعا مختلفة من البنايات، والتى حاول بها الفنان الهندى سد مآدبه الطبيعية او التعبير عن حاجاته النفسية والفكرية. ولاسباب يشرحها تاريخ الهند وجغرافيتها خير شرح، يتميز كلاهما بالوحدة رغم التنوع، فاننا نجد طرقا مختلفة كليا للبناء فى البلاد، ولكنها تنم عن نموذج هندى شامل. وقد قال الدكتور George Catlin عن التاريخ الهندى، إنه متنوع الاشكال ومتوفر كالنحت الهندى، والواقع انه يمكن أن يقلب هذا التعبير فيما يتصل بفن التعمير والنحت الهندى، فالنحت يكمل احيانا التعمير. ولا يؤثر

هذا القلب اى تأثير فى فعالية هذا البيان وذلك يدل على أن التاريخ والفن لبلد ما تقوم بينهما علاقات وثيقة وارتباط وثيق. فالفن يدل على فنانه وبصراحة اكثر مما تدل عليها أية وسيلة اخرى يستخدمها الانسان.

إن المدينة المصنوعة بالآجر فى عصر حضارة حوض السند والتى بنيت بتخطيط دقيق فى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد والتى تتكون فى قلع وقاعات للاجتماع، ومنازل ذات طبقات متعددة، ومناهل شعبية وخاصة ونظام للمجارى تدل على ان فن التعمير كان قد بلغ ذروة من المؤهلات والمهارة المعمارية العالية الى حد أنه تمكن من سد جميع مآربه ومقتضيات الحياة فى ذلك العصر تقريبا.

وبعد فترة دامت عدة قرون نتيجة لتلاشى الهياكل الخشبية كليا نعثر على البقايا الاثرية للفن المعمارى المورى الذى يمتاز باستخدامه الخشب والحجر معاً. ويمتاز هذا العهد بأعمدة عالية، وهذه المبانى ترمز ليس الى مجد ذلك العهد ونهضة حكوماته، والرفعة الشخصية لبعض ملوكه والتى تنعكس فى طريقة البناء، واستخدام المواد اللائقة، وتكملة المبانى لحسب بل الى الحساسية والدافع الخفى فى قلوب الناحتين والذى يتجلى فى التعبيرات العظيمة، وعصابات الأعمدة، وفى الحقيقة فى جميع مظاهر الجمال الطبيعى الذى تتوفر فيه ويمتاز العهد المورى ايضا بانه فاتحة عهد العناصر الأجنبية من المصرية والآشورية والبابلية والاغريقية والفارسية، وتأثيرها على الفن المعمارى الهندى، وقد كان هذا التحول عنصراً سارا وتجربة منشطة للفنانين الهنود الذين استغلوه حسب ذوقهم وادخلوا فيه تعديلات وتحسينات تناسبهم.

ويعتبر الفن المعمارى الذى تمثله المعابد البوذية فى Sanchi و Bharhut و Amravti وبوذاجيا، ابتداء من العهد المورى إلى عهد كبت، مرحلة فاصلة أخرى فى تاريخ الفن الهندى. فى بادئ الأمر كان يبنى برج على رفات شخصية دينية او غير دينية عظيمة ثم اتخذ هذا المكان اهميته الخاصة فى العهد البوذى. وكانت تدفن البقايا الأثرية لبوذا او الشخصيات الهامة الأخرى تحت قبة نصف كروية الشكل وتنشئ حولها وبالقرب منها مبان اخرى للناسكين والكهنة، ثم تفشى استعمال هذه المبانى كمراكز علمية لعامة الناس من الهنود والأجانب فى بعض الاحيان.

اكتمل بناء Stupa فى بهاروت على بعد مائة ميل بجنوب غرب مدينة الدآباد فى شكل قوقازى فى ١٥٠ قبل الميلاد عند ما غزا الملك منندر الذى ذكر أنه اعتنق الديانة البوذية فيما بعد، الهند الوسطى وزحف الى باروت. وتدل النحوت المنقوشة على استوبا، انه أنشئ فى عهد سونكا الذين خلفوا الموريين، ولكن تكاليف بناء المعبد كان تتحملها شخصيات مختلفة عن طريق التبرعات وقدمت بعض الأميرات فى عهد متر، مساهمات مالية، واشترك فيها ايضا تجار ذوو ثروة كبيرة، والفنانون والناسكات فى مختلف انحاء البلاد وكل ذلك يدل على مدى اهتمامهم بانشاء معبد تذكارى بوذى ينتمى إلى جميع طبقات المجتمع تقريبا.

إن جميع المعابد فى Bharhut ونحوتها تدعو الى الاعجاب رغم وجود مواطن الضعف الكثيرة فيها بسبب بروز فن حجرى بدائى من الفن الخشبى. ويشعر كل من يراه ان الفنانين ارادوا تبليغ رسالة واحرزوا نجاحا فى مجهودهم. وتدل هذه المبانى على حبهم الكامن للطبيعة، ومقدرتهم على التمتع بالحياة بجميع نواحيها، عن طريق نحوتهم التى تبرز صفات مختلفة

0084

وهيئات متعددة، جدية وهزلية، وعملية، وتلقى الضوء على طريقة حياة الشعب فى عصرها. وتصف اساطير جتاكا البوذية الانسان والحيوان بنفس الروح السائد وتصورهما عن طريق الناحت العطوف وفى هذه الناحية يمكن ان ينطبق ما قاله Lethaby «ان اولئك الأشخاص القدماء قد شيدوا مبان تذكارية ببساطة وطريقة مباشرة سجلوا فيها آمال قلوبهم واتجاهاتهم.

وتساعد مقارنة بين Bharhut والمبان الأثرية البوذية المتأخرة، على وصف تاثير الحالة الاقتصادية للفنان وتخليقه فتمثل باروت حضارة ونظاما للمجتمع الذى كان يقوم اساسا على الزراعة والنظم القروية فيعبر فن مجتمع من هذا القبيل عن اتصالاته بالطبيعة وانجذابه اليها طبيعيا ومظاهر التمتع والسعادة وقبول الحياة والاتجاه الى قيم مستقرة دائمة والثقة والايمان بقوة واستقرار. ولكن وقع تغير كبير فى مجرى الحياة منذ منتصف القرن الاول بعد الميلاد فى الهند وخاصة فى دكن والجنوب وانصرف الناس إلى التجارة الحرة مع عالم البحر المتوسط من جهة ودول جنوب الشرق آسيا من جهة اخرى. ومن هنا بدأت خزاين كبرى فى دكن وايضا فى الشمال. وانتقلت الحضارة الزراعية إلى حضارة تجارية بحرية على طول الموانئ والمراكز الواقعة على الطرق التجارية. وتبدو بوضوح الاتجاهات الجديدة وموقف الحياة فى الطبقة المتوسطة الجديدة فى فن ماتهرا، وامراوتى. ولم يسيطر على حساسية وثروة وبذخ نحوت امراوتى شئ الا روح التنازل والانسحاب الذى كان أساسا للعقيدة التى الهمت هذه النحوت ونتج منه نظام متزن يمثل ميزة كبيرة تتصف بها نحوت امراوتى بهذه الوفرة العظيمة.

ويدل فن بهاروت على التحول من الخشب إلى الحجر فى بناء المبانى وينعكس هذا الانتقال فى الهياكل العظيمة المترامية لبعض المبانى. ونلاحظ نوعا من الغموض والسطحية فى بعض المبانى فى الوقت الذى استغرقه الفنانون فى تصميم افكارهم واتخاذ طرق جديدة ظهرت فى شكلها البديع فى المبانى التى بنيت فى نفس المكان مؤخرا. ويبدو ان بنائى العهد المورى الحجرى كانوا قد مروا بنفس المرحلة فى الأيام الأولى كما ترك عهد نحت الصخور وبناء المبانى الحجرية أثره فى بعض المعابد القديمة. وفى آسيا الصغرى يجد الناحت عددا من المبانى التى بنيت على الصخور بعد نحتها، والقبب وخاصة فى Lycia وهى فى الواقع صورة حقيقية ظهرت فى الحجر للبناء الخشبى بجميع خصائصه ومزاياه. ويحتمل ان العمود اليونانى الدورى ربما نحت فى اصل خشبى. وأن اهمية فترة الانتقال لا تقل فى عين المؤرخ الباحث كما تهمه الفترات الأساسية. وهذه هى الفترات الضعيفة التى تبدو احيانا فترات انفصال فى تاريخ الفن والتى يجعل المرأ يفكر فى أنه وجد نشاطا فجائى للبناء فى الفترة المعينة. وبدلا من ان نفكر فى أسباب الدرامكية والنفوذ غير المتوقع، يجب ان نلقى نظرة عاجلة على الماضى رغم انه لم يكن مؤثرا للغاية ولكنه لا يخلو من اهميته الحيوية الفعالة. ويمكن ان الفترات الانفصالية ربما حدثت بسبب المواد الضعيفة التى لم تستطع مقاومة الزمن. والواقع ان الظروف السياسية ما عدا المدن الكبرى، لم تسبب الا قليلا فى اتقان النشاط الفنى فى داخل البلاد الكبيرة مثل الهند التى كانت تحت ادارة لا مركزية بصورة عامة. ثم ان نظام الطبقات وتخصيص الحرف والقوانين المعينة للحرب لابد انه لعب دوره فى تحديد نطاق الحرب وتوقفه على مجموعة

معينة من الناس. ولذلك كان الفنانون فى حرية مهما كانت الظروف ملائمة او غير ملائمة أن يواصلوا بجهودهم البنائى وحتى فى زمن الحروب. ولذلك مهما يكن من اسباب الفترات الضعيفة أو الفجوات الواضحة، فلا يجب أن نعتقد وجود اى انفصال كبير واسع فى تاريخ الفن ويتوجب ان نعالج كل اتصال بلطف ونعطيه الأهمية الكاملة وقدره التام ونصور القديم ممزوجا بالجديد.

والواقع ان الفن يتطور ويواصل سيره مثل الزمن. فلا تحسب للحدود حسابا، بل انه إذا اتبع إلى نهايته المنطق يشكل تراثا مشتركا للجيش البشرى.

إذنا نجد فى الناحية الشمالية الشرقية فى افريقيا معابد عمودية، وهى فى الواقع اساس للقاعات العمودية المتاخرة كما يبدو ان المصطبة أو القبب المبنية على القبور ترمز نوعا ما إلى الباب العمودية. اما القبب الصخرية ذات العمود فانها تبدو من رواد الأعمدة الدورية. وفى الشمال الشرقى من وادى النيل نجد بقايا الآثار الكلدانية والأشورية المبينة بمواد أقل صلابة ومتانة. وفى الوقت الذى لايوجد اية علاقة بين فن التعمير المصرى والأشورى باعتبار مبدء والبناء ومعاملة المبانى. ولكنه إذا القيت نظرة عامة على المجموع يوجد علاقة ما بالنظر الى مواد الزينة. أما الأجزاء الأخرى فهى تختلف اختلافا كليا لانها مستقر أشورية صرفة. ثم هناك مماثلة فى التعبير الأشورى وهو زهرة اللوطس المتفتحة التى تتكاتف وريقاتها فى النهاية ثم تتلاصق ويبدو انها هى التى كانت اصل الحلى الافريقى التقليدى بعد تحسينات وتنقيحات ملحوظة ورغم انه مماثل فى الشكل للوطس المصرى ولكنه شبيه كذلك باللوطس الآشورى فى كثرة وضخامة الوريقات من الناحية المركزية الى النهاية الاخيرة.

أما الهند والشرق الأوسط فانهما مرتبطان بروابط ثقافية منذ اقدم العصور. فلم تكن العلاقات التجارية المنتظمة قائمة مع مدن وادى نهر السند فحسب بل كانت العلاقات قائمة بين الجنوب وايران والعراق والجزيرة العربية وسوريا ومصر وحتى مع قبرص بطريق البحر. وفى العصور التاريخية كانت الهند متصلة بالعالم الهيلينى اقتصاديا وسياسيا ولذلك ليس من الغريب إذن ان نجد اتصالات بين الفن الغربى والفن الهندى وخاصة فى المنطقة الشمالية للبلاد. ويشهد معبد تكسيلا الذى كان يوما خاضعا للحكم اليونانى على هذا النفوذ لانه مبنى على أعمدة على النمط الايونى. وفى كشمير كانت الاعمدة بالطراز الهيلينى تستخدم فى الفترة الوسطى بالاضافة إلى اشكال هيكلية اخرى صبغت الطراز الكشميرى صبغة غوطية.

وتوجد فى آسيا الوسطى السوفياتية وافغانستان عدة مجموعات من الآثار التى تبدى امتزاج النفوذ الهندى الهيلينى. وفى اقصى الشرق نجد مدرسة قندهار للنحت التى نشأت وترعرعت فى العصر المسيحى وميزة هذه المدرسة انها كانت تتبع النمط الاغريقى البوذى. إلا ان إزدهار هذه المدرسة التوفيقية كان مرجعه رخاء روما وامتداد امبراطوريتها نحو الجهة الشرقية. كما ان مدرسة متهرا للنحت اختارت اكثر من تعبير اغريقى رومى.

فى الوقت الذى كانت روابط الهند تمتد إلى مصر واليونان وروما فى الغرب، اجتازت علاقاتها إلى اماكن ابعد من ذلك فى الشرق فغزى نفوذها الصين واليابان والهند الصينية واندونيسيا والفلبين. وكان هذا النفوذ فاتحة عهد جديد فى تاريخ الفن الهندى الاسيوى ولكنه رغم اختلافه كان يجمعه طبعاً عدة روابط. وأوجه الشبه. وفى امكان طالب

الفن المعمارى ان يلاحظ هذا التاثير السائد الذى ترمز إليه المعابد البوذية فى الهند التى تعرف باسم استوبا وهى المبانى التى تقام على رفات كبار الشخصيات بغرض العبادة والمعابد البوذية المماثلة فى الصين والسيلان فى داغابا وباجودا .

تعتبر اقامة اتصالات حرة بين الدول علامة لبداية النضوج ، اما التبادل الحر فهو بمثابة إكتمال النضوج والحلم . فكل حضارة عظيمة ناضجة لاتكتفى بتصدير تراثها إلى الآخرين بل انها تستورد ايضا ما يسوغ لها من تراث الاخرين بحرية وتتبناها ـ ولاتختارها خاضعة امام تاثيرها وانما تقتبس من خيراتها بما يلائم عقليتها وملكة فنانيها وبالتالى تجعلها جزءا من مجرى ثقافتها الخاصة .

إننا نعانى فى هذا العصر ، عصر الاستعمار والقوميات ، من نوع من البخل الثقافى ، واحيانا يبلغ بنا هذا البخل الى حد عدم الاعتراف بما ننتفع به من خيرات الثقافات الأخرى والامتنان بها . فالدول الناهضة تكضم هذه التقدير جريا وراء شعور كاذب ناتج عن الغطرسة والعجب اما الشعوب المتخلفة فانها تخفى هذا الاعتراف بسبب مركب نقصها . فاما الذى لاتدركه هذه الشعوب هو ان روح الافادة والاستفادة ليس فقط دليلا على النضوج العقلى ، وان اقامة اتصالات ثقافية ليست فقط علامة للنشأة والنهضة فحسب بل إن سجل الثقافة البشرية متزن اتزانا دقيقا فى هذا الصدد ، فالجانب المنتفع لجميع المناطق والأجناس يلتقى على السواء بالجانب النافع .

اسطول گجرات[1]

للاستاذ السيد ابى ظفر الندوى

(٢)

صلة الكجراتيين بالملاحة

ان معظم سكان المناطق الساحلية لكجرات وكاتهياوار ينصرفون حتى هذا العصر إلى الحرف البحرية ، مما يبعثنا على الثقة بأنهم كانوا ملمين بشئون الملاحة والتجارة البحرية إلماماً موضوعياً ومما لاشك فيه ان سفنهم كانت تواصل السير فيما بين السند ولنكا . وكان اسطول گجرات اكثر رحلة إلى لنكا بالنسبة إلى اهالى تامل ، ومما يقال إلى ذلك انه كان يبلغ شأوا أبعد فتمتد اشواطه إلى جاوه وسماتره . وكما كانت اسرة شترب تتمتع بالحكم فى البر كذلك كانت تتمتع بنفوذ الكلمة فى البحر من القرن الأول إلى القرن الرابع للميلاد . وكانت التجارة فى عهد هذا الحكم مزدهرة نافقة وفى القرن السادس كانت العلاقات التجارية القائمة بين سيلون وسورته فى غاية من السعة والمتانة . وفى نفس هذا القرن أجلى قوم «هن» جيلى «المهر» و«الزط» من «كوتش» مما تسبب فى استيطانهم للبحرين . ويكتب السياح الصينى «هونغ تساونغ» انه رأى فى مدن ايران الهنادك الذين يقطنون فيها ، وقد كان هؤلاء الزط يقومون بوظيفة «المعلم» فى السفن التى كانت تستمر ملاحتها فيما بين ايران وكجرات[2] .

وفى القرن التاسع اصبح الكجراتيون اقوياء حتى مكنتهم القوة المتزايدة من ان يبسطوا حكمهم إلى جاوه . ومن اجل ذلك كانت حضارتها اكثر

---

(١) غجرات (٢) بمبئ گزٹیر ص ٤٩٣ .

تفاعلا مع الحضارة الهندوكية وأقرب إليها منها إلى حضارة جيرانهم الصينيين فكانت تستعمل لحاكمها كلمة «مهاراج» التى استفيدت من حضارة الهند. ويذكر الزائرون العرب فى وصف رحلاتهم مايدل كذلك على تأثر حضارتها بحضارة الوثنيين أكثر من تأثرها بحضارة أخرى. ولعل ذلك هو السبب فى ان العملة الجاوية كانت تعتبر ويعمل بها رسميا فى كجرات. وتعرف هذه العملة فى تاريخ حضارة المنطقة باسم «الطاطرية» كما يصرح به الرحالون العرب. وكانت عملات «جبت» رائجة فى مدغاسكر (افريقيا) وجاوه كذلك. وكان تجار مدغاسكر يفهمون اللغة الجاوية.[١] ومما يصفه الزائرون العرب من مشاهداتهم السياحية بهذا الصدد ان الهنادك يفدون إلى البصرة و«سيراف»، غير ان من عجيب عادتهم، أنهم لايأكلون الطعام مجتمعين حتى مع بعضهم، وقد يكونون بعدد يربو على مائة نسمة.[٢] وقد تناول «بزرك بن شهريار» الهنادك بالذكر مرارا فى كتابه، وهو الزائر الذى قام بالرحلة السياحية فى القرن الثالث الهجرى.[٣] وكانت لهؤلاء الوثنيين رحلات تجارية إلى اليمن كذلك. وكانوا يربحون فيها ربحا تجاريا عظيما. فمما يثبته التاريخ ان وثنيا من كجرات يسمى «دينايك» كانت له صلات تجارية باليمن، وكان يشد إليه الرحال بنفسه فى كثير من الأحيان.[٤]

فلم يبق بعد العلم بما اسلفناه من التصريحات ـ مجال للشك فى أن تجار كجرات كان يمتد نطاق تجارتهم إلى بلاد جزيرة العرب ومصر،

---

(١) كجرات نووهان وتو (كجراتى) (٢) سفرنامه ابوزيد سيرافى ص ١٤٦ طبع باريس (٣) عجائب الهند ص ١٦٥ لندن (٤) موسم بهار ج ٣ ذكر داؤدين عجب شاه بمبى.

والعراق ، وايران ، ولنكا ، وجاوه . وكانت تتسع كذلك دائرة ملاحة السفن إلى جميع هذه الجهات المتقاصية . وكان عند بهيم ديوالثانى (سنة ١٢٤٢ م سنة ٦٤٠ هـ) اسطول . وكان يتولى منصب امير البحر فى زمن «ارجن ديو» سنة ١٢٧٥ م سنة ٦٧٤ هـ) مسلم . ويظهر من ذلك أن العرب كانوا قد احكموا تنظيم هذه المصلحة كاتقانهم عملية الترتيب لجيش «راشت» .

المركز البحرى

الملاحة فى الهند ما قبل عصور التاريخ تحيط بها الحلكات من الظلام . غير ان هناك من بعض الوقائع الجزئية ما يدل على أن المركز البحرى سنة ٢٠٠٠ ق.م. كان دواركا اشمال گجرات وبهروج لجنوبها . وتنحصر المركزية البحرية فى (رورگه) بهروج سنة ٩٥٠ ق.م.

وقد بدأ عهد تقدم «كهنبايت» منذ القرن المسيحى الأول . واحتلت «كوگه» درجة المركزية فى القرن السادس غير ان «كهنبايت» ظلت ممتازة بسوقها التجارية الكبيرة . كما بقيت «بهروج» كذلك محتفظة بمكانتها الممتازة فى الجنوب . وما برحت كلتا المدينتين تحتل مركزيتها كذلك إلى القرن السابع الميلادى كما يثبت من بيان السياح الصينى «هونغ شيانغ» وأما القرن الثامن فما انفك فيه ايضا كل من المدينتين يحتفظ بمركزية غير أنها صارت متضائلة بالنسبة إلى ما حصلت عليه «صيمور» (من اعمال بمباى) وسوباره من المركزية البحرية ، والاهمية السياحية . وازدادت مركزية هذه المنطقة قوة ، حتى صارت بحيث لاتجاريها مركزية منطقة أخرى . وكان السبب فى النهضة السريعة لهذه المنطقة ، انها كانت تقرب كثيرا من «مان كهير» عاصمة حكام «راشت كث» . ووصفها السياحون

العرب وصفا تفصيليا على وجه الخصوص . ومثلها كانت «كهنبايت» تتقارب كثيرا من «بتن» عاصمة أسرة «جورا» الحاكمة . ومن اجل ذلك صارت مركزية بهروج تتناقص شيئا فشيئا منذ القرن التاسع ، واصبحت «كهنبايت» مركزا بحريا ممتازا . وظلت مركزيتها البحرية ممتازة كذلك فى عهد حكام «سولنكى» وإلى آخر عهد الحكم لأسرة «باكهيلا» (سنة ١٣٠٤ م سنة ٧٠٤ هـ) كما ظلت تتمتع بهذه المركزية فى عهد الخلجيين والتغلقيين . وبالرغم من بقائها مركزا بحريا إلى عهد «محمود شاه» الاول من سلاطين گجرات ، لم تستطع الاحتفاظ بمكانتها الامتيازية ، حيث بدأت حينئذ نهضة «ديو» وخطت خطوات حثيثة فى سبيلها إلى التقدم والازدهار ، حتى اصبحت مركزا بحريا قويا . وبقيت تحتل الاهمية البحرية إلى عهد مظفر الثانى ، وسلطان بهادر شاه . وكانت هذه إلى جانب ذلك تحتل مكانة خطيرة من الناحية التجارية . واما عهد محمود بن لطيف الذى سيطر فيه البرتغاليون على «ديو» فانتقلت المركزية حينئذ منها إلى «كهنبايت» واضحت مركزا بحريا خطيرا للمرة الاخرى ، غير انها لم تكن تتسع للبوارج الكبيرة ، فكانت السفن الكبيرة من هذا الطراز ترسو عادة فى ميناء «گهوگه» فكانت تتم عملية تفريغتها باستخدام السفن الصغيرة التى كانت تنقل بضائعها إلى كهنبايت . وانقرضت الحكومة المركزية على عهد مظفر شاه السلطان الآخر بسبب الحروب الداخلية التى نشبت فيه فيما بين الولاة . وتمزقت رقعة الدولة المتحدة . وانقسمت مركزيتها إلى ثلاثة اقسام : وهى «بهروج» و «سورت» و «كهنبايت» ، استقلت كل منها بالمركزية على حدة . وظلت «كهنبايت» و «سورت» مستقلتين بمركزيتهما ، فى عهد المغول ، على ان

بهروچ فقدت مكانتها المركزية. ولما كان عهد «اورنجزيب عالم گير» سنة ١٦٠٠ م ، ازدهرت سورت ازدهارا كبيرا . وأما «كهنبايت» فقد كتب لها الزوال. وفى عهد شاه عالم ، عند ما تعين مؤمن خان الثانى ليتقلد منصب شاه بندر (Port Commissioner) لميناء كهنبايت ، اصبح كل من «گهوگه» و «بهروچ» تابعا له ، وكان ذلك سنة ١١٦٧ هـ ١٧٥٣ م. ثم اختل النظام فى القطر بسبب غارات النهب والقتل التى قام بها قوم «مرهته» الامر الذى دفع كل من كان يتولى الامر فى موانئ «كهنبايت و «بهروچ» و «سورت» إلى ان يستقل بكل ما تحت ولايته ، ويسيطر عليه سيطرة مطلقة. واستمرت هذه الفوضى حتى تمكن الانجليز من السيطرة على گجرات . وكانوا قد ركزوا اهتمامهم على ترقية جزيرة «بمباى» بعد اتخاذهم إيّاها مركزهم البحرى ودأبوا فى العمل على بناء نهضتها حتى بسطوا نفوذهم إلى كل من «بهروچ» و «سورت» وسيطروا عليهما سيطرة كاملة. وقد خضع لهم القائمون بشئون الولاية فى كهنبايت . ولما اطمئن الانجليز من احكام سيطرتهم على منطقة «گجرات» وكاتهياوار الشاسعة المترامية الاطراف فرضوا على هذه الموانئ شرائط وقيودا مشددة ، نتج عنها إغلاق جميع الموانئ على وجه التقريب . وصارت بمباى المركز البحرى الوحيد لجميع الولايات، ولاتزال تحتل مركزيتها البحرية إلى هذا العصر. وانما يقال المركز البحرى للميناء الذى يقيم فيه الضابط الاعلى للشئون البحرية «شاه بندر» أو امير البحر ، وتوجد فيه المصلحة المركزية لأمور البحر . وكان يتم اختيار امير البحر من قبل السلطان مباشرة . وكانت تخضع لأوامره سائر الموانئ وكان يبعث إليها نوابه الذين كان يعينهم بنفسه . وكان يجب على الجميع ان يمتثلوا اوامره ، ويعملوا وفق توصياته ، وارشاداته .

الاساطيل الكجراتية فى عهد الاسلام

لقد صنعت سفينة كبيرة فى عهد الاسلام فى البحرين ، وكانت أول سفينة ضخمة تم انتاجها بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، والبحرين لموقعها الطبيعى تناسب كثيرا لصناعة السفن ، وملاحتها . وقد بدأ أول سفينة للعرب سفرتها سنة ١٥ هـ ٦٣٦ م من البحرين ووصلت إلى « تهانه » وذهبت سفينتهم الثانية إلى « بهروج » ، والثالثة وصلت إلى « ديول » . ثم نشطت حركة الملاحة تبعا لازدهار التجارة واتساع نطاقها ، حتى اصبحت فى القرن الهجرى الأول شبكة تتألف من سفن كثيره تتابع الاسفار إلى لنكا ، وجاوه ، والصين . ومن بينها كانت تلك السفن المسافرة بالحجيج التى اغار عليها القرصان ولما رفضوا تسليم ما وقع بأيديهم من الاموال والنساء ، قام محمد بن قاسم بحملة على السند ففتحها . وفى أواخر القرن الثانى للهجرة كانت تجارة العرب قد تقدمت تقدما كبيرا ، فكانت الموانئ الكجراتية الكبرى تغص بالسفن العربية .

وان السفن العربية الضخمة التى نهبها «شيم راج» فى ميناء سومناته على عهد « يوك راج » سنة ١٩١ هـ ٨٠٦ م كانت تحمل اموالا طائلة ، تقدر بمئات آلاف روبية ، بالاضافة إلى ما كان فيها من الخيل والفيلة التى بلغ عددها عشرة آلاف . ومن ذلك يمكننا التوصل لتقدير مدى ما وصلت إليه التجارة من الرقى والنشاط .

---

(١) رتن مالا - ذكر أسرة جاورا . وتقدر قيمة هذه الخيل بمليون وسبعة آلاف روبية ، ومن ذلك يمكن التقدير لقيمة ما سواها من الفيول ونحوها .

وإلى آخر القرن السابع قطعت تجارة العرب البحرية شوطا عظيما فى مضمار الرقى والنماء إلى حد لم يكن ليوجد ميناء من الموانئ الكجراتية خاليا من بضائعهم التجارية. وكان الجميع من التجار العرب وسكان الاقليم (كجرات) وحاكمه يشتركون فى الانتفاع بهذه البضائع. ولكن يبدو أن ملاحة سفن العرب تسببت فى تعطيل اسطول كجرات لأنه لايوجد فى الكتب ذكر للسفن الكجراتية فى العهد الذى نشطت فيه حركة ملاحة السفن العربية، فى حين نجد ذكرها فى المصادر القديمة بكثرة هائلة. وكان حاكم الأقليم فى عهد «راشتركوت» يولى عناية بالغة للتجار العرب، ويكرمهم اكراما زائدا، كما يشهد بذلك سليمان البصرى، وابو الحسن زيد السيرافى، والمسعودى فى وصف رحلاتهم. والباعث لذلك كانت تلك الرسوم والضرائب التى كانوا يؤدونها إلى الحاكم. وكانت هذه الرسوم تؤلف جزءا كبيرا من دخل حكومة القطر. وتوجهت عناية اسرة «سوانكى» «وباكهيلا» إلى السفن فى نهاية القرن السابع، تمكنوا بمعاونة من العرب من صناعة اسطول للسفن البحرية، فقد ثبت ان عربيا كان يتولى منصب امير البحر لـ «ارجن باكهيله» وكان السبب فى زيادة حركة السفن التجارية فى هذه الجهات على عهد «خلجى» و «تغلق» ان عددا كبيرا من العرب المسلمين والايرانيين كانوا قد استوطنوا جميع الموانئ الكجراتية منذ زمن «راشتركوت» وقد كتب المسعودى «ان عشرة آلاف بيت فى صيمور يقطنها العرب، والايرانيون. وكلهم إما تجار، وإما يرتبطون بنوع من الصلات التجارية». ومثل ذلك كانت حال بقية الموانئ ككهنبايت، وبهروج، وسومناته، وجوناكده، وما إلى ذلك. وان المعركة

التى قام بها الهنادك باغراء من البارسيين ضد العرب فى كمنبايت والتى اسفرت عن قتل كثير منهم وهدم مسجدهم الجامع(١) تدل على ان هذه الجهات كانت كذلك مواطن اقامة وسكنى لهم.

وقصارى القول ان هؤلاء العرب، والايرانيين المستوطنين الجددهم الذين كانوا اصحاب الامتياز لتسيير السفن عن طريق شركة، أو بصفة انفرادية فى عصر الخلجيين والتغلقيين. ويحتمل أن تكون هناك سفينتان أو بضع سفن تمتلكها الحكومة، غير انه لم يتسن العثور الآن على ذكر اسطول حربى، أو سفينة للمسافرين، او سفينة تجارية لم تكن بملكية أولئك المستوطنين. ويتأيد من كتاب ابن بطوطة عن رحلته كذلك، أن السفن باسرها كانت مملوكة اما لعين أولئك المستوطنين، أو التجار الأجانب الواردين، على أنه كان هناك عدد صغير جدا من اصحاب العقارات المحليين الذين ايضا كانوا يملكون السفن. وإلى جانب ذلك قد تطرق ابن بطوطة مرارا إلى ذكر السفن الصينية فى بحر لنكا، ومدراس، وفى ساحل مالابار. كانت التجارة ايضا يشترك فيها الهندوكى الوثنى ويكسب فى الربح من المال ما يقدر بمآت الآلاف. واما السفن فلم يملكها الهندوكيون وان وجدت سفينة بملكية كجراتى غير مسلم على سبيل الافتراض أو الصدفة ـ فليس له اعتبار، كما جاء فى «كجرات تودهان وثو» ذكر لبعض السفن التى كان يمتلكها احد الوثنيين، ولكنه مثال واحد ليس له سند مؤيد.

وان احمد شاه الاول هو أول سلاطين كجرات الذى اهتم بالاشراف على نظام تسيير السفن رسميا. وفى سنة ٨٣٤هـ ١٤٣٠م تمكن ملك

---

(١) جامع الحكايات ـ نسخة خطية توجد فى دار المصنفين باعظم كره الهند.

التجار حسن البصرى القائد العام لسلطان «بهمنى» من الفتح لمنطقة «مهائم» التى كانت تابعة لكجرات، فبعث السلطان الى مخلص الملك حاكم «ديو» أن ابعث اليه بالاسطول البحرى، فبادر الى تنفيذ امره، واتجه صوب «مهائم» باسطول كان يتألف من سبع عشرة سفينة جمعها من سومناته، وگهوگه، وكهنبايت، ورجع منها ظافرا منتصرا[١]. ومن هذه الواقعة يتبين ان هذه الموانئ الثلاثة كان يوجد بكل منها اسطول سفن جاهزا متزودا. ومن الظاهر انه اول اسطول گجراتى اسلامى تحرك فى البحر. وأما السلطان محمد الاول والسلطان قطب الدين فلم تسمح لهم الظروف بالالتفات الى الشئون البحرية فقد شغلتهما المعارك البرية. على ان السلطان محمود الاول (بيغرا) كان يعير هذه الناحية الحيوية اهتماما ويشملها بالعناية الفائقة، وكان يشعر فى ذلك بمتعة ولذة. وكان تولى احد الاتراك لمنصب امير البحر مبعثا لزيادة الاهتمام، والشعور بما لهذه الناحية من الخطورة الاستراتيجية، والاقتصادية، والدولية. ونتيجة لذلك اصبح الاسطول الكجراتى فى هذا العهد من اقوى اساطيل العالم. وكان يحرس هذا الاسطول المنطقة الممتدة من ساحل السند إلى ساحل ميناء «دابهول» باسرها. وقد اقدم السلطان محمود على تزويد السفن بالمدفعيات متأثرا فى ذلك بتقاليد الاتراك. وفى سنة ٨٩٦ هـ ١٤٩٠ م اقدم السلطان محمد البهمنى على قتل وزيره خواجه جهان ثم وافته نفسه المنية بعد ذلك ببضعة أيام، فتضعضعت احوال الحكومة المركزية، مما حدا بـ «بهادر الكيلانى» الى استغلال هذه الفرصة المواتية فاستولى على المناطق الساحلية، وأعد

---

(١) فرشته ـ بيان احمد شاه الاول الكجراتى.

اسطولا يشكل شبكة من السفن تهيئا واستعدادا للقرصنة البحرية ، وبدأ بشن غارات القرصنة على الموانئ الكجراتية ، من جانب دكن ، ونجح فى سلب عشرين سفينة كجراتية تجارية[1] . وادى ذلك إلى تعطيل حركة ملاحة السفن ومرورها بالموانئ الكجراتية تقريبا وتوقفت كذلك حركة استيراد الحاجيات مما تسبب فى خلق ازمة فقدان المرافق فى البلاد . ولما علم بذلك السلطان محمود بعث بثلاثمائة سفينة حربية لتجريد الحملة على ميناء « دابهول » والقبض على « بهادر الكيلانى[2] » ومن ذلك نستطيع التخمين لقوته البحرية . وقد تولى على عهده منصب امير البحر ملك طوغان . فملك اياز . وكان كل منهما يمتاز بالكفاءة النادرة ، وكانت لهما الخبرة والتجربة فى امور البحر ، والاطلاع الواسع على المختصات بالسفن ، كما كانا يتمتعان بالموهبة الطبيعية للحفاظ على النظم ، وادارة دفة الامور . وفى سنة ٩١٣هـ ١٥٠٧م بلغ السلطان محمود ان البرتغاليين قد وصلوا إلى الاقليم فى عدد كبير يقصدون الاستيلاء على منطقة ساحلية ليقيموا فيها حصنهم ، فامر « امير البحر » اياز بان يقاتلهم فى البحر فنهض حكام «ديو» و «دمن» و «مهائم» بتسليح سفنهم ، وتأهبوا للحرب وفى هذه الاثناء ارسل حاكم مصر ملك اشرف قانصوغورى امير البحر امين حسين إلى الهند على اسطول من السفن الحربية بعد أن زوده بوصايا خاصة ليخرج البرتغاليين من أرضها . فالتقى الاسطولان واجتمعا وتكون منها أسطول قوى متحد ، وواصل الاسطول السير حتى وصل إلى ميناء جيون ، حيث

---

(١) برهان مآثر ص ١٤٧ دلهى (٢) سكندرى - ص ١١٥ بمباى الطبعة الثانية .

كان البرتغاليون قد احتشدوا. وبدأ الاسطول الكجراتي المتحد يطلق القذائف، وقد صوب قذيفة إلى سفينة تجارية كبيرة اصابتها اصابة اغرقتها على مرأى منهم فى سرعة مدهشة. وكانت هذه السفينة مشحونة من الاموال ما تقدر قيمته بعشرين ملايين روبية. وكذلك اغرقت سفنهم الأخرى من مختلف الأنواع. والخلاصة أن هذه المعركة تمخضت عن هزيمة نكراء للبرتغاليين. وقد بلغ عدد قتلاهم عشرة آلاف نسمة، ووقع منهم فى الاسار سبعة آلاف نسمة، واستشهد من الكجراتيين ستمائة نسمة. ومن الاتراك أربعمائة نسمة.[1]

وبالمعرفة بقصة هذه الهزيمة التى اصيب بها اسطول عظيم للبرتغاليين مع ما كان له من القوة والمنعة ويمكننا التوصل لتقدير مدى ما كان عليه الاسطول الكجراتى من المنعة، والمتانة، والقوة، والضخامة وقتذاك. ولم نجد فى الكتب ما يحدد عدد السفن الكجراتية فى هذه الحرب، على انه قد تقدم ان السفن التى كانت قد ارسلت لاخماد فتنة بهادر الكيلانى سنة ٨٩٦ هـ ١٤٥٠ م كان عددها ثلاثمائة سفينة، فى حين انه لم يكن إلا ثائرا متمردا لا يحسب له حساب بالنسبة للبرتغاليين الذين كانوا يتمتعون بقوة بحرية منيعة، فلابد ان يكونوا قد اضطروا الى تجهيز قوة اكبر عددا وعدة لمقاومة العدو القوى المتسلح. ومن ذلك يمكننا ان نستنتج ان عدد السفن التى استخدمت فى هذه الحرب كان يبلغ خمسمائة سفينة على اقل تقدير.

وان السفن التركية كان عددها عشرا، وكانت سفينتان منها من طراز «برشت»، والثلاثة من طراز «غراب»، وأما الخمس الباقية فانما

---

(١) ظفرالواله - ج ١ ص ٣٨

كانت من نوع السفن الخفيفة. ولقد كان ذلك هو السبب فى ان الأمن قد ظل سائدا فى ربوع بحر العرب باسرها عادة فى عهد السلطان محمود الاول، وازدهرت فيه التجارة ونمت نماء منقطع النظير[1].

يمتاز عهد السلطان مظفر حليم (١٥١١-١٥٢٥ م ٩١٧-٩٣٢ هـ) باستقرار الامن فى البلاد، فلم تستعر فى عهده حرب بحرية، ولكن بالرغم من ذلك كان خطر حملة البرتغاليين مبعثا ليقظتهم الدائمة، واهتمامهم بالاستعداد للكفاح ضد اى حملة مفاجئة من قبل البرتغاليين. ونظرا لذلك صنعت فى عهده سفن كبيرة.

وملك اياز كان امير البحر فى هذا العصر. وكان معدل حركة السفر والمرور سنويا يتمثل فى رحلة ألف مسافر، وملاحة ما يربو على مائة سفينة تجارية. وكانت توجد مائتا سفينة بحرية جاهزة بالعدة والعتاد فى كل وقت. وعلى الاغلب كانت مائة منها ترابط فى خليج «كهنبايت» واما البقية فكانت منبثة فى الموانى المختلفة وذلك لأن حد كجرات الساحلى كان يمتد فى ذلك الوقت من منتهى حد السند إلى ميناء «جيول» منتهى حد كوكن.

كان السلطان بهادرشاه مولعا بالمدفعيات والسفن، وكثيرا ما كان يشد الرحال من «جانبانير» عاصمة مملكته إلى «ديو». واما الاسطول الكجراتى فكان صيته ذائعا فى الآفاق منذ عهد محمود مما ملأ قلوب البرتغاليين رعبا فلم يجرؤا على أن يتجهوا إليه، ولكن لما انشغل بهادرشاه

---

(١) ظفرالواله - ج ١ ص ٣٧ طبع لندن، ومرآة اسكندرى - ص ١١٧.

بفتح «مالوه» و «دكن» و «جتور» واصبح يقيم خارج العاصمة بعيدا عنها فى معظم الايام ، قصد البرتغاليون ذات مرة استغلال فرصة غيابه ، وحاولوا الاستيلاء على ميناء «ديو» ، ولكن هذه الخطة المبيتة قد انكشفت على بهادر شاه فى الأوان ، فلما بلغهم وصوله إلى ديو مفاجأة فقدوا الوعى وخافوا وتولوا مدبرين . وبهذه الحادثة انتبه بهادر شاه ، وأمر بتسليح مائة سفينة حربية فى كهنبايت ، وبقائها جاهزة متهيئة للحرب فى كل وقت[١] .

قد علمنا فيما تقدم ان مائتى سفينة حربية كانت ايضا توجد فى ديو جاهزة دوما على عهد مظفر حليم ، وكان فى عهد ابيه السلطان محمود الاعظم ثلاثمائة سفينة . على ان السلطان بهادر شاه لم يكتف بهذا فحسب بل أمر باعداد وصناعة سفن جديدة ، وقد وضعت هذه السفن عند ما تمت عملية صنعها فى ميناء «كهنبايت» فى شكل جميل واقيم منها معرض حضر لارتياده السلطان نفسه إلى كهنبايت[٢] وبذلك قد بلغ الاسطول الكجراتى أوج العظمة ، والمنعة ، والقوة وخاصة فى سنة ٩٣٧ هـ ١٥٣٠ م لما أتى مصطفى بهرام (رومى خان) من اليمن باسطول من السفن إلى ديو ، وهو الذى حمل المدفعيات السليمانية[٣] . ولكن السلطان قد اشتبك من سوء الحظ فى الحرب الزبون مع الدكنيين ، ثم انصرف إلى فتح مالوه وجتور . وأفحش خطأ ارتكبه هو اقدامه على عزل ملك طوغان ابن ملك اياز من منصبه «امير البحر» فى ديو ، وعين بدل هذا الامير الموالى المخلص رومى خان الأجنبى اميرا للبحر الذى غدر بالسلطان فى قتاله مع همايون

---

(١) ظفر الواله - ج ١ ص ٢٤٣ لندن (٢) مرآة سكندرى - ص ٢١٦ بمباى (٣) ظفر الواله - ج ١ ص ٢٢١ .

فدارت دوائر الحرب على احمد بهادرشاه، وعاد منهزما إلى كهنبايت. ولما هم بالرحيل منها إلى ديو، امر باحراق مائة سفينة حربية تلك التى كانت مرابطة فى الميناء لئلا يستفيد منها المغول. والمأسوف له أن امره هذا قد نفذ كليا دون اية وناءة وتاخير. لم يكن حكمه صادرا عن روية وتدبر، فلقد كان من الممكن منع وقوعها إلى ايدى المغول باساليب اخرى. كتشتيتها، واخفائها فى مختلف الموانئ، أو بعثها إلى ديو. فان المغول لم تكن لديهم سفن تمكنهم من المطاردة لتلك السفن ولو استطاعوا ذلك بوجه من الوجوه لكان من المستحيل لـ «همايون» الصمود فى وجه هذا الاسطول الجبار المتكون من مئات السفن الحربية المقاتلة. فلو قام احمد بهادرشاه بمثل هذا التصرف الحكيم لكان ذلك انفع له واضمن وأوفى بمآربه.

وفى سنة ٩٤٣ هـ ١٥٣٦ م لما استشهد بهادر شاه، اصيب الاسطول البحرى بخسارة فادحة. فقد نجح البرتغاليون فى احتلال جزء من ديو، وافقدوا الاسطول، والتجارة البحرية القوة والنشاط. وعملوا على توهين ما بقى لهما من القوة. ثم وجه العناية إلى ذلك السلطان محمود من جديد بعد ان انتهت حروب امراء كجرات الداخلية، واستقرت الأحوال فى البلاد. واستأنف خداوند خان امير البحر ترتيب الاسطول. وفى سنة ٩٤٥ هـ ١٥٣٨ م قدم إلى البلاد الملك سليمان باسطول تركى لمحاربة البرتغاليين، على انه قفل راجعا إلى بلاده قبل أن تضع الحرب أوزارها، ولكنه قد ترك كل ما كان قد أتى به من العدة والاسلحة الحربية بما فيها مدفعيات كثيرة. وبذلك كتب للاسطول الكجراتى ان يتقوى إلى حد ما، غير أنه ما لبث ان اصيب مرة أخرى بالخسارة الجسيمة، عند ما استشهد فى ديو

خداوند خان وغيره من كبار ضباط الجيش البحرى الاكفياء بايدى البرتغاليين نتيجة لحماقة الوزير افضل خان الناشئة عن كامن الحسد والبغضاء.

وقد تركت هذه الحادثة أعمق أثر فى نفس السلطان محمود فعزل افضل خان عن منصب الوزارة وامر بصناعة سفن جديدة وبدأ العمل يجرى ليلا ونهارا تحت اشراف رومى خان ابن خداوند خان، وجهانكير خان وتم انتاج خمسمائة سفينة فى ظرف مدة قصيرة جدا. وكانت السفن الموجودة فى الموانئ المختلفة من قبل علاوة على ذلك[١]. وبذلك يظهر لنا ما كان لاسطول كجرات من القوة والضخامة. ونتأكد من انه كان يقدر على الدفاع ضد هجمات المهاجمين حتى فى عهد زواله.

وبعد شهادة السلطان محمود سنة ٩٦١ هـ ١٥٥٣ م لما اعتلى عرشه السلطان احمد الثالث حميت للمرة الأخرى معارك الأمراء الداخلية فى البلاد. وفى سنة ٩٦٢ هـ ١٥٥٤ م جاء سيد على التركى يقود اسطولا إلى كجرات. ورجع عنها والى تركى بوره[٢] وقد سلم إلى الضباط الكجراتيين الأسلحة الحربية، وفيها السفن التى كان يبلغ عددها نحو اثنتى عشرة سفينة مضافا ذلك إلى ان رجاله قد بقى منهم فى كجرات بنسبة تسعين فى المائة ولو لم تكن البلاد فى ذلك الوقت مباءة الحروب المستمرة فيما بين الأمراء لساعد ذلك على تقوية اسطول كجرات إلى حد ما ولكن احوال الدولة كانت قد تضعضعت وادت بها الفوضى إلى آخر نقطة الزوال والانقراض واستغل البرتغاليون المترصدون هذه الفرصة فقاموا باحتلال كل من

---

(١) ظفر الواله - ج ١ ص ٢٨٣ طبع لندن (٢) سفر نامه امير البحر سيد على تركى - طبع لاهور

جزيرة ديو ، ودمن ، وكان ذلك خاتمة عهد لهذا المركز البحرى. وصارت كهنبايت وسورت مركزين للسفن فى عهد السلطان مظفر الرابع غير ان سورت كانت تمتاز عن شقيقتها كهنبايت بسبب ان منصب امير البحر فيها كان مسندا إلى رجب رومى خان المعروف بكفاءته. ودخل كل واحد من هذه الموانئ فى اقطاع امير فصله عن المركز واستقل به واصبح اسطول الدولة المركزية بحيث لا يحسب له حساب.

وعند ما استولى الامبراطور اكبر على كجرات سنة ٩٨٠ ﻫ ١٥٧٢ م كان اسطولها قد بلغ به الضعف إلى حد لم يكن بقدرته القيام بالذود والدفاع حتى كانت نتيجة ذلك ان خان اعظم لما قام بسفر الحج اضطر فى طريقه البحرى إلى بيت الله ان يودى البرتغاليين الرسوم البحرية.

ولقد نظم الاسطول البحرى مرة اخرى بعد اكبر على عهد جهانكير ، وشاهجهان ولكن لم يكن له بالرغم من ذلك أى وزن بالنسبة الى اسطول البرتغاليين. على انه قد تقوى نسبيا فى عهد عالمكير مما كان الباعث لاستخدامه فى عملية اجلاء الانجليز من بمباى ، وما جاورها فاصدر الامر لامير البحر المقيم بسورت بتطهير البحر من السفن الانجليزية ولكن — والحق يقال — ليس هناك من شك فى ان الدولة المغولية لم تعر عنايتها للبحر كما كان ينبغى ، حتى ان رحمة الله لما استأثرت بعالمكير كتب للاسطول المغولى الذى كان قد حصل على شئ من الاصلاح والقوة على عهد هذا الامبراطور العظيم الراحل الفناء والزوال نهائيا ، بسبب كثرة ما حدث بعده من الخلافات ، والنزاعات فيما بين الولاة والامراء. وبدأ البرتغاليون والهولنديون ينتصرون ويترقون كلما قرب المغول من

الانقراض — مصيرهم المحتوم — حتى تحقق مطمع هؤلاء الدخلاء المستعمرين فاستولوا على بحر العرب وبحر الهند وصارت جميع السواحل الهندية خاضعة لهم، فاصبحوا اصحاب الكلمة النافذة دون منازع فى هذه المناطق كلها. ولما بدأ اسطول الانجليز والفرنسيين يتقدم ويترقى، اخذ نجم البرتغاليين الهولنديين فى الأفول. فانهزموا فى ميدان السياسية وغابوا عن مسرح الحياة السياسية. واخرجوا من اكثر مستعمراتهم ولم يبق بايديهم إلا بعض المستعمرات الساحلية. وبقى الصراع قائما بين قوتين استعماريتين الانجليز والفرنسيين روحًا من الزمن واستطاع الانجليز آخر الامر ان يتغلبوا على منافسيهم الفرنسيين. فانهزم الاستعمار الفرنسى فحمل عصاه ورحل. ولما خلا الجو للانجليز واطمأنوا إليه اخذوا يبسطون سيطرتهم حتى تمكنوا من احتلال جميع مناطق الهند الساحلية من بمباى، ومدراس، وبنغال. ونتج عن ذلك انقراض الاسطول التجارى كالاسطول الحربى الذى كان قد تم فناؤه تبعا لزوال الدولة العظيمة من قبل.

اما كان الاسطول البحرى فى العهد المغولى إسميا لم يكن له سالف أهمية وقوة، ولكن التجار كانت لديهم سفن شخصية كثيرة، كانت لها تجارات واسعة فى مختلف بلدان العالم، من مصر، وايران، والعراق، والشام، وافريقيا، والجزائر. وكانت هذه السفن تقوم بتجارة مفيدة جدا تدر عليهم أرباحًا طائلة. وكانت سورت مركزا لهذه التجارة. وكان عند احد هؤلاء التجار الذى كان يقيم فى سورت ويسمى عبدالغفور من السفن الشخصية عدد لم يكن يجاريه عدد جميع تلك السفن التى تملكها شركة الهند الشرقية. وكان الناس كذلك يملكون سفنا كثيرة للمسافرين كانت تواصل الأسفار إلى شبه جزيرة العرب، وايران.

دخل المرفأ

من الصعب العسير جدا ان نعرض تقريرا دقيقا تفصيليا عن دخل هذه المرافئ، غير اننا نجد فى التاريخ من حسن الحظ بعض الآثار التى يمكننا بها التوصل إلى تقدير هذا الدخل.

قد كتب المولوى «سكندر» فى حياة السلطان بهادر انه لما وفد عليه «شاه ظاهر» بصفته سفيرا لنظام الملك وأكرمه السلطان، واحسن مثواه، معجبا بقوة النطق وعذوبته، وموهبته العلمية ـ طلب إليه التجار الايرانيون ان يشفع لهم فى تخفيف وطأة الضرائب المثقلة واعفائهم عنها. فلما اصروا عليه قام تلبية لطلبهم بالسفر إلى «ديو» واجتمع هناك بالملك طوغان بن الملك «اياز» الذى كان يتولى فيها منصب «شاه بندر» حينئذ وقدم اليه طلب التجار الايرانيين فاستخبر مكتبه عن المبلغ الذى يجب عليهم من الضرائب، فاجيب بانه يبلغ ستين الفا[١]، فاعفاهم فورا عن جميع هذا المبلغ. فاذا كان مجموع المبلغ من الرسوم التى كان يؤديها التجار الايرانيون فحسب يبلغ ستين الف روبية، يمكننا ان نستعين بذلك على التقدير لمجموع الدخل من متحصلات العدد الهائل من السفن بما فيها مائة سفينة تجارية والف سفينة ناقلة للمسافرين.

وقد كتب الآصفى فى موضع ان السلطان محمود الثالث كان قد وقف الدخل المتحصل من قندهار ــ (كندهار) من اعمال بهروج ــ على اهل مكة والمدينة. ويكتب بعده ان هذا مرفأ صغير فى خليج كهنبايت يقدر دخله بمائة الف دينار[٢]. فكم كان إذن الدخل من الموانئ الكبيرة

---

(١) مرآة اسكندرى ـ ص ٢٢٣ (٢) ظفر الواله ـ ص ٣١٣ ج ١

ككهنبايت ، وبهروج ، وسورت ، وكوكه ، وديو ، ودمن ، وسومناته ، ومهائم ، وتهانه ؟ يمكننا أن نستعين فى تقديره بما قد علمناه آنفا من ان ميناء صغيرا كان يتأتى من دخله مائة الف روبية . وقد ورد فى كتاب «مرآة محمدى» صراحة أن الدخل المتحصل من واحد وخمسين ميناء يقدر بخمسين مليون روبية ، غير انه لم يصرح باسم المصدر المنقول عنه ، ومن المحتمل نقله ذلك عن مقدمة مرآة أحمدى . غير ان القول مشكوك فيه كما سيأتى ذكره .

ان مقدمة «مرآة احمدى» تتناول بالذكر أربعة وثمانين ميناء ونذكر فيما يلى اسماء لبعض هذه الموانئ :

«ديو» ، و «بهيم» ، و «باوار پور» ، و «كاج بتن» ، و «فرنجى»

واما الموانئ التى كانت تؤدى الضرائب او الرسوم فاسماؤها مصرحة فيما ياتى :

«جيول» ، و «دابهول» ، و «بلاول» ، و «بسى» ، و «دندا» ، و «راج بورى» ، و «اوبا» و «بتى» ، و «كهرى كوث» ، و «كاهلن» ، و «كوهار» ، و «مدرت» ، و «كالبنى» ، و «ملبها» ، و «مال ديو» ، و «دهوره» ، و «تندست» ، و «توانكر» ، و «بندر عرب» .

وهذه اسماء لتلك الموانئ التى كانت تابعة للمسقط :

«مكرانه» و «بصره» و «لوبهى» و «لاهرى» و «هرمز» و «ساده» و «سيكو» و «دهناسرى» و «ملكيت» و «مكينه» و «ملته» و «سوال» و «سودردا» و «بوغا» و «بدرجى خان» و «بيدر» و «ميربهائى» و «بنداس» و «صين» و «ملاخه» و «بدرسا» و «گلستان» و «دهار» و «راكل» و «جاوه» .

ولكن هذه القائمة بأسماء الموانئ غير صحيحة؛ لان كلا من ميناء (دابهول) و «جيول» يتبع لـ «دكن» ولا علاقة له مع «كجرات» فى الأصل. وكذلك ميناء جزيرة العرب «المسقط» و «البصرة» يقعان خارج الهند. وأما موانئ «مكرانه» و«لاهرى» و«هرمز» و«ساده» فكلها مرتبطة بـ «فارس» وكذلك «صين» و «جاوه» ميناءان يقعان على منأى بعيد جدا من الهند. ومن أجل ذلك نجد (على محمدخان) نفسه يعلق على هذا التفصيل بقوله فى الفارسية: «هرچندكه تصديق شرح صدر اكثرے را محل تعجب مى نمايد» مما مؤداه انه امر يستصعب تصديقه. والمحور الذى ترتكز عليه محتويات «مرآة احمدى» انما هو مصلحة الديوان ومكتب مولجند المشرف على القصر الملكى. وقد اعترف المصنف بانه لم يقع نظره على شئ من ذلك فى غير مكتب «مولجند» يمكن به التثبت من صحة ماسلف[1].

والامر الواقع ان ما سجله اسلاف مولجند فى المكتب الديوانى ليس اسماء لموانئ كجرات وانما المراد بذلك ذكر الموانئ التى كانت تأتى منها السفن إلى موانئ كجرات، ومبالغ الدخل التى كانت تتحصل من هذا المورد الخصب. ولكن الاضطرابات التى أثارها المرهته، والبابيون، وحامدخان شتتت هذا المكتب الديوانى وضاع شئ كثير من هذا التراث، وبقى شئ منه محفوظا عند مولجند فلما وجدوا فيه ذكر المبلغ واسماء بعض الموانئ مقطوعة عن سياق الكلام، حملوا ذلك على انها جميعا من موانئ كجرات، مع ان الموانئ «بصرة» و «مسقط» و «جاوه» و «صين» لاتقع فى الهند. وكتب سليمان التاجر البصرى وصفا لرحلته: «وميناء كوكن (تهانه) ترده

---

(١) مرآة احمدى ـ المقدمة ـ ص ٢٣ طبع كالكتا

السفن الصينية التى يوخذ منها الف درهم. ويوخذ من السفن الاخرى ما يبلغ عشرة دنانير كرسوم جركية[١].

مصانع السفن

وقديما كانوا يطلقون على مصنع السفن «دار الصناعة» وتحرفت هذه الكلمة فى الانجليزية فصارت «ڈارسنا» ولم تزل - ولاتزال - تستعمل فى نفس المعنى. ووجدت صناعة السفن فى كجرات منذ قديم الزمان كما يثبت ذلك من كتب التاريخ القديمة، فكانت فى «بلى مورا» و«كوتش» و«كاتهياوار» مصانع كثيرة لتصنيع السفن، وكانت هذه السفن تواصل الملاحة فى المناطق الساحلية للهند[٢]، وكانت هذه السفن فيما بين التجارية والركابية. ولكنه لايوجد ذكر الاسطول الحربى الرسمى فيما نقرأ فيه عن صناعة السفن، ومصانعها، فى المواني السالفة الذكر. على أنه كان يوجد فى ذلك العصر عدد كبير من القرصان الذين تعودوا أن يكونوا دوما متزودين بالاسلحة، استعدادا لشن الغلات كلما واتتهم الفرصة. ومعظم هولاء القرصان كانوا من الزط والكجراتيين وقد ذكر ابوريحان البيرونى هؤلاء القرصان حيث يقول: «وهؤلاء يقومون بالغارات فى بحر العرب، وكوتش مركزهم الذى يقبعون فيه». ولم نطلع كذلك على ان سفنهم كانت على نقيض السفن الركابية - من طراز السفن الحربية. وكان التجار المسلمون من العرب والايرانيين يردون الهند ومعهم سفنهم من جزيرة العرب، لان السفن التى كانت تصنع فى الهند لم تكن تعجبهم فلذلك كان اهتمامهم

---

(١) كتاب الهند والسند. طبع باريس. (٢) كجرات نووهان ولو - ص ٢.

ترتكز على سفنهم تلك التى كانوا يستوردونها معهم على ان ذلك انما كان فى بادئ الأمر فلما استوطنوا كجرات، واستقروا فيها توجهت عنايتهم طبعا إلى مصانع السفن الهندية وصناعة السفن فيها كذلك. واصبحت كهنبايت مركزهم الذى ظهر فيه نشاطهم الشامل لهذه الناحية.

ولم اجد فى كتاب من كتب التاريخ الكجراتية ذكرا عن اسطول رسمى فى العهد الاسلامى قبل سلاطين كجرات. ولما بعث ابن بطوطه إلى الصين فى سفارة على عهد محمد تغلق ركب السفينة من ميناء كندهار (بهروج) ومما ذكره فى ذلك وصفا لرحلته:

«ركبنا سفينة ابراهيم، وكانت معنا ست سفن حربية نملكها. وكان فى سفينتنا سبعون خيلا من خيول الهدية، وكانت بقية الخيول والخدم يركبون سفينة أخى ابراهيم. وكان الملك قد اعطانا سفينة ركبها خيول ظهير الدين والخدم المتعهدون بتوفير حاجاتها وحفاظتها. وكان الملك ايضا قد اصحبنا ابنه فى سفينة كانت تشبه السفينة من طراز «غراب» إلا انها كانت أكبر منها قليلا، وكانت بها ستون مجدافا لتسييرها. وكانت تنصب عليها السقائف وقت القتال ليتق بها الملاحون المتعهدون بادارة المجاديف، الحجارة والسهام المطلقة من العدو. وكان معنا فى السفينة خمسون راميا وخمسون جنديا حبشيا»(١).

ويظهر من هذا البيان ان السفارة الهندية التى بعثت من قبل ملك دلهى إلى الصين كان جميع اعضائها يركبون سفينة الأجرة، فلو كان فى ذلك الوقت الاسطول الملكى لاستأثر بنقل هؤلاء السفراء إلى مكان البعثة كما ان السلطان مظفر الكجراتى قد بعث بسفارته فى سفنه الرسمية.

---

(١) سفرنامه ابن بطوطه - ج ٢، باب ٩.

والسلطان احمد الاول هو اول من كان عنده الاسطول الملكي، وكان مركزه كهنبايت ويقتضي القياس ان تكون قد وجدت في مثل هذا المكان أيضا المصانع لانتاج السفن، ويدعم ذلك انه كان يسكن هنا عدد كبير من البارسيين الذين يمتازون ببراعتهم من صناعة السفن. وكانت عند السلطان محمود ثلاثمائة سفينة حربية. ويصح ان يعتبر أن «ديو» كانت لها الدرجة الأولى - بعد «كهنبايت» في الرقي والتقدم، المستمر على عهد السلطان محمود. ويترجح عندي بالقرائن انه ايضا كان قد فتح المصانع لانتاج السفن في «ديو» بالاضافة إلى انشاء هذه المصانع في «كهنبايت» و «كوگه» وفي زمن السلطان بهادر انشئت مصانع اخرى، فكانت عملية انتاج السفن تجري ليس فقط في «كهنبايت» و «كوگه» و «ديو» بل كانت تجري كذلك في «دمن» و «بهروج».

وفي عهد السلطان محمود الثالث المتوفى سنة ٩٦١ هـ ١٥٥٣ م كانت توجد مصانع ضخمة في «بهروج» و«سورت» و«كوگه» و«دمن» و«كهنبايت»[١] ومما يدل على خطورة هذه المصانع وسرعة العمل فيها انها انتجت خمسمائة سفينة حربية في ظرف مدة قصيرة لاتتجاوز بضعة أشهر، ولا يغربن عن البال ان ذلك كان في عهد يبعد كثيرا عن عهدنا المتقدم المدهش في مجال التصنيع. وعند ما كانت الحرب مستعمرة بين الكجراتيين والبرتغاليين وتحطمت فيها المدفعيات والسفن بكثرة، وشعروا بخطر هجوم البرتغاليين على «سورت» نشطت حركة العمل في هذه المصانع فاخذت تصنع سفنا عظيمة جبارة. واما السفن المتوسطة الحجم والضخامة فلم تكن تصنع فيها،

---

(١) ظفر الواله ج ١ ص ٣٨٣ طبع لندن.

وانما كانت مصانعها على حدة فى «كوتش» و «سومناته» و «تهانه» و «راندير» وغيرها من بعض الموانى. والسفن الصغيرة والخفيفة كانت تصنع فى كل ميناء ويقوم بصناعتها النجار العادى كما يحدث فى عصرنا الحاضر مثله.

لم يكن الاهتمام كثيرا بصناعة السفن وما اليها رسميا فى عهد المغول ولكن المصانع الشخصية لم تزل قائمة فيه. ويقال ان سفينة «وكترى» ل «نلسن» المشهور كان قد صنعها الصناع الكجراتيون سنة ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م. وكان يبلغ وزنها ما يعادل الفين ومائة واثنين وستين (٢١٦٢) طنا. وطولها يبلغ (١٠٦) قدما. وفى العرض يبلغ (٦٠) قدما. وكانت تتسع لاكثر من مائة مدفعية وسبعمائة جندى. وكان مصنع السفن فى «سورت» فى احسن حال. والسفن الكجراتية الموجودة فى ميناء «سورت» ونحوه من موانى هامة كانت تتراوح أوزان شحناناتها بين ألف ومائتى طن، وبين خمسة عشر طنا. وفى آخر العهد كان البارسيون اكثر مهارة فى صناعة السفن، وفى الصين ايضا كانت تصنع سفن كبيرة تحمل من البضائع ما يبلغ وزنه مابين خمسمائة طن والف طن.

ثم انتقلت هذه المصانع من «سورت» إلى بمباى. وكان الصناع العاملون فيها من البارسيين والكجراتيين. وكانت لأسرة «لوجى نوشيروان جى» شهرة خاصة فى صناعة السفن إلى سنة ١٨٣٠ م ١٢٤٦ هـ وكانوا يصنعون السفن من خشب «ساكون». وقصارى القول ان كجرات مازالت توجد فيها المصانع التى كانت تصنع السفن ما بين الصغيرة والكبيرة من مختلف الاحجام إلى ما قبل تمام سيطرة الانجليز وتمكنهم من الاحتلال الكامل.

وجاء فى «گجرات گزيتر» لقد كانت توجد فى سورت مصانع لصناعة السفن، وكان البارسيون يمتازون بمهارتهم فى هذا الفن. والسفن التى كانوا يقومون بصناعتها كانت تحمل من البضائع ما قد يبلغ وزنه الفين وثمانمائة طن.

وذكر فى «گجرات نووهان وتو» ان «سورت» كانت تصنع فيها سفن يوزن ثقلها بما يتراوح بين الف طن وبين الف ومائتى طن. وكانت تنصب فيها عادة ثلاثة اشرعة. والسفينة السورتية التى كان قد اوقفها «سرايج مدلتن» ذاهبة فى طريقها إلى البحر الأحمر سنة ١٦١٢م يقدر وزنها بألف وخمسمائة طن، وكانت تبلغ مائة واثنتين وستين قدما فى الطول، واثنتين واربعين قدما فى العرض. واحدى وثلاثين قدما فى الارتفاع. وكانت عند گجراتى يقال له «دهول سته بهروجى» سفينة تعرف بـ «جنك» نصبت فيها ستة عشر شراعا كبيرا واربعة اشرعة كبيرة. وكانت تصنع فى بمباى سفن من طراز «غراب» على ان مركزها الاصلى كان فى «مالابار» وفى عهد السلاطين الگجراتيين قبل ان يعم احتلال الانجليز كانت تصنع فى موانئ گجرات انواع السفن من الحربية والتجارية والركابية.

انواع السفن

لقد كانت السفن تصنع من ثلاثة انواع عادة وهى حربية وركابية وتجارية. وكانت السفن العربية أكثر هذه الانواع اهمية وخطورة. وبما انها كانت تصنع من مختلف الاحجام والأوزان، ولشتى الاغراض فلذلك كانت تسمى بعدة اسماء مختلفة. وننقل اليكم بعض هذه الاسماء كما نعرفكم بصورة تقريبية لكل منها:

سواتى : يراد به سفينة حربية كبيرة شبيهة فى مظهرها بالحصن وكانت تنشأ فيها عدة بروج تستخدم لصد الهجوم. وكانت تتكون من عدة طوابق : الطابق الاعلى منها كان يختص بفرقة الرماة من الجنود وأما آخر هذه الطوابق فكان يخصص للملاحين وللمتعهدين باطلاق المواد المتفجرة ولنحو ذلك.

شينى : سميت به سفن متوسطة الحجم كانت تسع مائة وخمسين جنديا. وكانت تسير بمائة وثلاثة واربعين مجدافاً.

شونه : سفينة حربية كبيرة تقارب «حراقه»

حراقة : كانت سفينة كبيرة، على انها كانت تصغر من «شينى» وكانت توضع فيها الاسلحة والمدفعيات، والمواد النارية، وما إلى ذلك من مستلزمات الحرب. وكان احد طرفيها يصنع على طريقة فنية غريبة حيث كان يشبه اسدا او عقابا أو ثعبانا.

طريدة : كذلك كانت سفينة حربية، تخصص للفرسان من الجنود ولم تكن تتسع لأكثر من اربعين فرسا.

طراد : سفينة أصغر من «الطريدة» وكانت تتسع طبعا لعدد اقل من عدد الفرسان الذين كانت تسعهم الطريدة وكان معظم فرسان هذه السفينة من الرماة الماهرين.

تيزرو : وهى ضرب من السفن الحربية. وكانت هذه السفينة تسير بسرعة زائدة فلذلك كانت تسمى بهذا الاسم.

شلندى : كانت سفينة حربية كبيرة مسطحة الشكل. وكانت تستخدم لوقاية الاسلحة والجنود المتسلحين. وكانت تقارب فى عظمها وضخامتها «شونه» و «حراقة».

غراب : سفينة قديمة من طراز السفن الخفيفة. وكانت تتكون من شراعين صغيرين فقط ، غير انها اصبحت فيما بعد سفينة حربية. وكانت فى تصميمها تشبه كثيرا الغراب ، وكانت تتسع لمائة راكب على الأقل.

شباك : سفينة حربية صغيرة كانت تسير فى البحر الابيض والبحر المتوسط.

قارب : كانت اقرب فى تصميمها إلى « غراب » وكان يركبها العمال والخدم والقارب اسم للمفرد والجمع القوارب.

الحمالات : كانت سفينة حربية كبيرة ، وكانت خاصة بحمل المواد الغذائية ، والصناع والدبابة ، والبروج الخشبية ، ونحو ذلك من مختلف آلات المحاصرة. وكانت تنشر عليها الستائر فى بعض الأحيان ائلا يبصرها العدو.

بطس : كانت سفينة جبارة عظيمة الحجم مهيبة الشكل لضخامتها فكانت تصلح لان تسع آلافا من الفرسان فى وقت واحد. وكانت تتكون من عدة طوابق وبعضها كان خاصا للجنود. واما هيئتها فكانت تشبه السمك.

سيميرت : سفينة كانت تسير باربعين مجدافا.

شذوات وحبابيات : نوعان من السفن كانا حربيين فى بادئ الأمر غير أنهما اصبحا خاصين بالمسافرين من بعد.

عكبرى : كانت اشبه بالغراب ، غير انها كانت أوسع منها بكثير. وكان بها ستون مجدافا. وكانوا ينصبون عليها السقف عند ما كان ينشب القتال. وكانت هذه السفينة اكثر استعمالا فى السند ، وبحر العرب «گجرات» فكانوا يستخدمونها فى هذه المناطق اكثر بالنسبة لبقية السفن.

بيره: وهى تسمى بالعربية «البارجة» للمفرد. والجمع البوارج. وكانت تستعمل كثيرا جدا. وكانوا فى الأصل يطلقون كلمة «بيره» على السفن عند ما كانت تسير متعاقبة متوالية. ولكن يظهر ان هذه الكلمة بدأت تستعمل للسفينة الحربية من بعد. فهم يسمون بالبارجة «بيره» تلك السفينة الحربية الكبيرة التى لاتوجد عليها الستائر. وكانت تجارى «شونه» فى الحجم والضخامة حيث كانت تتسع لجيش كبير.

برشت: كانت هذه السفينة ايضا حربية مثل «غراب» ولم نستطع ان نتبين الفرق بينهما.

جنك: وجدت هذه الكلمة فى بعض الامكنة بضم الاول وبالكاف الفارسية. وكانت تعرف بها سفينة كبيرة، وقد ذكرها ابن بطوطة اثناء ذكره للسفن الصينية. وكذلك نجد ذكره مقرونا بالسفن التركية والهندية وكانوا يقيمون بها اثنى عشر عمودا من صناعة خشب «بيد» وكانت الأشرعة المستخدمة فيها كالحصر فى نسيجها، وتظل هذه الاشرعة منصوبة دائما فلم تكن حاجة إلى طيها أو القائها على الارض، غير انها كانت تحول واجهاتها الى جهة مجرى الهواء. ويكون فى كل سفينة من سفن هذا الطراز الف رجل، ستمائة رجل منهم يقومون باعمال تتصل بالملاحة واما الأربعمائة الباقية فكلهم من الجنود.

وتصحب كل سفينة كبيرة ثلاث سفن الاولى منها تمثل فى الحجم نصف السفينة الكبيرة، والثانية اصغر من الأولى، والثالثة اصغر من الثانية و «جنك» كانت سفينة حربية. ولكنها اصبحت الآن من ناقلات المسافرين. ولم تزل ولا تزال تطلق هذه الكلمة على السفينة الكبيرة فى الصين والهند حتى الآن.

كيلن : هى ايضا من انواع السفن الحربية ۔ وقد ذكره السيد على امير البحر التركى فى رحلته[١]۔ وكانت هذه السفن كلها فى ذلك العصر كسفن اليوم «كروزر» و «سبمرين» و «دستراثر» و «دريت نات» وغيرها من مختلف الانواع

السفن التجارية

لم تكن السفن التجارية فى ذلك العصر تختلف عن سفننا التجارية اليوم كثيرا ۔ كانوا يشحنون فيها البضائع وفى بعض الاحيان كان مالك السفينة وصاحب الأموال التجارية كلاهما يسافر بنفسه فى السفينة إلى البلد المعين للتجارة، وقد كان التجار يسلمون البضائع إلى رئيس الملاحين بعد شحنها فى السفينة ۔ وكان يبيعها ويتجر فيها حسب رأيه ثم يعود فيؤدى الربح والرأسمال إلى المالك بعد أن يأخذ من الربح ما اتفقا عليه ۔ واذا كانوا يشعرون بخطر الهجوم فى البحر كانوا يعينون فيها عددا من الجنود ليقوموا بالحراسة وصد العدوان، فيكونون دائما على اهبة الاستعداد للمقاومة والقتال ۔ وتارة كانت تسير السفن التجارية فى البحر، وتحيط بها سفن مسلحة اخرى من الخلف والامام لوقاية الاموال، ومحاربة القرصان المغيرين ۔ وكانت بعض السفن منقسمة إلى عدة اقسام، فقسم يستخدم كمستودع للاموال التجارية ۔ وقسم آخر للمسافرين وامتعتهم كما كان يختص ايضا فيها قسم بالاسلحة الحربية والجنود[٢]۔ وكانت السفن التجارية

---

(١) الاسطول الاسلامى ۔ مصر ۔ وسفرنامه امير البحر السيد على التركى ۔ لاهور وسفرنامه ابن بطوطة ج ٢ — دلهى ۔

(٢) مجالس رنگين ۔ ص ٥٩ ۔ لكهناؤ ۔

تبدأ السير من «كمنبايت» و «ديو» و «دمن» و «بهروج» و «سورت» وغيرها من الموانئ ، وتصل إلى البصرة ، وسيراف ، والبحرين ، والقطيف ، وعدن ، ومخة و «يمن» و«جدة» . وفى الشرق كانت تصل إلى لنكا ، ومالديب ، و «بورما» وسيام ، وجاوه ، وسوماتره ، واليابان ، والصين . وتوجد اليوم سفينة تشبه النوع الذى ذكرناه آنفا ، وتعرف فى الهند اليوم بـ (لدوجهاز) ولقد اتفق لى مرة أن ارى سفينة يابانية فى طريقها إلى «رنگون» وكان من المعروف انها تصل اليها بعد مدة طويلة لأنها كانت تقف فى كل ميناء يقع فى طريقها . وكانت السفينة تتألف من طابقين اسفلهما للاموال والآخر للمسافرين ولم يكن من المحتمل أن احصل على تذكرة لسفينة اخرى اسرع منها ، فعزمت مضطرا أن اركب هذه السفينة ، غير انى اخبرت بأن هذه السفينة انما يركبها مسافرون يحملون معهم اموالا وبضائع كثيرة ، ومن اجل ذلك لايتسع القسم المختص بالمسافرين لعدد كبير من الركاب . وهى تعرف بـ «لدوجهاز» (أى سفينة لدو) .

سفن الركاب

سفينة الركاب كانت تختلف نوعا فى التصميم . وكانوا يخصصون عادة الطابق الاسفل للاموال والامتعة ، والمتوسط للمسافرين . والأعلى بضباط السفينة ، من الملاح ، والربان ، والمعلم وغيرهم من المسئولين . وكان العدد لطوابق هذه السفن يختلف كثيرا فكانت بعضها ذات طابق واحد وبعضها عبارة عن طابقين ، وقد تتكون من ثلاثة طوابق . وفى كل سفينة كانت تصنع المساكن على شاكلة البيوت ، فكانوا يصنعون حجرات لها ابواب ونوافذ ، وكذلك كانوا يهتمون ببناء مراحيض ملحقة بها . وكانت

تصنع هذه المساكن داخل دائرة يوجد بها باب رئيسى . فاذا استأجر أحد الحجرة ، كان له ان يتمتع بحرية التصرف ، يستعمل فيها قفله يغلقها أو يفتحها كيف يشاء . فاذا دخل احد الحجرة ، وأوحد بابها اختفى عن اعين بقية المسافرين . والملاحون والشرطيون أيضا كانوا يسافرون فى هذه السفن . وتصحبهم فى الغالب أسرهم وعائلاتهم . وكانوا يسمون الجانب الخلفى من هذه السفينة بـ (بوسه) ويصنعون به حوضا من الخشب ويزرعون فيه الخضروات ونحوها . واحيانا كان يستأجر هذه الدار المتكونة من مختلف الحجرات برمتها تاجر واحد ليصحبه فى السفر النساء المحتجبات . وقد يشترك فى استئجارها عدد من التجار ، ينفرد كل منهم بحجرة واحدة . وعند ما كانوا يشعرون بخطر من القرصان يأخذون معهم الجنود من الرماة والمهرة فى استخدام المواد النارية وكانت توجد بها مسلحة وثكنات للجنود . غير ان هذه المسالح والثكنات كانت تصنع على حدة وعلى منأى من حجرات المسافرين . وفى الغالب كانوا يخصصون لذلك الطابق الأعلى من السفينة .

(للمقال بقية)

تعريب : الاستاذ عميد الزمان القاسمى الكيرانوى

لداخ فى طريق التقدم

للاستاذ كوشك بكولا

لداخ - موطن النساك البوذيين - معقل للحضارة البوذية ومركز للعلوم والفنون، ان هذه المنطقة التى تحيط بها جبال شامخة ومعابد بوذية تحمل فى أحضانها أروع آثار لحضارتنا القديمة الرفيعة. ولكن هذه المنطقة مع كل هذه الميزات مازالت متخلفة منذ عصور عتيقة لصعوبة المواصلات ووسائل النقل، غير أن هناك ما يبشرنا اليوم بمستقبل زاهر وهو أن أهالى لداخ الباسلين أخذوا يساهمون فى رفع مستوى هذه المنطقة وترقيتها متكاتفين مع غيرهم من المواطنين فى الولاية ويسيرون قدما فى طريق التقدم والازدهار.

تقع لداخ شمال غربى كشمير فى سفوح جبال هملايا و «كيونلاين» على ارتفاع يتراوح بين تسعة آلاف قدم و ١٣ الف قدم من مستوى سطح البحر. ومتوسط نزول المطر فى هذه المنطقة سنويا يبلغ من بوصتين الى ثلاث بوصات، والحرفة الرئيسية للسكان المحليين هى الزراعة، والمنطقة بطبيعتها جبلية، ورقعتها تقدر بـ ٣٧،٠٠٠ ميل مربع وعدد السكان يبلغ ٨٠،٠٠٠ الف نسمة، الذين يعتنقون مختلف الأديان.

وهؤلاء السكان مجبولون على الرفق واللين، ويعيشون منذ عصور على تقاليدهم وقيمهم القديمة ولم يتأثروا بعد بأى أثر خارجى. ان هذه المنطقة تشتمل على مركزين رئيسيين، وهما «ليه» و «كرجيل» وفيهما ٢٣٩ قرية.

وهذه المنطقة أصبحت موضع اهتمام بالغ من الحكومة خاصة بعد أغسطس ١٩٥٣ م، فلقد أنشئت وزارة مستقلة للعمل على نهضة هذه المنطقة وازدهارها ورفع مستوى المعيشة للسكان، بانشاء المرافق الحيوية العامة، والتنسيق بين مختلف النشاطات العمرانية والانشائية، فاتخذت من أجل ذلك أثناء مشروع السنوات الخمس اجراءات عديدة تحقيقا لمصالح السكان وتوفير الفرص المتكافئة لهم للاحتراف بالتجارة وما اليها من مختلف الحرف وذلك عن طريق منحهم تسهيلات كثيرة، واستمرت هذه العملية فى طريقها الى مزيد من التقدم أثناء فترة مشروع السنوات الخمس الثالث.

وتوجد فى لداخ اليوم شبكة واسعة من المدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الحضانة ووسائل المواصلات الجديدة السريعة، ويعيش فيها السكان فى جو من الهدوء والطمأنينة.

ان المنطقة تقدمت تقدما ملموسا خاصة فى حقل التعليم، حيث أنشئت بها مدارس كثيرة، وتمنح للطلبة منحات علمية لكى يتوجهوا الى التعليم العالى ويرغبوا فيه أكثر فأكثر، وقد بعث كثير من الطلاب خارج الولاية ليتلقوا هناك التعليم العالى والتدريب المهنى، وقد رجع عدد منهم بعد أن فرغوا وأكملوا دراساتهم العالية، وهم الآن يشغلون مناصب هامة ويخدمون فى مختلف المصالح الحكومية.

كما اتخذت إجراءات مختلفة لتنمية الزراعة فى هذه المنطقة التى تقع على الحدود، ومن بين هذه الاجراءات اقامة معرضين زارعين فى مناطق «كرجيل» و «رنبير سنگهم پور»، كما يعلم الفلاحون طرق استخدام حبوب

جديدة وسماد كيماوى واحتضان طرق الزراعة العلمية الحديثة تحت برنامج «الخدمة التوسعية الاجتماعية».

علاوة على هذا فان مهمة احياء الموات أيضا تتقدم، والى جانب ذلك فان الحكومة تعتزم تنفيذ عدد من مشروعات الرى، ومن المتوقع أن هذه المجهودات الجبارة والمشاريع البناءة ستسفر عن نتائج ايجابية منشودة الى نهاية مشروع السنوات الخمس الثالث.

ومن اجل اتاحة الفرص الواسعة للعلاج وتقديم الخدمات الصحية على نطاق أوسع تقوم الوزارة بتثبيت الخدمة الصحية على أسس متينة، وفيما مضى لم يكن هناك الا مستشفيان أو ثلاث مستشفيات فقط وأما فى خلال السنوات الثلاث الماضية فقد ازداد عدد المستشفيات والمراكز الصحية كثيرا، كما أضيف عدد كبير من السرائر فى مستشفيات «ليه» وبالاضافة الى هذا قد بدأت الوحدة المتجولة التابعة لمستشفى العيون «لغاندى» بحملة واسعة النطاق ضد أمراض العيون مما تمخض عن القضاء على أمراض العيون الى حد كبير.

ولقد قطعت الحكومة المحلية شوطا كبيرا فى حقل زيادة الثروة الحيوانية، فلم يكن هناك فيما مضى الا مستشفى واحد للحيوانات ولكن توجد الآن عدة مستشفيات أخرى الى جانب ذلك المستشفى، كما أنشئ مركز حضانة الحيوانات فى منطقة «مزرة». وقد تم شراء عدد كبير من الحيوانات المختلفة النوع - مثل البقر، والضأن، والمعز ذوات الصوف، والخيول الزانسكارية تحت المشروع السالف الذكر، وتوجد جميع هذه الحيوانات الآن فى مراكز عديدة.

أما فى حقل الصناعة والتجارة ، فقد اتخذت السلطات اجراءات عديدة للانماء الاقتصادى ، فأنشئت مصانع عديدة فى منطقة «ليه» و «كرجيل» للغزل والنسيج ، كما يدرب السكان المحليون على اتخاذ طرق فنية جديدة للغزل والنسيج ، ويعطى هؤلاء المتدربون منحة ثلاثين روبية شهريا من قبل الحكومة .

ليس هذا الا عرض سريع ومحاولة لالقاء الضوء على ما حدث فى منطقة لداخ من التغييرات فى مختلف الحقول والمجالات خلال السنوات الماضية . ومن المتوقع أن التغييرات الهامة الاخرى ستظهر فى القريب ايضا ، والى نهاية مشروع السنوات الخمس الثالث تكون هذه المنطقة قد خرجت تماما من حيز التخلف الى حيز التقدم والعمران .

مع الشكر لمجلة «تعمير» الصادرة عن كشمير نقلا
عن عددها الصادر فى مارس وابريل سنة ١٩٦٠

تعريب الاستاذ فصيح الدين الدهلوى

فن البناء الاسلامى فى الهند

(المساجد)

للدكتور ضياء الدين ديسائى

عرف المسلمون فن البناء الذى كان متبعاً فى امبراطوريات مصر والفارس وتركيا العظمى حينما رسخت أقدامهم فى شمال الهند فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى. وقد كانت الهند إذ ذاك تتبع أسلوبا راقيا هنديا صميما فى فن البناء. ولكن لم يكن بين هذين الاتجاهين كثير من اوجه الشبه شكلا ولا روحا، فقد كانت الطرق والمواد التى كانت تستخدم فى البناء مختلفة غير مماثلة. ويعتبر عمارات المساجد التى عمرها المسلمون تعبيرا صادقا عن الأسلوب الاسلامى للبناء. فكانت المساجد عبارة عن عمارة تقام لتغطية مكان فسيح مفتوح وتنقسم إلى غرف وقاعات متسعة فى غالب الأحيان. وبدأ المسلمون بها انشاء قبور فوق مدافن موتاهم. وهم الذين بدأوا استخدام الجص المورتار بكل حرية وادخلوا عدة تعديلات وتحسينات فى الاساليب والطرق المتبعة للبناء واحدثوا عدة أشكال بنائية مثل الأعمدة، والأقواس والقبب وكان الغرض من ذلك تغطية أكبر مساحة من الأرض وافسحها وزينوها داخليا وخارجيا بالمنارات، وبوابات ثنائية نصف مقببة. وفيما يختص بالزخرفة اتجهت ملكتهم الفنية إلى اتخاذ تعبيرات جديدة باللجوء إلى تشكيلات بنائية، ومن بين الحائط والسقف بالزخرفة الفنية لتجنب الصور الآدمية وأشكال الاحياء التى حرمها الدين الاسلامى وحققوا فى هذا المضمار نجاحاً باهرا لامثيل له فقد وجدت بسبب مجهودهم تعبيرات جديدة تتزخرف بها العمارات من التوريق والتزيين بالفسيفساء على التربيعات بألوان زاهية جذابة والتكفيت البديع.

فتكشف آثار المسلمين فى الهند عن هذا المزيج الغريب لهذين الأسلوبين المعارضين وتطورهما إلى طريقة مشتركة ذات صبغة محلية واسلامية تتجلى من الآثار التى توجد فى مختلف أنحاء البلاد والتى تنتمى إلى مختلف العصور وفترات التاريخ.

وتعتبر هذه المبانى الأثرية رغم كونها جامدة صماء أفصح شاهد عيان فى تسجيل ما حققته تلك الأيدى البارعة من بدائع الفن المعمارى بصدق وامانة. وتشكل هذه الآثار التى خلفها لنا التاريخ الماضى جزء لاينفصل عن تراثنا الثقافى. وفيما يلى نبذة عن بعض المساجد والمقابر التى تمثل خير تمثيل عن تلك البدائع البنائية الفنية التى انجزها المسلمون ومن المأمول انها ستلقى بعض الضوء على عظمتها ومجدها وقوتها وجمالها البنائى.

شيد مسجد قوة الاسلام وهو أقدم مساجد الهند فى دلهى (١١٩٦-١١٩١) طبقاً للاسلوب المألوف لبناء المساجد، وهو عمارة مربعة تتكون من قاعة فى الجهة الغربية للصلاة. وفى الجهات الأخرى سلسلة من أعمدة. ويكشف هذا المسجد عن عدم نضوج فن البناء الهندى الاسلامى المزيج وعدم استقراره إلا انه يرمز عن محاولة بذلت من اجل مزج الطريقتين التقليديتين للبناء وايجاد طراز جديد. وتم بناء المسجد طبقا للاسلوب الهندوكى كما يتجلى من منظره العام الخارجى سوى بعض نواحيه الخاصة التى تختلف فى اسلوب بنائه عن الأسلوب المتبع. حتى ان الأعمدة والأقواس نفسها قد شيدت بطريقة كوربل (corble). كما تتم زخرفة المسجد الرائعة والنحوت التى أجريت فيه والتطعيم الحجرى عن نفوذ محلى قوى. ولكن التوسعات التى اجريت فى عام ١٢٣٠ فى عهد السلطان ألتمش وخاصة الستائر وزخرفتها

الفنية تكشف عن الاتجاه نحو تغيير ملحوظ بائن وتحول نحو اسلوب أكثر اسلامى رغم انها لم تتخل عن مزاياها الهيكلية المحلية .

وشيد مسجد آخر بعد بضع سنوات من هذا المسجد فى أجمير ويعرف بمسجد «أحرائے دين كا جهونپڑا» فقد شيد فى عام ١٢٣٠-١١٩٩ بطريقة تتصف بنفس المزايا الهيكلية ولكنه يمتاز بالتناسق البديع وتوزيع اجزائه وروعة تزيينه ولصبغة خاصة القاعة المخصصة للصلاة بجانبها الرائعة التى صنعت بالرخام ناصع البياض كاللبن ومنارتين صغيرتين مخشخنتين وقوس مشرشر أضفت إليه منظراً رائعا بديعا .

وتبدو عمارة جماعة خانه التى شيدت فى عام (١٣١٥-١٣١٠) بالقرب من ضريح حضرة نظام الدين اولياء احد كبار مشائخ السلسلة الصوفية فى الهند ، المسجد الأول الذى يستوفى جميع مبادئ الاسلوب الاسلامى للبناء إنه عمارة تقع فى مساحة متوسطة تشتمل على ثلاث غرف مقببة مصطلحة ولكل غرفة باب يشبه بعقد نعل الفرس مزركش بالحواشى بشكل نصال الرماح . واهم مزايا هذا المسجد تشكيله الداخلى وتزيين غرفته المركزية ومحاريبه .

وفى الوقت الذى لم تبق آثار أى مسجد قديم آخر تم بناءه فى اوائل القرن الرابع عشر فى دلهى ، توجد عدة مساجد ببيت فى گجرات منها المسجد الجامع الذى بنى فى عام ١٣٢٥ فى كومبى ومسجد هلال قاضى (١٣٣٣) فى دهولكا . ويعد هذا المسجد من أروع نماذج الفن المتبع لبناء المساجد . وتتحلى جميع هذه المساجد بمزايا مشتركة مستمدة فى طراز البناء المحلى السائد فى گجرات مثل تشييد أروقة جميلة ونحوت مزخرفة

منوعة على الاعمدة والسقف وغيرها من اجزاء العمارة. ولكن شهدت دلهى فى اواخر القرن الرابع عشر بضعة مساجد فاخرة ورائعة من ناحية فن البناء منها «كالى مسجد (عام ١٢٧٠) وكهڑكى مسجد (عام ١٣٨٠) وكلان مسجد (عام ١٣٨٧) واهم مزايا هذه المساجد اقامة بوابات متعددة، وكثرة القبب وأبراج متحدرة، ومساند الزوايا، وأبواب قسوية، ومنافذ الضوء إنها تختلف إختلافا بائنا فى التخطيط والتصميم ومظهرها العام عن المساجد العادية المألوفة، ويبدو مسجد كلان ومسجد كهڑكى ذوى الطابقين بابراجهما المدورة فى الزوايا الاربع اقرب إلى قلعة منها إلى مسجد وقد زادهما تعدد اقواس متفرعة متراصة على ارضية الطابق الادنى روعة وجمالا.

ويعتبر المسجد الذى بناه شيرشاه فى عام ١٥٤١ داخل القلعة القديمة فى دلهى، أجمل مسجد فى المساجد التى تنتمى إلى اواخر عصر ما قبل العهد المغولى. ويتحلى هذا المسجد بجمال زخرفى وبنائى يندر وجوده فى اية بناية أخرى وخاصة تزيينه المفرط رغم كونه رزينا ومنقحا بمختلف اشكاله ونماذجه مايكشف بكل صراحة ووفاء عن نضوج الشعور الفنى والذوق المعمارى فى بناة هذا المسجد.

أما المسجد الجامع الذى شيد فى فتحپور سيكرى فى عام ١٥٧١ فيعتبر اول مسجد هام شيد فى عهد الملوك المغول، ويمتاز هذا المسجد بصفة كونه أحد أكبر واروع مساجد الهند بتحقيق امتزاج رائع متوازن متنوع للنحت الثمين والرسم والتكفيت ويتجلى من الجدار الجنوبى لملحقات المسجد الباب العالى الشهير المعروف «بلند دروازه».

ويعتبر موتى مسجد (مسجد اللؤلؤ) ١٦٥٥ المبنى بالرخام الأبيض فى قلعة آجرا على قاعدة مرتفعة مبنية بالحجر الرملى الأحمر من أروع بنايات فى ناحية الرشاقة فى هذه المجموعة فى أى جزء من العالم. وتترك فى العقود المتعددة المحاذية ذات الجمال الرائع والقبب الفاخرة ناطحة السماء رغم كونها بصلية الشكل وطوارم مثمنة صغيرة وكبيرة مصطفة على واجهة الاسوار وفوق ذلك الاستعمال الدقيق بقطعات الرخام بكل نزاهة ومهارة فنية باهرة أثرا عميقا خالدا فى القلب ومتعة لاتغيب عن الأعين. ولكن لا يمكن ان يضاهى أى مسجد فى الهند فى جمال الصنع والابداع فى البناء ودقة التصميم المسجد الجامع بدلهى الذى شيد فى عام ١٦٥٦ ولعله أجمل وأروع مسجد فى الهند، وقد شيد على قاعدة سامية مرتفعة وقد أنشئت على جوانبه الثلاثة سلالم فاخرة تؤدى إلى بوابات عالية رائعة. اقيمت على سطح المسجد ثلاث قبب مرمرية ممتعة تتخللها خطوط الحجر الأسود ومنارتان عاليتان عظيمتان كانهما تخاطبان علو السماء إنه فى الواقع منظر يفصح عن جمال فنى صميم لا يمكن التعبير عنه وروعة وجلال تكشف عنهما عظمة ووقار يسودان هذا الجامع فى جميع نواحيه. وقد استطاع بناء هذا المسجد الاحتفاظ بتوازن غريب بين مختلف اساليب البناء والاشكال والنماذج بكل دقة وإتقان رغم اتساعه.

وعند ما ننتقل إلى المناطق النائية فى الهند نجد من اجمل المساجد فى بنغال، ادينا مسجد (١٣٦٩) فى «Lovdus» وقد تهدم بعض اجزاءه، ومساجد تانتى بارا، وشوتا سونا، وبراسونا، و «قدم رسول» التى شيدت فى اواخر القرنين الخامس عشر والسادس عشر فى جور. وتمثل هذه المساجد التى

شيدت فى الأزمنة الأخيرة عن الطراز مستقيم الزوايا الذى تتميز به مساجد بنغال. ومن خصائص هذه المساجد انها تشتمل على عقود سديدة تقوم على أعمدة قصيرة وسقف قسوية، وابراج مثمنة فى كل زاوية. ومن مزاياها الرئيسية دقة استخدام اتراكوتا بوفرة وتحليتها بالتربيعات اللآمعة بألوان فاخرة زاهية.

وتوجد فى گجرات مجموعة كبيرة من المساجد ألتى احرزت درجة اعلى فى فن البناء. ويعتبر جامع أحمدآباد الذى شيد فى عام ١٤٦٤ فى أكبر واجمل مساجد الهند وتتكون قاعة المسجد الجميلة الخاصة بالصلاة من عقود ممتعة جميلة الشكل، ومشبكات انيقة صنعت على المحاريب الحجرية والنوافذ والدعامتين اللتين اقيمتا على المدخل المركزى وعند انبثاق علو واجهة.

ويمتاز هذا المسجد أيضا كداب المساجد الاخرى فى گجرات بالتدابير الخاصة التى اتخذت لنفوذ النور الى الداخل عن طريق توزيع الغرفة المركزية إلى ثلاث طبقات، تلاحقها أروقة قائمة على الأعمدة ومغطاة مسائر حجرية مرخمة. ويعد المسجد الجامع فى چمپانير الذى شيد فى عام ١٩٠٩ بروعته الفائقة أجمل بناية أثرية بارزة اخرى من ناحية فن البناء فى گجرات. وتركز ميزته الفنية ذات درجة عالية على تجميعات تقابلية مؤلفة، والاتقان ودقة النحوت الحجرية. والعبقرية الأخرى فى النحت على الحجر والتى توصف بدرة احمدآباد وبأجمل عمارة فاخرة من نوعها فى العالم تتجلى فى مسجد رانى مسابرائى (عام ١٥١٤) والذى ينعكس فيه الذوق العالى النادر الذى كان يتمتع به موسسه الملكى رغم انه بناية صغيرة الا انه يتميز بالتوازن الدقيق المدهش بين مزايا الزينة والفن البنائى. وكل جزء من المسجد بما

فيه المنارتان العاليتان الرشيقتان يتحلى بنحوت شبه جوهرية وزخرفة أنيقة. وقد نال مسجد سيدى سعيدى (١٥٧٦-٧٣) سمعة عالية بسبب ستائره الحجرية المرخمة فى غاية من الجمال وقد صنعت على هذه الستائر السبعة تشكيلات هندسية وبنائية ذات درجة عالية وعمارة فائقة مدهشة. وإن دقة انجاز هذه الأشكال والزخرفة تفصح بكل قوة وجلاء عن العبقرية والملكة الفائقة التى تدرج اليها فنانوها.

وفى مالوا، نجد مساجد كمال هلا (عام ١٤٠٠) ولات (١٤٠٥) فى وهار و دلاورخان (١٤٠٥) ومالك مغيث (١٤٣٢) فى ماندو ويعتبر آخر الذكر أحسن هذه المساجد ان القاعدة العالية التى تجابها خلايا مقوسة والأطباق الرائعة، والبرجان المقببان الذان شيدا فى الزاويتين الأماميتين تضفى هذا المسجد منظراً رائعا وتجعله عمارة أثرية خالدة التاثير.

ومسجد اتالا (عام ١٤٠٨) فى جونبور مسجد رائع آخر ولكنه يمتاز بميزة تميزه عن المساجد الأخرى وهى واجهة ذات ثلاث بوابات كبيرة يتكون كل منها من عقود مفروغة عالية انشئت بين برجين منحنيين اوسطهما اعلى. وينتمى الى هذا الطراز ايضا مسجد جهانكيرى ولال دروازه (اواسط القرن الخامس عشر) والمسجد الجامع (١٤٧٠) والمسجد الآخر الذكر هو اكبر مساجد جونبور.

ومن مساجد الدكن يعتبر المسجد الجامع (١٣٦٧) فى قلعة گلبرگه من احسن مساجد الهند. فعلاوة على بعض اشكال هيكلية مثل قبب مطولة وابواب مقوسة ضيقة بنيت بالاسلوب الفارسى يمتاز بميزة غير عادية وهى ان المسجد مسقف كليا بدلا من كونه مكشوفا. وكذلك ينم تشكيل وتصميم

عقوده الواسعة الفسيحة القائمة على أعمدة منخفضة كثيفة عن نفوذ اجنبى ولذلك لايوجد نظير للمسجد الجامع (١٥٧٠) فى بيجاپور بين الآثار التى توجد فى تلك المدينة فى تناسقه والتوازن التقابلى فى الوقت الذى يتضمن مسجد زنجيرى (١٦٢٠) الصغير بل فى غاية من الروعة الصناعة الانيقة الدقيقة التى يتزخرف بها المسجد من جداره إلى قبته وقد افضته صناعته الرائعة والنحوت الفاخرة مكانة تعد بها جوهرة فى آثار بيجاپور ومن بين مساجد گولكندا وحيدرآباد ويعتبر مسجد ثولى (١٦٧١) أروع واجمل مسجد فى حيدرآباد واهم ميزة يختص بها هذا المسجد الصغير التى تلفت انتباه كل زائر منارتان شاهقتان على زاويتى المسجد الأماميتين وقبب صغيرة فوق سطح المسجد ووفرة تنميقه الزخرفى .

لن تكمل هذه النبذة اليسيرة عن اهم مساجد الهند بدون ذكر مساجد كشمير وتتكون مساجد كشمير التى تمثل عن فن البناء الخشبى الخاص فى الاقليم، عن قاعة مكعبة، او مجموعة من القاعات ذات سقف فى الشكل واحيانا يرتفع الى طبقات متعاقدة. وينتمى مسجد شاه همدان فى سرينكر الى طائفة اسلوب قاعة واحدة. ولكن المسجد الجامع فى المدينة الذى يختلف عن السقف الأخرى يعتبر أجمل واروع مسجد فى هذه المجموعة فى وسط اروقته التى تحيط بغرفته المستطيلة الخاصة للصلاة، توجد قاعات فسيحة اطولها قاعة تقع فى الناحية الغربية. وتكشف القاعة بداخل المسجد التى اقيمت أعمدة طويلة مصنوعة بالخشب الوحيد بأحجام واطوال مختلفة عن منظر تملاه عظمة وجلال وفخامة ذات روعة تجذب القلوب وتبهر العيون .

نظرة على شعراء العربية فى الهند

للاستاذ أبى محفوظ الكريم المعصوى

ازدهرت اللغة الفارسية بتقدم العجم ورقيهم ، وأصبحت لغة البلاط ، ولكن لايعنى ذلك أن اللغة العربية لم تنل منهم حظوة ولاعناية ، بل ويزخر التاريخ بشخصيات كثيرة من العجم كانت تحتل مكانة بارزة فى اللغة العربية والأدب والشعر العربى ، وكانت تتزعم الحركة العلمية فى عصرها ، مثل الزمخشرى ورشيد الدين الوطواط ، وحسن الصغانى ، وعبد القاهر الجرجانى ، وبديع الزمان الهمدانى ، والخطيب ، والتبريزى ، وأبى بكر الخوارزمى ، وكلهم ممن نالوا شهرة عظيمة فى العلم والأدب ، أو اللغة والشعر ، لقد قام العجم بخدمة اللغة العربية وأدبها كلغتهم الأم ، وهى التى كانت لغتهم الدينية ، فكانوا ينظرون إليها نظرة ملؤها إجلال وتقدير ، ولا يزالون ينظرون إليها تلك النظرة .

وعندما قدر للشعر العربى أن يتعدى حدود الصحراء ، ويفقد أصالة الأعراب وعبقرية المخضرمين ، ولم يتمكن الأدباء المولدون من التزام سذاجة العرب الطبيعية ، وتبقى الأسلوب والتعبير العربى الخالص إلى مدة طويلة ، انذابت سذاجة أدب البادية وروعته فى صنائع العجم ، وبدائعهم ذات الألوان والفنون .

لقد صاغ العجم أفكارهم فى القالب العربى ، ونجحوا فى استعمال قواعد العربية فى محلها ولكنهم لم يقدروا على التعبير العربى وأسلوبه الخالص لأن المعرفة بقواعد لغة ليست دليلا على اتقان التعبير بأسلوب يشبه أسلوب صاحب اللغة وتعبيره ، وإنما يحتاج ذلك إلى دراسة متواصلة لأساليبها ، وتتبع عميق لطرق تعبيرها المختلفة .

إن أكبر عيب لايخلو منه كلام الأدباء العجم هو الضعف فى الأسلوب ، فمهما كان كلامهم يتضمن أفكاراً رفيعة ، وأخيلة دقيقة وقوة مبدعة ، وعواطف جميلة ، ولكنه يفقد ذلك الأسلوب الخاص الذى يجرى عليه كلام العرب . ولذلك فانه لاينال اعجابا لدى النقاد ، يقول ابن خلدون :

« وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقينا من شيوخنا فى هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبى والمعرى ليس هو من الشعر فى شئ ، لأنهما لم يجريا على اساليب العرب[١] » .

وإذا فصلنا عن تاريخ الهند تلك الدولة التى أسسها العرب فى السند لأدركنا أن العربية إنما دخلت هذه البلاد عن طريق أولئك الفاتحين الذين كانت مجالسهم عامرة بامثال حسن بن اسحاق الفردوسى ، وملك الشعراء أحمد العنصرى ، وابى الحسن رودكى ، وفرخى ، وعلى خرفى ، كما نجد فى هؤلاء الأبطال حكماء مثل قفال والمروزى ، وأبى نصرعراف وأبى ريحان البيرونى ، وأبى الحسن الخمار ، الذين أغنوا اللغة العربية بدراساتهم وتحقيقهم .

بقيت اللغة الفارسية لغة الهند الرسمية من عهد الغزنوى والغورى إلى عهد التيموريين ولكن وجد فى كل عهد جماعة من العلماء ازدهرت بهم اللغة العربية والأدب العربى ، غير أن لدينا قائمة وجيزة لهؤلاء العلماء من بين عدد كبير طوى عنا الزمان خبرهم ، فبقوا مغمورين فى مسارب الماضى دون أن يطلع عليهم التاريخ .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٥

ولكن هذه القائمة الوجيزة تتضمن انواعا من رجال العلم والأدب فنهم المحدثون والفقهاء ، وزعماء اللغة العربية وأدباؤها وشعراؤها ، وحسبك منهم حسن بن محمد الصغانى إمام اللغة والأنساب ، ومؤلف «مشارق الأنوار» فى فن الحديث ، والسيد مرتضى بن محمد الزبيدى ، صاحب «تاج العروس فى شرح القاموس» كما أن مآثر تاتار خان[1] العلمية ، ومجالس أورنگزيب العامرة بالعلم والأدب خير دليل على ذلك ، وسوف لاينسى التاريخ ماخلده العلماء والأدباء فى عهد اورنگزيب من آثار العلم والأدب ، وتاليف العلوم ، وهذا قليل من كثير .

ونريد أن نقدم فى السطور الآتية تعريفاً بأدباء العهد الماضى الذين صاغوا انطباعاتهم وأفكارهم فى قالب الشعر العربى ، وبذلك نستطيع أن نقدر مدى تذوقهم اللغة العربية والشعر العربى ، بالرغم من بعدهم عن العرب ومهد العربية ، وما قاموا به من خدمات جليلة .

(١) مسعود بن سعد بن سلمان :

جاء سعد بن سلمان[2] من همدان إلى لاهور واستوطنها ، وقد رزق عدة أولاد ، اشتهر من بينهم مسعود بن سعد .

---

(١) كان عالما فاضلا يقدر العلماء ، وإليه ينسب تفسير تاتارخانى وفتاوى تاتارخانى . كان فى عهد فيروزشاه تغلق الذى حكم الهند فى القرن الثامن الهجرى (٢) سبحة المرجان ص ٢٨ ، «چهار مقاله» تحقيق محمد بن عبدالوهاب القزوينى ، ص ٢٨ - ٤٥ - ٤٦ ١٤٠ - ١٥٠ - ١٧٨ - ١٨٢ - ٢٠٧ - طبع بريل ليدن ،

واختلف المؤرخون فى مولد مسعود ومنشأه ، والصواب أنه ولد فى لاهور وترعرع فيها ، وتعلم من العلوم ما قدر له ، ولم تتبين فى التاريخ سن ولادته ، غير أنه من المتفق عليه أنه ولد فى الفترة ما بين ٤٤٠ ﻫ و ٤٦٩ ﻫ.[1]

وفى سنة ٤٦٩ ﻫ جاء على عرش حكومة الهند الأمير ابو القاسم سيف الدولة محمود الذى بعثه السلطان إبراهيم بن مسعود سبكتكين ، وهنالك انتهز مسعود بن سعد سلمان فرصة القيام بخدمة الأمير أبى القاسم سيف الدولة ، وأصبح له خادماً ، ومما يقاس فى هذا الصدد أن مسعود بن سعد تمكن من الوصول إلى البلاط الغزنوى حوالى سنة ٤٧٠ ﻫ .

وفى حوالى سنة ٤٨٠ ﻫ ساء ظن السلطان ابراهيم بسيف الدولة محمود[2] ، إذ قد بلغ السلطان ابراهيم أن سيف الدولة محمود يميل إلى الملك شاه سلجوقى (٤٦٥ ﻫ ٤٨٥ ﻫ) ويقيم معه روابط ودية ، ويريد السفر إلى العراق ، وقد اقلق هذا الخبر السلطان وحمله على إلقاء القبض على سيف الدولة محمود وبعض ندمائه ، وسجنهم فى حصون مختلفة فكان من بين هؤلاء الأسرى مسعود بن سعد الذى كابد مشاق السجن عشر سنوات كاملة فى مختلف الحصون ، قضى من بينها سبع سنوات فى حصن « سو » وحصن « دهك » ، أما الثلاث الباقية فأمضاها فى قلعة « ناى » كما يقول هو نفسه :

« عانيت شدائد الحياة سبع سنوات فى « سو » و « دهك » ثم ثلاث سنين بعدها فى قلعة « ناى » .

---

(١) المصدر المذكور ص ١٤٣ (٢) وقد اشار نظامى عروضى فى چهار مقاله ص ٤٤ إلى أن ذلك حدث سنة ٥٧٢ ﻫ ولكن هذا القول يجانب الصواب .

وصفح عنه السلطان بتوصية عضو من أعضاء الدولة كان يدعى بـ «أبى القاسم» وأفرج عنه ، وكان السلطان إبراهيم شاعرا يتناول الشعراء بتقدير بالغ ، يقول العلامة آزاد البلگرامى :

«كان شاعرا يحب الشعراء ويعطيهم جوائز وصلات نخمة على أدنى شعر من القطعة والبيت» [١] .

استمر السلطان ابراهيم فى حكمه من سنة ٤٥٠ هـ إلى سنة ٤٩٠ هـ ، وأجمع المؤرخون على أنه توفى سنة ٤٩٣ هـ ، ووقع من ابن الأثير سهو فى تاريخ وفاته فقال إنه توفى سنة ٤٨١ هـ ، وذلك مما يعارض إجماع المؤرخين وأقوالهم .

وآل أمر الدولة بعده إلى ولده علاء الدولة مسعود الذى حكم البلاد إلى سنة ٥٠٨ هـ وقد فوض فى عهده حكم البلاد إلى ولى عهده عضد الدولة شيرزاد لأسباب لانعلمها ، وعين ابا نصر هبة الله الفارسى وزيره المستشار ، وكانت بينه وبين علاء الدولة مسعود روابط ودية سببت لمعان نجم مسعود اذ ولاه حكومة جالندهر ؛ ولكن لم يعتم أبو نصر أن سخط عليه عضد الدولة ، وجر ذلك إلى عزل مسعود وسجنه مرة أخرى ، وقد بقى مسجونا فى «حصار مرنج» زهاء تسع سنوات كما يقول :

«قضيت فى «مرنج» مدة طويلة من الزمان فى شدة وضنك مثلا لى جهنم وأخيراً أطلق سراحه حوالى سنة ٥٠٠ هـ بشفاعة ثقة الملك طاهر [٢] بن على بن مشكان ، وقد عاش السلطان مسعود إلى بداية عهد عين الدولة

---

(١) سبحة المرجان ص ٢٨ (٢) كان وزيراً للسلطان مسعود بن ابراهيم (لب الألباب ج ٢ ص ٢٤٦) .

بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم (٥١١ هـ - ٥٥٢ هـ) وتوفى سنة ٥١٥ بالغا من العمر ثمانين سنة .

كان مسعود شاعر العربية ، مقتدراً على البيان ، كما كان شاعر الفارسية والهندية ، وكانت له دواوين شعر باللغات الثلاث ، غير أن ديوانيه ، العربى والهندى ، طارت بهما العنقاء . وطوتهما يد الحدثان ، أما ديوانه الفارسى فقد ظل متعارفا لدى الأوساط العلمية والأدبية فى الهند وإيران ، وقد ألف ديوانه « سنائى غزنوى » فى حياته ، ولكنه أدخل طائفة من شعر غيره فى ذلك الديوان خطأ ، وعند ما نبهه على خطائه طاهر بن مشكان بادر سنائى بالاعتذار إلى مسعود فى قطعة من الشعر بعثها إليه .

ويكفى لشعر مسعود العربى شهادة ما قاله رشيد الدين الوطواط أديب العربية فى عصره ، بأن شعره يحمل روعة الخيال والانسجام والجودة ، وقد نقل بعض أبياته العربية فى كتاب «حدائق السحر» مستشهدا بها على عربيته ، وذلك هو المصدر الوحيد الذى نعتمد عليه فى ذكر نماذج من شعره العربى ، وقد ذكر الوطواط فيما ذكره من أمثله «براعة المطلع» مطلع شعر لمسعود أيضاً ، وهو كما يلى :

ثق بالحسام فعهده ميمون   واركب وقل للنصر كن فيكون

كما ذكر فى أمثلة «التورية» أبياته الآتية :

وليل كأن الشمس ضلت ممرها   وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت إليه والظلام كأنه   على العين غربان من الجو وقع
فقلت لقلبى طال ليلى وليس لى   من الهم منجاة وفى الصبر مفزع

أرى ذنب السرحان فى الجوط العاً   فهل ممكن أن الغزالة تطلع

وينشد لنا الوطواط أبياتا ذات قافيتين وهى كما يلى :

يا ليلة أظلمت علينا   ليلاء قارية الدجنة
قد أركضت فى الدجى علينا   دهما خدارية الأعنة
فبت أقتامها فكانت   حبلى نهارية الأجنة

إنها أبيات تحتوى على قافيتين، ففى الأبيات الثلاثة القافية الأولى هى «قارية» و «خدارية» و «نهارية» أما القافية الثانية فهى «الدجنة» و«الأعنة» و «الأجنة» .

ويتوفى مسعود فيخيم صمت طويل ورهيب على مجالس الشعر العربى ونواديه فى الهند إلى ان ولد القاضى عبد المقتدر بن القاضى ركن الدين الشريحى الكندى، وتجلت مواهبه الشعرية فكانت غذاء للمتذوقين، وكان القاضى عبد المقتدر خليفة الشيخ الكبير نصير محمود المعروف بچراغ دهلى (م ٧٥٧ هـ) وأستاذ القاضى الفاضل الشيخ شهاب الدين الدولة آبادى، وقصيدته اللامية التى عملها بازاء قصيدة الطغرائى اللامية، خير شاهد لذوقه السليم، توفى القاضى عبد المقتدر سنة ٧٩١ هـ ودفن فى زاوية الشيخ عبدالصمد بالقرب من «حوض شمسى» .

كما أن قصيدة الشيخ أحمد التهانيسرى الدالية (وهو ممن عاصروا القاضى عبد المقتدر) نموذج جميل ينم عن الذوق العربى القديم فى الهند، ومن خصائص كلام هولاء الشعراء أنها لاتشم منه رائحة «الهندية» التى لايخلو منها كلام الشعراء الكبار والأدباء فى العهد القديم فقد نرى الأستاذ محمد مؤمن الشيرازى (م ١١٠٨ هـ) والسيد عبد الجليل البلكرامى (١٠٧١ -

١١٣٨ هـ) والسيد محمد البلكرامى (١١٠١ هـ - ١١٨٥ هـ) والأستاذ طفيل محمد الأترولوى (١٠٧٣ هـ - ١١٥١ هـ) والعلامة آزاد البلكرامى وأمثالهم كانوا يتبثون منصبا عاليا فى الأدب واللغة العربية، ولهم معرفة تامة بالمحاورات العربية، ولكن كلامهم العربى لايخلو من العجمية ما ينقص قيمتهم الفنية، وأضرب لك مثلا ببيتين للعلامة عبدالجليل البلكرامى، يقول:

حبيبى قوس حاجبه كنون وصاد يد ابن مقلة شكل عينه
لعمرى أنه نص جلى على أن الرماية حق عينه

وما أن يسمع هذين البيتين أحد من النقاد إلا وهو يظن أنهما لخطاط بارع فى فنه، أو أنهما من كلام فقيه أو متكلم،

وبيتان آخران للسيد محمد البلكرامى، يقول:

بروحى سلمى قد أتتنى كرامة وساعدنى فيها زمان مبشر
لقدذقت من فيها مزيد حلاوة نعم شفتاها سكر ومكرر

وقد ألف الأستاذ محمدمؤمن ديوان شعر باسم ثمر الفؤاد فى أرض السند، وفيما يلى أبيات منه، يقول:

يشق على الموت فى أرض غربة يقل صراخ النائحات على قبرى
تقضت ليال كنت أجهل قدرها سفاها وما أدراك ماليلة القدر
وجاءت ليال ما أشد سهارها بهاعذبت روحى إلى مطلع الفجر
وقائلة صبراً على ما تذوقه فقلت وهل شئ امر من الصبر
بلى اتداوى داء صبرى بمثله كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

أما شعر الشيخ ولى الله الابن عبد الرحيم الدهلوى (١١١٤ ﻫ - ١١٧٦ ﻫ) والشيخ عبد العزيز (١١٥٩ - ١٢٣٩) الدهلوى فيحمل من السذاجة والروعة ما يأخذ بالألباب وقد صدرت مجموعة من كلام الشيخ ولى الله باسم «أطيب النغم فى مدح سيد العرب والعجم» ولكن الشيخ عبد العزيز لم يتمكن من تأليف ديوان غير أن له أبياتاً وقصائد متعددة تتجلى فيها بلاغته الشعرية، وفصاحته الأدبية، وأقدم إلى القراء أبياتا يمدح فيها دهلى :

يامن يسائل عن دهلى ورفعتها على البلاد وماحازته من شرف
إن البلاد إمـاء وهى سيدة وأنهـا درة والكل كالصدف
فاقت بلاد الورى عزاً ومنقبة غيرالحجازوغيرالقدس والنجف

وبهذه المناسبة يجب أن نتحدث عن العلامة آزاد البلگرامى وحياته، ونلقى بعض الضوء على خصائص شعره ومزاياه.

العلامة غلام على آزاد البلگرامى :

ولد العلامة غلام على آزاد بن السيد نوح الحسينى الواسطى البلگرامى يوم الأحد ٢٥ من صفر سنة ١١١٦ ﻫ فى قرية بلگرام.

درس العلوم على الشيخ السيد طفيل محمد الاترولوى وقرأ كتب اللغة والسيرة على جده الشيخ السيد عبد الجليل بن السيد أحمد البلگرامى، وتلقى منه علم الحديث، وقرأ عليه الحديث المسلسل بالأولية، وحديث الأسودين، وتخرج عليه فى فن الحديث وأحرز شهادته، وهو الذى أجازه قرض الشعر، أما علم العروض والقوافى فقد اكتسبه من خاله السيد محمد بن عبد الجليل البلگرامى، وبايع الشيخ السيد لطف الله البلگرامى المتوفى سنة ١١٤٣ ﻫ.

ووصل إلى سيوستان سنة ١١٤٣ م[١]، وتبوّا منصب النظارة والكتابة بدلا من السيد محمد، وقد تحدث عن رحلته إلى سيوستان فى ديوان، ننقل عدة أبيات منه إلى العربية فيما يلى:

«هيأ أيها القلم واستعد لتسطر أحوال هذه الرحلة، وسم أولا صاحب الجلالة ذا النعم الخالدة ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، فان توفيقه خير مساعد فى صالح الأعمال، وإن فى سيوستان رجلا عظيم القدر، رفيع المنزلة، وهو ذلك الناظر والكاتب الكبير، وعند ما مرت عليه مدة عشرة اعوام طلبنى لنيابته لكى يعود إلى الوطن ويخلفنى فى منصبه».

توجه السيد محمد نحو بلكرام وخلفه آزاد، وجاء رجل آخر اسمه عبد العزيز تتوى، فتعين للكتابة والنظارة، ولكن استطاع السيد محمد أن يستعيد منصبه ويتمكن عليه فى سنة ١١٤٥ هـ، يقول فيما كتبه من أحداث هذه السنة.

«وفى هذه السنة أراد بى الله خيراً فاستطعت أن اشغل منصبى من النظارة والكتابة لحكومة سيوستان التابعة لمقاطعة ملتان من جديد، وعند ما استقر الحال واستتب الأمر طلبت أهلى من الوطن وخرجت من دار الخلافة «شاهجهان آباد» فى اليوم السابع عشر لشهر جمادى الأولى عازما إلى ولاية السند، وبعد ماقطعت مراحل السفر مع رجال الوطن والقبائل وصلت إلى سيوستان بأحسن حال، وعافية بال، يوم الخميس فى الخامس

---

(١) سبحة المرجان ص ١١٨، وتبصرة الناظرين، ذكر ثلاث واربعين ومأة وألف، للسيد محمد

والعشرين من شهر رمضان المبارك ، واشتغلت بعمل الحكومة ، أما الرجل الذى أراد أن يتدخل فى هذا المنصب فواجه من الفشل ما أقلقه وسلب فؤاده . »[١]

وبعد مدة رجع العلامة آزاد من سيوستان وسافر فى سنة ١١٥٠ هـ إلى الحجاز وحيداً منفرداً . إنه صور هذه الرحلة وزيارته للاراضى المقدسة فى كتابه «سبحة المرجان» وفى قصيدة سماها «طلسم اعظم» وأرخ بدء الرحلة بكلمة «سفرخير» وتاريخ العودة بكلمة «سفربخير» وسعد بحج بيت الله الحرام سنة ١١٥١ هـ ، ومادة تاريخ هذا الحج هى «عمل أعظم» .

واستفاد فى فن الحديث من الشيخ المحدث العلامة محمد حياة السندى خلال إقامته فى المدينة المنورة ، كما يقول فى « سبحة المرجان » :

« وقرأت أيام إقامتها صحيح البخارى على شيخى ومولائى صاحب الجاه السنى ، الشيخ محمد حياة السندى المدنى قدس سره ، وأخذت عنه إجازة الصحاح الستة وسائر مقروآته ، واقتطفت ثماراً أيانع من غصون بركاته . »[٢]

وانتهز — أيام إقامته فى مكة المكرمة — وجود الشيخ عبد الوهاب الطنطاوى المصرى (١١٥٧ هـ) فاستفاد منه معلومات جمة حول الحديث الشريف ، وذات يوم ذكر له أن لى لقبا آخر ادعى به وهو « آزاد » وقال إن معناه الحر أو العتيق ، فبشره الشيخ وقال « ياسيدى أنت من عتقاء الله » .

ولما رجع من الحجاز أقام فى « أورنگ آباد » وقضى مدة تناهز سبع سنين فى زاوية الشيخ شاه مسافر غجدوانى المتوفى سنة ١١٣٦ هـ ،

---

(١) تبصرة الناظرين (٢) سبحة المرجان ص ١٢٠

وأتيحت له زيارة الأمير نظام الدولة ناصر جنك بن الأمير نظام الملك آصف جاه فى أواخر سنة ١١٩٩ هـ فاحتفى به الأمير وبالغ فى إكرام مثواه، وطلب منه المرافقة فى السفر والحضر كليهما، وعندما آل عرش الملك إلى الأمير نظام الدولة فى سنة ١١٦١ هـ ألح عليه إخوانه بانتهاز هذه الفرصة للحصول على منصب كبير فى الدولة، ولكن العلامة آزاد شدد عليهم الانكار وأجابهم بقوله:

«مثل هذه الدولة مثل نهر طالوت، غرفة منه حلال، والزيادة عليها حرام.»

ومن سعادة جد الأمير ناصر أن العلامة آزاد مدحه ببيتين من شعره بينما هو لم يمدح أميراً ولا كبيراً قط، يقول:

هو ناصر الاسلام سلطان الورى أبقاه فى العيش المخلد ربه
حاز المناقب والمآثر كلها جبل الوقار يحبنا ونحبه

ولقد ألف العلامة آزاد كتابه الطائر الصيت «سبحة المرجان» فى أورنگ آباد ولبى نداء ربه فى نفس هذه المدينة سنة ١١٩٤ هـ، وأرخ الناس وفاته فطلع تاريخها باسمه «غلام على آزاد» أما العلامة الأمير صديق حسن خان فقد صرح فى كتابه «أبجد العلوم» بأن تاريخ وفاته إنما هو سنة ١٢٠٠ هـ.

إتجاه «الوطنية» فى شعر آزاد

وكان آزاد ممن يحب وطنه ويتفانى فى الاشادة بذكره، وذلك هو الدافع الذى بعثه على أن يقول: إن أول أرض أشرقت بنور محمد صلى الله عليه وسلم بعد جزيرة العرب إنما هى أرض الهند، وهو بعد ما يبذل

قوته الأدبية والكلامية فى مدح بلاد الهند وتفوقها وفضلها على سائر البلاد والأصقاع فى كتابه «سبحة المرجان» يقول :

قدأودع الخلاق آدم نوره   متلألئا كالكوكب الوقاد
والهند مهبط جدنا ومقامه   قول صحيح جيد الاسناد
فسواد أرض الهند ضاء بداية   من نور أحمد خيرة الأمجاد[1]

ويمدح وطنه فى محل آخر فيقول :

إن تبتغوا ماء الحياة فذلكم   فى الهند لا فى موضع الظلمات[2]

شعر آزاد

لسنا بحاجة إلى شرح الجانب الأدبى فى حياة آزاد، فانه مع إتقانه اللغتين العربية والفارسية وتذوق أدبهما كان مطلعا على اللغة الهندية، وبارعا فى آدابها أيضاً، كما كان مسعود اللاهورى يجمع بين اطلاعه على هذه اللغات الثلاث واقتداره على آدابهما، يذكره العلامة آزاد فى إحدى المناسبات فيقول :

«وهو مثلى عارف بالألسنة الثلاثة، وصاحب الثلاثة دواوين العربى والفارسى، والهندى، وأنا صاحب الديوانين العربى والفارسى. ومالى فى الهندى ديوان، لكنى ماهر بالشعر الهندى.[3]»

وليس شعر آزاد العربى بمجرد تقليد واتباع، وإنما هو مبتكر فيه، وإن الغزل الهندى هو مصدر غزله فى الشعر العربى، وذلك هو الأسلوب الخاص الذى ابتكر آزاد فى كلامه، والمنهج الجديد الذى اخترعه لشعراء

---

(١) سبحة المرجان ص ٢٤   (٢) سبحة المرجان ص ١٤٠

(٣) سبحة المرجان ص ٢٧ .

العربية، وإلى ذلك يشير الأمير صديق حسن خان، فى كتابه «أبجد العلوم» فيقول:

«وله فى التغزل طور خاص قلما يوجد فى كلام غيره، يعرفه أصحاب الفن[١].»

ولم تنجب بلاد الهند شاعراً — فى أى عهد من عهود الفن والثقافة — له يد فى الشعر العربى، ويتصف بغزارة مادته الشعرية وكثرة كلامه مثل ما كان آزاد، وقد أبدى هذه الحقيقة هو نفسه فى «سبحة المرجان» يقول:

«وماظهر فى الهند قبلى من يكون له ديوان عربى، ومن يكون له شعر عربى على هذه الحالة[٢].»

أما الحكم بأن الهند لم تشهد شاعراً له ديوان عربى قبله فليس بصحيح، إذ أن مسعود اللاهورى ممن عرف كشاعر له ديوان عربى واعترف به المورخون جميعاً، غير أن ديوانه فقد لعدم اكتراث الناس به، ولا يوجد نموذج من كلامه العربى سوى عدة أبيات، وقد كان محمد مؤمن الشيرازى شاعراً له ديوان شعر عربى، كما ذكره العلامة آزاد فى طبقة شعراء العربية فى الهند، واعترف بديوان شعره العربى[٣].

ومعظم شعر آزاد يحتوى على المدح النبوى، وذلك ماجعل استاذه يلقبه بـ «حسان الهند» إشارة سيدنا حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أبجد العلوم ص ٢١٣ (٢) سبحة المرجان ص ٩٢٢ (٣) سبحة المرجان ص ٢٠٨

ابتكاره فى الشعر العربى

وكان آزاد يقتدر على أدبه الوطنى الهندى مثل اقتداره على الأدب العربى، واستطاع بذوقه ووجدانه أن يمزج بين الأدبين فيقدم نموذجا جميلا لمزيج أدبى لطيف، يقول :

تعالوا واسمعوا ملح الأغانى عن الورقاء ثم الكوكلاء .

إنه نقل الخيال الشعرى الهندى إلى العربية، وتبلغ هذه الصنائع الأدبية إلى ٢٣ صنعة كما قابل بحور الشعر الهندى وقوافيه ببحور الشعر العربى وقوافيه، يقول :

« إن معظم بحور الشعر الهندى تختلف عن الشعر العربى والفارسى ولكن البحر المتقارب كفن الخليل، والبحر السريع يوجدان فى الشعر الهندى أيضاً » وقد أشار إلى فرق كبير بين البحرين فقال : إن الشعر الهندى يحتوى على بحور تتخلل قافيتها فى وسط المصراع لا فى نهايته ورغم ذلك فانها مما يستحسن فى الشعر .

ويغتبط آزاد بابتكار فى الشعر، ويعتبر نفسه مجدداً للبديع، كما يقول :

ألفت سفراً فى البديع وغيره ونظمت سمطا من ثمين جان
قد كان عبد الله واضع فنه وله إلينا غاية الاحسان
وأنا المجدد للبديع فيا لما قد صغته من حلية الآذان

ونجد فى شعره مآت من الأبيات التى يتجلى فيها الخيال الهندى الخالص وتشبيهات الأدب الهندى واستعاراتها، واكتفى بذكر نموذج من كتابه « سبحة المرجان » وهو يلقى ضوءاً على هذه الناحية فى شعره، يقول :

نيلوفر طرفك السكران من سنة بشأنه قلبى المشتاق يهتم

فعم أمسى حذاء البدر منفتحا وعم أضحى حذاء الشمس ينضم

البيت الأول يتضمن معانى رقيقة من الحب والهيام ، تشكو فيه امرأة جميلة إلى زوجها الذى قضى الليلة فى مكان آخر ، وهى تقول : مالى أرى عينك شبه الحمراء التى تشبه النيلوفر تنغمص لما يغلب عليها النعاس ، وذلك ما ينم عن شئ تخفيه عنى ، وتفيض فى الحديث فتقول : مالهذه العين أنها لاتنام فى الليلة المقمرة ، ولكنها تنام نهاراً ، ولا تقوم فى وجه شمس الجمال .

ويشرح آزاد معانى هذا البيت ويقول :

إن للنيلوفر نوعين ، النوع الشمسى ، والنوع القمرى ، أما الشمسى فيتفتح فى ضوء الشمس ، ويذبل فى ضوء القمر ، ولكن القمرى يتفتح فى ضوء القمر ويذبل عند طلوع الشمس ، ووجه الشبه بين العين والنيلوفر هو أن النيلوفر إنما يضرب لونه إلى حمرة مثل العين تعلوها خيوط حمراء عند السهر .

أما البيت الثانى ففيه صنعة التورية فى البدر والشمس ، يعنى أن المرأة إنما تشبه جمالها بالشمس ، وتشير بالبدر إلى ضرتها ، وتثير غيرة الزوج بابداء فضلها وعيوب ضرتها على ايثاره الناقص على الكامل .

وكذلك البيتان التاليان :

لقد نحلت فى يوم راح حبيبها إلى أن هوى من ساعديها انضارها
ولما أتاها مخبر عن قدومه على الساعد الملآن ضاق سوارها[١]

يعبران عن الخيال الهندى .

---

(١) سبحة المرجان ص ٢٥٣

ويقول فى مكان آخر :

بتنا معا فاذا بدى فلق الدجى   غطت بفضل الكم سلك جمان[١]

تغطى الحبيبة قلادة الجمان فى جيدها لكى لا يصيب الحبيب بردها فيسبب اليقظة من المنام، وبرد الجمان كناية عن طلوع السحر فى الادب الهندى، كما أن برد السوار دليل على طلوع الصبح عند العرب، كما يقول ابو فراس الحمدانى :

وكم من ليلة لم أروَ فيها   حسبت لها تورقنى نوار
فبت أعل خمراً من رضاب   لها سكر وليس لها خمار
إلى أن رق ثوب الليل عنا   فقالت قم فقد برد السوار

إن غراب البين أشأم شئ عند شعراء العرب وهو يرادف الهجر والبكاء، ولكن الفرس والهنود يسمونه بغراب الوصل، يقول شاعر الهند الكبير العلامة آزاد :

سمعت غراب الهند يضحى مبشراً   بعود حبيب يا له من مبشر
ألا يا غراب النجد أنت شقيقه   فمالك تؤذى هائماً بالتطير[٢]

ولكن أبا الشيص هو وحده الشاعر العربى الذى انتهج طريقا آخر، وخالف سلفه فى هذه الناحية، يقول :

ما فرق الأحباب بعد الله إلا الابل
والناس يلحون غراب البين لما جهلوا

---

(١) سبحة المرجان (القصيدة الغزلانية) ص ٢٦٠-٢٦٣   (٢) سبحة المرجان ص ٢٥٣

وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل
ولا إذا صاح غراب فى الديار احتملوا
وما غراب البين إلا ناقة أو جمل[١]

التعبيرات الهندية فى شعر آزاد

إن أبرز شئ يعد ميزة شعر العلامة آزاد من وجهة نظر الشعر الهندى قد يكون ذلك أكبر عيب فى كلامه من وجهة نظر الشعر العربى.

دخلت فى شعر آزاد تعبيرات هندية حتى اصبح كلامه لايخلو منها فى أى حال من الأحوال، ولذلك لانجد فى كلامه أساليب عربية، وليس هذا العيب باديا فى الشعر الذى يمكن أن يكون الشاعر قد ارتجله ولم يتمكن من تهذيبه وإصلاحه بل ولا تخلو منه تلك القصائد التى لابد أن الشاعر قد أعمل فيها رؤيته وتفكيره، مثلا قصيدته المشهورة «لامية الهند» تتضمن شعراً، ولكنك لاتجد بيتا واحداً منها يمثل ذوق الشعر العربى الخالص، وبازائه قصيدة القاضى عبد المقتدر اللامية — رغم عجميته — أحسن منها بكثير فى انسجام الكلمات مع المعانى، والبداهة، وتنم عن الذوق العربى الصحيح، يقول العلامة شبلى النعمانى:

«ولو أن آزاد يمتاز بكثرة شعره العربى والفارسى، ولكن الحقيقة ان كلامه لايخلو من غلبة العجمية بالرغم مما يشغل منصبا عاليا فى العلم والأدب، ورغم كونه من كبار ادباء العربية واطلاعه على الكتب والمواد الأدبية النادرة ونظره الواسع فى اللغات والمحاورات العربية لايتغلب على عجميته، وقد يتعذر أن يسمى كلامه عربيا، وهو يفتخر بأنه أدى دوراً

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٤٧

كبيراً فى نقل الأفكار العجمية إلى العربية ، ولكن العارف بهذه الناحية يعلم أن ذلك عيب[١] . »

ولكن على رغم هذا العيب البارز فى كلامه يحتل شعر آزاد مكانة مرموقة خاصة . لاينكرها أحد ، وفيما يلى نقدم أبياتا من شعره تلقى ضوءاً لامعا على ما إذا كان معظم كلامه مصبوغاً بهذا اللون الكان له شأن كبير فى الشعر العربى .

يا ظبية فتنتنى أين مرعاك	حيث أصبحت عين الله ترعاك
إنى لهمت وما امرى بمبتدع	الآس والبان والغزلان تهواك
أرى غصون النقا يرقصن قاطبة	لقد تمايلن نشوى من حمياك
والشمس ترفل فى أبراجها مرحا	لعلها مارأت يوما محياك
لقد طال أشجانى بطول مطلعك	فعطفا على المملوك يا ابنة مالك
وما ابتغى ولله مالا ودولة	ملاك رجائى نظرة من نوالك
علام أبث المشتكى ان نسيتنى	ومن أنا حتى أخطرن ببالك

مؤلفات آزاد

لايزال تاريخ الهند العلمى يشيد بذكر آزاد ويعتبره شاعر العربية الكبير فى الهند ، ومؤرخا يقام لتاريخه وزن كبير ، يقول العلامة شبلى النعمانى :

« بالرغم من أن آزاد يسلك طريق ايجاز فى تاريخه غير أن ما يكتبه مفيد ومؤكد . »

وله مؤلفات كثيرة نقدم فيما يلى قائمة منها :

---

(١) مقالات شبلى ج٦ ص ١٢٩

١ – « ضوء الدرارى » يحتوى على شرح صحيح البخارى إلى نهاية كتاب الزكاة ، وقد نقل الأمير السيد صديق حسن خان عبارة هذا الكتاب البدائية فى كتابه « الحطة بذكر الصحاح الستة » .

٢ – « تسلية الفؤاد » .

٣ – « سبحة المرجان » وهو من أبدع مؤلفاته ، وقد انتهى من تأليفه سنة ١١٧٧ ه ، ويصف هو نفسه هذا الكتاب بالبيتين التاليين .

هذا الكتاب له محل شامخ   يدريه من هو صاحب العرفان
حررت تأليفى وقلت مؤرخاً   تجلو البصيرة سبحة المرجان

٤ – « شفاء العليل » انتقد فى هذا الكتاب ديوان شاعر العربية المشهور أبى الطيب المتنبى (المتوفى ٣٥٤ ه) وأورد فيه مواخذاته عليه .

٥ – « غزلان الهند » .

٦ – « سند السعادة » .

٧ – دواوينه العربية ، التى تحتوى (على ما يقول العلامة الأمير السيد صديق حسن خان) على أحد عشر ألف بيت ، ونذكر اسماءها بتفصيل :

(الف) « سبع سيارة » وهى عبارة عن سبعة دواوين . منها ديوان مردف ، وديوان مستزاد ، وديوان مرجع ، وهذه الأجزاء كلها تتضمن الغراميات والمدائح النبوية . وقد كانت لدى الأمير صديق حسن خان نسخة قديمة من هذا الديوان ، ولكنه طبع فيما بعد بمطبعة آسى فى لكهنؤ (الهند) .

(ب) « مرآة الجمال » قصيدة يصف فيها حسن كل عضو من اعضاء « الحبيبة » وجمالها وألف لها شرحا لطيفا ،

(ج) ديوانان، بعثهما إلى المدينة المنورة، وقرأ أمام قبر النبى صلى الله عليه وسلم، وكلاهما يشتملان على ثلاثة آلاف بيت.

(د) «مظهر البركات» مجموعة لسبعة دفاتر على وزن الشعر المزدوج، يقول الأمير السيد صديق حسن خان:

«مزدوجة فى البحر الخفيف، فى غاية السلاسة والعذوبة، ولم ينظم أحد قبله مزدوجة عربية فى هذا البحر[1].

وقد ذكر الامير السيد صديق حسن خان أن دفتره السابع نظم فى سنة ١١٩٦ ﻫ وإذا صح هذا القول فان الحكم بوفاته فى سنة ١١٩٤ ﻫ لا يصح أبداً.

(ﻫ) وذكر العلامة الأمير السيد صديق حسن خان ثلاثة دواوين أخرى غير ما ذكرناه، ومعظمها يتضمن المدائح النبوية، ولكنه لم يصرح بأسماء هذه الدواوين الثلاثة[2].

أما مؤلفاته الفارسية فمنها «يد بيضاء» و«سرو آزاد» و«مآثر الكرام» و«خزانة عامره» و «روضة الأولياء» و «تراجم شعراء الهند والايران والتوران» و «سند السعادات فى حسن خاتمة السادات» و «دواوين فارسية».

وقد وجد فى الهند شعراء العربية عدا ما ذكرناهم فى هذا المقال، ومنهم:

(١) الشيخ فضيل بن الشيخ جلال كالبى.

(٢) الشيخ رفيع الدين (المتوفى ١٢٣٨ ﻫ).

(٣) الشيخ فضل حق الخيرآبادى، صاحب قصائد فتنة الهند (١٢١٢-١٢٧٨ﻫ)

---

(١) ابجد العلوم ص ٢١٣ (٢) ابجد العلوم ص ٩٢٢

(٤) الأستاذ وزير على بن الشيخ أنور على بن الشيخ أكبر على بن الشيخ آحمد الله السنديلى .

(٥) الأستاذ فيض أحمد بن الحافظ غلام أحمد بن الشيخ شمس الدين بن الشيخ محمد على البدايونى .

(٦) الأستاذ على عباس الچرياكوتى .

(٧) السيد أحمد حسن القنوجى الملقب بعرشى .

(٨) الشيخ أوحد الدين بن القاضى على أحمد البلگرامى .

(٩) الشيخ فيض الحسن السهارنفورى .

(١٠) الشيخ عنيف على رعب الشاه آبادى .

(١١) الشيخ عبد العلى آسى المدراسى .

(١٢) الحافظ عبد الأول بن على الجونپورى .

(١٣) العلامة حميد الدين الفراهى .

(١٤) الشيخ حبيب الرحمن العثمانى الديوبندى .

(١٥) الشيخ انور شاه الكشميرى .

(١٦) الشيخ أحمد حسين الاعظمى .

(١٧) الشيخ أبو الطيب يعقوب بخش راغب البدايونى .

كل هولاء ممن تبوّا منصبا عاليا فى الأدب والشعر العربى، واخص بالذكر منهم الشيخ فيض الحسن السهارنفورى والعلامة الفراهى، والشيخ أبا الطيب راغب البدايونى، والشيخ فضل حق الخيرآبادى ، فقد كانت لهم

مكانة عالية فى هذه الناحية. وللشيخ فضل حق معارضات شعرية بازاء الحريرى والهمدانى تمتاز برصانة الأسلوب، وفخامة العبارة، ولولا أنه التزم فيها الصنائع لم يفقد كلامه روعة البيان، ويحسن بنا أن ننقل فى هذه المناسبة ما قاله الأمير صديق حسن خان وهو يتحدث عنه، يقول:

«وأتى فيها بكل لفظ لطيف، ومعنى بديع، لولا أنه أكثر فيها من التجنيس والاشتقاق والالفاظ الحوشية بلاخلاف.»[1]

وكذلك كلام الشيخ أبى الطيب راغب البدايونى لايخلو من تكلف لالتزامه الصنائع اللفظية فيه.

أما الاستاذ أحمد حسين الاعظمى فيجب أن نقوم بتعريفه إلى القراء إذ أن أكثر القراء لايعرفون عنه شيئاً.

الأستاذ أحمد حسين الاعظمى

ولد الأستاذ أحمد حسين فى قرية رسول پور اعظم‌كره. وكان طويل القامة، متناسب الاعضاء، أسمر اللون، مستقيم الأنف، رزقه الله طبيعة الشعر، وكان نشيطا للغاية، بعيداً عن الأثرة والانتهازية. سافر لطلب العلم إلى رام پور. وخيرآباد، وتلمذ على العلامة طيب المكى، وأقام فى «دكا» عاصمة باكستان الشرقية مدة غير قصيرة كرئيس المدرسين فى مدرسة حمادية واستقال من منصبه سنة ١٩١٩ م، وعاد إلى وطنه، وألح عليه إخوانه أخيراً فعاد إلى «دكا» مرة اخرى، وسافر إلى مكرله يخدم الخلق بتجاربه الطبية، وتوفى فى وطنه سنة ١٩٣٧ م او سنة ١٩٣٨ م بمرض المعدة. وقد رزق عمرا يناهز ٧٥ سنة.

---

(١) ابجد العلوم ص ١١٤

وكان واسع الاطلاع على الأدب العربى، وتبدو خصائص كلامه بالأبيات التالية. يقول فى رسالة له :

واخبرنى ريح الصبا عن جنابكم   بما زال احزانى وزاد سرورى
فأصبح صدرى فاسحا بعد ضيقة   وأصبح قلبى فارحا بوفور
ونبأ الأحباء بعد طول لقائهم   كروح سرى فى الميت بعد دهور
نسيم الصبا إن رزتهم بلغى لهم   تحية من قد قام بعد نشور

وقد كانت له قصيدتان مكتوبتان بيده عند أخى الكريم الأستاذ صغير حسن أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة «دكا» ولكنه - مع الأسف - فوجئ بضياعهما غير ورقه واحدة تحمل ١٢ نيتا على وجهيها الاثنين، وكانت القصيدة الأولى منهما لامية والأخرى نونية، ولكن هذه الورقة لاتحمل إلا أبيات من القصيدة النونية، وفى أحد جانبيها هذه الأبيات :

لولاالهوىخضرتعهودبنىالجحى   أيد الكروب على ذوى الأزمان
ولما تعارفت النفوس محلها   والسرب جؤذرها مدى الآوان
ترمى فوارسها السهام فما سهت   وتعود طاغية من المران
فتصاب من ذاك الحمام ولم تمت   وتفش هذا أشرف البنيان
لولا الهوى لم يذكر اللسن الذين خلوا ولم يفصح لهم بلسان
وهى الكريمة عنصراً لحياتنا   وحياة من قد دب فى القيعان

وفى الوجه الآخر أبيات كما يلى :

هيهات أعفى الدهر أبلى رسمها   وجفت عليها نائبات زمان

[illegible]ذوق الناس جل سفيهم   وحكى القرود مناطق الانسان
ورأوا فلول العود سيفا باترأ   ورأو احيانا مقتدى الشجعان
ضرب الجلاجل أيقنوه عبادة   والكفر قد سموه بالايمان
ويبائعون لثامهم علما بأنهم   أرسطاليس واللقمان
آذانهم صم وأعينهم عمى   وقلوبهم عمه من الطغيان

هذه الأبيات خير شاهد لمن يتمتعون بالذوق العربى أن قائلها كان على درجة عليا من معرفة الأدب واللغة العربية، وكان يتمتع بذوق شعرى جميل،

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

(مع الشكر لمجلة «معارف» الصادرة عن مجلس دار المصنفين بأعظم كذه نقلا عن عددها فى مارس ١٩٥٠ م)

تعريب : الاستاذ سعيد أعظمى الندوى

الأنباء الثقافية

هذه هى الهند

انه لمن الخبر السار للطلاب المهتمين بالهند ان اصدر المجلس كتابين فى شهرى سبتمبر واكتوبر .

وكان «Towards Understanding India» اولهما فى الصدور ويحتوى على مائة صفحة تصور للقارئ صورة مستوعبة لهذه البلاد العريقة تاريخها واوضاعها الاجتماعية ونوع الحكم فيها وخططها الاقتصادية والتعليمية ، وفلسفتها ودياناتها ولغاتها وآدابها وفنون شعوبها ، وهذه اول محاولة قام بها المجلس لتقديم صورة كاملة للهند الى البلدان الاخرى ، ومما يذكر ان الكتاب نتيجة لسعى مشترك لكتاب أحداث ورجالات الادب الذين يرجع اليهم ويوثق بهم . والكتاب الثانى «Studying in India» كتاب لابد من قراءته لكل طالب اجنبى يهتم بالهند ويقصد اليها . ويشتمل الكتاب على اشارات مفيدة الى ما تسود فى هذه البلاد من تقاليد وعادات واطعمة ، أضف الى ذلك ما يشتمل على معلومات لازمة حول المنح الدراسية وقواعد الجمرك المفش ، ويحتوى كذلك على قائمة لاسماء الفنادق ووكلاء للسفر ، ويعرف القارئ على اثمان النقود الاجنبية واثمان الطوابع البريدية المحتاجة اليها لمختلف البلاد .

من الطبيعى ان يضاعف الاهتمام المتبادل بالثقافات كلما تتضاعف وسائل المواصلات فى البلدان وطبقا على هذه الكلية ، قام وزير المعارف للحكومة المركزية حاليا بتدشين معهد للدراسات السوفيتية ، كما رحب المجلس حديثا بالبروفيسور ستانس لاشوجناكى امين المكتبة والمدير العام للمتحف

التابع لمعهد الدراسات الاثيوبية فى عديس بابا ووصل البروفيسور الى كلكتا فى السابع من شهر سبتمبر وغادرها فى اليوم التالى، ونظم المجلس مقابلة مع مدير البحوث البوتانيكية فى الهند كما رتب له زيارة للمكتبة الاهلية.

وما زال الزوار من افريقيا يتشرف المجلس باستقبالهم بوجه خاص ففى شهرى اكتوبر ونوفمبر اضاف المجلس المستر ياريما بالا احد اعضاء البرلمان النيجيرى الفيدرالى، وكان الزائر فى الهند لاربعة اسابيع، وقام بجولة فى كلكتا ومدراس وبانجلور وحيدرآباد وپونا وبومباى، وقابل فى تلك المدن اعضاء البرلمان الهندى ورجالات التعليم وزعماء السياسة.

الزعيم غاندى

لايشك شاك فى ان المولعين فى الهند وفى خارجها بالزعيم الراحل غاندى يخلفون للاجيال المتعاقبة ثروة كبيرة من المعلومات عن هذه الشخصية الكبيرة، مما ستوهل النشأ القادم ان يقدر مكانته فى تاريخ هذه القارة وبل وفى تاريخ العالم كله، ووصلت الى دلهى حديثا الدكتورة اياپالاسكا استاذة الاخلاق فى جامعة لود، وذلك لاتمام بحثها حول اخلاق غاندى. وتريد الدكتورة المكوث فى الهند لثلاثة اشهر ولزيارة «واردها» و «سابرمتى» وبنارس من بين المدن الاخرى.

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

AZAD BHAVAN, NEW DELHI I

President: Mr. M. C. Chagla

The objects of the Indian Council, as laid down in its constitution, are to establish, revive and strengthen cultural relations between India and other countries by means of:

(*i*) Promoting a wider knowledge and appreciation of their language, literature and art;

(*ii*) Establishing close contacts between the universities and cultural institutions;

(*iii*) Adopting all other measures to promote cultural relations.

THAQAFATU'L-HIND

Vol. XVII | January 1966 | No. 1

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

Subjects		Contributors		Page
1. Muhammadan Law in India	...	Mr. A. A. A. Fyzee Trans : M. M. Nainar	...	1
2. Minerals in Jammu and Kashmir	...	Mr. Dwarka Nath Gupta Trans : Zubair Ahmed Farooqi	...	17
3. Famous Muslim Women in Indian History	...	Mr. Mahmud Hasan Nadvi	...	28
4. The Architecture as an Art in Ancient India	...	Dr. D Huti Trans : Wazeh Rashid Nadvi	...	37
5. The Gujarat Fleet	...	Syed Abu Zafar Nadvi Trans : Amiduz Zaman Qasmi Kairanvi	...	47
6. Ladakh on the Path of Progress	...	Mr. Kaushak Bakula Trans : Fasihuddin Dehlavi	...	78
7. The Islamic Architecture in India (Mosque)	...	Dr. Ziauddin Desai	...	81
8. The Indian Poets of Arabic Language : A Brief Study	...	Mr. A. M. K. Masumi Trans : Saidul Azami Nadvi	...	91
9. Cultural News	...		...	113

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

(JANUARY, APRIL, JULY and OCTOBER)

Rates of Subscription, Post Free

INLAND		FOREIGN	
Single Copy	Rs. 2.50	Single Copy	5 Sh.
Annual	Rs. 10.00	Annual	20 Sh.

Copies are sent only on prepayment and not by V. P. P

All remittances and requests for supply of copies are to be addressed to the Secretary, I. C C. R. and not to the Editor.

Books for reviews and journals in exchange etc. are to be addressed to the Editor.

Printed and published by
Inam Rahman,

Secretary, Indian Council for Cultural Relations,
Azad Bhavan, New Delhi-1.

Printed at the Nuri Press Limited, Madras-13

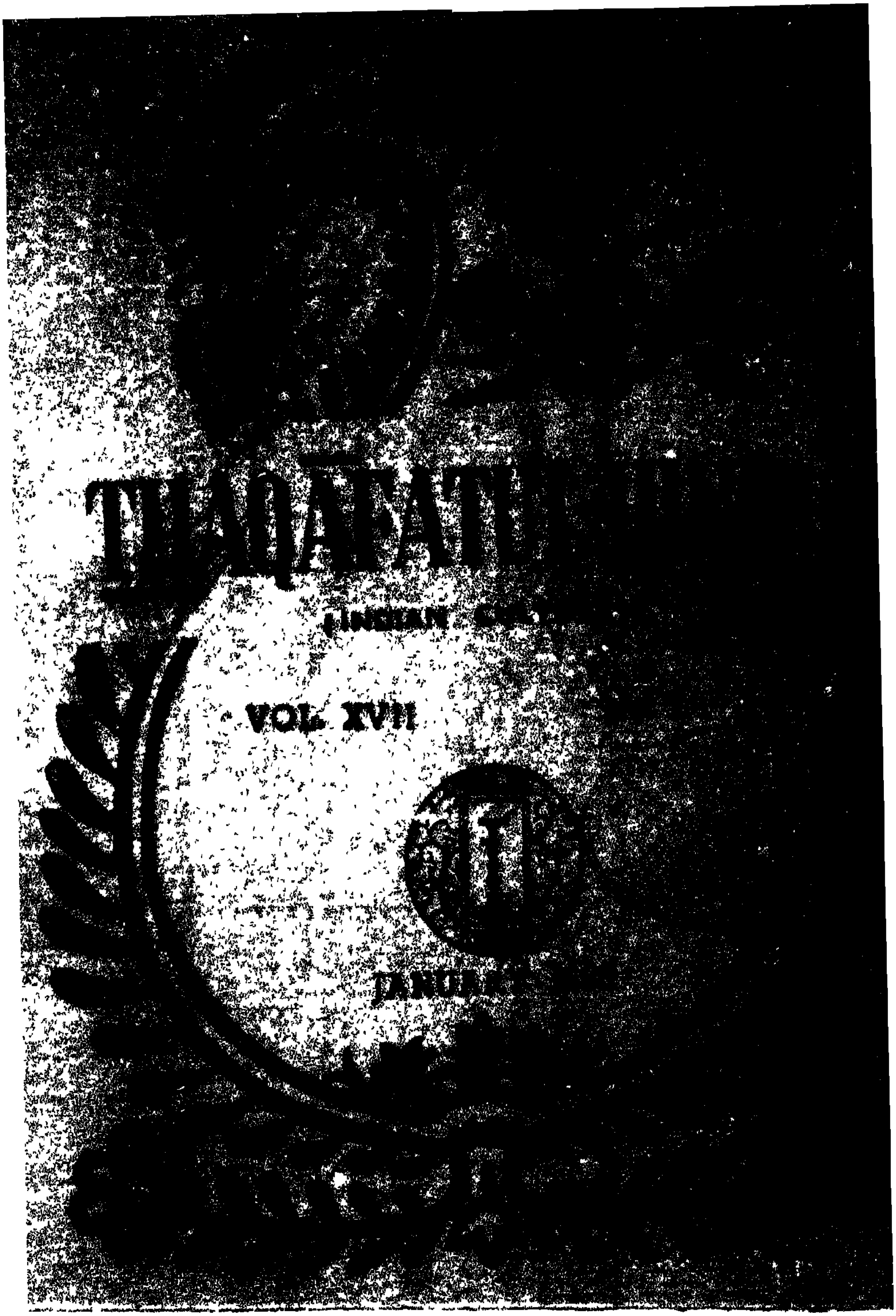
THAQAFATU
INDIAN
VOL XVII
JANU

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS
AZAD BHAVAN, NEW DELHI-1

ثقافة الهند

عدد ممتاز

انا اؤمن بالسلام ـ وقد عملنا وسنظل نعمل

ثقافة الهند

تصدر أربع مرات فى السنة : يناير ، إبريل ، يوليو ، أكتوبر

ثمن الاشتراك خالص الأجرة

فى الهند	فى الخارج
الاشتراك السنوى : عشر روبيات	الاشتراك السنوى : عشرون شلنا
العدد الواحد : روبيتان ونصف	العدد الواحد : خمس شلنات

ترسل المجلة عند ما يسدد الدفع مقدما ، ولا ترسل بالحوالات البريدية .

توجه المراسلات والطلبات بهذا الشان إلى سكرتير المجلس ، لا إلى رئيس التحرير .

توجه الكتب للاستعراض والمجلات المتبادلة والمراسلات المتعلقة بهما ، إلى رئيس التحرير .

طبعها ونشرها
إنعام الرحمن ،
سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية .
آزاد بهون ، دهلى الجديدة ١
فى مطبعة نورى المحدودة بمدراس ١٣ .

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

رئيس التحرير ـ شمعون طيب على لوكهندوالا

جلد ١٧ شماره ٢

المجلد السابع عشر | ابريل سنة ١٩٦٦ | العدد الثانى

الصفحة

محتويات هذا العدد

١ شاسترى ـ وتحدى الاحداث .... الاستاذ محمد وهبى عبد العزيز ١

٢ شاسترى فى سطور .... للاستاذ فصيح الدين الدهلوى ٤

٣ شاسترى فى نظر زعماء العالم ٨

٤ إنديرا غاندى
(ابنة الديموقراطية الهندية المعاصرة) .... للاستاذ لطفى شلش ١٢

٥ اضواء على شخصية شاسترى
(من خلال خطبه وكتاباته) .... تعريب : الاستاذ عميد الزمان القاسمى الكيرانوى ٢٣

٦ شهيد السلام الذى غاب .... للدكتور جورج حنا ٢٩

٧ إنديرا (ابنة نهرو وخليفة شاسترى) .... للسيدة تهانى بدوى ٣٠

٨ شاسترى : تاريخ كفاح وحياة بطولة .... للاستاذ زاهر عزب الزغبى ٣٥

٩ العلاقات الهندية العربية فى قديم الزمن .... [illegible]

١٠ عدد من شعراء الهندية المسلمين .... للدكتور نذير احمد
تعريب : الاستاذ سعيد الاعظمى الندوى

١١ لال بهادر شاستری .... للاستاذ س . ل . غوش ٦٤

١٢ لال بهادر شاستری .... للبروفيسر دى . سى . شرما ٦٨
تعريب : الاستاذ محمد منور نينار

١٣ لال بهادر شاستری .... للاستاذ باقر على مرزا ٧٧
تعريب : الاستاذ محمود الحسن الندوى

١٤ اضواء على التاريخ الاسلامى فى الهند .... الاستاذ محى الدين الألوائى ٨٤

١٥ استعراض الكتب ١٠٠

١٦ الانباء الثقافية ١٠٣

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس : المستر محمد على كريم تشاجلا

يهدف المجلس — كما ينص دستوره — إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع فى معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها
(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية
(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند

شاسترى - وتحدى الاحداث

للاستاذ محمد وهبي عبدالعزيز

مع اختفاء نهرو من العالم الاسيوى الافريقى خشت القوى العاملة من أجل سلام يرتكز على تفهم لطبيعة العصر أن يكون المثلث الذى برز الى الوجود الدولى بالتعاون بين بلغراد والقاهرة ونيودلهى قد فقد أحد أضلاعه تاركا بذلك قوى عدم الانحياز دون نقطة ارتكاز ، خاصة وأن الهند تحت قيادة نهرو هى التى أعطت لعالم مضطرب قلق يعيش تحت تهديد حرب قد يكون فيها نهاية البشرية ، أول اتجاه سياسى أثبتت الايام جدواه وفعاليته فى تخفيف حدة التوتر والعمل على ايجاد تفاهم بين الكتلتين المتنازعتين فى ذلك الوقت . . . . . ويتلخص هذا الاتجاه — ولم يكن قد تبلورت جميع أبعاده بعد — فى عدم الانحياز لاى من المعسكرين القائمين لابمعنى الانطواء السلبى ولكن بمعنى التفاعل الايجابى دون قيود أو موقف مسبق يفرض ميكانيكيا بالانضمام لاى منهما .

تبلور هذا الاتجاه بعد انضمام كل من بلغراد والقاهرة ليصبح سياسة محددة لمعظم دول آسيا وافريقيا خاصة الدول التى خرجت حديثا الى العالم بكيان مستقل وارادت الاحتفاظ بهذا الاستقلال سواء كان ذلك فى النظام الاقتصادى الذى تتبعه داخليا أو فى نظرتها ومشاركتها فيما يجرى حولها . . . . فى الواقع كان الارتباط بين السياسة الداخلية والخارجية ارتباطا عضويا . . . . فالعمل على استقلال النظرة فى الحكم على المشاكل الدولية بشكل مصنوعى يتيح التحرك خارج الاحلاف والكتل من اجل الوصول الى سلام عالمى كان منطلقا لتحقيق النمو الاقتصادى الداخلى وتركيز المجهودات فى سبيله وحده .

ان استطرادى على هذا النحو فى التحدث عن سياسة عدم الانحياز له على صلة كبيرة فى تناول الحديث عن فقيد الهند العظيم لال بهادور شاسترى اذ ان دوره فى تطويع سياسة عدم الانحياز والتمسك بها خلال الفترة الحرجة التى مرت بها الهند تحت قيادته هى احد اسباب عظمته الذى غفل عنها كثير من المعلقين السياسيين .

ولكن نعود الى النقطة التى بدأنا منها ونستكمل الحديث من أوله ، نقول بصراحة ان الفترة الاولى التى تولى فيها شاسترى رئاسة الوزراء كادت ان يثور مخاوف البعض من ان الفراغ الذى تركه نهرو وراءه لن يملأ الا بمعجزة ولم يكن ذلك لعيب فى شاسترى ذاته ، ولكن بسبب عدة ظروف معقدة متشابكة فمثلا كانت شخصية نهرو فى الداخل والخارج محاطة بهالة غريبة تجعله يكتسب صداقة الجميع واحترامهم بسهولة فضلا عن ان اسم نهرو أصبح فى حد ذاته رمزا للهند بل كلمة مرادفة لها ، اذا ما ذكرت الهند كان الحديث عن نهرو واذا ما ذكر نهرو كان الحديث عن الهند . . . . لذا فعند ما ذهب نهرو شعر العالم وكأن كلمة الهند قد فقدت شيئا من معناها . . . . فاذا كان الامر قد وصل الى هذا الحد فهل كان من اليسير على العالم أن يتصور بديلا لنهرو ؟ . . . بالطبع لا . . . .

باختصار فان حلول شاسترى مكان سلفه العظيم كان فى حد ذاته عقبة كبيرة . . . حتى ولو كان ذلك من الناحية النفسية البحتة ، فان شعور المرء بمثل هذه الحقيقة قد يؤدى الى شلل تضعف امكانياته الحقيقية .

بالاضافة الى ذلك كانت هنالك عدة صعاب أخرى اعترضت طريق شاسترى . . . أهمها قد بدأ قبل موت نهرو نفسه ، وهى تتمثل فى المخاطر

التى حدقت بسياسة عدم الانحياز الوليد الشرعية لتفكير الهند السياسى ففى عام ١٩٦٢ تعرضت الهند لاكبر خطر واجهتها فى حياتها المستقلة كانت أولى نتائجه، وربما عن قصد، هو التشكيك فى جدوى عدم الانحياز . . . فقد وجدت الهند نفسها عندئذ فى موقف عسير فرض قبولها لاشياء لم تكن لتقبلها تحت ظروف عادية، . . . . فى هذه الفترة بالذات، فترة الشك من الداخل فى سلامة وجدوى عدم الانحياز، وفترة الشك من الخارج فيما اذا كان عدم انحياز الهند ما زال محتفظا بمقوماته، . . ذهب نهرو وحل محله شاسترى ليجد نفسه وسط عوامل جذب وشد تتطلب حكمة سياسية نادرة.

وكأن الظروف كلها قد تآمرت وتكالبت لتمتحن شاسترى فاذا بالطبيعة نفسها تغير من مجراها فتحبس عن الهند أمطارها الموسمية وتحبس معها خيراتها بشكل يهدد القوت اليومى لغالبية الشعب الهندى، مما شكل بالتبعية ضغطا اقتصاديا عنيفا يغرى بالتقرب ممن يستطيع مديد المساعدة وحده . . . . ومن هنا جاء خطر آخر هدد سياسة عدم الانحياز.

ازاء كل هذه المخاطر أشفق أصدقاء الهند على الرجل النحيل القصير القامة ذو القلب المريض الذى ظهر فجأة على مسرح السياسة الدولية ولم يتوقع البعض منهم أن يصمد أمامها . . . ولكن المعجزة التى أشرنا اليها فى أول الحديث أن لا بد منها لسد الفراغ وقعت . . . بل وقعت أسرع بما تنبأ به أكثر الناس تفاؤلا.

وسط هذه الاحداث المتلاحقة وأمام ضغطها المستمر تمسك شاسترى بسياسة عدم الانحياز واتخذ مواقف دولية جريئة أعلنت فى قوة

ان الهند مازالت تحتفظ باستقلالها كاملا فى الحكم على الاحداث الدولية دون أن يتأثر حكمها مثلا بمجاملة قوى هبت بخدمتها، أيا كان الغرض من وراء ذلك، وقت تهديد مسلح خارجى أو وقت تهديد داخلى على شكل أزمة غذائية طاحنة.

وذهب شاسترى فى تمسكه هذا على سبيل المثال الى حد اعلان رأى الهند، على أساس الحق وحده فى حرب فيتنام ثلاث مرات متتالية فى أقل من أسبوعين فى صراحة وقوة .... كانت هذه أول مره تظهر فيها صلابة هذا الرجل ذو الابتسامة الهادئة الصادقة والجسم الضئيل النحيل.

وقد تأكد بعد ذلك تمسك الهند بعدم انحيازها فى عدة مواقف أخرى أوضحت جميعها احتفاظ الهند بمكانها بجانب بلغراد والقاهرة كطليعة للقوى العاملة من أجل السلام والمناهضة للاستعمار فى شتى صوره وكان من بين هذه المواقف تأييد شاسترى القوى الذى اعلنه فى صراحة ووضوح عدة مرات لموقف العرب من مشكلة نهر الاردن نتيجة وعيه لحقيقة اسرائيل العدوانية ومطامعها التوسعية المنبثقة عن كونها جسرا للاستعمار ووجودا اجنبيا مفروضا على المنطقة.

وتوالت الاحداث دون رحمة تتبع خطى شاسترى فى شراسة غريبة فاشتبكت الهند لثانى مرة فى اقل من ثلاثة اعوام فى نزاع مسلح عنيف واذا بشاسترى الرجل الهادى المسالم الذى يبذل كل جهده للتلاقى مع وجهة نظر الآخر يرتفع الى المستوى الجديد الذى فرضته الاحداث فيظهر شجاعة نادرة وصلابة رائعة ويخرج من صراعه مع الاقدار بطلا ونجح فى رفع وحدة الشعور القومى الهندى دفعة ضخمة الى الامام.

بيد ان الانسان فى شاسترى لم يغفل لحظة واحدة عن مأساة الحرب وخاصة مع من ارتبط الشعب الهندى معهم برباط التاريخ ، فأمسك بقوة أول فرصة سمحت بانهاء الحرب لوضع حد لدمار لا طائل وراءه فضلا عن جزعه وخوفه من ظهور بوادر نشوء قومية متعصبة ضيقة التى لا بد من مصاحبتها لاى حرب تطول ، ومثل هذه القومية هى أشد ما كرهه شاسترى طول حياته وهو التلميذ المخلص لغاندى .

ولكن انهاء الحرب شئ واستقرار السلام شئ آخر . . . ومن هنا وضحت أهمية طشقند لشاسترى كفرصة مهما كانت ضئيلة لاحلال السلام محل هدنة قلقة . . . وبين قوة رغبته وعزيمته من أجل انتصار السلام وضآلة الفرص لتحقيق ذلك بل واستحالتها كما تصور كل المعلقين السياسيين وقتها شبت معركة مزج السلام منها منتصرا ولكن القلب الذى انذر صاحبه مرتين سابقا لم يحتمل اكثر من الصمود حتى نهاية المعركة فهوى الجسم النحيل . . . . وبقى شاسترى أغنية عذبة للسلام .

شاسترى فى سطور

الاستاد وصيح الدين الدهلوى

«ولد شرى لال بهادور شاسترى فى ٢ من اكتوبر ١٩٠٤ بـ«مغل سرائى» (Moghal Sarai) فى ولاية اترابراديش. وهذا من عجيب صنع القدر أن هذا اليوم يصادف يوم ذكرى ميلاد «المهاتماغاندى» الخامسة والثلاثين ومات أبوه حينما كان طفلا صغيرا.

«كان لال بهادور شاسترى قد بلغ السابعة عشره من عمره عند ما ارتفع نداء المهاتما غاندى. فانتسب بدون اى تردد الى الحركة التحررية والكفاح فى سبيل استخلاص الوطن تحت قيادة المهاتما غاندى، ولم يلبث أن سجن».

«وعند الافراج عنه التحق بجامعة «كاشى وديا بيتهم» (Kashi Vidya Peth) فى واراناسى (Varanasi) وحصل من هناك على شهادة شاسترى، ثم عاد مرة ثانية الى الاشتغال بالسياسة».

«وفى الثالثة والعشرين تزوج لال بهادور شاسترى من شريمتى للينا ديوى التى كانت رفيقة دائمة له حتى آخر حياته التى كرسها للتضحية والتفانى فى سبيل الامة».

«ساهم لال بهادور شاسترى فى جميع الحركات التى شنت أثناء كفاح الهند فى سبيل الحصول على استقلال البلاد. وزج به فى السجن سبع مرات».

وفى عام ١٩٤٦، انتخب نائبا فى الجمعية التشريعية باترابراديش، ثم عين سكرتيرا برلمانيا لرئيس الوزراء، ثم عين بعد ذلك وزيرا للبوليس والنقل. وظل يشغل هذا المنصب حوالى خمس سنوات».

وفی عام ١٩٥٢ ، اجريت اول انتخابات عامة فی الهند بعد الاستقلال وقد أسند حزب المؤتمر الهندی الی لال بهادور شاستری بعملية تنظيم الحملة الانتخابية» .

«واصبح لال بهادور شاستری عضوا فی مجلس الولايات فی الدورة الاولى للبرلمان وعين وزيرا اتحاديا للنقل والسكة الحديد فی عام ١٩٥٢» .

فی عام ١٩٥٧ انتخب عضوا فی مجلس الشعب مرة ثانية ، واسندت اليه وزارة النقل والمواصلات فی الوزارة الاتحادية» .

«فی عام ١٩٦١ ، عقب وفاة المستر كوبند بلبه بنت ، تولى لال بهادور شاستری منصب الوزارة الداخلية ، وهی وزارة هامة كل الاهمية» .

«ومن بين المشاكل المعقدة التی نجح فی حلها عقب توليه منصب وزير الداخلية مشكلة اللغة فی ولاية آسام» .

«وفی اغسطس ١٩٦٣ ، استقال لال بهادور شاستری من منصب وزير الداخلية لتكريس جهوده لاعادة تجديد منظمة حزب المؤتمر الهندی» .

«ولكن بعد ذلك بقليل استدعی مرة اخری وعين وزيرا بلا منصب فی الوزارة الاتحادية ، وهكذا خفف أعباء المسئوليات الثقيلة الملقاة على عاتق المستر نهرو رئيس الوزراء السابق» .

وفی يونيو ١٩٦٤ بعد وفاة نهرو حمل شاستری العبء الثقيل الذی كان يحمله نهرو ، وأصبح رئيس وزراء البلاد» .

ولقد قال ليلة وفاته لوزير الدفاع : (علينا الآن ان نكافح من اجل السلام بنفس الشجاعة والتصميم الذين كافحنا بهما ضد العدوان) .

شاسترى ـ فى نظر زعماء العالم

«لقد كان لال بهادور شاسترى وطنيا لايحب التفاخر ولكنه كان شديد المراس. سافر شاسترى الى طشقند ليصل الى اتفاق مع باكستان، وقد انتهت حياته ضحية ما بذله من جهود جبارة فى هذا السبيل.

قد مات شاسترى وهو يعمل من أجل احلال السلام والصداقة بين بلدينا، متناسيا مرارة الاعوام الماضية. واعتقد ان الاجتماعات التى عقدت بين زعيمى البلدين ساعدت كلا من الطرفين على جعل موقفهما أقل قسوة وعنفا.

لايمكن ان تحل مشاكلنا عن طريق الحرب ويجب ان ندرك انه اذا اردنا التغلب على العدو بالقوة فاننا بذلك نزيد العداوة والكراهية، كما ان محاولتنا للتغلب بالتفاهم وحسن النية تساعدنا على تحقيق السلام والصداقة.

واليوم، الشعب المعترف بالجميل فى حزن عميق، ان كل ما يمكننا ان نفعله هو ان نسعى جهد مستطاعنا لتوطيد دعائم مثل الوحدة، والوئام والاخاء مع جيراننا».

الدكتور رادها كريشنان
رئيس الجمهورية الهندية

* * * * *

«اننا اذ نبكى ونندب زعيمنا، يجب أن نكرس جهودنا وطاقاتنا للعمل على توحيد الشعب وتعزيزه، وعلى تهيئة مزيد من الرخاء والرفاهية

له ، الامر الذى لاجله عاش شاسترى ولاجله مات . ولا توجد هدية احسن من هذا نقدمها لزعيمنا الراحل كرمز لولائنا له » .

جولزاريلال ننداً
وزير الداخلية لحكومة الهند

* * * * *

« كنا — أنا وهو — قد نجحنا فى التوصل الى التفاهم فيما بيننا . وانى اعرف انه كان يريد السلام ، واطمئنوا انتم الى أننا أيضا نريد السلام . ان شاسترى قد مات فى سبيل السلام وتركت وفاته المفاجئة فى نفسى صدمة وحزنا عميقين » .

محمد ايوب خان
رئيس جمهورية باكستان

* * * * *

« ان وفاة شاسترى حدث اليم ، وخسارة سيشعر بها العالم اجمع » .

الملكة اليزابيث
ملكة بريطانيا

* * * * *

« لقد منى الشعب الهندى العظيم بخسارة فادحة بوفاة رئيس حكومته لال بهادور شاسترى ، رجل الدولة البارز والزعيم السياسى ، وان الشعب السوفيتى ليعرب عن عميق عطفه ويقدم خالص تعازيه للشعب الهندى الصديق .

اننا لنشعر بشدة ، بما فى هذه الخسارة من مرارة ومأساة ، لاننا خلال السبعة ايام التى استغرقتها اجتماعات طشقند ، اتيحت لنا فرصة

الاتصال المباشر بلال بهادور شاستري ، وان نرى كيف يكشف هذا الرجل النبيل عن نشاط وضبط نفس كبيرين ، مما هو خليق برجل الدولة الحكيم ، ويعمل بصبر لتسوية المسائل ذات الاهمية الكبرى بالنسبة للهند والسلام العالمى معا ، وكان الفضل الاكبر فى الوصول الى نتائج ايجابية لجهوده فى بحث الوسائل المؤدية لتسوية المشاكل التى تفرق الهند عن باكستان .

ان شاستري قد وضع حجر اساس للصداقة الهندية الباكستانية ، ووفاته صدمة اليمة ، وانها حدثت لغير اوانها ، وجميع الشعب السوفيتى يحنى رأسه أمام رجل قد عمل لسلام مستمر وصداقة دائمة على وجه الارض » .

اليكسى كوسيجن

رئيس وزراء الاتحاد السوفياتى

* * * * *

« علمت ببالغ الاسى والحزن نبأ وفاة لال بهادور شاستري الذى ظل يعمل حتى آخر لحظة من حياته من أجل السلام ومن اجل الهند . . . ان شعب الجمهورية العربية المتحدة الذى يقدر باعزاز الفقيد العظيم وجهاده من أجل السلام ليشاركنى فى تقديم العزاء لكم ولشعب الهند فى هذا المصاب الفادح » .

الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

(فى برقية بعث بها الى
رئيس الجمهورية الهندية)

* * * * *

« ان شاسترى بصفته زعيما لاكبر دولة ديموقراطية فى العالم كان قد احرز مكانا خاصا فى قلوب الامريكان. وفى مدة تسعة عشر شهرا القصيرة التى أمضاها كرئيس للوزراء أثبت عن جدارته كخلف لنهرو حيث ظل يحافظ على رأية الديموقراطية الهندية ورفعة مثلها. وكان بالرغم من منصبه الهام رجلا بسيطا غير انه فى نفس الوقت لم يخف قوته وحزمه كزعيم معترف به من قبل الشعب. ان العالم بعد مماته يبدو مكانا صغيرا، وقلوبنا تتجه نحو اسرته والشعب الهندى. ان موت شاسترى ضربة خطيرة لآمال الانسانية فى السلام والتقدم ».

ليندون جونسون

الرئيس الامريكى

* * * * *

« ان فترة تولى شاسترى لرئاسة الوزارة كانت قصيرة، ولكنها كانت حافلة بالانجازات ». المستر دين راسك

وزير الخارجية الامريكى

* * * * *

« ان الصفات التى كان يتحلى بها شاسترى، وهى الزعامة السياسية والاخلاق والنزاهة هى صفات كانت تتلقى تقديرا كبيرا ».

هارولد ويلسون

رئيس الوزراء البريطانى

* * * * *

« نعتقد بأننا ايضا نفهم رسالة هذا الرجل العظيم، انه اراد أن يجعلنا نفهم ان الصبر، والتحمل، والشجاعة، والاستقامة، والعزم، تلك هي الصفات التي يمكننا ان نتغلب بواسطتها على قوات الحقد والعداوة التي تجتاح الانسانية ».

هيوبرت همفري

نائب الرئيس الاميريكي

* * * * *

« ان الصفات الانسانية النبيلة التي كان يتحلى بها شاستري الزعيم الهندي الراحل، وجهوده المستمرة لتحقيق مثل الوحدة، والعدالة، والحرية والسلام، والصداقة، لن ينساها الشعب الالماني أبدا ».

لودفيج ايرهارد

مستشار ألمانيا الغربية

* * * * *

« ان شاستري كان احد اقطاب عدم الانحياز والزعماء الذين يسعون دوما الى السلام. ان اتفاقية طاشقند، العمل السياسي الاخير الذي قام به الزعيم الهندي الراحل يلقي ضوءا على المثل التي كانت محببة لديه، وعلى جهده المستمر في سبيل تحقيق أماني الشعب الهندي، والتعايش السلمي والصداقة والسلام في العالم أجمع ».

المارشال تيتو

الرئيس اليوغوسلافي

* * * * *

« انه كان رجلا يؤمن بالحرية وحسم الخلافات ، وجميع اعماله له لاجل الصداقة والسلام معروفة لدى العالم اجمع . ويمكن ان نرى هذا من خلال جهوده لاعادة العلاقات الى مجراها الطبيعى بين الهند وباكستان قبيل وفاته ، ان خسارة وفاة شاستری لم تكن على الهند فقط ، ولكنها خسارة للعالم أجمع » .

ايساكو ساتو
رئيس وزراء اليابان

* * * * *

« ان شاستری اعطى الهند زعامة وتوجيها عظيمين » .

يو ثانت
السكرتير العام للامم المتحدة

* * * * *

« ان موت شاستری غير المتوقع قد احزن الشعب اليونانى ، وان اليونان لايمكنها ان تنسى موقف شاستری تجاه المسألة القبرصية ، ان شاستری كان رجلا نبيلا مناضلا من أجل المثل العليا ولنجعله مثلا لنا جميعا نقتدى به » .

رئيس وزراء اليونان

* * * * *

« ان شاستری قد أوفى بما كان يتوقع منه أولئك الذين تنبؤا أنه سيكون خلفا ناجحا لجواهر لال نهرو ، وكل من يعرفه يحزن لفقده » .

المستر جالبرت
السفير الاميريكى السابق فى الهند

* * * * *

« رسالة شاستري للسلام مثل اعلى ينبغى للدول الاخرى ان تتبعه » .

سون سان

* * * * *

« ان شاستري منذ ان صار رئيس وزراء الهند فى يونيو ١٩٦٤ ، أكتسب المحبة والصداقة والاحترام لا من شعبه فقط بل من رجال السياسة والزعماء والشعوب فى العالم أجمع » . بال مارتين

* * * * *

« قد وجدته مسالما للغاية ، ومستعدا دائما لفهم وجهة نظر الآخر » .

سريمافو بندرا نائيكة

رئيسة وزراء سيلان السابقة

* * * * *

«ان العمل الاخير الذى قام به هو عمل سياسى عظيم فى سبيل خدمة الانسانية . ان اتفاقية طاشقند والروح المنبثقة منها تبرزان للعيان صفات الحزم السياسى ، والتمسك غير المشروط بطريق السلام ، والايمان القوى بالانسانية الفطرية » . الدكتور كلوفيس مقصود

ممثل جامعة الدول العربية فى الهند

* * * * *

« قالت صحيفة « أساهي » اليابانية فى عددها الصادر فى ١٢ من يناير ١٩٦٦ ، ان اتفاق طاشقند هو آخر هدية يقدمها شاستري للشعب الهندى .

واضافت ان شاسترى على الرغم من انه لم يكن مثل نهرو فقد كسب تأييد الشعب الهندى وكان واثقا من نجاحه فى اخراج شعبه من المشاكل التى يواجهها » .

« وصفت صحيفة «ليموند» المسائية التى تصدر فى باريس موت شاسترى بانه اختبار جديد مؤسف للهند . واضافت ان شاسترى كان يقف بحزم من المشاكل العديدة التى تواجهه وان الحكومة التى كان يرأسها استطاعت تخطى كثير من العقبات بنجاح » .

إنديرا غاندى

(ابنة الديموقراطية الهندية المعاصرة)

الاستاذ لطفى شلش

لم يحدث من قبل أن وقف كبار الكتاب والصحفيين حيارى أمام شخصية عالمية معاصرة؛ مثلما يقفون اليوم إزاء السيدة إنديرا غاندى، أول رئيسة للوزراء فى تاريخ الهند، وأقوى إمرأة فى العالم اليوم على الاطلاق إذ جاز لنا أن نقول ذلك. ومرد الحيرة - باعترافهم - أنهم لا يجدون جديداً يضيفونه إلى ما يعرفه القراء عنها سواء فى الهند أو فى الخارج؛ غير ان هذه الحيرة لا يمكن ان تقعد أبداً بالراغبين فى الكشف عن جوانب أخرى فى شخصية وحيدة جواهر لال والسيدة كملا نهرو.

وإن السائر على دربها من مهدها إلى مجدها، منقبا فى جوانب حياتها وفى الظروف الاخرى التى عاشتها أو مرت بها، لابد واصل إلى ما لا أمكن الوصول إليه حتى الآن عن «إنديرا بريادارشين نهرو» كما كانت تسمى عند مولدها وعند ما كان حملها على الراحتين متعة على ما عناه الاسم الأوسط من أسمائها «بريادارشين».

طفلة الثورة الهندية

ولدت رئيسة وزراء الهند فى عام الثورة الروسية، أى فى عام ١٩١٧، وكانت الثورة الهندية أيضاً تدق الأبواب بشدة، وبذا تكون ليست فقط طفلة الثورة الهندية؛ بل أيضاً طفلة الثورة الروسية، طفلة ثورتين كبيرتين غيرتا وجه التاريخ.

وقد ولدت وحيدة لأبويها ، بهية الطلعة ، رقيقة البنيان ، ولم تهنأ يو بلعبها أو عرائسها ؛ فقد كانت هذه اللعب والعرائس تتناقص يوماً بعد يوم ، كما كان أثاث بيت أبيها فى مدينة « الهآباد » يتناقص أيضاً وباستمرار نتيجة الاستيلاء عليه لدفع الغرامات المحكوم بها على والدها فى القضايا السياسية والمعارك القومية التى كان يخوضها ضد المستعمر مع زملائه أعضاء حزب المؤتمر ؛ لأنه كما قال نهرو فى معرض تأريخه لحياته : « كانت سياسة حزب المؤتمر عدم دفع الغرامات ، وعلى هذا كانت الشرطة تحضر يوماً بعد يوم وتصادر وتحمل معها قطعاً من الأثاث . وكانت انديرا ، ابنتى التى لم تكن قد بلغت من العمر غير أربع سنوات ؛ كانت تستاء جداً من عمليات تحطيم الأثاث المستمرة هذه ، كما كانت تحتج على الشرطة وتعبر عن عدم رضاها بشدة ، وأخشى أن تكون هذه المشاعر المبكرة قد لونت نظرتها فى المستقبل إلى رجال الشرطة بصفة عامة » . ودخلت السجن وهى طفلة أكثر من مرة ، دخلته عند ما كان أفراد عائلة نهرو يساقون إليه من وقت لآخر .

تلميذة أبيها

وتلقت إنديرا تعليمها فى كل من الهآباد وپونا وأوكسفورد وسويسرا ؛ غير أن دراستها كانت دائماً معرضة للانقطاع لأسباب كثيرة كدخول والديها إلى السجن أكثر من مرة ، ولظروف الحرب العالمية الثانية ولاضطرارها إلى تمريض والدتها أثناء مرضها ، ثم مرضها هى نفسها ؛ وهكذا لم تتمكن قط من الحصول على درجة علمية ؛ وإن كانت الدرجات الفخرية قد انهالت عليها فيما بعد من مختلف جامعات العالم ، ولا تزال ثمة جامعات تتسابق لمنحها درجاتها الشرفية .

وأيا كانت الدرجات؛ علمية أو فخرية؛ فان لأنديرا درجة لا يشاركها فيها أحد وتفخر بها على غيرها من الأطفال، تلك هى دراستها للتاريخ العالمى من خلال الرسائل التى كتبها لها والدها العطوف، والذى جمع فى شخصه بين صانع التاريخ وطالبه. ومن هذه الرسائل التى كتب الجزء الأكبر منها فى السجن ونشرت أخيراً تحت عنوان: «لمحات من تاريخ العالم» درست السيدة غاندى المذاهب الفابية والاشتراكية التى تتصل بالحياة التى لاتزال مستمرة حتى اليوم، وهى بهذا تكون حقاً ابنة جواهرلال نهرو وتلميذته فى وقت معاً.

شبابها وزواجها

فى شبابها كانت إنديرا تعانى من التهاب رئوى، تركها ضعيفة البنية، وكان الخوف من أنها قد لا تقوى على مواجهة الأعباء والمسئوليات، كبيراً ولكنها أثبتت أنها صنو أبيها، فى الجلد على العمل وتحمل المشاق، فضلا عن أنها تسير فى حياتها على نظام دقيق، حقيقة أنها ترهق نفسها فى العمل فى بعض الأحيان؛ غير أنها فى جميع الأحوال تحترم مواعيد نومها وطعامها.

ولقد كان زواج إنديرا بفيروز غاندى فى السادس والعشرين من شهر مارس عام ١٩٤٢، على غير رغبة والدها، بل على غير رغبة عائلة نهرو كلها وعلى غير رغبة المهاتما غاندى أيضاً. وينتمى زوجها فيروزغاندى إلى طائفة البارسى أى المجوس فى الهند، وهو ليس أحد أبناء المهاتماغاندى أو أى من أفراد أسرته كما يفهم انبعض، وأصبحت «إنديرا پريادارسشينى نهرو» تسمى بعد زواجها وحتى الآن بـ «إنديرا غاندى» نسبة إلى زوجها فيروز غاندى.

وانتصرت إنديرا فى النهاية على كل معارضة لزواجها من رفيق طفولتها فى الدآباد، وزميل دراستها فى بريطانيا، وكانت قد خطبت له سراً عند ما كانت تدرس فى اكسفورد وكان هو يدرس فى مدرسة الاقتصاد بجامعة لندن، كما كان كلاهما عضواً عاملا فى رابطة الهند التى كان يرأسها كرشنامنون. وتلقى ولداهما «راجيف» و«سانچى» دراستهما فى المملكة المتحدة (بريطانيا).

وتوفى فيروز غاندى اثر نوبة قلبية عاودته فى عام ١٩٦٠، وكان عند وفاته فى عمر زوجته الآن، أى فى الثامنة والأربعين، وكان قد جعل لاسمه مكانة عالية كعضو مستقل فى البرلمان، وكان لقاؤه بزوجته قبل وفاته نادراً، فقد كانت فى شغل شاغل عنه بوالدها تدبر له شئون حياته وتسهر على راحته وكانت لزوجها أيضاً أعماله ومصالحه التى كانت تشغله.

عهدها بالسياسة

أما السياسة: فقد أرضعت لبانها وتجرى الآن فى عروقها، وهى لاتزال تذكر أول اجتماع سياسى حضرته وكانت فى الثالثه من عمرها تجلس فى أحضان جدها «موتى‌لال نهرو»، ثم ذهابها إلى السجن وهى طفلة ضمن أفراد عائلة نهرو من وقت لآخر، والحكم الذى صدر عليها بالسجن ثلاثة عشر شهراً عقب زواجها مباشرة؛ ولم يكن يسمح لها بمقابلة زوجها غير مرتين فى الأسبوع، وقد قضت مدة العقوبة فى عنبر شديد الازدحام وتحت رحمة ظروف قاسية وسيئة للغاية، وبمجرد أن خرجت من السجن ألقت خطاباً أشادت فيه بالشرف الذى يناله كل من يلقى القبض عليه ويسجن من أجل حرية بلاده وقومه.

وكانت فى طفولتها فى الدآباد قد قامت بتنظيم « فانارسينا » أو فرقة القرود وهى جماعة من المتطوعين مهمتهم نقل رسائل حزب المؤتمر. ومنذ نالت الهند استقلالها، وإنديرا غاندى تتعرض لضغط شديد لحملها على القيام بدور سياسى ايجابى وعلى دخول الانتخابات لعضوية البرلمان؛ ولكنها قاومت كل هذا الضغط بعناد حتى وفاة والدها، وإن كانت قد قامت فعلا فى أول الخمسينيات بدور ايجابى فى انتخابات حزب المؤتمر وفى أوجه نشاطه المختلفة.

وبدأ عملها السياسى فى حزب المؤتمر يأخذ طابع الانتظام والعمق عند ما أصبحت عضواً باللجنة العاملة للحزب وعضواً بلجنة الانتخابات وبلجنة الاجراءات النظامية لحزب المؤتمر.

وكانت فى الواقع قد انتخبت رئيسة لحزب المؤتمر عام ١٩٥٩، وقد كشفت رئاستها للحزب عن مقدرتها الادارية، كما أبانت عن فطنتها السياسية، ولعبت دوراً حاسماً فى طرد النظام الشيوعى فى كيرالا، ثم تولت قيادة الحملة للقضاء على هؤلاء الشيوعيين الحمر.

وإن تعداد أوجه نشاط السيدة إنديرا غاندى المختلفة ليتطلب صفحات وصفحات، وإن حدبها على الفقراء ورغبتها الصادقة فى مساعدتهم ورفع مستوى معيشتهم إلى جانب محبتها للفنون وتشجيعها للفنانين والرسامين وغيرهم بما فطرت عليه من حب الجمال والانسانية الحساسة، لجزء من كل نشاطها الدائب. لقد ذكر أحد مرافقيها فى رحلتها إلى الاتحاد السوفيتى أنها أعجبت بجمال مدينة « تبليسى » عاصمة جورجيا وقالت تعبر عن هذا الاعجاب: « يستطيع الانسان أن يسكر من الخمر، غير أن جمال الأماكن كهذا المكان هو الذى يجعلنى أترنح. »

خطة المستقبل

إن ما تريده السيدة إنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند هو بلا جدال تحقيق ما تمناه والدها جواهرلال نهرو وما خطط له . ويعتقد البعض أنها ربما تتجه لتحقيق سياستها ناحية اليسار المتطرف خلافاً للسياسة التى تسير عليها الدولة الآن ، ولكن الواقع أنها ستكون فى سياستها متحررة من القيود العتيقة ، خارجة على الجمود الفقهى ، غير ملتزمة بتفصيلات أو بتعميمات من شأنها أن تعرقل تنفيذ خطط التنمية لمصالح فئة دون غيرها من الفئات أو لمصلحة أفراد على حساب مصالح الشعب ، واسوف تكون سياستها فى هذا كله ، رهن بحقائق الموقف ، محكومة بها وبما قد يشير به عليها مستشاروها ، وهى فى هذا قد تتبع نفس السياسة التى اتبعها شاسترى ووضعها نهرو لمصلحة الهند وشعب الهند .

وإن إنديرا غاندى . الرمز اللامع للوحدة الوطنية فى الهند اليوم ، لتجمع فى شخصها أيضا الأبعاد الثلاثة للديموقراطية الهندية المعاصرة : روحانية غاندى ، وفكر نهرو وخططه ، ومقدرة شاسترى على التطبيق والتنفيذ ، وهى بهذه الأبعاد التى تلاقت فى شخص واحد لأول مرة فى التاريخ ، شخص قدر له أن يجلس على القمة وأن يمسك بيديه زمام الأمور ، هى بهذا كله لا بد محققة ما تمناه والدها الراحل جواهرلال نهرو وما خطط له ، ومن ذا يمكنه أن يفعل ذلك غير ابنته وابنة الديموقراطية الهندية المعاصرة ، إنديرا غاندى ؟ .

اضواء على شخصية شاسترى

(من خلال خطبه وكتاباته)

« ان اكبر قضية للنوع البشرى اليوم ، انما هى العمل على اقامة الامن ، وتوطيد دعائمه بتخفيض الاسلحة . فالانسان منذ قرون بعيدة ، تراوده الامنية فى تحقيق الامن . وليس أهم ما تقوم به هيئة الامم المتحدة ، من الاعمال ان تعتبر الحرب غير قانونية فحسب ، بل وأن تعمل كذلك ، على اتخاذ ما يجعل الحرب غير ممكنة . ونحن نعد بالعمل على تحقيق هذا الهدف النبيل ، بالمشاركة مع الدول المسالمة المحبة للامن والسلام . »

(خطاب اذاعه للشعب فى ١١ يونيو سنة ١٩٦٤)

« الهند تكافح من اجل تطوير حياتها الاقتصادية . والامن العالمى لمثل هذا البلد شئ له أهمية رئيسية . وعند ما ننظر الى ذلك ، واضعين مصلحة النوع البشرى نصب اعيننا ، يزداد أهميته . ولا يمكننا ان نتغاضى عن حقيقة ، هى ان الحرب اليوم لم تعد قضية تقتصر على بلدين متحاربين فان الحرب يمكن ان يحيط لهيبها بالعالم كله اليوم . »

(من خطاب موجه للشعب أذيع فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٦٥)

« ان كانت الحرب المسلحة ، تضمن حلا لعدد من القضايا ، فانها تتمخض من دون شك — عن عدد اكبر من القضايا الاخرى . ومن ذلك يتصعب طريق الوصول الى المفاوضة والمصالحة . وعلى نقيض ذلك نستطيع فى جو من الامن ان نشق طريقنا الى فض الخلافات ، والمساهمة فى مضمار الرقى . »

تعالوا ، نبدأ الكفاح ضد الفقر ، والمرض ، والجهل ، بدل ان نتحارب فيما بيننا . فان كل ما لشعبى البلدين من القضايا ، والآمال ، والامنيات لا يختلف عما لبعضه من كل اولئك فى شئ . ولا يرغب كلا الشعبين فى الحرب ، والقتال ، وانما يتمنون الامن والرقى ولا يحتاجون الى عتاد الحرب والاسلحة ، وانما يحتاجون الى الخبز ، والملبس والمسكن . »

(من خطاب ألقاه فى طشقند فى ٤ يناير سنة ١٩٦٦)

« الهند بلد مسالم . لسنا نريد سلوك طريق المصادمة العسكرية ، حائدين عن طريق الرقى الاقتصادى والامن . وليس ذلك فى صالحنا » .

(من رد له على خطاب أوثانت المؤرخ بـ ٢ سبتمبر ١٩٦٥ م)

« لقد اختارت الهند طريق الامن ، والصداقة الذى دلنا عليه زعيمنا الجليل بانديت جواهرلال نهرو . وينظر العالم اليوم الى الهند باهتمام بالغ . وعلى كواهلنا مسئولية كبرى . فلا ينبغى ان نعمل عملا تتاثر به سمعتنا الطيبة . اننا نود قيام الامن فى العالم ، ونطلب من الجميع الصداقة . ومن أجل تحقيق هذا الهدف الاسمى نريد ان نعمل ما سمحت لنا بذلك الظروف . »

(من خطاب ألقاه فى الجماهير المحتشدة أمام القلعة الحمراء
بدلهى يوم الاحتفال بعيد الاستقلال بـ ١٥ اغسطس ١٩٦٥)

« لقد بذلنا محاولات ، للمسالمة والصداقة ، مع الدول المجاورة . ولقد كان ايماننا وثقتنا بقوى الامن حقيقيا واكيدا ، الى حد ، ان ارادتنا لم تتجه جيدا الى بناء طاقة بلدنا الدفاعية ، على طريقة مناسبة . غير ان الصين ، لما قامت بشن هجماتها العدوانية على حدودنا سنة ١٩٦٢ م ، أحسسنا بأنه كم يتحتم علينا أن نتهيأ ونستعد للدفاع عن حدود بلدنا » .

(من خطاب وجهه الى السكرتير العام
لهيئة الامم المتحدة فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٥م)

«لقد عهدت الهند انها لاتستخدم الاسلحة الذرية الا لاهداف تساعدنا على الامن. وبالرغم من اننا نستطيع بالنظر للناحية التكنيكية والعلمية ان نقوم بانتاج الاسلحة الذرية، بعثنا الى العلماء والتكنيكيين بتعليماتنا الصريحة الواضحة بان لايقوموا باية تجربة لاتهدف الى استخدام الطاقة الذرية، فى الاهداف السلمية.»

(من خطاب فى مؤتمر الدول المحايدة المنعقد بالقاهرة فى ٨ - ١٠ - ٦٤)

«ان نظريتنا التى ظللنا نؤمن بها دائما، هى عقد اتفاقية تنص على منع استخدام الاسلحة الذرية؛ وانه يجب على جميع الدول فى العالم، أن تتحد لانقاذ الانسانية من الويل. وانى كذلك أحس بضرورة اتحاد بلدان أوربا، وآسيا وافريقيا تلك التى لاتملك الاسلحة الذرية، لكن تقوم بالجهود المشتركة لتهيئة الرأى العام.»

(من خطاب القاه فى حفلة اقيمت على شرف
رئيسة وزراء سيلان فى ٢٢ - ١٠ - ١٩٦٤)

«قد ظل اسم كل من غاندى ونهرو باقيا لجزء كبير من بلادنا كرمز لحركات تحررية فى البلدان التى لم تزل تئن تحت وطأة النظام الاستعمارى. لقد قمنا لحريتنا بجهود بانفسنا، فلا يسعنا الا أن نؤيد تلك الشعوب التى تكافح من اجل استقلالها. ولقد ظلت بلادنا منذ سنوات تقف موقف التأييد والحماية، من تحرير البلدان المستعمرة، فى هيئه الامم المتحدة وفى غيرها من مجالس البلدان. ومن سوء الحظ أننا نجد نظام الاستعمار قائما، فى بعض الاقطار من العالم حتى اليوم. ويوجد هناك عدد كبير من الناس الذين حرموا الحرية والحقوق الاساسية. واننا نعتقد

انه من الواجب الخلقى علينا ، ان نقف موقف الحماية الصريحة لتلك الجهود التى تبذل فى سبيل القضاء على نظام الاستعمار ليكون الناس فى كل مكان احرارا يتمتعون بحق تقرير مصيرهم بأنفسهم . »

(من خطاب أذاعه للشعب فى ١١ - ٦ - ١٩٦٤ م)

« لانفكر فى الاتحاد الافروآسوى ، بحيث ان المهمة تنتهى بالوصول اليه فان فكرتنا عنه تتمثل فى ان ذلك سوف يؤدى بنا الى مقاصد أكثر نفعا وخيرا من ذلك . فتبعا لهذا الاتحاد تتوفر لنا الفرص المتكافئة للعمل على تحرير شعوب آسيا وافريقيا المناضلة ضد الاستعمار ، ولانشاء صلات الامن والصداقة بين جميع الدول ، وللكفاح فى سبيل رقى شعبنا ، الاقتصادى وتطوير مستوى حياته ، وليس مما نستهدفه من جهودنا فى هذا المجال ان نكون زعماء المجموعة الافروآسيوية ، فاننا نطمئن بكل تواضع الى ان نكون متعاونين مع تلك الدول الاخرى التى تعمل لاقامة الامن ، وتحرير مختلف الاقطار . »

(من خطاب مذاع للشعب فى ١١ من يونيو سنة ١٩٦٤)

« الهند والدول التى تحتل العضوية فى جامعة الدول العربية تحرص على حماية مبادئ الحياد الايجابى ، والمعايشة السلمية ، ونزع السلاح ، والكفاح ضد الاستعمار والعنصرية . وكلما حاولت القوى الاستعمارية أن تبرز من جديد فى بقعة من بقاع الهند او الدول العربية ، قامت الهند والدول العربية فى وجهها صفا واحدا لمناصرة بعضها بعضا ، الامر الذى لم يزل له أهمية وخطورة . وهذا هو المبدأ الذى ظل أساسا للتعاون القريبى فى هيئة الامم المتحدة ، وفى داخل مؤتمراتها الدولية ، وفى خارجها . وأما فيما يتعلق

بالهند فنستطيع أن نقول بكل تأكيد أنها لاتزال تتمسك بسياسة الصداقة هذه تجاه الدول العربية، وتؤيد الامة العربية فى أمانيها تأييدا مطلقا.»

(رسالة بعث بها الى مؤتمر رؤساء وملوك الدول العربية
المنعقد فى ١٥ سبتمبر ١٩٦٥ فى الدار البيضاء

«الهند والباكستان دولتان متجاورتان عظيمتان، ويربطهما اشتراك التاريخ، والتقاليد برباط وثيق، الامر الذى يستلزم طبعا ان تقوم بين البلدين علاقة التعاون والتصادق. وليست صلات الصداقة والود والتعاون بين البلدين لتتمخض عن فائدة عظيمة لهما فحسب، بل ان ذلك يتسبب فى توطيد دعائم الامن فى آسيا كلها، وازدياد الرخاء والرفاهية.»

(من خطاب اذاعه للشعب فى ١١-٦-١٩٦٥)

«أما ما يتعلق بالدول الخارجية، فاننا نريد ان ننشئ علاقات الصداقة مع جميع الدول، ونزيد من توطيد صلاتنا القائمة الراهنة، مهما اختلف ما تتمسك به هذه الدول من النظريات والنظم السياسية. وأما فيما يتصل بالقضايا الدولية والروابط القائمة مع الدول الاخرى، فانما تكون سياستنا الاساسية «المحايدة» وان جهودنا تتركز على انشاء العلاقات بالدول المجاورة وتطويرها على وجه خاص.»

وان هناك عددا من القضايا النزاعية بيننا وبين الدول المجاورة وانما تكون رغبتنا أن تسوى هذه القضايا فى جو من الامن والصلح سوية عادلة مشرفة.»

(من خطاب أذيع فى ١١ - ٦ - ١٩٦٥)

« اننا نؤمن بالامن ، ونؤمن كذلك بتسوية جميع القضايا تسوية آمنة . وانه لمن الممكن أن تعقد اتفاقية بشأن كثير من القضايا بين الهند وباكستان . ويمكن ان تتماثل علاقاتهما للتحسن . ويؤسفنا ان باكستان قامت بالعدوان ضدنا ثلاث مرات . ولقد تريثت الهند وأخذت بالصبر طويلا وانه لمن الممكن ان يتجنب كلا البلدين كل نزاع اذا تمسك الرئيس ايوب خان كذلك بالتحمل . »

(خطاب امام المرشحين من المتدربين فى
آئى - اى - ايس (I.A.S.) فى ٣٠ من سبتمبر ١٩٦٥)

« يجب على جميع دول آسيا ان تقوم ببذل ما يمكن لها من المحاولات لدعم الامن فى هذه القارة . ولايغربن عن بالنا ابدا ، ان جميع دول آسيا تقريبا تمر الآن بمختلف المراحل من الرقى . وهناك اعمال كثيرة يجب ان تقوم بانجازها تحقيقا لصالح شعوبها . وتطبيقا للنظام الاجتماعى الجديد . »

(خطاب افتتح به الاجتماع الدولى المنعقد لدراسة
الصالح المجتمعى فى ١٣ من ديسمبر ١٩٦٥)

« قد انقرض الاستعمار اليوم فى العالم تقريبا ، الا فى بعض الاقطار ومن الطبيعى أن تشعر آسيا وافريقيا تجاه آخر آيات الاستعمار هذه بقلق واستيلاء . فلا تزال البرتغال مثلا تتمسك الى اليوم بسياسة لاتتفق مع العصر الحديث . اننا نحب ان تتحرر المستعمرات البرتغالية كـ «موزمبيق» و «انغولا» وغيرهما من المناطق ، من براثن الاستعمار فى اقرب وقت ممكن . »

(نفس المرجع)

«لقد اعلنا اكثر من مرة أن ليس لنا نزاع مع الشعب الباكستاني، وفى أنفسنا تجاهه تمنيات طيبة، حتى ان الحملات التى قمنا بها فى الحرب الاخيرة انما كانت موجهة ضد الآلات الحربية .»

(خطاب اذيع للشعب فى ٢٣ من سبتمبر ١٩٦٥)

(نقلا عن جريدة «الجمعية» اليومية التى تصدر
عن «جمعية علماء الهند» باللغة الاردوية فى دلهى .)

تعريب : الاستاذ عميد الزمان القاسمى الكيرانوى

شهيد السلام الذى غاب

بقلم : الدكتور جورج حنا

وهذا عظيم يسقط فى ساحة الكفاح من أجل السلام .

انذره قلبه المريض فتمرد على الانذار .. فقامر بحياته ، وقطع الاجواء ، ليلتقى مع خصمه ، فى مؤتمر ، ما ذهب اليه الخصمان ، الا لايمانهما بحسن ارادة الداعى واخلاصه فدخل الزعيمان الى المؤتمر خصمين .. ثم خرجا منه صديقين .

وسكت القلب المريض .. ومات شاسترى شهيد السلام .

فى طشقند وقع شاسترى اتفاقية السلام

وفى طشقند مات شاسترى شهيد السلام

وبكاه العالم أجمع . وكان أول الباكين خصمه بالامس .

وجلال الموت أن يبكى للميت خصم الميت .

ان موت شاسترى ليس خسارة هندية فقط .. ولا هى خسارة اسوية فقط .. وانما هى خسارة عالمية ، لا يخفف من وطأتها الا ثقة الشعوب وايمانها ، بان الارض التى اعطت الدنيا غاندى ، ونهرو ، وشاسترى ستعطى خليفة لهم ، يمشى على خطى عظمائها الثلاثة . لقد مات شاسترى فى طشقند ، ولكنه مع كبيرين آخرين بعث فى العالم روح طشقند .

انديرا

(ابنة نهرو وخليفة شاسترى)

بقلم : السيدة تهانى بدوى المفتشة
بوزارة التربية والتعليم المصرية

إذا تصفحنا أى كتاب من كتب التاريخ التى أرخت للهند الحديثة فلا بد وأن نجد فيها ـ اما باسهاب أو بايجاز ـ ذكر المسز انديرا غاندى لا باعتبارها ابنة للزعيم جواهرلال نهرو فحسب، بل باعتبارها احدى الشخصيات التى قامت بدور بطولى والتى لمعت فى المعارك النضالية من اجل تحرير الهند.

واذا كانت السيدة انديرا قد انتخبت بالاجماع لتكون رئيسة وزراء الهند، ولتتحمل أمانة ادارة دفة الامور فى أمة عظيمة يبلغ تعداد مواطنيها سدس سكان العالم تقريبا. ولتواجه أعظم المسئوليات خطورة وأشد المشاكل تعقيدا، فان الاقدار قد تولت ـ من قبل رعايتها وربتها ودربتها وصقلتها وأنضجتها وادخرتها حتى حان موعد قطافها، وجاء الوقت الذى اصبحت فيه الشخصية الوحيدة فى الهند كلها القادرة على الاضطلاع بكفاءة بأعباء الحكم فى الامة الهندية العظيمة.

ولقد صادف ميلاد انديرا غاندى فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٧ م، بداية الحركة الوطنية فى الهند . . . وكان غاندى هو وحى هذه الحركة والهامها الدائم بينما كان نهرو هو قائد هذه الحركة وبطلها المناضل، وبين غاندى ونهرو نشأت انديرا وترعرعت ورضعت لبان الوطنية، وتشبعت بمبادئ الحرية، وتمرست على قسوة الكفاح ومرارة النضال فى سبيل المثل العليا والقيم الانسانية النبيلة.

لقد كان بيت نهرو آنذاك هو قلعة الكفاح الوطنى فى الهند. وفى هذا البيت - بل فى هذه القلعة - ولدت ونشأت انديرا ابنة نهرو الوحيدة. وبعد وفاة والدتها كان لزاما عليها - وهى لا تزال فى سن مبكرة - أن تضطلع وتنهض بمسئوليات سيدة هذا البيت ومديرته.

وهكذا شاءت الاقدار أن لا تكون مجرد ابنة لقائد الشعب الهندى، بل أن تكون أيضا شريكة وزميلة له فى معركة الكفاح التى كان يخوضها الشعب الهندى برمته لتحرير نفسه من الاستعباد الذى فرضه عليه مستعمر قوى مستبد ظالم.

وفى خلال الفترة المبكرة من حياة انديرا كان والدها نزيلا للسجن باستمرار لا يخرج منه الا ليعود اليه مرة أخرى. ومن غياهب هذا السجن خرجت ومضات وضاءة من الادب الرفيع والفكر السامق والمبادئ السامية تضمنتها رسائل كتبها نهرو الزعيم والاديب والعالم والانسان الى ابنته ... انديرا .... التى كانت تقرأ هذه الرسائل وتعى ما فيها فتزداد نضجا فى الفكر وعمقا فى الاحساس، ومعرفة للقيم والمبادئ النبيلة، وتقديرا للتضحية من كرامة الانسان.

ولقد جمع نهرو فيما بعد هذه الرسائل وطبعها فى كتاب تحت عنوان «خطابات من والد الى ابنته»، والذى يقرأ هذا الكتاب يدرك ان هذه الرسائل وحدها كانت تكفى لكى تزود انديرا بنصيب وافر من الثقافة والمعرفة لا يتاح حتى لحملة الدرجات الجامعية، ولكن نهرو الوالد حرص على ان تحصل ابنته على كل ما يمكن ان يتاح لجيلها فى مجال التعليم فألحقها بجامعة طاغور الشهيرة «وشوا بهارتى» فى «شانتينكيتان»

(بنغال) تحت اشراف ورعاية شاعر الهند وفيلسوفها الاكبر «طاغور» الذى كتب عنها تقريرا أرسله الى والدها ووصفها فيه بقوله: «ان لها نفس شخصيتك، ولها نفس اسلوبك فى الحياة، ولها نفس آرائك».

ولقد اختار لها والدها هذه الجامعة لكى يثبت فى كيانها الشخصية الهندية، وينمى فى نفسها احترامها للتقاليد الهندية ايضا.

ولقد برزت شخصية انديرا وتجلى انفعالها بالروح الوطنية الهندية وهى لا تزال فى سن الثانية عشرة حينما نظمت فرقة من اترابها الصبية وقادتهم لمؤازرة حزب المؤتمر الوطنى الهندى فى احدى حركات «العصيان المدنى» التى كان يقوم بها الحزب آنذاك.

وحينما سافرت الى لندن لتستكمل دراستها فى الجامعات الانجليزية ظلت وفية لقضية بلادها. ولم يفتر حماسها أو يقل نشاطها فى الكفاح من مستقبل الهند وحريتها، بل كانت تتزعم الطلاب الهنود فى جامعات انجلترا وتقوم بشن حملات ضد الاسد البريطانى وهو لا يزال فى عنفوان قوته وفى داخل عرينه.

ولقد اكتملت شخصية انديرا فوثق فيها والدها، وازداد اعتماده عليها وحدد لها دورها الهام المستقل فى مجال الكفاح الوطنى والخدمة الوطنية حتى استعادت الهند حريتها وحصلت على استقلالها.

ومع بداية الاستقلال جرت بعض الحوادث المؤسفة فى الاقاليم الهندية الشمالية، وابان تلك الفترة لم يجد نهرو شخصية يمكن الاعتماد عليها أفضل من ابنته انديرا لتعمل على تهدئة الاضطرابات الطائفية التى جرت فى دلهى واترابراديش والبنجاب، ولقد كانت للجهود التى بذلتها انديرا

أثر واضح فى انهاء الحوادث الدامية التى كادت تصيب الهند بكارثة تفقدها بهجة الانتصار والفوز بالاستقلال والحرية .

ومنذ ذلك الوقت عملت انديرا كسكرتيرة لوالدها ، واندمجت معه فى اعمال الوزارة وفى شئون الحزب فتمرست على الامور الحزبية وتعرفت على اعمال الحكم وتعلمت وسائل التغلب على المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتعددة والمعقدة فى آن واحد .

ولقد بلغت ثقة نهرو وبقية ساسة حزب المؤتمر بمسز انديرا غاندى وبكفاءتها وبنضجها السياسى أن انتخبوها كرئيسة للحزب فى عام ١٩٥٩ م .

وفى حياة والدها كانت تقوم بدور المضيفة وتشاركه فى استقبال الزوار الاجانب . كما كانت تحضر أهم واخطر الاجتماعات الخاصة التى كان يعقدها والدها مع زعماء الدول الاجنبية ، وتشارك فى المباحثات التى كانت تجرى خلال هذه الاجتماعات ، ومن ثم تعرفت على معظم الشخصيات السياسية والحاكمة فى جميع انحاء العالم ، وهى الآن تعلم ميولهم واتجاهاتهم ، وهم بالتالى يعرفونها جيدا ويعرفون مدى كفاءتها ومدى تحمسها للمبادئ التى كان يؤمن بها والدها .

وحينما تولى شاسترى رئاسة الوزارة بعد وفاة نهرو اختارها وزيرة للاعلام والصحافة ، كما انتخبت فى نفس الوقت عضوا فى البرلمان الهندى . وفى سنة ١٩٦٤ حينما لم يستطع شاسترى حضور مؤتمر رؤساء وزراء دول الكومنولث تجلت ثقته فيها باختياره لها لتنوب عنه فى رئاسة الوفد الهندى الى ذلك المؤتمر .

وبعد ان منى الشعب الهندى بفقد رئيس وزرائه شاسترى تطلعت الامة الهندية تبحث عمن يمكن أن يكون كفأ للاضطلاع بمسئولية تنفيذ

المبادئ العظيمة التى استوصاها نهرو العظيم من غاندى الاعظم فلم تجد سوى انديرا ابنة نهرو وربيبة غاندى فاختارتها لتكون رئيسة عظيمة لحكومة شعب عظيم .

واذا كانت انديرا قد احرزت هذا المجد كله لمزاياها الشخصية ولكفاءتها وامكانياتها الشخصية فانها فى نفس الوقت أيضا قد أقامت الدليل على أن الذكاء والقوة والكفاءة والايمان بالمثل وبالقيم والتضحية من أجلها ليست احتكار للرجل . بل ان المرأة أيضا تستطيع بكل اقتدار ان تقوم بأشق المهام وتضطلع بأخطر المسئوليات اذا واتتها الفرصة واذا وضعتها الظروف فى مستوى المسئولية .

شاسترى : تاريخ كفاح وحياة بطولة

الاستاذ زاهر عرب الزغبى مبعوث الازهر بالهند

إن الظروف التى استقبل فيها شاسترى ملاك الموت كانت ظروفا غير عادية ، فمن غير المألوف أن يسعى أحد كبار رؤساء الوزارات إلى بلد غريب ليموت فيه ، وغير مستبعد أن يكون لال بهادور شاسترى رئيس وزراء الهند كان يعانى أزمات المرض الذى أودى بحياته ، أو على الأقل كان يشعر بأن صحته ليست على ما يرام ، ومع ذلك تحامل على نفسه ولم يتردد فى أن يقطع آلاف الأميال إلى طشقند لكى يحضر مؤتمرا صعبا من المؤكد أن تجرى فيه مجادلات حامية وتبحث فيه أمور معقدة متشابكة من أجل التوصل الى حل معقول لمشكلة كشمير المزمنة ، تلك المشكلة التى طال عليها الأمد ، والتى بقيت مدة طويلة كخراج دام لا يندمل فى جسم شعبين شقيقين ، هما شعب الهند وشعب باكستان ، أو بعبارة أصح فى جسم توأمين عاشا طوال حقب التاريخ فى أرض واحدة ، واستظلا براية الوطن الواحد ، وخاضا معا فى صف واحد معارك قاسية ضد عدو مشترك ، وارتوت أراضى شبه الجزيرة الهندية بدمهما الممتزج ، من أجل الأهداف النبيلة المشتركة . . ومن أجل الحرية المشتركة والكرامة المشتركة .

وهكذا مات شاسترى وهو يسعى من أجل تحقيق أمنية نبيلة : هى أن يعود الوئام بين أخوين طال خصامهما ، وأن يسود السلام شبه الجزيرة الهندية ، وأن يتحقق التعايش السلمى المثمر بين الهند وباكستان .

ولقد رحمته الأقدار فأبقت على حياته حتى رأى الأمنية الجميلة تتحقق ، وحتى وقع الاتفاقية التى طال تشوقه اليها . تلك الاتفاقية التى يمكن أن تسمى عن جدارة بـ « وثيقة السلام » .

وفى غمرة الفرحة والبهجة اللتين اجتاحتا العالم باعلان توقيع اتفاقية طشقند وبتصافح الأخوين ايوب خان وشاسترى جاء ملاك الموت ليسبل عينى رئيس وزراء الهند بعد أن رأى بهما مساعيه وقد توجت بالنجاح .

وإذا تتبعنا تاريخ حياة شاسترى وجدناه دائما رجلا مسالما يسعى باستمرار من أجل أن يسود السلام كل مكان يحل به وكل مجتمع يعيش فيه .. حتى وهو فى غياهب السجن كان دائما رسول سلام بين زملائه من نزلاء السجن إذا شجر بينهم خلاف ، وليس ذلك فحسب بل كان يتدخل أيضا لفض أى نزاع ولحل أية مشكلة تنشأ بين زملائه المساجين وبين الضباط الرسميين المشرفين على السجن . اما فى حزب المؤتمر الوطنى الهندى فان الكثير جدا من ساسة الهند الكبار — ومعظمهم الآن على قيد الحياة — يشهدون بأن شاسترى كان دائما رجلا ناجحا فى التوفيق بين الآراء المتعارضة والاتجاهات المتباينة . كما كان دائما حمامة سلام كلما حدث سوء تفاهم يحصل مثله كثيرا فى كل حزب أو منظمة سياسية فى جميع أقطار العالم التى تتمتع بالديموقراطية الحقيقية حيث تتشعب وتتباين الآراء وتختلف وجهات النظر .

وإذا كان شاسترى قد نجح فى مثل هذه المهام فان ذلك لم يكن إلا لأنه كان رجلا نزيها مجردا عن الهوى ، وشريفا ليست له أطماع شخصية ، فلا يتحيز أو ينحاز لهذا الجانب أو ذاك لفائدة يرتجيها لنفسه أو لمطمع يبتغى الحصول عليه لشخصه . كما كان يمتاز بذكاء لماح وفكر ثاقب وألمعية وضاءة جعلته بكل سهولة يدرك أين يكون الصواب وأين يكون الخطأ . ومثل هذا الرجل — إن وجد — لابد وأن ينال ثقة واحترام

رئيسة وزراء الهند الجديدة مع الفقيد لال بهادور شاسترى

وحب وتقدير كل الناس . فاذا ما أدلى برأى فى مناقشة تحترم أو أتى بحل لمشكلة تبحث فلابد وأن يكون مقبولا ومطاعا من الجميع .

وقد كان شاسترى هذا الرجل بلا نزاع وبلا جدال .

وليس هذا قولا يلقى على عواهنه أو حكما يساق جزافا بل إن تاريخ حياة شاسترى يؤكد ذلك ويبرهن على صحته وكذلك شهد به كل ساسة الهند العظام — ممن عرف عنهم المقدرة على التعمق فى فهم حقيقة الرجال وعلى تحليل شخصياتهم — أمثال غاندى ونهرو وكثيرين غيرهما .

وفى هذا المقام ينبغى علينا أن لانغفل ما شهد به هؤلاء الرجال وما أسبغوه على شاسترى من أوصاف حتى يسهل علينا فيما بعد أن نفهم حقيقة العظمة فى هذا الرجل حين نسرد بايجاز تاريخ كفاحه من أجل بناء شخصيته ومن أجل بناء وطنه ومن أجل تحقيق الخير والرفاهية والسلام للانسانية برمتها .

وهناك شهادتان توضحان أظهر معالم شخصية شاسترى وأخلاقه . كانت الأولى من الزعيم نهرو الذى وصفه بقوله : « إنه — أى شاسترى — رجل كامل وشريف ويقظ الضمير ولا يكل من العمل الشاق » ، أما الشهادة الثانية فكانت من رجل جرب شاسترى طويلا وعمل معه فى الحزب وزامله فى السجن فى فترة الكفاح الوطنى ، وهذا الرجل هو شرى پروشوتم داس تندن الرئيس السابق لحزب المؤتمر حيث يقول : « ان شاسترى يتمتع بعبقرية عظيمة فى الامساك بزمام التوازن ، كما لاتخذله شجاعته حين تعترضه المواقف الصعبة والمشاكل المعقدة ، وهو جد قدير على إيجاد حلول وتسويات معقولة لهذا كله » .

وفى الحقيقة كانت حياة شاسترى التى طالت الى واحد وستين عاما حافلة ولم تخل أبدا من المواقف الصعبة . بل كانت كلها سلسلة من المشاكل الخاصة والعامة .

وربما كان أصعب موقف وأعقد مشكلة واجههما شاسترى طوال حياته هو موت والده وقت أن كان هو طفلا .. وهكذا تحتم على شاسترى اليتيم أن يكافح الحظ السئ وأن يجابه صعوبة الحياة كى يبنى شخصيته ومستقبله لقد نجح فى ذلك . وأى نجاح أعظم من أن يكون خليفة لنهرو العظيم ورئيسا لوزراء الهند ؟ . تلك الأمة التى يبلغ تعدادها أربعمائة وثمانين مليونا من البشر يملأون مساحة تبلغ ملايينا عديدة من الكيلومترات المربعة .

وكان من الطبيعى أن يكون شاسترى — وهذه نشأته — مرهف الاحساس فيشعر شعورا تاما بآلام شعبه وبمعاناته من مظالم وجود المستعمر . وقد جعله هذا وهو لايزال صبيا يمتلئ حماسا فيساهم فى إنجاح «مسيرة الملح» ويستجيب لنداء غاندى فيتزعم فى عام ١٩٦١ حركة الطلاب لمقاطعة المدارس التى أنشأتها الحكومة الاستعمارية ، وبسبب هذا يقبض عليه مع عدد من زملائه الطلاب ويساقون إلى السجن . وفى السجن يلتقى شاسترى بمعظم الزعماء والساسة الوطنيين الكبار فتتفتح عيناه وقلبه على صور العظمة والكفاح ، ويتذوق بعقله وبوجدانه أجمل المعانى النبيلة السامية التى تتضمنها التضحية الشخصية من أجل كرامة الانسان وحريته .

ومن ثم بدأ شاسترى أولى خطواته فى طريق الكفاح الوطنى الذى خاض كل معاركه التالية بعناد وبقوة وبعزم وبصلابة . وفى نفس

الوقت وبنفس العناد والاصرار والصلابة واصل دراسته حتى حصل على درجته الجامعية التى تسمى « شاستري »، وهى تسمية هندية معناها « العلامة أو الفقيه ».

وبعد حصوله على هذه الدرجة العلمية التى اصبحت لقبا اشتهر به وامتزج باسمه تفرغ للكفاح الوطنى؛ وسجن عدة مرات؛ حتى حصلت الهند على استقلالها .

ولم تخف على نهرو الميزات التى تتمتع بها شخصية شاستري ولا تضحياته النبيلة من أجل الوطن فاختاره كوزير للدولة فى أول مجلس وزراء تألف تحت رياسته فى الهند المستقلة. ومن النوادر التى تروى أن شاستري وجه لنهرو آنذاك السؤال التالى: « ما هى واجباتى كوزير دولة ؟ » فأجابه نهرو بقوله: « واجباتك هى أن تقوم بواجباتى » .

وليس معنى هذا أن نهرو كان يثق فى كفاءة شاستري فحسب بل إنه كان يثق أيضا فى نزاهته وأمانته .

ولقد تجلت نزاهة شاستري وامانته حينما تولى فيما بعد منصب وزير السكك الحديدية، حيث حدثت فى عهده الحادثة المشهورة التى أصيب وقتل فيها كثير من الركاب، فهزت هذه الحادثة كيان شاستري وآلمت ضميره، واعتبر نفسه مسئولا عن هذا الحادث، فقدم استقالته من منصبه وسجل فى النص الرسمى لاستقالته على نفسه مسئولية التقصير .

ولما اعتزل شاستري منصب الوزير أراد أن يعوض وطنه عن مسئوليته فى تلك الكارثة فأكب على العمل الشاق - داخل التنظيم الحزبى - فى وضع برامج التنمية ومشاريع التصنيع التى تكفل للهند اكتفاء فى الانتاج ورواجا فى الاقتصاد .

ولقد تجلت أمانة وصلابة شاستری وشجاعته فی مجابهة للواقع حين كان وزيرا وحين كان رئيسا للوزراء فقد اعلن بشجاعة أن فی الهند فسادا يجب أن يقضى عليه وأن هناك ساسة وموظفون ماتت ضمائرهم وينبغی أن يستأصلوا وأن يبعدوا كلية عن مراكزهم ووظائفهم، وألف لجانا برلمانية وقضائية لتقصى أسباب الفساد ومواطنه والكشف عن المفسدين.

وفی ذات يوم من خريف عام ١٩٦٤ روعت الدنيا كلها بوفاة بطل الهند العظيم الBاندیت جواهرلال نهرو، واجتاح العالم شعور بالرهبة والجزع، وتوجس الناس خيفة من أن لا يكون فی الهند من يستطيع أن يملأ فراغ الراحل العظيم. ولكن شاستری أثبت للعالم أجمع - فی خلال مدة حكمه القصيرة - انه جدير بأن يملأ هذا الفراغ الهائل. كما أثبت أيضا أن عظمة الانسان لا تقاس بماله ولا بحسبه ونسبه وإنما تقاس بمدى كفاءته فی الاضطلاع بمسئولياته وبتضحياته فی سبيل أمته.

وإذا كان شاستری أخيرا قد مات فان التاريخ الانسانی سيخلد ذكراه كنموذج صادق للبطولة النادرة وللعظمة الحقيقة وللكفاح الشريف.

العلاقات الهندية العربية فى قديم الزمن

يرجع تاريخ العلاقات بين الهند والعرب الى عصور قديمة جدا ، وهى علاقات كان لها اثر بعيد فى تطور الحضارة فى البلدين .

وكانت هذه العلاقات فى بادئ الامر ذات طابع اقتصادى بحت ، تقوم على تبادل السلع والبضائع بين البلدين ، ولكنها نمت بعد ذلك وتنوعت بحكم الاختلاط والتعارف فلم تعد قاصرة على الصلات التجارية بل تعدتها الى حقول اخرى من مظاهر الحياة . وليس أدل على ذلك مما ذكره بعض الكتاب العرب فى مؤلفاتهم من ان قبيلة « جات » وهى احدى قبائل الهند المشهورة بشجاعتها ، ناصرت العرب فى نضالهم مع الفرس فلما انتصر العرب واستتب امرهم اكرموا رجالها وعاملوهم معاملة الاخوة فأصبحوا وكأنهم من العرب انفسهم .

وفى رواية لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه رأى مع النبى صلى الله عليه وسلم قوما يشبهون فى ملامحهم أهل هذه القبيلة ، كما روى ان على بن ابى طالب قد أقام من بعض هؤلاء القوم حراسا اشداء وأمناء على خزائن المسلمين فى البصرة . أما معاوية رضى الله عنه فقد اسكنهم فى سورية واتخذهم عضدا فى مقاومة الروم والدفاع عن بلاده . فلما جاء الوليد بن عبد الملك اسكنهم فى انطاكية . وهكذا كان الهنود فى ذلك الوقت يسيرون كتفا الى كتف مع المسلمين فى شتى مدن الخلافة الاموية ويتمتعون بحرية الاقامة والتنقل فيها .

وثمة مظهر آخر من مظاهر هذه الصلات القديمة بين الهند والعرب . ذلك هو تبادل الكلمات والمفردات بين اللغتين مما يقوم شاهدا على مدى

الصلات القائمة بين الامتين. فقد دخل الى اللغة الهندية من الكلمات العربية قدر ما دخل الى اللغة العربية من العبارات الهندية. فكان من الكلمات العربية المستعملة فى الهند: صابون، وقميص، وحكيم، وعلاج، وجلد، وطلاق، ويتيم، ووالدان، وانه لمما يشرفنا نحن اهل الهند، ونعتز به ايما اعتزاز ان القرآن الكريم استعمل بعض الكلمات الهندية المعربة، نذكر منها: «مسك» و «كافور» و «زنجبيل».

وكان فى الهند حتى قبل ظهور الاسلام بزمن بعيد. من كانوا على علم بلغة العرب ولهجاتهم فهما وحديثا.

وجدير بالذكر فى هذا المقام ان القرآن الكريم ترجم الى اللغة السندية بامر من حاكم هندوسى.

وكان اول كتاب عربى شامل لجغرافية الهند «المالك والمملوك» الذى وضعه البحاثة ابن خردازبة فى سنة ٣٠٥ هجرية فى عهد الخليفة المعتمد العباسى، وكان مديرا للبريد ودائرة الاستطلاعات السرية، فتوفر له الكثير من سبل العلم باحوال الهند رغم أنه لم يزرها.

كما قام سليمان حوقل، وهو تاجر عربى مشهور، بزيارة الهند فى سنة ٢٣٧ هجرية ووضع عن ذلك سفرا لا يزال بين ايدينا وقد تناول فيه مؤلفه ديانة الهندوس ومعتقداتهم وعاداتهم واوضاع بلادهم السياسية والاقتصادية. وكتب ابوزيد حسن السيرافى عن تقاليد الهند وشئون ملوكها وأمرائها، واختص حليها وجواهرها النادرة بنصيب من بحثه.

ومن بين من كتبوا عن الهند الرحالة ابو دلف مسعر بن مهلهل الينبوعى (سنة ٣٠٢ هجرية) وكان قد سافر الى الهند عن طريق البر من

الصين ووصل الى مدراس ثم وضع كتابا ممتعا عن رحلته اودعه معلومات قيمة عن الهند.

وكان هؤلاء جميعا ممن وفدوا الى الهند قبل البيرونى وابن بطوطة. فأما ابو ريحان البيرونى فقد زارها فى سنة ٤٠٠ هجرية ووضع كتابا جامعا عن رحلته اكسبه صيتا واسعا. واما ابن بطوطة فقد طبقت شهرته الافاق وطاف بالبلاد الهندية من اقصاها الى اقصاها، فلم يترك مكانا الا قصده، ولا مدينة الا زارها. والف كتابا «عجائب الاسفار» باسلوب جذابة وعبارة اخاذة.

وكما ان الهند استجلبت كثيرين من رحالة العرب وتجارهم فكذلك اجتذبت بلاد العرب اليها، ولاسيما فى عصر الخلافة العباسية، كثيرين من علماء الهند واطبائها ومنجميها. وبلغ من تلهف العرب على حكمة الهندوس وعلمهم فى ذلك الوقت ان بلاط الخلفاء العباسيين، وكذلك مجالس البرامكة، كانت تعج بالعلماء الذين وفدوا من الهند الى بغداد واشتغلوا فيها فى شتى نواحى العلوم الانسانية المعروفة فى ذلك الوقت، كما ساعد بعضهم فى حركة ترجمة المؤلفات الهندية، وكثير منها باللغة السنسكريتية الى اللغة العربية.

أما فى الحقل التجارى فكانت السفن العربية تأتى من الحجاز واليمن، وحضرموت، وعمان، والبحرين، وتشق المحيط الهادى فى طريقها الى «جوجرات»، و «مالابار» و «كورماندل» حاملة معها الذهب والفضة والرصاص والمرجان وحجر الكحل والطوباز واصناف البلح والخيول العربية والزجاج المصنوع من شطف الاحجار الشفافة، والملابس على اختلاف انواعها.

لال بهادور شاسترى مع الرئيس جمال عبدالناصر فى مطار القاهرة

ثم تعود الى بلاد العرب وعليها خيرات الهند من العاج واللآلى والماس والسمن والتوابل واقمشة الموسلين الجميلة، يضاف اليها الحرير المستورد من الصين.

وما زالت فى الهند بعض مخلفات من الشعر القديم المنظوم باللغة التاميلية منذ نيف والف وتسعمأة سنة، تشير الى طبيعة هذا التبادل التجارى اذ ذاك فتصف احداها الملك كوديفان، ملك تشيرا، «قد وقف فى موزيريس بولاية كرانجانور يقدم الى زواره التحف النادرة الآتية من وراء البحار والجبال» وتستطرد فى وصفها فتقول».

«وفى كابريباتنام نرى الاحياء التى يعيش فيها التجار الاجانب ونستمع اليهم وهم يتكلمون بلغات متعددة، ونشهد بضائعهم وهى تحمل من السفن الى المستودعات القريبة من الساحل حيث تختم بخاتم الملك ثم تحفظ فيها حتى اذا ما دفعت الرسوم والعوائد المستحقة عليها سلمت لاصحابها من التجارة.»

ومن ناحية اخرى كان الطلب على الخيول العربية المطهمة كبيرا فكان الملوك والامراء يتهافتون على اقتنائها. وفى ذلك يقول ماركوبولو: ان مائتين من الجياد العربية كانت تنتقل الى كوروماندول من عدن كل عام وكان ثمنها لايقل عن خمسمائة دينار».

وكانت السفن التى تنقل الحاصلات والبضائع بين الهند والبلاد العربية كبيرة الحجم يتألف سطحها من طابقين، وها هو بوزرج بن شهريار يتحدث عن نفسه فيقول فى سنة ٩١٨ ميلادية «وابحرت بنا السفينة من سيراف على الخليج الفارسى وعليها ١٢٠٠ من الركاب ما بين تجار

وبحارة. وبعد سفر امتد احد عشر يوما استطعنا ان نرى شاطئ بومباى عن بعد. وكان على كل سفينة عدد من الرماة وقاذفى النفط الملتهب وقوارب النجاة وطيور الرؤيا التى تطلق من السفينة اذا ضلت طريقها وسط البحر لتهديها الى البر».

ولم تكن هذه العلاقات التجارية بين الهند والعالم العربى كل ما بينهما من صلات. فقد تولدت عن العلاقات التجارية صلات ثقافية متعددة. من ذلك انه فى سنة ٧١٤ ميلادية هاجر فريق من النوايات تحت ضغط الارهاب الذى اقامه الحجاج بن يوسف فى العراق فتركوا اوطانهم واتجهوا الى الهند فاستقروا فى كونكان، بلاد المهراتيين. كذلك يروى لنا المسعودى مشاهداته فى سنة ٩١٦ فيقول: «ان عشرة آلاف مسلم من سيراف وعمان والبصرة وبغداد استقروا فى مدينة سيمور (بالقرب من بومباى) واستوطنوها حتى اصبحوا يعرفون بها بالبياصرة».

أما فى العصر العباسى، وهو العصر الذهبى فى تاريخ الاسلام، فقد بلغت العلاقات بين الهند والبلاد العربية ذروتها. فكان لقيام تلك الدولة فى بغداد اثر كبير فى ترويج التجارة وتنشيط الصلات العلمية والثقافية بين البلدين. وقد وصف الجاحظ، فيلسوف البصرة، هذه العلاقات فى سنة ٨٦٨ فقال: «لقد نبغ اهل الهند فى علوم الفلك والطب، واخترعوا الشطرنج والارقام الحسابية. وهم لايكاد يضاهيهم احد فى فن المعمار والنقش، وفى صناعات السيوف المهندة، وفى علوم الحساب».

ومن الامثلة التى تضرب على براعة الهنود فى العمليات الحسابية ما يروى عن مخترع الشطرنج حين اراد الملك ان يكافئه، وطلب اليه ان

يتمنى عليه فقال : « لست اريد اكثر من حبة من القمح فى الخانة الاولى من خانات الشطرنج ، وضعفها فى الخانة الثانية ثم ضعف الضعف على التوالى فى كل خانة اخرى » وظن الملك ان الامر هين ولم يدر ان عدد حبات القمح وصل فى النهاية الى ملايين من الموندات (الموند = ٨٢ رطلا) .

وكان لتشجيع الخلفاء العباسيين من أمثال منصور ، وهارون الرشيد ، وتعضيد الوزراء البرامكة من امثال خالد ، ويحيى وجعفر ، اثره فى تدعيم العلاقات الثقافية بين الهند وعاصمة الخلافة العباسية ، فنزح نفر من علماء الهند ورجال الحكمة والطب الى بغداد . نذكر من بينهم باخار ، وراجاه ، وساهر ، وانكو ، وزنكال ، وارجال وغيرهم . وقد اثبت حكماء الهند الذين ذهبوا الى بغداد قدرتهم على التطبيب حين عالج منكا الخليفة هارون الرشيد وشفاه من علته ، وعالج صالح بن بهلة ابن عم الخليفة فابراه من مرضه . ومن آيات مهارة حكماء الهند واطبائهم ان اصبح ابن دهن وهو واحد منهم ، مديرا للمستشفى البرامكى فى بغداد .

كذلك ترجم فى ذلك العهد عدد كبير من امهات الكتب فى شتى العلوم والفنون من السنسكريتية الى العربية فى دار الترجمة التى أنشأها منصور منها : « السند هند » ، و « اركند » فى الفلك ، و « كليلة ودمنة » ، « وبوذاسف » فى القصص الخيالى الرائع ، وكتاب فى امراض النساء والولادة وضعته سيدة هندية ، وكتابان آخران من تاليف شاناق احدهما فى الطب البيطرى والاخر فى السموم . واشترك الهند كذلك فى ترجمة عدد آخر من الكتب الى اللغة العربية ، فعرب منكا كتابا فى الجراحة وآخر فى طريق العلاج يحتوى وصفات لامراض مختلفة يبلغ عددها ٤٠٤ — وغير

ذلك كثير مما لا يمكن حصره فى هذا المقام. ويكفى ان ابن سعد الاسبانى كتب فى سنة ١٠٢١ يقول: «ما اسعد ابراهيم: فقد اتيح له مالم يتح لى، فزار الهند بينما على ان اقنع بقرأة كتب الهند». واذا كنا لا ندرى على وجه التحديد ما كسبه ابراهيم من زيارته للهند فاننا نعلم علم اليقين ان البيرونى الذى توفى سنة ١٠٤٨ امضى ثلاث عشرة سنة فى الهند درس فيها اللغة السنسكريتية حتى اصبح اعلم اهل زمانه فيها من بين المسلمين وخلف لمن بعده كتابا باللغة العربية وهو «كتاب الهند»، ولا يزال بعد ان مضى على وضعه الف سنة خير ما كتب عن علوم الهند وثقافتها باللغة العربية.

وبعد ان دالت دولة العباسيين وسقطت بغداد فى ايدى المغيرين فى سنة ١٢٥٨، واضطر خلفاؤهم الى الالتجاء الى القاهرة بعد ذلك، رحل احد احفاد الخليفة المستنصر الى الهند فمنحه الملك غياث الدين تغلق قصرا يقيم فيه، كما اقطعه مدينة من مدن ولاية دهلى الاربعة، واقامه حاكما من قبله على الولاية كلها.

وفى ميدان الادب العربى كذلك لعبت الهند دورا كبيرا فكان من بين ما اخرجه الهنود شرح القرآن الكريم للفيضى، وشرح آخر لعبد الحكيم الذى كان يلقى تشجيعا ورعاية من الامبراطور شاهجهان و «مسلم الثبوت» و «سلم العلوم» فى المنطق، لمحب الله، والفتاوى للشيخ نظام، و «تحفة المجاهدين». و «الجواهر» لمحمد غوث. و «كتاب العين» فى اللغة للخليل ابن احمد، والمنتخب والمجرد لعلى بن حسن، و «الدليل الساطع» للشيخ مهدى بن عارف المدراسى، و «أشرف اللغات» للمنشى أشرف على الكمنوى.

و «حاشية» على مفتاح العلوم للشيخ معين الدين العمرانى ، و «حدائق البيان» للشيخ منور بن عبد المجيد اللاهورى . و «حدائق البلاغة» للشيخ شمس الدين العباسى ، و «ميزان البلاغة» للشيخ عبد العزيزبن ولى الله الدهلوى ، و «حاشية» على المطول للشيخ وجيه الدين العلوى الكجراتى ، وحاشية عليه للشيخ عبد الحكيم السيالكوتى ، وحاشية عليه للشيخ نور الدين الكشميرى .

(مأخوذ من مصادر شتى)

عدد من شعراء «الهندية»[١] المسلمين

الدكتور نذير احمد رئيس القسم الفارسى بجامعة عليكره

أنجبت بلاد الهند فيمن أنجبتهم من رجال العلم والأدب الأستاذ مير عبد الجليل البلكرامى الذى عاش فى أواخر القرن الحادى عشر وأوائل القرن الثانى عشر الهجرى فى بلكرام ، إنه ولد فيها ودرس العلوم على علمائها حتى تخرج عليهم ، ونبغ فى اللغتين العربية والفارسية وأصبح من كبار أدبائهما .

توفى سنة ١١٣٨ هـ (١٧٦٥ م) وخلف عدة مؤلفات قيمة وهناك كتاب يتحدث عن ترجمته وحياته اسمه «حياة جليل» .

١ — كان الأستاذ مير عبد الجليل يقرض الشعر باللغة الهندية السنسكريتية ، وكان متصرفاً فى أنواع الشعر الهندى ، ومقتدراً على ايجاد المعانى الشعرية فيها ، وله ديوان باللغة الهندية باسم «سكهرنكهر» نقل منه صاحب «سروآزاد» اثنى عشر بيتاً وأربع قصائد هندية ، وفيما يلى نموذج من شعره الهندى معناه :

«اكتب اسم الله على الكتاب فيلمع فى ناصيته كما يلمع الفص فى رأس الخاتم .»

---

(١) المراد باللغة الهندية فى كل مكان من هذا المقال هى لغة الهند السنسكريتية .

«إن الروضة إذا انعزلت عن الحدائق الغناء لاشأن لها، كما أن الرائحة الكريمة لاتستعير انتباه الناس إذا عاشت فى الغابة.»

«كل روضة فى العالم إنما تتجمل وتزدهر بالسق والرى، غير أن الفضل فى ازدهار شجرة «پلاس» إنما يرجع إلى فصل الربيع.»

«أيها الحبيب إن لقاءك يمنحنى قوة ونضرة فلا أراك إلا وتغشانى نشوة ويحيط بى نشاط وسرور، أما إذا فارقتنى وتناحيت عنى فانحسر ظل الحياة وامحت آثارها كما يمحى أثر القدم.»

«أين آثارك أيها الحبيب، إنه لسر لو تعلم عظيم، اكشف صدرك، واطلع فى شغاف قلبك ستتجلى لك آثارك الحبيبة، وترى فيها صورة للحب والغرام».

٢ — وكان السيد غلام نبى بن السيد محمد باقر البلكرامى ابن اخت السيد مير عبد الجليل البلكرامى، ولد فى بلكرام سنة ١١١١ هـ (١٦٩٩ م) وبرع فى اللغة الهندية وأصبح من كبار شعرائها، وكانت له يد فى فن الموسيقى، يقول مؤلف «سرو آزاد» فى كتابه[1]:

«رزق سليقة تلائم الترتيب الشعرى ولاسيما الشعر الهندى فقد طار فيه صيته وطبق الآفاق، حتى ان شعراء

---

(١) سروآزاد ص ١٣١٢-١٣١٤ و ٣٧١-٣٩٤.

الهند البارعين وقفوا حيارى أمام فنه وعبقريته ، كما كانت له براعة فائقة فى الموسيقى واللحن الهندى . وعلى جميع هذه الصفات الفنية كان شجاعا باسلا فى ساحة القتال ، ومتعذر النظير فى فن الرماية . »

وجاء المرزا محمدأمين فقرض أبياتاً مدح فيها قصائد آزاد البلگرامى العربية ، وشعر السيد غلام نبى باللغة الهندية يقول :

«فى هذه الزمن الذى يعانى قلة رجال العلم والفضل برز فى بلگرام رجلان يحتلان منصب الأستاذية . .

أحدهما إمام عصره السيد غلام على الذى لايدانيه أحد فى معرفة الشعر العربى وتذوقه .

أما الآخر فانه السيد غلام نبى مركز الفضل والكمال وهو الذى ازدهر بفضل سليقة الشعرية وقريحته الفياضة الشعر الهندى وبلغ مكانة عالية .

اللهم خذهما فى عنايتك ورعايتك دائما وأحسن عاقبتهما بواسطة الرسول العربى عليه الصلاة والسلام . »

وخلف السيد غلام نبى ديوانين كتذكار علمى وأدبى ، أحدهما يدعى باسم «سكرنكهر» ويتضمن ١٧٧ قصيدة هندية وعرف هذا الديوان باسم «أنك درپن» والثانى «نانكابرتن» المعروف باسم «رس پربودھ» وقد انتهى من تأليفه سنة ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م) وله منثورات من الشعر الهندى غير هذين الديوانين .

حضر السيد غلام نبى بأمر الوزير النواب صفدرجنك فى حرب ضد الافغان، ومنذ ذلك الحين لم يره الناس، وأ كبر الظن أنه قتل فى هذه المعركة التى كان موقعها ما بين «پثيالى» و «سهاور» من مديرية «ايٹه» ونشبت سنة ١١٦٢ ﻫ (سنة ١٧٤٨ م).

وعرف السيد غلام نبى بلقب «رسلين» فى الشعر وقد ذكر صاحب «سروآزاد» ١٢٥ قصيدة هندية من ديوانيه المذكورين أعلاه. وهذا نموذج من كلامه مترجما الى العربية:

«لا تسأل عن حبيبى وشده حيائه فحسبك من هذا أن اسلوب حديثه من شدة الحياء مثل لسان القلم، الذى يكلمك ولا تسمع له صوتا، فان صوت الحبيب لايعدو همسا ومناجاة..»

«عند ما وصل حبيبى فى مقتبل شبابه وأيامه الغر زال عنه بعض الحياء والاحتجاب، فلم يلبث آن ظهر فى ثوبه الحقيق، وابدى قلقه واضطرابه مثل الزئبق تماما..»

٣ – كان السيد بركت الله ابن السيد محمود البلگرامى، تخرج على مير نوازش على ونبغ فى الشعر الفارسى والشعر الهندى، فتلقب فى شعره الفارسى بلقب «محزون» وفى الشعر الهندى بـ «پيمى» وكان يغلب على شعره طابع الحب والمعرفة، وقد ألف فى الشعر الهندى رسالة باسم «پيم پركاس»

شحنها بأنواع الشعر الهندى ، ذكر منها تسعة عشر بيتا فى « سروآزاد » وهذا نموذج من شعره نقدمه مترجما :

« اختر كل لون من ألوان هذه البلاد أيها الشاعر ! فان أبناءها إنما أوقدوا مصباحا واحداً من الحب والاخاء والسلام والوئام . »

* * * * *

« وإن قلبى فى جنبى بمثابة طير فى القفص ، فلا تعاقبنى أيها المحبوب ! ولا تؤاخذنى على داء الحب الذى أصابنى ، فانى لا أرجو منك إلا كلمة حب وحنان . »

* * * * *

« لقد قضى لى بما قدر فى الحياة ، ولعل شمس الحب لا تطلع الآن وأمسى لى الليل صخرة صلداء على صدرى لا تبرح منه ، فلا راحة فى الحياة ولا لذة فى العيش ، إن اللذة تتبع الألم ، والراحة تتبع الاعياء ، ولا ينفك واحد من الآخر ، كما أن الوردة لاتجنى بدون شوك ، والضحك لا يتيسر بغير بكاء . »

* * * * *

٤ — وهذا مير عبد الواحد ذوقى البلكرامى نجل السيد محمد أشرف دركاهى ، كان والده حاكم مديرية لاهور ، وقد

---

(١) سروآزاد ص ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٩٦ .

استشهد مير عبد الواحد فى احدى وقائع تلك المنطقة فى سنة ١١٣٤ ﻫ (سنة ١٧٢١ م).

وقد استخرج المؤرخون والأدباء تاريخ وفاته باسم «ذوق شهيد» فقالوا إن ذلك يحتاج إلى نقص عدد واحد من أعداد الحروف الموجودة فيها.

وكان يقرض الشعر باللغة الهندية مع ما كان له ذوق ومعرفة بالشعر الفارسى، وقد تضمنت رسالته التى سماها «شكرستان خيال» عددا من الشعر الهندى ونقل منها صاحب «سروآزاد» بيتين وقصيدة، وهذا نموذج من شعره مترجما :

« كل واحد منا يطمع فى تذوق شرابه الحلو الذى يتدفق فى عينه، وكل من اطلع على جماله وزار حسنه وأناقته التى تتفوق الجوهرة فى الغلاء والقيمة، يعد نفسه سعيدا ويرى ذلك حاصل حياته.. »

٥ — الأستاذ محمد عارف البلكرامى كان ابن مخدوم محمد ركن الدين البلكرامى، ولد فى سنة ١١٢٢ ﻫ و (١٧١٠ م) أشتغل بقرض الشعر وصوغ القصائد باللغة الفارسية واللغة الهندية وقد برع فى اللغة الهندية وهو من أصدقاء آزاد البلكرامى المخلصين، إنه أشاد بشعره الهندى وأثنى عليه فقال :

---

(١) توجد نسخة فى مكتبة الجامعة الاسلامية بعليكره، ول
لا تحمل الشعر الهندى.

« ولا سيما فقد برع فى الشعر الهندى وتصرف فى انواعه وأحسن فى ايجاد المعانى الشعرية وبلغ قمة الفن فأحسن معانى الحب والعشق . »

ولقد نال الشعر الهندى فى بلگرام وما والاها من الازدهار والقبول ما لم نره فى مكان آخر : ونبغ فى ذلك العصر رجل فى الشعر الهندى فى كاكورى بمديرية لكهنؤ اسمه الشاه كاظم ، الذى اقتدر على قرض الشعر باللغة الهندية وتفوق كثيراً من معاصريه وقد قام الأستاذ مجتبى حيدر قبل مدة[١] بنشر مجموعة من شعره الهندى باسم «سانت رس» وزينها بالشرح والتقديم .

٦ — وكان الشاه كاظم نجل الشاه محمد كاشف الچشتى ، ولد فى كاكورى سنة ١١٥٨ هـ (سنة ١٧٤٥ م) وبعد ما تلقى العلوم الظاهرة توجه إلى مدينة گوركهپور حيث توظف فى الجيش وبعد مدة يسيرة من الزمان بايع الشيخ الشاه باسط على القلندرآبادى ، وزهد عن الدنيا وزخارفها عقب رجوعه من ساحة الحرب فى بكسر ، وتخلى عن وظيفته ، وأقام عند شيخه ليتلقى منه العلوم الباطنة والدروس الروحانية التى تبلغ به إلى الغاية المنيفة للحياة ، وأخيراً فاز بالخلافة وسعد بالجمع بين خيرى الدين والدنيا ، ورجع إلى وطنه حيث جلس مرشدا يصلح النفوس ويكشف ظلام الجهل والغواية ويدل الناس إلى الصراط المستقيم .

---

(١) صدرت فى ربيع الآخر سنة ١٣٧٦ ويبلغ حجمها إلى ٣٤٢ صفحة .

وقد كانت له براعة عجيبة فى فن الموسيقى ونظرة نافذة ومعلومات واسعة باللغة الهندية . إن شعره يتسم بلوعة الحب وتأثير الوجد والهيام، أما أبياته التى قالها بمناسبة أعياد الهندوس من «هولى» و «ديوالى» و «بسنت» فهى نموذج أروع لتصوير المشاهد وتمثيل المناظر الخلابة، وله شعر فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام يقول ما معناه :

« أنا مولع بوجهك الجميل ومغرم به ، إن عينيك تعلوهما خيوط حمراء جميلة وهما جميلتان للغاية وغنيتان من الكحل والاثمد .

بابى أنت يا رسول الله ، سبحان من أجمل أصابعك الانيقة التى يقف أمامها كل جمال حيراناً .

ولا يزال الهائمون يزورون بابك ، ويترددون فى دربك ، ولا غرو فان العالم يكتسب منك نوراً وبهاء ، ويستوحى منك مثلا عليا فى الحياة .

نظرة إلى «كاظم» يا رسول الله ! فلا تحرمه كرمك وامنحه حبك ، ولا ترده عن بابك ، فانه يسأل زيارتك ، ويستجدى عطفك . »

ويقول فى «كرشن جى» ذلك الرجل العظيم الذى كان يعيش فى الغابات ويشتغل بالنفخ فى نأيه ، والمناجات مع

طيف الحبيب، وكانت نغمات حبه تنهب صبر النساء القرويات، أنظر كيف يصور الشاه كاظم شدة الفراق بأسلوب تتجلى فيه لوعة الحب وحرقة القلب، وذوبان النفس، يقول :

«أين أنت يا من تيّم قلبى، وتسرب روحى وحشاشتى، ذلك المحبوب الذى كان يعيش فى الغابات فيملأها روحا وطرباً، إنه فارقنى فلم اسعد بزيارته ولم أتشرف برؤيته، ولكن كيف بالهائم الحبيب يا ترى، كيف يمكن لى العيش بدونك يا حبى من الناس كلهم، وإلى متى أصبر على فراقك يا روحى وقلبى وقد مضى على هجرك إياى مدة من العمر.

وما أجمل الأيام التى عشنا فيها فى فرح دائم وطرب مستمر، وما كنا نتصور الفراق ولا يخطر ببالنا خاطر الهجر والبعد، ولكن الذى صادفت هو أن الدهر لم يحتمل حياتنا السعيدة فما هى إلا مدة إذا آذن بالتفريق بيننا، وفعلا تفارقنا، وسالت عيوننا دماً، وأنذابت قلوبنا هماً لا يطاق.

فلينظر من شاء حالنا فى الغابة الجميلة البهيجة، حالنا من شدة الوجد، وكيف تدمع العيون دماً.»

وقال يمدح «كرشن‌جى» :

«يا من اثار ضجة فى المجتمع وملأ القلوب فرحا بدون عيد الألوان «هولى» و يا من نشر ألوان الربيع بدون فصل الربيع.

ما أحسن ذلك الوجه الأسمر ، وما أبهج شكله ودله ! فقد شحن القلوب طربا وسرورا ، ويا لنغمة الموسيقى التى تصدر منه ، إنها نهبت عقلى وتركتنى حيرانا .

تعلم يا كاظم ! إن هذا الأسمر يحتل مكانة عالية من الروعة والجمال ، يتلاشى إزاءها كل جمال فى هذا العالم مهما بلغ مبلغ الكمال . »

واضطربت الحبيبات القرويات عند ما تذكرن «كرشن جى» وتقص واحدة منهن ما تجتازه من القلق والاضطراب ، تقول :

« أين أنت أيها الرجل العظيم والبطل الكبير ! يا من يشعل نار الحب فى القلوب بنغمته العذبة ، وألحانه الجميلة .

أين غابت صورتك الجميلة التى تستهوى قلوب العالم ، وأين اختفى وجهك الجميل ؟ يا حسرتا على من توارى عنا ! الذى كان يعيش فى الغابة ، ويعمرها بنفحة الحب ونغمة العشق ، إلى أى جهة سافر وفى أى وجه ذهب ؟

أين ذلك العاشق المتلاعب الذى كان يسلب جرار الحليب من حبيبات القرى ، ويضربها على الأرض ، أين ذلك العاشق الذى أقفر عالم حب ، وعمر عالما آخر ، أين أبحث عنك أيها الحبيب ؟ »

ويبدو بدراسة كلام الشاه كاظم أن له قدرة فائقة فى الشعر الهندى ، فانه استطاع ان يراعى فيه جميع نواحى الشعر

وأساليبه، يتسم شعره بلون الحب والمعرفة، وفيه تصوير دقيق للحقيقة فى المعنى المجازى. إن ديوانه «سانت‌رس» يجمع بين خصائص الشعر الهندى والموسيقى العذبة.

إن الشعراء الذين أسلفنا ذكرهم الآن إنما هم من شمالى الهند، أما ولاية «دكن» فلا تخلو عن عدد وجيه من شعراء اللغة الهندية المسلمين الذين مارسوا هذا الفن وقرضوا الشعر بلغة الهند السنسكريتية. وكل من تسنت له دراسة الأدب القديم فى «دكن» يعرف جيداً أن المسلمين فى هذه الولاية قاموا بنشر العادات والتقاليد الهندية أكثر من مسلمى شمال الهند، وإذا أنصفنا نقول: إن الشعر الدكنى — ومعظمه يحوى معنى الزهد — أقرب إلى اللغة الهندية بالنسبة إلى لغة الأردو، من ناحية اللغة والفن، ولكنى لا أحاول تفصيل الكلام فى هذا الموضوع، بل وإنما أختم الموضوع بذكر شاعر من دكن.

٧ — هو ابراهيم عادل شاه الثانى الذى توفى سنة ١٠٣٧ ﻫ (١٦٢٧ م) إنه ألف ديوانا باسم «كتاب نورس»[١] حوالى سنة ١٠٠٤ ﻫ (١٥٩٥ م) نظم فيه الأناشيد فى ألحان مختلفة، لغتها أقرب إلى الهندية على رغم ما فيها من كلمات تشبه

---

(١) قام هذا العاجز باصدار هذا الكتاب مرتين، مرة فى سنة ١٩٥٥ م من لكهنؤ. بمقدمة بالأردو وتعليقات وترجمة، ومرة أخرى من دهلى سنة ١٩٥٦ بمقدمة بالانجليزية وتعليقات وترجمة.

محاورة ذلك العصر غير أن الديوان كله من ناحية روايته وبيانه، ولغته وأساليبه بلغة هندية لا تشوبها الأردية مطلقاً، ولذلك لا أراه مأثرة تختص بالأدب الدكنى، ويمكن أن نقدر ذلك بدراسته، وفيما يلى نموذج منه :

«إننى لا أخشى فراق الحبيب ولا أخاف هجره، فان حبيبى يستحيى منى ويتلكأ فى إبداء حبه فلا يأتينى ليرضينى، ولكنه عند ما يرانى باكيا مستعبراً يسرع إلىّ ليسحر قلبى بجماله الفاتن. إن وجهه جميل يدل على أن عينيه تتمتعان بنشوة الغرام، وأن الهجر ملأ قلبه حباً وحرارة أكثر.

إنه طلع مثل القمر فى دجى الليل، فأشرق ما حوله، ونشر فى الجو رداء فضياً، يا حبيبى من أين اكتسبت هذا الفن العجيب، ولا أدرى أن هناك هائماً مثلى.

أيها القمر الحبيب إن هذه العيون سوف لا تكابد آلام الفراق، فقد نجحنا فى الحصول على لمحات الحياة السعيدة، وسوف نتمتع الآن بلذة الحياة.

بم أعبر عن حبيبى ؟ هل أسميه قمراً ذا الوان أو لؤلؤاً متلألئاً. أم أقول إنه أبو البدر، أو ألقبه بجسم من نور يشيع منه ضياء مستقل دون أن يحتاج إلى استعارته.

يا حبيبى لا تحرمنى لقاءك، فان نور وجهك وجمال سيماك لا ينفك عن بصرى للمحة واحدة، لقد ألقيت نفسى على بابك. وأطرحت على عتبتك وانتظر الآن

مصير حياتي ، هل هي تنمو على بابك وتزدهر بفضلك ، أم تذبل وتندحر ، عسى أن وجهك المنير ينور عيني اللتين حرمتا رؤية الجمال ، وزيارة الحبيب من زمان .

يا خالق العقل متعنا بمعين من الحب لا ينضب ومدد منه لا ينفد ، وارزقنا يا رب السماوات والأرض قمراً لا يخبو نوره ابداً ، وحياة نيرة يخلد مع الأيام نورها وبهاؤها .»

وهذه الأمثلة تلقى ضوءا لامعاً على ما كان يتمتع به إبراهيم عادل شاه من ذوق أدبي رفيع في مجال الشعر الهندي ، وهو يستحق بكل جدارة أن يقوم في صف شعراء «الهندية» المسلمين في بلاد الهند .

تعريب : سعيد الاعظمي الندوي

لال بهادور شاسترى

للاستاذ س . ك . غوش رئيس تحرير مجلة
«الثقافة الهندية الاسيوية»

لم يسجل تاريخ الانسانية إلا لقلة من الزعماء أن الموت قد اختطفهم فى اللحظات التى وصلوا فيها الى أعلى مراتب النجاح ، وهكذا مات لال بهادور شاسترى الذى وصلت أخبار وفاته المفاجئة فى طشقند بعد أن كانت مواد هذا العدد من المجلة كاملة فى المطبعة . وكان الموقف بالنسبة للراحل الكريم نهاية مجيدة جاءت فى أنسب وقت ، أما بالنسبة للذين بقوا على قيد الحياة فقد كانت مأساة مفجعة وخسارة لا تعوض ، وهذا لا ينطبق على الهند وحدها وإنما ينطبق أيضا على باكستان وعلى غالبية أمم العالم التى تطمح وتسعى إلى عهد تتحقق فيه التسويات السلمية للمنازعات بين الدول . ولقد جاءت اتفاقية طشقند كنقطة تحول فى تاريخ العلاقات بين الهند وباكستان ؛ تلك العلاقات التى كدرها توتر دام ثمانية عشر عاما وابتدأ بغزو كشمير فى عام ١٩٤٧ ثم بلغ قمة حدته بحربين استعرت نارهما خلال عام ١٩٦٥ ، كما تعتبر هذه الاتفاقيه أيضا طرازا للحلول الصحيحة للمنازعات الدولية فى جو تسوده روح التعقل والثقة المتبادلة . وفى الحقيقة فان الاتفاقية لم تقدم حلا للمنازعات المادية ولكن يمكن القول فى حرص بأن تحقيق التوصل اليها مضافا اليه أشياء أخرى من بينها الدفاع الحربى الناجح قد قللت من حدة العقدة النفسية التى نمت — طبقا لخطة مرسومة — على الجانب الآخر من الحدود الهندية خلال ثمانية عشر عاما منذ التقسيم ، ولم يكن متوقعا أن لا يكون لهذه العقدة النفسية

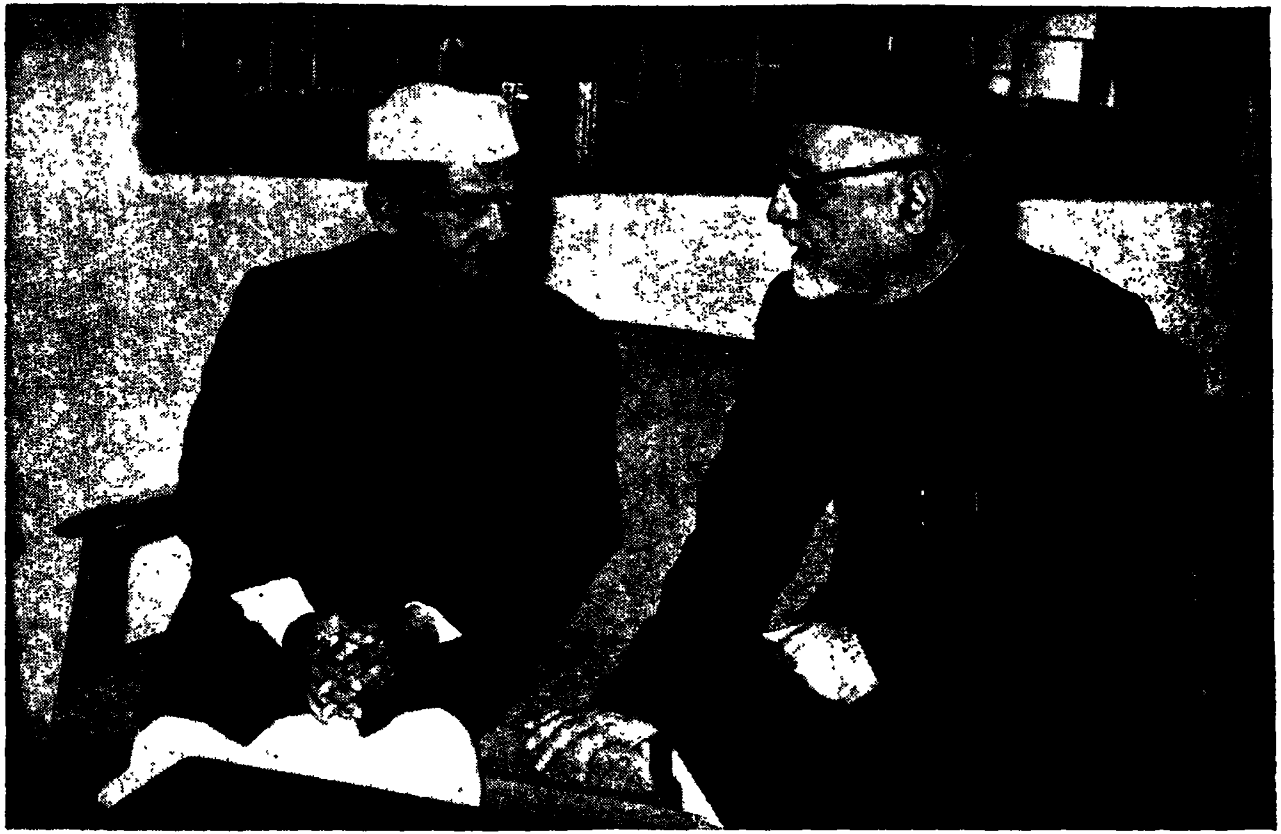

لقاء وحديث ـ ـ ـ ـ ـ رئيس وزراء الهند الراحل مع نائب رئيس الجمهورية الدكتور ذاكرحسين

رد فعل مماثل - إلا شيئا ضئيلا منه - فى داخل الهند. ولقد أثبتت الوقائع ان سياسة فرض التسويات القهرية للمنازعات الدولية سياسة غير عملية، ومن ثم فان توقيع هذه الاتفاقية قد أقام معبرا ذا اتجاهين فى طريق التفاهم المتبادل وتتمثل المأساة فى أن المهندس الرئيسى والبانى الأعظم لهذا الجسر قد اختطفته يد الموت حتى قبل أن تبدأ حركة المرور عبر الجسر الذى أقامه، وعزاؤنا الوحيد فى أن شاسترى قد بذل آخر انفاسه فى إقامة هذا الجسر ليبقى كمنصب حتى يشهد على حبه العميق للسلام وعلى أن قواعد هذا السلام قد اضطلع بمسئولية تدعيمها — على الأقل فى الجانب الذى يمثله — مسز انديرا غاندى التى خلفته فى منصب رئاسة الوزراء.

لقدة وصل لال بهادور الى رئاسة حكومة الهند فى أعقاب المأساة الوطنية المروعة التى نتجت عند ما مات فجأة الپانديت جواهرلال نهرو الذى ظل قائدا للامة خلال سبعة عشر عاما منذ بداية الاستقلال وحاز ثقة الشعب الهندى فى ثلاث انتخابات عامة، وبصرف النظر عن التركة التى خلفها نهرو مثقلة بالمشاكل الدولية والداخلية فان ملء الفراغ الذى يتركه أمثاله من العظماء ليس بالأمر السهل على أية حال، وفى البداية لاح شاسترى كما لو كان غير جدير بمنصبه كشأن كل الذين يتقلدون حديثا أعظم المناصب الوطنية خطورة، ولقد ساعد تواضعه الخلق فى إشاعة التوهم بأنه رجل ينقصه الحزم، ولكن هذا الوهم سرعان ما قضى عليه العزم القوى الذى عالج به كل المسائل المعلقة، وبهذا برهن على أنه رجل وديع ولكن له إرادة حديدية، ولقد تجلت هذه الارادة الحديدية فى الطريقة التى بها تحدى وجابه الغزو الباكستانى وفى الاصرار الذى لازمه فى طريقه الى

طشقند سعيا وراء السلام الذى ظل يبدو كمطلب مستحيل التحقيق حتى اللحظة الأخيرة التى تم فيها توقيع الاتفاقية التاريخية . وهكذا كان شاستری - طبقا لانبل تقاليد الزعامة - قويا فى الحروب كريما فى السلم ، ونتيجة لهذا فانه قبل أن يمضى قد ألقى الكرة بعدالة فى الجانب الآخر من الملعب ليلعب بها منافسه .

سيسجل التاريخ اسم لال بهادور من أجل الدور الذى قام به فى إبرام اتفاقية طشقند ، ولكنه سيبقى بالنسبة لهنود اليوم ولعديد من أجيال المستقبل ذكرى حبيبة من أجل اعتزازه بنفسه وبكرامته بلا ادعاء أو مباهاة ومن أجل فطنته وحكمته ، وبسبب هذه الصفات العظيمة التى كان يتحلى بها كان ارتقاؤه من بدايات متواضعة حتى استطاع أن يحتفظ بكرامة أعلى منصب سياسى فى أمة يبلغ تعدادها أربعمائة وثمانين مليونا من البشر ، وبمعيار مساو يعتبر هذا دليلا على نضج الديموقراطية الهندية التى كرمته وبجدته كرجل للشعب ، واختفاؤه عن مسرح الحوادث - مثل سلفيه المهاتما غاندى وجواهرلال نهرو - عند نقطة تحول فى شئون الأمة يعد كارثة عظمى تكررت ثلاث مرات فى عقدين فقط من تاريخ الهند المستقلة ، كما أن احتفاظ الأمة له بالذكرى الطيبة والحب والامتنان وإصرارها على اتباع سياسته الرشيدة يجعلنا نكابد من خسارة فادحة سرى بها شعور عميق فى جمهورية الهند وفى شبه القارة الهندية وفى العالم أجمع .

تعريب : الاستاذ زاهر عوب الزغبى

لال بهادور شاسترى

البروفيسور دى - سى - شرما
عضو البرلمان الهندى

عند ما كنت عضواً فى جمعية خدام الشعب فى لاهور كنت أصادق جميع اعضاء الجمعية ولكننى كنت على صلة وثيقة ببعضهم فقط مثل فيروز تشند وموهن لال . وكان اعضاء هذه الجمعية ينتمون الى شتى انحاء الهند وكنت الاقيهم لبرهة من الزمن فقط فى الاجتماعات السنوية . ولكن من الغريب أنى ما اجتمعت قط بالسيد لال بهادور شاسترى فى لاهور . وفى الواقع عند ما ألقى نظرة الى الوراء وأتذكر حياتى فى لاهور واتصالى بجمعية خدام الشعب التى أنشأها الزعيم الوطنى الشهير لالا لاجبت رآى لا اتذكر أى شئ فيما يتعلق بالسيد شاسترى . والسبب فى ذلك انى ما لاقيته قط فى لاهور ولم تتح لى فرصة للتحدث اليه . ومع ذلك لاجدال فى القول بانه كان من انشط اعضاء هذه الجمعية وكان محبوبا عند الجميع لأنه كان عاملا مخلصا للاهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت تؤمن وتعتز بها الجمعية . وأعنى من كل هذا أنى عند ما كنت فى لاهور كنت اتصور شاسترى كرجل متوازن فى عقله ومتحرر فى نظرته الى الحياة فلم اكن اتصوره كرجل متعدد الميزات أو كشخصية جبارة مثل الشخصيات الروائية . وانما كنت اتخيله كجندى عامل اكثر منه قائداً عظيما .

ثم حدث تقسيم الهند فى منتصف عام ١٩٤٧ . وانقطعت صلاتى الوثيقة بالناس هناك خاصة بكلية ديانند وبجمعية خدام الشعب فى لاهور حيث كنت اقضى فيها معظم اوقاتى . والصداقة التى نشأت بينى وبين

بعض الناس هناك لازالت قائمة وان لم تكن فى نفس القوة - ولكنى شاهدت فى مدينة لودهيانا فى عام ١٩٥١ الشق الذى لم أشاهده فى مدينة لاهور . فقد وصل الزعيم نهرو الى تلك المدينة قبيل الانتخابات العامة الأولى ليتحدث فى اجتماع جماهيرى . وانا ايضا كنت من العاملين فى حزب المؤتمر فى ولاية بنجاب وكنت انتظر لاستقبال الزعيم نهرو . وكنت قد قدمت طلبا مرشحا نفسى فى الانتخابات لمجلس النواب من البرلمان الهندى . وعند ما وصل الزعيم نهرو الى لودهيانا اخذت انظار الناس المنتظرين لاستقباله تتجه اليه . ولكنه كان يبدو شارد الذهن . فقد سأل احد الناس عن لال بهادور شاسترى الذى كان معه فى نفس الطائرة التى وصل فيها الى هناك . وتبين أن لال بهادور قد ضل طريقه فى شدة الزحام حتى اهتدى اليه احد الناس وأتى به الى الزعيم نهرو . وما كاد الزعيم نهرو يراه حتى وضع احدى يديه على كتفه وبدأ يحدثه حديثا جديا بصوت خافت . ولايزال منظر هذا الحديث بين رجل عملاق ورجل قصير القامة بسيط المظهر قائما فى ذاكرتى وما كنت اتصور قط ان لال بهادور سيصبح فى يوم من الأيام خليفة للزعيم جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند - وانما كنت اعتبر لال بهادور من احد المعاونين للزعيم نهرو بصفة كونه رئيسا لحزب المؤتمر . وحقا اقول إننى لم اكن أرى فى لال بهادور شاسترى اى ميزات رائعة للزعامة . فقد كنت أعده فقط من احد المعاونين للزعيم العظيم ومن المنفذين لاوامره وسياسته . وعلى كل حال لفت نظرى شئ واحد اكثر من اى شئ آخر وهو ان الزعيم نهرو كان يعتمد عليه اعتماداً كبيراً لسبب أو آخر . ولكنى ما كنت استطيع ان

افهم عما اذا كان هذا الاعتماد نابعا من اساس عاطفى أو اجتماعى أو كان مجرد انسجام ذهنى . ولكن عندما القى الآن نظرة الى الماضى أظن ان تلك العلاقة كانت نابعة من ناحية عاطفية اكثر من أى شئ آخر ، فقد كان الزعيم نهرو يثق فيه ويعتمد عليه كما يعتمد أخ كبير على أخ صغير .

وفى ذلك الاجتماع التقيت بلال بهادور لاول مرة وجها بوجه ولكن لم يجر بيننا أى حديث وما كنت اعتقد أنه ستوجد فيه الخصال التى تجعل منه زعيما لبلد كبير مثل الهند . وكان لال بهادور يمتاز بميزة العمل المخلص لأجل خدمة الشعب فقد كان يبذل كل دقيقة من وقته فى سبيل خدمة الشعب . وقد ظل يعمل كذلك حتى اللحظة الأخيرة من حياته الدنيوية التى انتهت فى طشقند وبعد ان أنتخبت الى مجلس النواب من البرلمان أتيحت لى عدة مناسبات للاجتماع به فوجدته من أحب الناس الى نفسى وممن استطيع ان احدثه بكل ما فى قلبى بنفس الصراحة التى تكون بين صديقين حميمين . وكل من قابله وجد فيه أخوة ومحبة وشعر كأنه يعرفه منذ سنين عديدة ـ فهذه المقدرة على اشعار الناس بالتآلف والمحبة كانت من اهم صفاته .

وكان شاسترى قد تقلد عدة مناصب وزارية خلال هذه السنين الطوال . فقد بدأ حياته العامة وزيرا للسكك الحديد ثم استقال من ذلك المنصب بسبب حادثة قطار مؤلمة فى جنوب الهند . وما كان من الضرورى ان يستقيل ولكنه فعل ذلك لأنه شعر بواجبه نحو الشعب ، وعلى كل حال من المؤسف ان احدا لم يحذو حذوه رغم حدوث عدة مناسبات اقتضت الاستقالة من بعض الوزراء المركزيين . وبعد ذلك اصبح شاسترى

وزيرا للصناعة ثم وزيرا للداخلية. وبما أنى أعمل عضوا فى مجلس النواب من البرلمان بدأت اهتم بالوزارات التى كان يرأسها المستر شاستری ولكنى وجدت نفسى عاجزاً عن استيعاب هذه الأمور. وفى الواقع حاولت مرة ان ادرس مشروع قانون كان قد قدمه سيادته الى البرلمان عند ما كان وزيرا للصناعة فوجدت من الصعب فهم الموضوع وذهبت اليه وقلت له ان مشروع القانون هذا صعب جدا وانى ساستغرق وقتا طويلا لفهمه. فاجابنى بان الموضوع لاشك صعب ولكن يجب على أن اواصل دراسته. وفعلا أخذت ادرس الموضوع لساعات طوال حتى فهمته وألقيت عنه كلمة فى البرلمان. ولكن لم يكن من السهل الالمام بجميع المواضيع التى كان سيادته ملما بها تماما. وكانت هذه الميزة من اكبر مزاياه كوزير. وقد كان يقدر على استيعاب لب اى موضوع فى مدة قليلة جداً وكان يستطيع عرض موضوعه فى عبارة سهلة وبسيطة ومقنعة. وأنا كنت أعجب به لميزته هذه أيما اعجاب! والى جانب ذلك كان يستطيع أن يقدر الناس على حقيقتهم وأحدث تغييرات مفيدة فى كل وزارة تولاها. وفى بعض الاحيان كان يستطيع تغيير الجهاز الادارى فى وزارة من الوزارات بشكل كلى بدون اثارة سخط المؤظفين. فهكذا كان سيادته حاكما بناء يدير الحكم بثبات وعزم رزين وكان متواضعا جداً.

وكان شاستری يهتم بالرجل العادى اكثر من اهتمامه بأى شئ آخر. مثلا عند ما كنت أقيم فى الحى القريب من مبنى البرلمان فى دلهى العاصمة رأيته يوما ذاهبا فى سيارته فى حوالى الساعة الثامنة مساء. فسلمت عليه ورد على ثم طلب من سائقه بايقاف السيارة فذهبت اليه وبدأنا

نتجاذب اطراف الحديث وسألته من اين هو قادم ؟ فقال انه قادم من مقر وزارته وكان وزيراً للسكك الحديد فى تلك الايام . فقلت له أنه لابد من أن امراً هاما وعاجلا اقتضى بقاءه فى مكتبه الى تلك الساعة المتأخرة ولكنه اجاب بانه انشغل لساعتين كاملتين فى دراسة ملف خاص بأحد الحمالين فى محطة السكك الحديد فى امرتسر وان ذلك الحمال كان متهما بالتآمر مع الانجليز اثناء الكفاح الوطنى لاجل الاستقلال . وكان هذا الحمال قدم طلبا يستسمح فيه السلطات للعودة الى عمله فى المحطة . وقال لى شاستری انه درس قضية هذا الرجل دراسة دقيقة ولم يستطع ان يجد اى شئ فى صالح الرجل ولكنه مع ذلك الح فى دراسته لكى لايحرم هذا الرجل المسكين من قوته اليومى حتى بعد استقلال الهند . وقد دلتنى هذه الحادثة على مدى ارتباط الزعيم شاستری بعامة الشعب واشفاقه وعطفه لهم . وكانت هذه الحادثة بمثابة عبرة لى وكذلك تكون عبرة لكل من يؤمن بالنظام الديموقراطى .

وقبل الانتخابات فى عام ١٩٥٧ م وكلت الى السيد شاستری مهمة الاشراف على الانتخابات فى مكتب لجنة حزب المؤتمر لعموم الهند . وقد ابدينا – أنا والسيد – ت . ين . سنغ للسيد شاستری استعدادنا للعمل معه ، فكنت اختلف الى ذلك المكتب مساء كل يوم وكنت اعمل بشغف وبروح من التعاون مع السيد سنغ . ويجب ان اسجل هنا ان السيد سنغ كان من اقرب الناس الى السيد شاستری بينما لم تكن لى تلك القرابة معه . ولكن السيد شاستری كان يلهمنى بالاخلاص للعمل ولم اكن انا الوحيد الذى يستلهم منه بل ان كل عضو فى لجنة حزب

المستر لال بهادور شاستری يلقى كلمة افتتاحية فى ندوة «الهند والعالم العربى» بنيودلهى -
من اليمين إلى اليسار : السيد انعام الرحمان ، سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية ، الدكتور تاراتشند ، والمستر تشاجلا ،
رئيس مجلس الهند للروابط الثقافية .

المؤتمر لعموم الهند كان يشعر هذا الشعور. وكان كل شخص يعمل لعشرين ساعة تقريبا بدون ضجر أو ملل ولازالت اذكر البشاشة التى كانت تبدو فى وجوه الناس كلما سمعوا أن السيد شاسترى وصل الى المكتب. وكان كل موظف يقوم بواجبه بمنتهى الاخلاص بدون ان يقول لهم السيد شاسترى أى شئ. وكانت الأمور تنفذ بمنتهى الدقة والاهتمام مما كان يدل على اثر شخصية السيد شاسترى.

ثم تغيرت الظروف السياسية عند ما أعلن مشروع كامراج ونفذ فى الفعل وقد اقتضى هذا المشروع استقالة كبار الوزراء من مناصبهم وكان من ضمنهم السيد شاسترى، وانا لا ادرى عن شعوره فى ذلك الوقت ولكننى كنت أراه مشغولا فى عمله كالعادة كأن لم يحدث اى تغيير فى الاوضاع وكذلك كان شأنه دائما سواء كان وزيراً أم لم يكن وقد ظل هادئ الطبع رزين النفس متواضعا ولم يفكر قط أن اقصاءه عن منصبه كان اهانة لمكانته. ولم يلبث ان أصبح وزيراً بلا وزارة ليساعد الزعيم نهرو فى مهامه وفى ذلك الوقت ايضا ظل فى طبيعته كما كان دائما. فلم يكن يتكبر أو يفتخر امام الناس كأن يقول: انظروا إلى انى عدت الى الحكم بينما لا يزال غيرى مغمورى الشأن. والواقع انه لم يكن يعلق اية اهمية لمنصب أو مكانة ما فى الحياة العامة وكان راضيا النفس مطمئن البال مهما تبدلت الاحوال وتغيرت الظروف السياسية. وكانت له نظرة فلسفية فى الحياة وعند ما اصبح رئيسا للوزراء بدون اى سعى من طرفه للحصول على ذلك المنصب ظن الناس ان هذا المنصب قد يكون صعبا له وقد تظهر عدم كفاءته له إذ انه أتى خلفا لرجل جبار أى الزعيم نهرو. ولكن لم تمض مدة طويلة حتى

اصبح السيد شاستری يتمتع بمكانة عظيمة بحيث قد يحسد عليه ای رئيس للوزراء فی ای بلد من البلدان. وبرزت القوة الحقيقية فی شخصيته اثناء العدوان الباكستانی ومعاهدة طشقند. فقد خلد اسمه فی صفحة الزمن ليس فقط فی الهند بل فی العالم كله.

وعند ما كان سيادته رئيسا للوزراء اتيحت لی عدة فرص للاجتماع به. فقد التقيت به احيانا مع وفد الناس واحيانا منفرداً. وكلما التقيت به كنت أظن ان عنده طاقة جسمانية كافية لتمكنه من العمل لسنوات عديدة أخری ولكن حكم القدر عليه كان خلاف ما كنا نتوقع. وعلی كل حال لايمكن أن انسی لقاءاتی معه وكنت اعود من زيارته كل مرة متأثراً بشخصيته وكنت احس انه يعامل زملاءه بمنتهی الاحترام والود والاكرام رغم انه كان يدرك مواضع الضعف فی نفسه. وايضا كنت أشعر انه كان يبذل أقصی جهوده لحل كثير من المشاكل التی يواجهها بلدنا. ولن أنسی أبداً خطابه فی البرلمان عند ما طالبت جبهة المعارضة بطرح الثقة عليه فقد تحدث فيه عن علاقاتنا مع جيراننا بصوت مؤثر حرك مشاعر الاعضاء جميعا. ولازلت اذكر المقال الخاص الذی كتبه المراسل البرلمانی لصحيفة استيتسمن والذی اعرب عن اعجابه الشديد بالطريقة التی عالج بها السيد شاستری الموضوع. ولم يكن السيد شاستری يعرف الطرق الفنية فی معالجة أی موضوع من الموضوعات بل كان يعمل مابدا لخاطره بشكل طبيعی، وكان يتجنب التصنع والتظاهر فی خطبه مثلما كان يتجنبه فی حياته العامة والخاصة:

وكان السيد شاستری يبدی فی كثير من الاحيان روحا من الفكاهة وحدث مرة أنی وجهت اليه سؤالا فی البرلمان حول مشروع يختص بالمنطقة

التى أمثلها فسألته عما اذا كان ذلك سينفذ فى فترة الخطة الخمسية الثالثة فقال إنه لن ينفذ فى الخطة الخامسة. فانفجر الناس ضاحكين. واستطيع ان اسرد لكم مناسبات اخرى عديدة اظهر فيها السيد شاستري روح الفكاهة ولكنى لااريد ان اذكرها هنا وفى الواقع كان السيد شاستري يخفى هذه النزعة فى نفسه ولم يكن يظهرها إلا اذا كانت مناسبة للمقام. والشئ الآخر الذى اذكره عنه هوحبه للشعر الأردوى وكثيراً ما كان ينشد بيتا أوبيتين من الشعر الاردوى البليغ وحكى لى مرة عن اجتماع عام حضره فى مدينة بهوپال حيث انشد احد الناس قصيدة تكريما له وحدث فيها عن المكانة العظيمة التى احرزها السيد شاستري فى حياته العامة وعند ما فرغ الرجل من انشاد قصيدته قام السيد شاستري وانشد بيتا من الشعر الاردوى الذى كان يعنى فى مجمل معناه انه اذا نظر الانسان الى أمور الحياة نظرة فلسفية فان الشئ الذى يسمى بعلو المكانة هو فى الواقع انحطاط.

وختاما اريد ان اقول ان السيد شاستري ضحى بحياته فى سبيل عمله ومثله العليا وفى سبيل خدمة وطنه.

تعريب: محمد منور نيازى

لال بهادور شاسترى

للسيد باقر على مرزا

فقدت الهند شخصية عظيمة فذة وانها لاتستطيع تحمل الخسارة الفادحة التى منيت بها بموت الفقيد لال بهادور شاسترى فى اخطر مرحلة من تاريخ هذا البلد العظيم ورغم ان شاسترى جى كان يعرف جيدا حالته الصحية رغم كل ذلك فقد وقع ما كان يحذره. وإن دل ذلك على شئ فانما يدل على تكريس حياته للعمل على صالح الشعب وبذل كل ماكان يملك من قوة ونشاط لخدمة بلاده وابناء وطنه حتى ضحى بحياته فى هذا السبيل.

وعند ما تم اختياره رئيسا للوزارة الهندية علت من هنا وهناك أصوات واقاويل وظهرت انتقادات لاذعة -- هل يخلف جواهر لال مثل هذا الرجل البسيط ؟ فانه لم يكن طويل القامة عظيما ولاقوى البنية. ولم تكن شخصيته لجاءت قط إلى وسائل الشهرة على غرار دعاية « هولى وود » لاثبات كفاءته لمثل هذا المنصب العظيم — أى منصب رئيس الوزراء وخلفا لجواهر لال نهرو – بل وعلى العكس من ذلك انه لما قدم استقالته من منصب السكك الحديد من عند نفسه – كان اول وزير استقال من منصبه تطوعا وبدون أى ضغط خارجى لذلك – لم يكن لياخذ حظه من الدعاية التى تنالها شخصيات اقل منه شانا فى غالب الأحيان. انه كان هادئا وخجولا بعض شئ ولم يكن شديدا قطعى اللهجة ولا مستبدا فى سياسته ولذلك قال بعضهم انه كان ضعيفا بينما وصفه البعض الآخر بانه كان سجين الارتباك حيرانا ، الا أنهم سرعان ما أدركوا الصلابة

والحزم الذى كان الراحل نسيجه. وكان القرار الذى اتخذه حول إجراء المحادثات بشأن مشكلة «رن كش» ضد التيار الشعبى العام. فقد بدأ الضغط عليه فى البرلمان وخارجه من كل ناحية فى البلد، ولم يكن هناك أى صورة واضحة لفكرته داخل البلاد — التى ظهرت فيما بعد — لتواجه هذا الضغط. فاذا كان الراحل ضعيفا فى رأيه او رجلا يؤثر القبول العام على مصلحة الوطن لكان قراره بالعكس تماما مما إتخذه هو. فقد صمد كاى صخرة أمينا متمسكا بكل ما قام به من تصميم وعزم فى ذلك وتحمل الصدمة على كاهله القوى. لقد آثر وسيلة المفاوضات والسلم لا يضعف فى عقيدته ولكن لقوة وشهامة كان يتمتع بهما فى كافة تصرفاته، فانه سرعان ما احتل ممر الحاج پير درءاً للمتسللين الباكستانيين وهجماتهم واسرع من ذلك أصدر الأوامر بالزحف إلى لاهور عند ما هاجمت باكستان قطاع چهمب. إنه أحس بان معالجته السابقة قد فسرت بالضعف من قبل باكستان ومستشاريها الأجانب الذين يعتقدون انه سوف يواجه كل الهجمات بالنهج الذى عالج به الهجوم على رن كش وانه يرحب بالتدخل الأجنبى فى المسئلة. كان يعرف جيدا بان باكستان تفوق بقوة الاسلحة التى تملكها، وعن تعاونها المباشر مع الصين والتاييد الغير مباشر من قبل بعض اصدقاءها الآخرين فى العالم الخارجى. ولكنه فى أول الأمر حاول التمسك بطريق السلام وعند ما فشل فى محاولته هذه خاطر بكل ما كان يملك من قوة وتصميم فى الدفاع عن وحدة وسلامة بلاده. وذلك العزم الراسخ والايمان القوى هو الذى اثار شعلة الجهاد والشجاعة فى جنودنا البواسل الذين استطاعوا بفضله ثنى الاسلحة الفولاذية الهائلة التى

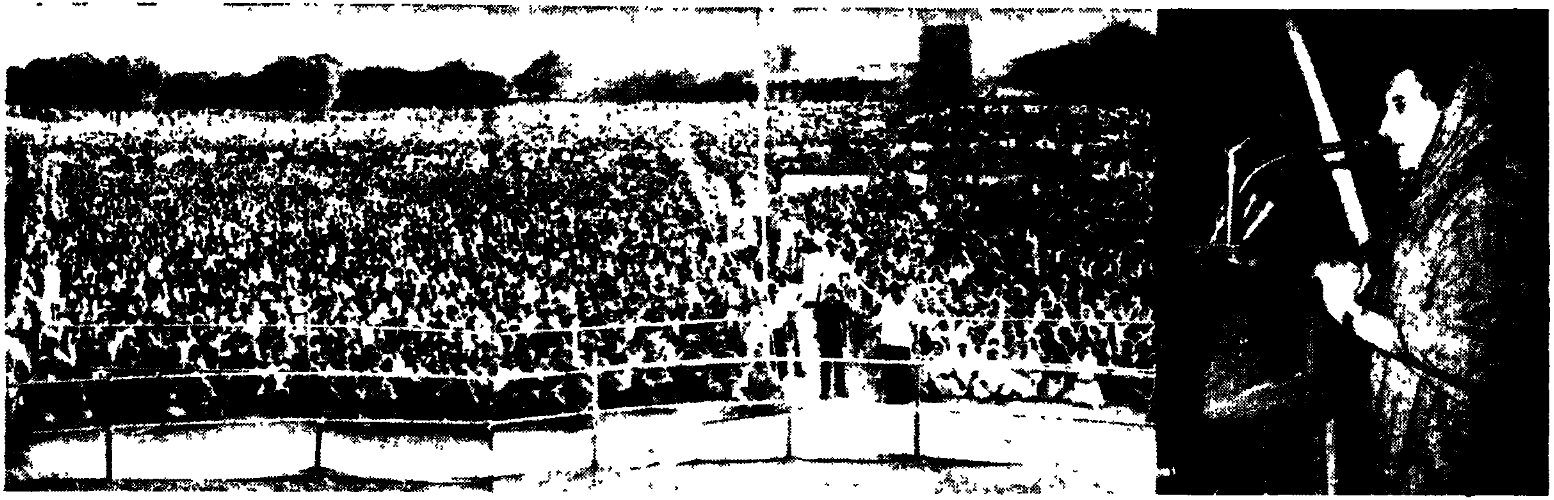

السيدة انديرا غاندى ، رئيسة وزراء الهند تخطب فى الجماهير المحتشدة بنيودلهى

استوردتها باكستان من الخارج وخضعت أمام البشر . ومع كل ذلك لم تكن هذه الانتصارات الهائلة لتعمى بصره حتى يلجأ الى المباهاة بها ولكنه الرجل الاول الذى انتهز اول فرصة للسلام بشوق . فانه كان يلتمس النصر ليس على جثث من القتلى فقط بل على أذهان الناس ايضا . وقد احرز هذا الانتصار فى طشقند . والحق انه هو الوحيد الذى كان يتمكن من الدخول فى المفاوضات ثم يحفله النجاح بعد مرارة الحرب الغير مأذونة لانه يستطيع الذهاب إلى مائدة المحادثات بدون اى مرارة او توتر . إنه خاض المعركة بروح من گيتا (Gita) وكاى رجل يؤمن بالفلسفة الغاندية . كالذى يومن إيمانا قويا راسخا بالسلام لأجل السلام .

وإن الطريقة التى إنتهجها فى القيام باعباءه او فى تادية رسالته أهم بكثير من كل ما قام به من أعمال وما أحرز من مكاسب . لم يستطع جلال المنصب ولا أبهة الرئاسة ان تجذب هذا البطل الذى كان قوى الهمة عاليا جسورا ، ضعيف البنية شديد الشكيمة ، والواقع هو انه كان يشعر بشئ من الاشمئزاز فى قصر رئيس الوزراء الحديث فى ١٠ ، جن پتھ (10 Janpath) وعند ما تم بناء الجناح الجديد فيه أشار إلى موبلياته وسجاجيده الفخمة وقال هل رايت ملكنا الجديد ؟ وابتسم على عدم التوفيق بين طبيعته الساذجة وهذه الموبليات والسجاجيد الفخمة انه ولد فقيرا وعاش فقيرا ومات فقيرا . لم يفقد قط هويته مع الفقراء مع أنه كان يشغل أكبر منصب فى الدولة وقد خرج شعار «جےجوان ، جےکسان» أى النصر للجندى والنصر للفلاح من صميم قلبه لانه كان يعرف انهم هم المنقذون للهند مع أن الآف المثقفين من الطبقة العليا يدعون الفضل ويتمتعون بثمارهم .

ومن خصاله الحميدة التی ترکت اثراً قویا علی کل من لقیه او عاش معه، التواضع، وذلك لم یکن قد اصطنعه مثل السیاسیین الاخرین علی وجه العموم بل انها کانت خصلة روحیة خالصة فکان تواضعه یرفع بك ویسمو بنفسه فی آن واحد لانه کان یخضع للقدسیة والسمو الذی یوجد فی نفسك والذی یکون فی قلب کل انسان. ومثل ذلك الشخص یسلم من الخطایا التی تنتج عن التعلی والمباهاة والآثام الناتجة عن الزهو او العجب ومثل ذلك الرجل دائما یبحث ویلتمس ویظل دائما طالبا الحق.

وسمعت انه تحدث الی بعض اصدقائه قبل مغادرته الی طشقند فقال: إنی اشعر بشیٔ من انهیار عصبی، فادعو الله لی التوفیق ولا یستطیع ای انسان ان یقول مثل هذه الکلمات إلا من کان علی درجة کبیرة من العظمة وطیب النفس ـ مع انه یتقلد منصب رئیس الوزارة لأکبر دیمقراطیة فی العالم.

لقد نهض فی التیار الشعبی بنوع غریب جدا فی الهند وفی الخارج معا وقد ترك أثراً قویا حیث ذهب. فی یوغوسلاویة وفی مصر وفی انکلترا بالذات ـ زار کل هذه البلدان فی زی شعبی بسیط یتضمن معطفا ابیض وإزارا منسوجین من القطن الهندی فی داخل البلاد، لانه لم یکن لیغیر ملابسه لمناسبة او أخری وقابل الغرب علی اساس المساواة الکاملة وبدون ای شعور من مرکب النقص فی نفسه، انه کان اول زعیم هندی کبیر ـ بعد غاندی طبعا ـ دخل قصر بکنکهم وشوهد فی شارع رقم ١٠ فی «دهوتی» ـ ای الازار الهندی الخاص ـ وذلك أمر له اهمیة کبیرة من الناحیة النفسیة فکان یجذب الیه أمراو الشعب فی کل مکان مثل حجر

المغنطيس واتفق لى أن زرت لندن بعد زيارة المستر شاسترى لها بقليل فسمعت هناك مدائح للفقيد على السنة الشعب بوجه عام فظننت ذلك تلطفا من الشعب البريطانى ولكنى سئلت بعض الطلبة أثناء اجتماعى بهم - «إنه بالتاكيد لم يكن عظيما مثل عظمة جواهرلال نهرو ؟ ولكن نهض طالب انكليزى من مدرسة لندن للاقتصاد ورد على قائلا : أنا استمعت إليه وشاهدته واستمعت اليه على شاشة التلفزيون فانتهيت إلى نتيجة هى ان نهرو كان رجلا عظيما ولكن شاسترى رجل طيب» فاقنعنى هذا الرد الذى لم يكن نتيجة لاى ضغط خارجى - اقنعنى بان الثناء عليه أكثر بكثير من حديث يدور فى غرفة الاستقبال عادة وتاكدت من ان الشباب فى هذا العصر وفى كل ناحيه من انحاء العالم متعطشون إلى المثل العليا وصفاء النفس وانما وجدوا ذلك سواء آ كان ذلك فى كنيدى او فى شاسترى يتاثرون به بدون تردد او تاخير والذين يومنون بالاخلاق العسكرية وقوة الجيش ربما يلمسون هذه الحقيقة وهى أن المستر شاسترى قد استطاع باخلاصه وأمثليته وجراءته إعادة الفكر الهندى إلى خريطة العالم .

إنه كان حقا «رجل الشعب» فقد كان الناس دائما يزدحمون على بابه حتى الساعات المتاخرة من الليل ليرفعوا إليه شكاويهم وما يعانون من مشاكل ، وكان الراحل دائما يساعدهم بكل حماس فى إراحة بالهم وازالة شكاويهم . فانه لم يجعل حوله هالة من الخوف . ويستطيع كل انسان أن يتحدث اليه بحرية وصراحة قلت له بعد وقف إطلاق النار عند ما كان نجمه فى صعود . قلت له ! فى الواقع ياخذنى نوع من الخوف من هذا النجاح الباهر الذى احرزته ومن المكان الذى تحتله الآن فى قلوب

الشعب ! فابتسم ، وأضفت الى ذلك قولى : « كل ذلك يتوقف على آخر خطوة تخطوها ولابد لك ان تخطوها ، فرد على بقوله : هذا صحيح وكانت الخطوة الاخيرة التى اتخذها فى طشقند حيث ضحى باثمن ما منحه الله من هدية وهى حياته التى اودعها لقضية السلام وللجمع بين الاخوان وللتوفيق بين الذين شتت شملهم النوايا الشريرة للبعض المغرضين ومهما تبدو من انتقادات لتصريح طشقند ان الملايين من افراد الشعب الهندى عند ما خرجوا لاستقبال جثمان الفقيد شاستری وبالاعراب عن الحب الذى يكنون له فى قلوبهم قد منحوا الموافقة لاتفاقية طشقند وهذا الحدث له أهمية كبيرة بحيث أنها تستطيع أن تغير مجرى تاريخ شبه القارة — كان غاندى قد غرس بذور الوحدة فى الهند بتضحية حياته حيث كانت الاضطرابات الطائفية والمشاجرات الدموية تحدث هنا وهناك وكانت عملية التحول تجرى داخل نفوسنا بسبب وفاة الزعيم غاندى والتى اتاحت لوحدة الهند ان تتفتح عندما اقتضت الأوضاح إلى ذلك فى عام ١٩٦٥م وبنفس الطريق يشن موت شاستری حركة تؤدى فى آخر الأمر إلى تحقيق الوحدة بين الهند والباكستان ، واستمار هذا الأمل من جديد فى قلوبنا لأننا نستطيع أن نلمس ونسمع فى سير المستر شاستری على أرض الهند — نسمع فيه صدى خطوات المستر غاندى الذى كنا نسيناه منذ أمد بعيد .

تعريب : الاستاذ محود الحسن الندوى

اضواء على التاريخ الاسلامى فى الهند

بقلم : محى الدين الالوائى

(١)

الهند أول دول العالم فى تعدد أديانها ولغاتها وتباين مناظرها ومناخها ، وثانى دول العالم فى عدد سكانها ، وثالث دول العالم فى عدد المسلمين . وهى قطر قائم بذاته من الناحية الجغرافية ، ولكنها من ناحية الاتساع وحدودها الشاسعة بمثابة قارة كاملة ، وحجمها يساوى تقريبا القارة الأوربية بدون روسيا ، وأنها أكبر من بريطانيا بعشرين مرة ، ومجموع سكان الهند يعادل خمس سكان العالم . ويبلغ عدد المسلمين فيها حوالى خمس وخمسين مليون نسمة ، وهم يشكلون أقلية قوية كبرى فى وسط مجموع سكان البلاد .

وأما الهند فقد اتخذت لنفسها دستورا علمانيا لايقوم على أساس دينى رسمى ، ويخول الحرية لجميع المواطنين فى الاحتفاظ بعقيدتهم والدعوة إلى مبادئهم ونشر ثقافتهم الخاصة ، ومن هنا تقع على هذه المجموعة الاسلامية الكبرى مهمة المحافظة على كيانهم الاسلامى وتراثهم الدينى ونشر العلوم الاسلامية واللغة العربية التى هى لغة القرآن وعلوم الدين الحنيف ، وفضلاعن أنها تساعد على توثيق عرى التفاهم والتعارف بين المجتمعين العظيمين الهندى والعربى .

ولا يتم تاريخ الدعوة الاسلامية فى العالم — قديما وحديثا — إلا بالاشارة الى تاريخ الاسلام فى القارة الهندية وتطوراته فيها فى مختلف العصور والأدوار .

إن للبحث عن الاسلام فى الهند جانبين مستقلين يختلف كل منهما عن الآخر كل الاختلاف، فالأول جانب تناول تاريخ الفتح الاسلامى للهند وتاريخ امبراطورية المسلمين فيها، والثانى جانب اسلامى محض من حيث دخوله إلى تلك البلاد، وعن الجهود التى بذلت فى سبيل نشره، وذكر الشخصيات التى قامت بالدعوة إليه. وهذا الجانب الاسلامى أوسع وأشمل زمانا وأكثر بجدا وأعمق أثرا فى تاريخ الهند. ولا يرجع فضل الانتشار الواسع للدين الاسلامى فى طول الهند وعرضها إلى الملوك والأباطرة والغزاة الذين قاموا بغزوات وفتوحات فى الهند، فان الاسلام قد دخل فى الهند سلميا بأيدى دعاة من المسلمين العرب وبذلوا جهودا جبارة فى سبيل نشر الاسلام، وبدأت هذه الجهود الفردية قبل الفتح الاسلامى الأول الذى قام به محمد بن القاسم الثقفى فى نحو ٩١ من الهجرة النبوية فى مقاطعة السند بشمالى القارة الهندية

وأما النتائج التى تظهر من البحوث العلمية والوقائع التاريخية فهى أولا: أن قدوم المسلمين إلى الهند لم يكن حركة استعمارية أو نتيجة لموجات الغزو العسكرى، وثانيا: أن الجماعات الصغيرة التى وفدت إلى الهند كغزاة فاتحين لم يكونوا من العرب اللهم إلا مجموعة من فاتحى السند مع جيش محمد بن القاسم الثقفى وثالثا: أن الاسلام لم ينتشر فى أية بقعة من جهات الهند الا بوسائل سلمية، وبفضل الدعوة والارشاد.

ولعل التطواف السريع الآتى يلقى ضوءا على تاريخ وصول الاسلام إلى شبه القارة الهندية، والعوامل التى ساعدت على انتشاره فيها.

كان العرب يفدون إلى سواحل الهند الغربية قبل قدوم الاسكندر الأعظم بقرون عديدة، وكانت محصولاتها تصدر الى سواحل جنوب جزيرة

العرب ، عبر الخليج العربى ، ومن هناك ينقلها التجار العرب الى « تدمر » بسوريا ، و «الاسكندرية» بمصر بطريق الحجاز واليمن.

وأما التجار الغربيون فكانوا يشترون تلك البضائع من سوريا والاسكندرية ثم يصدرونها الى أسواق بلادهم. وكان العرب والمصريون فى الزمن القديم هم الوسطاء بين الهند وبين الروم واليونان فى ميدان العلاقات التجارية. وأما مركز المحصولات الهندية فكان مدينة « صفار » بحضرموت ، وكان سكانها يتاجرون مباشرة مع منطقة «ملابار» فى جنوب الهند ، ولأجل هذا توجد هناك حتى الآن أشجار النارجيل ، وأوراق «التنبول» التى استوردوها من ملابار وغرسوها هناك من عهد قديم.

وذكر فى العهد القديم من التوراة أن الاسرائيليين كانوا يتاجرون مع ملابار فى عهدى داؤد وسليمان عليهما السلام.

وجاء فى كتابى « الملوك » و « أنباء الأيام » أن الملك سليمان قد بعث بعثة من الملاحين إلى « غفير » و «ترشين» وكان هدفه من ذلك استيراد الذهب والفضة والصندل والعاج والطاؤوس ، والقرود الى بلاده ، وعادت البعثة من طرشين بعد ثلاث سنوات ، واستمر هذا السفر التجارى للاسرائيليين بعد سليمان الى عهد الملك «يهوشا» وقد عزم يهوشا أيضا لايفاد بعثتين تجاريتين الى «طرشين» و «غفير» ولكن فاجأتهم الاعاصير قبل مقارنة الميناء فأهلكوا (٣٧-٢٠ النبأ الثانى ، ٤٨-٢٢ الملك الثانى). وكان ميناء الاسرائيليين العام واقعا بسواحل البحر الأحمر ولهم فيه مصانع لبناء السفن والبواخر التجارية.

وقد اختلف الباحثون فى تعيين مواقع «غفير» و «طرشين» وقال بروفيسر «لاسن» وجنرال «كننغام» أن «غفير» هى بلدة «أبيرا» بـ «دلتا» فى

«مهران» (نهر السند) كما قال الجغرافى الرومانى المشهور «بطليموس» ولكن يناقض هذا الرأى مافى الاصحاح القديم. والذى يظهر منه أن «غفير» اسم ابن «يوخدان» وكان يوخدان وابنه «غفير» مع سائر أبنائه يستوطنون فيما بين «ميشا» الواقعة فى الجنوب الشرقى بجزيرة العرب، وجبل «سفارة» فى الناحية الشرقية فالبحث عن «غفير» فى جنوب جزيرة العرب أوفق منه فى الهند.

واما الكلمة المستعملة فى ترجمة الأصحاح القديم اليونانية وفى الترجمة التى قام بها اثنان وسبعون يهوديا قبل ميلاد المسيح المشهورة «بتواجنت» وفى سائر الكتب الموضوعة بعد ذلك هى «سوفير» و «سفيرا» فالمراد منها إما مدينة «سفارا» بحضرموت أو عاصمة اليمن القديمة «صفالة» وأما «طرشين» فالمعروف عنها أنها مدينة فى «قليقيا» فى آسيا الصغرى، ولكننا نحتاج الى تكوين رأى آخر عنها رغم هذا الرأى، لان السفن التجارية التى بعثها الاسرائيليون الى طرشين قد عبرت عقبة وبحر الأحمر، وكان من بين البضائع التى وصلت إلى سليمان من «طرشين» بعض البضائع الهندية الخالصة مثل الصندل والطاؤوس. (٢٢-١١-١٠ الملك الأول، ونبأ اليوم الثانى ١١-٩١)

وأما أسماء هذه الأشياء فى العبرانية فتصلة بها فى اللغة «الدراودية» والصندل فى الكتب العبرانية معروف باسم «الكوم» والطاؤوس «بتوكى» وهذا استعمال مباشر لكلمة «ألاكو» فى اللغة المليبارية. و «توكس» أو «توكى» فى اللغة «التاملية» وهذا دليل ساطع على أن الاسرائيليين قد أخذوا هذه الأشياء من ملابار فى الهند الجنوبية، ويدل هذا على أن الأوفق أن نقرر أن «طرشين» كانت فى هذه البلاد ثم صارت نسيا منسيا فى تقلبات الزمن.

وأما «الرز» فى اللغة «التاملية» فهو «أرش» والتى تستعمل فى العربية هى «أرز» أو «رز» وفى العبرانية «أروس». وفى اليونانية «أروز». وكان

الرز يصدر من جنوب الهند الى البلاد العربية منذ عدة قرون قبل الميلاد. وأصبح الطعام المصنوع من الرز شهيا وممتازا عند اليونان أيام «سوفوكلس».

قد عرف الروم واليونان أن البضائع التى يتاجر بها العرب مصدرة من الهند، ولكن ما كانوا يعرفون الطرق الموصلة الى البلاد الهندية. ولما فتح «سيسر أغسطس» مصر قبل عشرين سنة للميلاد أصبح البحر الأحمر تحت سيطرة الروم وبعد تلك الواقعة غادرت سفينة تجارية للروم الى الهند عبر البحر الأحمر. هذا فى ايام «كلاديوس» ولكن الجأتها الأعاصير الى سواحل جنوب الهند. وعرفوا من ذلك الحين أنه من الممكن الوصول الى الهند بدون المرور بسواحل العرب.

وبدأ التجار الروم بمصر يفدون إلى الهند فاتخذوا «ملابار» مركزا تجاريا لهم. يقول! «بليني» أن السفن كانت تصل الى سواحل الهند من مصر خلال شهرين وعشرة أيام (تمدن هند ص ١٦) وكانت مدينتا «موسيوس» و«فوهار» أهم الموانى فيها فى ذلك الزمن، ومن هناك كانت تصدر البضائع إلى الروم فى السفن الروسية، وقد استوطن عدد غير قليل من الروم فى تلك المدن فى القرنين الأول والثانى قبل ميلاد المسيح، وبنوا هناك معبدا كبيرا فى مدينة موسيرس باسم «سيسر أغسطس» وجاء ذكر هؤلاء الروم فى الآداب «التاملية» القديمة باسم «يوفر» وكانت مصدرات الهند الرئيسية الى تلك البلاد هى الفلفل والدرر و«بناء» وأما الفلفل فتكثر زراعته فى ملابار وأما الدرر فتحصل بكثرة من بحر الجنوب الهندى إلى يومنا هذا. وأما «بناء» فهى جوهرة مشابهة لزمرد، وكان الروم يحبونها جدا، ويجمعونها من المعدنين، واحد منهما كان واقعا على شواطئ نهر «كسينى» بجوار «كستور» فى ولاية «ميسور» وكان الآخر فى بلدة «بدبور» على بعد أربعين ميلا من

«كويمبتور» بولاية مدراس، وكان الأوربيون يشترون الفلفل بثمن باهظ فى العصر القديم، لأنه كان يعتبر فى ذلك الوقت اغلى من الذهب

وعند ما غلب الملك «الارك» على الروم طلب منهم الغرامة وكان من ضمنها ثلثمائة رطل من الفلفل. وقد تعرف الكاتبان الرومانيان «بلين» و «بطليموس» الموانى والمراكز التجارية فى سواحل الهند الغربية، وزار تاجر رومانى تلك البقاع قبل ثمانية سنة للميلاد. ووضع مذكرة عن رحلته اليها باسم «بريلاس» وهى تحتوى على معلومات قيمة عن الهند وعن تجار الروم فيها. وكانت العلاقات التجارية على أتم ما يرام بين الروم وملابار وسائر انحاء جنوب الهند إلى ما بعد القرنين للميلاد. ثم توثقت تلك العلاقات بفضل جهود الملوك البطليموسيين بمصر، وأصبحت الاسكندرية مركز هذه التجارة.

وفى سنة ٢١٥ بعد الميلاد جرى مقتل عام فى الاسكندرية بعد «كاركلا» فنجم عنه دمار عام فى الاسكندرية، وانقطعت العلاقات التجارية لها مع الهند زمنا ثم استأنفت تلك الروابط بعد مدة. ولكن لم تلبث أن تنقطع عراها مرة أخرى. ثم عادت تلك التجارة إلى أيدى العرب. وعند قدوم البرتغاليين الى الهند كان العرب قابضين على زمام التجارة فى موانيها، وكانت من عاداتهم أن يتوجهوا إلى سواحل الهند الجنوبية والغربية فى شهر يوليو وأغسطس أى حينما يكون مجرى الرياح الى الشرق، فيقيمون هناك حوالى أربعة أشهر ثم يعودون إلى بلادهم فى شهر ديسمبر او يناير. وكان السفر إلى ناحية واحدة يتم فى ثلاثين يوما الى اربعين. ولاقت الدعوة الاسلامية نجاحا باهراً وانتشاراً مرموقا منذ هجرة الرسول عليه السلام الى المدينة، واعتنقت مئات من قبائل العرب الذين

الاسلامى خلال بضع سنوات . وأوفد كبار الناس مندوبيهم إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لاخباره عن اسلامهم. وقد دخل سكان اليمن وحضرموت فى الاسلام افواجا من العام التاسع والعاشر للهجرة النبوية (٣١ ه ٦٣٠ للميلاد) وكانوا جميعا من التجار ، ووصلت تجارتهم البحرية الى قمة الرقى والنجاح فى ذلك الوقت . وكانوا يشحنون البضائع الى « الخليج العربى » و « مصر » و « سند » و « كونكن » و « ملابار » و « معبر » و « سيلان » و « سابج » (جاوا) و « الصين » وما الى ذلك من البلاد النائية. وكانوا يبشرون بالدعوة الاسلامية فى كل بلد ينزلون فيه لغرض التجارة وبهذه الطريقة قد وصل صوت الاسلام الى الهند وسيلان فى القرن الأول للهجرة النبوية .

وفى زمن الخليفة عبد الملك بن مروان (٨٦ - ٦٥) قدمت جماعة من المسلمين التجار إلى جزيرة سيلان فاستوطنوا فيها ، وكان فى مدينة « هرموز » بالخليج العربى ملاح عجمى يدعى « بزرك » بن « شهريار » وألف كتابا عن رحلته البحرية (سنة ١٠١٣ م ٤٠٤ ه) وسماه « عجائب الهند » يقول فيه فى صدد بيانه عن حالات جزيرة سيلان ، فلما سمع أهالى سيلان عن الرسول العربى أوفدوا رجلا ممتازا الى جزيرة العرب للاستطلاع عن حالات ودعوة ذلك الرسول الجديد ليبلغهم كما رأى وسمع . فوصل ذلك المبعوث الى جزيرة العرب فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٢٣ - ١٣ ه - ٦٤٤ - ٦٣٤ م) فتشرف بمقابلة الخليفة وتحدث معه عن دعوة الرسول وتاريخ حياته وجمع معلومات وافية ، ثم عاد الى سيلان ، ولكن فاجأه الموت فى طريقه وهو فى « مكران » فكان معه خادم هندى ؛ فعاد الى سيلان ، وبلغ أهلها عن

مشاهداته ومعلوماته ، وبين لهم ما سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن أبى بكر الصديق الخليفة الأول ، وكذلك كشف لهم تفاصيل الحادثات التى جرت بينهما وبين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال : عمربن الخطاب رجل تقى شجاع ، يلبس الثوب المرقع ، وينام فى المسجد . (عجائب الهند صفحة ١٥٦ .)

وكتب المؤرخ المشهور « احمد البلاذرى » وفى القرن الثالث الهجرى (٢٧٩هـ - ٧٩٢ م) فى معرض بيان أسباب فتح « السند » : « كان التجار العرب يذهبون الى سيلان للتجارة ، واستوطن هناك بعض التجار المسلمين مع عائلاتهم ، وقد لاقى منهم البعض حتفهم فيها . فلما اصبحت عائلاتهم بدون ملاذ ولا ملجأ أرسلهم الملك الذى كان يحكم السيلان الى « الحجاج بن يوسف الثقفى » بالكوفة بطريق البحر وزودهم بهدايا قيمة على حسابه الخاص . ولما وصلت السفينة التى تقلهم الى بلدة « ديبل » بالسند أغار عليها جماعة من القراصنة واستولوا على الهدايا . ولما سمع الحجاج هذا النبأ المؤلم قرر الهجوم على «السند» انتقاما من هؤلاء الظالمين (فتوح البلدان صفحة ٤٣٦ و ٢٤ و «تاريخ فرشته» الجزء الثانى) . وهذه الوقائع جرت فى عصر وليد بن عبد الملك (٩٦ - ٧٦ هـ ٧١٥ - ٧٠٥ م .) ويظهر منها أن أهل سيلان كانوا يعرفون عن الاسلام ، وان التجار العرب قد استوطنوا هناك منذ القرن الأول الهجرى . وفى ذلك الزمن وصل ايضا بعض التجار المسلمين العرب الى « ملابار » فاستوطنوا فيها .

وتقول « تحفة المجاهدين » للشيخ زين الدين بن عبد العزيز عن بداية عهد الاسلام فى ملابار : إن طائفة من اليهود والنصارى قد استوطنت فى مدينة « كدنكلور » (كرانغلور) عاصمة ملابار القديمة ،

فلعل اليهود الذين أجلاهم «كيخسرو» ملك إيران – كما تقول أسطورة قديمة – قد هاجروا الى ملابار ووصلوا إليها من طريق الخليج العربى، ثم استوطنوا «كوچين» أو كما ذكر الدكتور «فورستر» مسندا الى كتاب «برتغالى»: خرج فى سنة ٣٦٩ من الميلاد جمع من اليهود من جزيرة «ميورقة» من الأندلس وكانوا زهاء سبع أو ثمانى ألف نفر، فوصلوا الى شواطئ «ملابار» واتخذوا بلدة «كوچين» مقرا لهم. وأما النصارى فالمصادر التاريخية تشهد أن القديس «توماس» كان يبشر فى ملابار بالمسيحية، وأنه وصل إليها الفسطوريون من سوريا من الجزيرة ومن كالديا كذلك.

ثم نزلت بعد حقبه من الزمان عاصمة ملابار فئة من المسلمين فى سبيلها الى سيلان مهبط أبينا آدم لزيارة قدمه. ولما بلغ ذلك الى ملك ملابار، دعاهم وتحدث إليهم مستفسرا عن النبى الكريم، فأجاب رجل منهم، وكان شيخا كبير السن، عن سيره الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام، وعن معجزة شق القمر، فصدق الملك بالنبى وأسلم من صميم الفؤاد، وأسر إليهم أنه سيرافقهم فى طريق عودتهم إلى بلاد العرب من سيلان، بنفسه لمقابلة النبى الكريم، وأكد لهم أن لا يفضوا بما وقع إلى أحد فى ملابار ولما رجع هؤلاء من سيلان، أمر الملك للشيخ أن يحضر سفينة تقله ومن معه، وعند ما تم له ما اراد دعى عشيرته وأعيانه وقال: إنى عزمت الانزواء والعكوف على عبادة الله، فلا يقترين أحد إياى طوال أيام الأسبوع، ثم وكل أمور الحكم موزعا على رجاله، وكتب لهم فى ذلك أمرا حتى لا يتعرض أحد لأحد. ولا يختلف فيه اثنان، وبعد ذلك ركب هو ورفقاؤه فى الفلك ووصلوا «فندرينة» فباتوا هناك ليلة

وقضوا نهارا ، ثم أبحروا إلى «درمفتن» ومكثوا فيها ثلاثة أيام ، ثم ركبوا حتى بلغوا «شحر» فنزلوا فيها أياما سنح لهم فيها ترتيب بعثة تقصد ملابار لتدعو الناس الى الاسلام وتشيد فيها مساجد لله . وإذا بالملك قد أصيب فى تلك الأيام بمرض كاد منه شدته أن يذهب بحياته ، فاوصى الملك الدعاة ان لا يهن منهم العزم فيتأخروا عما عزموا عليه ، فقالوا وهم « شرف ابن مالك ، وأخوه مالك بن دينار وابن أخيه مالك بن حبيب ابن مالك : أيها الملك إننا لانعرف بلادك ولا نعلم عنه ثغورها وإنما قصدناها لأنك معنا ، ففكر الملك مليا ثم كتب لهم باللغة المليبارية مكتوبا الى أقاربه وعماله ، ودلهم على عناوينهم وأمرهم بأنهم ينزلوا «كدنكلور» (كرانغلور) و «درمفتن» و «فندرينة» أو «كولم» وأكد لهم أن لا يذكروا أحدا كلمة عن مرضه أو عن موته ، وعما قليل توفى الملك هناك .

وبعد عامين من موت الملك توجه شرف بن مالك ومالك بن دينار ومالك بن حبيب بزوجته وعياله الى «ملابار» وبمجرد أن وصلوا الى «كدنكلور» عرضوا مكتوب الملك على عامله فأقطع لهم الضيعات وأعطاهم الروضات والحقول وفق مكتوب الملك ، فسكن مالك بن دينار وابن اخيه مالك بن حبيب «كدنكلور» وبنى هناك بعد ذلك مسجدا ثم ارتحل مالك بن حبيب بزوجته وعياله الى «كولم» حيث أسكن فيها عائلته وبنى مسجدا ثم خرج وحيدا حتى وصل بلدة «هيلى ماراوى» وغادرها بعد بناء مسجد بها إلى «باكنور» و «منجلور» و «كنجركوت» وشيد فى كل من هذه الاماكن مساجد لله فعاد إلى «هيلىماراوى» أقام فيها ثلاثة أشهر ثم غادرها إلى «شاليات» و «جرفتن» و «درفتن» ثم عاد إلى «كدنكلور» بعد ما بنى المساجد فى كل البقاع ايضا . ثم أخذ معه عمه

مالك بن دينار فطاف بالمساجد كلها وصلى فى كل منها. ثم عاد سويا الى «كدنكلور» مرة شاكرين لله على أن البلاد التى كانت تعمها الضلالة ويكتنفها الكفر أصبحت تتنور بنور الاسلام. وبعد ذلك غادر مالك بن دينار ومالك بن حبيب «كدنكلور» إلى «كولم» ومعهما الأصدقاء، والخدمة، فأقاموا فيها .

وبعد مدة طويلة ارتحل مالك بن دينار ومالك بن حبيب مع بعض الزملاء الى «شحر» وزاروا هناك قبر الملك المتوفى. ثم سافر مالك بن دينار إلى خراسان حيث توفى هناك فى بعض نواحيه، وأما مالك بن حبيب فرجع الى ملابار، وترك اولاده فى «كولم» واتخذ لنفسه وزوجته مستقرا فى «كدنكلور» حتى انتقلا إلى رحمة الله .

وهكذا وصل صوت الاسلام – لأول مرة، الى الهند بأيدى العرب، وكانوا هم طليعة المسلمين الذين أناروا الطريق لنشر الدعوة الاسلامية فى شواطئ الهند الغربية. وضاءت به أرجاء الهند الساحلية الواقعة فى شواطئ بحر العرب عقب أن انبثق فجر الاسلام فى بلاد العرب، وأن التجار العرب الذين كانوا يرتادون هذه الشواطئ وموانئها ومراكز التجارة فيها قد حملوا معهم قبسا من نور الاسلام الوهاج وأضاؤا به مناطق عديدة بجنوب الهند. لم يلبث أن توسع نطاق الجهود الفردية التى بدأها هؤلاء الدعاة العرب المسلمين حيث تبعهم فى هذا الميدان المسلمون الهنود الذين استضاؤا بذلك النور، وتشبعوا بالدعوة الاسلامية .

وبدأت طليعة الدعاة المسلمين – العرب والهنود - تنشر التعاليم الاسلامية، واللغة العربية فى ربوع شبه القارة بطريق الوعظ والارشاد وكان رائدهم فى ذلك قوله تعالى: «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة ، حتى ظهر فى أرجاء البلاد رجال متفقهون فى العلوم الاسلامية ومتمكنون فى اللغة العربية وآدابها ، وبذلوا أقصى الجهود فى سبيل نشر اللغة العربية فى كل بقعة نزلوا فيها ، للدعوة الى الدين الحنيف ، باعتبار كونها لغة القرآن الكريم ، والعلوم الاسلامية ، فلها مكانة مرموقة فى قلب كل مسلم غيور ؛ حتى برز فيها علماء ومؤلفون من أبناء الهند ، وساهموا مساهمة فعالة فى تكوين مراكز خالدة للثقافة الاسلامية فى البلاد الهندية .

وتتشكل هذه المراكز الأولى للثقافة الاسلامية من المساجد والتكايا والمدارس العربية ، وكانت تقوم بنشر المبادئ الاسلامية ، والتعاليم الدينية فى اللغات المحلية ، بغية تقريب معانيها ومفاهيمها إلى أفهام الجمهور ، ورفع كلمة الله فى قوم تائهين فى غياهب الشرك والضلال وغارقين فى الخرافات والخزعبلات والترهات . وأما الذين كانوا يقومون بالدعوة الاسلامية فقد خالطوا أهل البلاد وعاشروهم ولقنوهم مبادئ الدين الحق ، وكانوا قدوة حية للاخلاق الفاضلة والسجايا العالية ، كما كانوا ممثلين عمليين لكل ما يدعون الناس إليه ، فتأثر سكان البلاد بأخلاق هؤلاء الدعاة واعمالهم الصالحة وروحهم الكريمة ، ودخلوا فى دين الله أفواجا عن طيب نفس واقتناع .

وفى مقدمة الأسباب التى ساعدت على انتشار الدعوة الاسلامية فى شبه القارة الهندية عناية العلماء والمشايخ الذين تفانوا فى سبيل نشر الاسلام ، بتربية من أسلم من الأهالى تربية كاملة على آداب الاسلام واخلاقه العالية وتنشئته نشأة صالحة طبقا لتعاليمه النقية الطاهرة . وهكذا كان الاسلام يترعرع فى أنحاء الهند ، خصوصا فى مواطن المهاجرين العرب الأولى ، فى السواحل الهندية الغربية والجنوبية بأيدى العلماء الصالحين ،

والصوفيين الذين هاجروا أوطانهم فى سبيل الله ، ودخلوا الهند دعاة مرشدين بعيدين كل البعد عن المطامع السياسية ، ولذائذ العيش وكسب الأموال .

ويدل التاريخ على أن الدعوة الاسلامية كانت تنتشر فى الهند فى العصور الأولى لبدئها بدون أى صدام مع الأديان المحلية الأخرى ومعتقدات أهاليها ، بل وكان الدعاة المسلمون محل احترام وتقدير لدى الحكام الهندوكيين .

وأكبر دليل على ذلك ، المساجد التى شيدها هؤلاء الحكام لرعاياهم المسلمين ، وكان هؤلاء الدعاة يقومون بنشر دعوتهم فى جو من الحريه والأمان ، واستمرت هذه الحالة الهادئة الطيبة الى عصر قيام بعض الأباطرة العجم ، مثل المغول والأفغان والترك والفرس ، بفتوحات مسلحة وغزوات سياسية ، لتولى مقاليد الحكم . فبدأ التعصب الدينى ، والعصبية الطائفية تتسرب الى ربوع البلاد ، لأنهم كانوا يقومون بهذه الفتوحات باسم الاسلام ، مع أنه كان جل همهم السيطره السياسية وتوطيد الامبراطورية وإنفاق الاموال فى الترف ومتع الحياه الدنيا ، وما اهتموا — فى قليل أو كثير - بدعوة الاسلام السمحاء . فبدأ التعصب - بمختلف أنواعه - ينتشر فى البلاد ، ونشبت المصادمات المادية والأدبية باسم الدين وأما الحكم البريطانى المبنى على مبدأ - فرق تسد — فقد زاد الطين بلة ، وأشعل منذ بدايته نار التعصب الدينى والطائفى فى أوساط الشعب الهندى ، وفرق بين الهندوس والمسلمين باسم الدين بحيل وأباطيل استعمارية ، فحدثت فجوة كبيرة بين الطائفتين . ولم تجر فى الهند يوما من الايام حرب دينية لنشر الاسلام ، وأن الحروب والغزوات التى وردت عن الأباطرة المسلمين ، المغول وغيرهم ، إنما هى حروب سياسية ، ولم ينتشر الاسلام ، قبلهم وبعدهم ، الا طواعية واختيارا ، وبفضل الدعوة والارشاد ، بطرق

سلمية ، وجو ودى . وإنما أسلم - كلهم أوجلهم - من الذين دخلوا فى دين الله مقتنعين بصدق دعوة الاسلام ومبادئه العادلة الانسانية ومنهم من أسلم تخلصا من الاضطهاد الطائفى المنتشر فى نظام الطبقيات الذى كان سائدا فى الهند ، وانجذابا الى عدالة الدين الاسلامى ومساواته وأخوته .

و بجهود هؤلاء الدعاة تكونت مراكز إسلامية عديدة فى ربوع الهند ، وكانت نواتها تلك المساجد والمدارس العربية التى أنشأها «مالك بن دينار» ورفقاؤه فى جنوب الهند . فلما زار ابن بطوطة تلك البقاع فى القرن السابع الهجرى وجد المراكز الاسلامية منتشرة فى سواحل الجنوب الغربى من «جوا» إلى «كولم» (كويلون) . وعند ما وصل «واسكوديكاما» السائح البرتغالى المعروف ، إلى شواطئ ملابار فى عام ١٤٨٨ م كانت الجالية الاسلاميه منتشرة فى تلك البقاع .

ويقول الشيخ زين الدين المعبرى ، فى معرض كلامه عن مشاهداته الأولى لدى وصوله إلى ملابار : «ما كان فيها ملك مسلم ، وكان يحكم المسلمين ملوك هندوكيون» وأما مطالب المسلمين ورغباتهم الخاصة فكانت تعرض على هؤلاء الملوك ويفصلون فيها بالعدل والانصاف ، وبنوا المساجد والمساكن والمعاهد العلمية لرعاياهم المسلمين ، وقد عينوا لهم القضاة والمؤذنين والمعلمين فى المراكز الاسلامية ، ويتلقون المرتبات الشهرية من خزانة الدولة ، وأما يوم الجمعة فيوم عطلة عامة . وكان المسلمون فى تلك النواحى يشتغلون بالتجارة والصناعة ، وما كانت الحكومة تفرض عليهم أية ضريبة ، وظل المسلمون موضع احترام وتقدير لدى الهندوس ، فاذا اعتنق هندوسى الدين الاسلامى فكانوا يتعاملون معه أيضا كسائر المسلمين .

وبفضل هذا التعاون الوثيق والتسامح الودى، والجو المسالم كان الاسلام يترعرع فى البلاد، ووجد أرضا خصبة فى ربوعها.

وأردف الشيخ زين الدين يقول: «أما استيطان المسلمين الأول فلم يكن منحصرا فى ملابار فقط، بل كانت هناك مراكز آهلة بالمسلمين فى المناطق المجاورة لها، وتقع فى الجنوب الشرقى لساحل ملابار منطقة تعرف باسم «كورامندل» أو «معبر» كما كان يطلق عليها المؤرخون العرب، واتخذت السفن التجارية هذه المنطقة مرسى لها ولم تلبث أن صارت موطنا لعدد كبير من أهل جزيرة العرب وإيران..»

ويقول المؤرخ الكبير رشيد الدين: «إن الملك «سندرا بانديا» الذى كان يحكم تلك المناطق وزيرا مسلما يعرف باسم «تقى الدين عبدالرحمن وعينه الملك فيما بعد حاكما على قطاع «كايليا تنام» وهى من أهم موانئ «معبر» المذكورة التى كانت ملتقى التجار العرب من سواحل الجنوب العربى، وهو المسئول أيضا عن المصالح التجارية أمام الملك ومستشاره التجارى الخاص. وأما والد تقى الدين، الشيخ محمد طيب فقد ولد فى يثرب - المدينة المنورة - ثم ارتحل إلى فارس، واشتغل هناك بالتجارة البحرية، وجعل مركز تجارته جزيرة «قيس» فى الخليج العربى، وأقام معه نجله الأكبر «جمال الدين» وكانت سفنه التجارية تسير إلى شتى أنحاء العالم حتى اشتهر بين مسلمى الجزيرة وفارس بلقب «ملك المسلمين» بينما كان أخوه تقى الدين يعرف فى أوساطهم «بالملك الأعظم» و «مرزبان الهند..»

ولما توفى الملك «سندرا بانديا» واعتلى العرش أخوه «كلشيخرابرومال» بقى تقى الدين فى منصبه حتى انتقل إلى رحمة الله فى عام ٧٠٣ﻫ فاختير من بعده أخوه سراج الدين لهذا المنصب.

وفى عام ۷۱۱ ﻫ بنى الملك المسلم «كافور» فى مدينة «راميشوارام» فى جنوب الهند مسجدا ضخما تخليدا لذكرى انتصاراته الحربية فى تلك المدينة، وظل ذلك المسجد أحد المراكز الاسلامية الهامة إلى عهد الامبراطور المسلم «جهانجير» ابن السلطان «أكبر» المشهور.

وقد دخل الاسلام الهند من طرق ثلاث، من الناحية الجغرافية، ومن أهمها - كما سبق - وشواطئ الهند الغربية الواقعة فى بحر العرب التى كانت مركز ارتياد التجار العرب منذ أقدم العصور، فى طريقهم إلى جزيرة سيلان، وشواطئ الهند الشرقية ومن هناك إلى الصين، وجاوا وغيرها من بلدان الشرق الأقصى والطريق الثانى الذى دخل منه الاسلام الهند، الحدود الشمالية الغربية المتاخمة لأفغانستان وإيران. و أول من دخل الهند فاتحا من هذا الطريق الجبلى الوعر السلطان المشهور محمود الغزنوى فيما بين عامى ۳۸۸-٤۲۱ ﻫ.

وأما الطريق الثالث الذى دخل منه الاسلام البلاد الهندية ولاية السند الواقعة على شاطئ الهند الشمالى الغربى حيث دخل «محمد بن القاسم الثقفى» فاتحا، فى عهد حكم الحجاج بن يوسف الثقفى الشهير وتتابعت غزوات الملوك والقواد من الترك والأفغان والمغول بفتح الهند منذ حملة «محمود الغزنوى» حتى أصبحت خاضعة لحكم الملوك المسلمين.

(يتبع)

محى الدين الألوائى
المدرس بجامعة الأزهر
ومحرر القسم الانجليزى
بمجلة الازهر القاهرة

استعراض الكتب

(ثورة الشعب الكولى فى شوتا ناجبور للدكتور جكديش تشندر جها)

"Kol Insurrection in Chota Nagpur" by Dr. Jagdish
Chandra Jha, published by Thacker, Spink & Co.,
Private Ltd., 3 Esplanade East, Calcutta, 1964,

الثمن ١٤ روبية

هذا الكتاب جزء من رسالة التخصص فى الفلسفة التى قدمها الدكتور جكديش تشندر جها الى جامعة لندن بشأن الاضطراب القبائلى فى الثغور الغربية الجنوبية لمقاطعة بنغال من عام ١٨٣١ - الى عام ١٨٣٣، والمجهود الذى بذله الدكتور متكلل بالنجاح، ويقدم نتاجه لاول مرة امام القراء حركة الثورة التى قام بها الشعب الكولى، كما يوضح دوافع الحركة وحوافزها وما احاطت بها عندئذ من الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية، فالمجتمع القبائلى المتخلف لـ «شوتاناجبور» احس بالتاثيرات السيئة التى القيت عليه حبالها فى اثر الحركة الرامية الى تحويل السكان الى الديانة الهندوسية والى ابعاد اعيان القبيلة عن مهدهم، وذلك عند بداية النفوذ البريطانى، وما زاد النار وقودا هو نظام الادارة القانونية المختلطة الذى وضعه اللورد كورن واليس للمناطق البيداء من مقاطعة بنغال، وسببت هذه الظروف توغل الاجانب فى المنطقة وورود الافكار الاجنبية فيها، ولم يكن من المعجب اذا افضى الحال نهائيا ان اصبح الشعب تهدده اخطار الدمار والهلاك، ففزع الشعب الكولى، وقام ثائرا فى سنة ١٨٣١-٣٢، مدافعا عن كيانه.

وقل ما اعتنى الباحثون بالثورة الكولية، فلا نكاد نجد احدا منهم من اولى عنايته الى هذا الموضوع الهام، والمؤرخون البريطانيون للقرن التاسع عشر الذين تناولوا الموضوع فلم يرمعظمهم فى الموضوع من هذه الناحية، بل لم يحفلوا حتى باشارات سطحية الى هذه الناحية، ومن خطا منهم خطوة واعتنى بالاضطراب، فقصر اهتمامه عند ذكر المحاولات البريطانية لتمرين وتهذيب هؤلاء القبائل الذين زعموا انهم كانوا همجيين قطاع الطريق وكانوا عرقلة من العراقيل فى سبيل السلم البريطانى، فانى لهم ان يذكروا الثقافة القبائلية اوما اتت اليها تحت الضغط البريطانى، اللهم الا البعض منهم فهم اعتنوا الى حد ما بالمشاكل القبائلية فذكروها ولكن ذكروها مدفوعين بعصبية المدبر ضد الشعب القبائلى، الشعب الذى طالما ثار وقام فى وجه الادارة، وكانوا يرون كل شئ بمنظار الغرب وقاسوا الامور بمقاييسه، مما افقدهم كليا عواطف الود والعطف نحو الشعب المتمرد الذى قام حينا بعد حين ثائرا محتجا، وجملة القول كان جل همهم هو اعمال البرطانيين ومراميهم وتحقيقها فى تلك المناطق، ومن هنا نجد ان المشكلة من الوجهة القبائلية لم تبحث بعد ومازال متطلبا الى الايضاح.

نعم ركز بعض الكتاب الهنود اهتمامهم على الموضوع من هذه الناحية لكنهم اعتبروه حركة سياسية عامة واعتبروها جزءا من الكفاح الوطنى العام لاجل الحرية فلايكاد واحد منهم اعتبر الاضطراب انه كان ثورة قبائلية على العناصر المضادة القبائلية فاهملوا بتاتا حركة تحويل اعيان القبائل الى الديانة الهندوسية واعرضوا عما تبعتها من العواقب.

ولكن الدكتور جها تناول الموضوع ونظر فى صميمه وقدر الثورة الكولية تقديرا يضعها فى وضعها التاريخى الملائم، واوضح ان الدافع

الاصلى اكل ما حدث هو محاولات الاغيار لاستغلال القبائل الاديواسية واخذ الدكتور الحركة من مرحلتها الاولى التى انتشرت بين المنيدس والاوران وغيرهما من الشعب القبائل لشوتا ناجبور (مناطق راشى وپالاماو فى ولاية بهار حاليا) واخيرا بين البهوبجيين فى پاتكم فى الشرق وبين شيروش وفاروار (پالاماؤ) فى الغرب.

ويصف لنا الدكتور فى كتابه قيام الثورة ونموها وقمع الاضطراب ويبحث فى طبيعتها والاسباب وما اسفرت عنه الثورة مما احدثت تغييرات فى النظام الادارى المنطقة ويتفادى الدكتور ببراعة ناجحة من المغالاة فى اى طرف كان، فلا يميل الى التهكم والسخرية كما لايغلو فى الوطنية غلوا يفقد الحقيقة، وهكذا نعتبره ناجحا فى تقديم صورة متوازنة محايدة كاملة للثورة الكولية.

وافاد الدكتور من جميع المواد المعروفة الموجودة حول الموضوع فتتبع السجلات الحكومية والاوراق الشخصية، وتفحص الجرائد والمجلات وقرأ النشرات الرسمية وتقارير الحكم فى القضايا، ودرس الخرائط، والكتاب انيق الطبع يشتمل على قائمة مفيده من المراجع والمصادر والفهارس اللازمة، ويحتوى على خريطتين، ونرى انه يستحق ان يتداوله رجالات الادب على العموم.

الاستاذ اكبر على الترمذى

الأنباء الثقافية

عقد فى اليوم الاخير من شهر فبراير واليوم الاول من شهر مارس حفلة سيمنار فى جامعة علىكره، وكان موضوع الدراسة العلاقات الهندية العربية. وكانت الحلقات ممتعة ومفيدة، وتفضل الدكتور كلوويس مقصود الممثل لجامعة الدول العربية، بتدشين المؤتمر.

وفى قاعة مكتظة بالحضور مليئة بالاساتذة ورجالات العلم والادب، رحب نائب مدير الجامعة بالممثل الكريم ترحيبا حارا، واعرب فى كلمة الترحيب عن اهتمامه بجامعة الدول العربية، وقال مشيرا الى الروابط الهندية العربية، بانه متاكد بان الصداقة الوطيدة القائمة بين العرب والهنود ستدوم وستواصل تعزيز عرى التفاهم الموجودة فعلا.

والقى الدكتور كلوويس مقصود كلمة اشاد فيها بذكر جامعة علىكره ونوه باهميتها، وذكر الدكتور بانه من واجب المرء عند ما يكون فى جو ادبى ان يتخلص من مظاهر التمثيل السياسى، بل عليه ان يروم ويتوخى مناقشات صحيحة ذات جدوى مثمر، واضاف الضيف الكريم، بانه من اجل هذه لن يقف عند تاكيد الروابط العامة القائمة بين البلدين ولن يكتفى بذكر الوداد الذى يوجد بينهما بوفرة وغزارة، بل سيفضل الاعتناء ببعض النواحى المشكلة لعلاقاتنا. وذلك لان الغاية المقصودة ليست هى الموافقة المحضة، وانما هى الارتياد للعثور على المجالات الجديدة لتلك الروابط.

وقال الممثل الكريم عن جامعة علىكره، انها بالنسبة لنا تمثل اكبر تقدم ثورى احتضنه العرب اى الاسلام، فالدين الاسلامى ثورة على جميع انواع الظلام والقتام وثورة على سائر انواع الاهمال الاجتماعى والاستغلال

الاقتصادى، لمشهدة تاريخنا وثقافتنا وحضارتنا وشعورنا، وان دراسة الاسلام فى هذه الجامعة، وتتبعه لانعاشه بحيث تتجلى ملائمة مع مقتضيات العصر الحاضر ويتفيل لخدماته قاصريهم القوم العربى خاصة.

واشار الممثل الكريم، الى الروابط العريقة والاتصالات الثقافية التى تساهم فيها البلدان والتى تفسر الى حد كبير حرارة وصفاء علاقتنا وقال: الا انه مع وجود تلك الروابط والاتصالات تقدم امامنا طبعة التقدم البشرى والتحولات الطارئة على الكرة حاليا، مجموعة من المشاكل الجديدة. المشاكل التى لو اكتفينا بالبقاء على الروابط الكلاسيكية، ربما لاتكفى للبقاء على علاقاتنا فى المستقبل، ومن هنا يتحتم ان نرسم للمستقبل بمصطلح مشاكل التقدم الافروآسيوى لابمصطلح علاقات الهند العربية.

وقال الدكتور الكريم مشيرا الى سياسة اللانحياز: ان سياستنا هذه اعطت للوضع العالمى اكثر مما اخذت، فانها اعطت للوضع العالمى قوة مصلحة.

وشكر المستر على ياورجنج نائب مدير الجامعة ممثل جامعة الدولى العربية على كلمته التى تدعو الى التفكر والتصبر. وقال ان افكار الضيف الكريم سيكون مادة غزيرة لبداية البحوث واستمرارها.

وابدءت الحفلة بعد الظهر لمباحثه اشترك فيها عدة اساتذة الجامعة من بينهم الدكتور نور الحسن المستر اقتدار عالم وعبد الرحمن والدكتور مقبول احمد.

واقام نائب المدير حفلة استقبال تكريما لممثل جامعة الدولى العربية وعقد انتهاء الحفلة افتتح الممثل الكريم معرضا عن العالم العربى فى الصور،

عرضت فيها صور فوتوغرافية من مختلف البلدان العربية ، ونماذج من جرائدها ومجلاتها ومطبوعاتها ، وكان هنا كذلك برنامج للموسيقى العربية وعرض سينمائى ، استمتع به الحضور كثيرا حتى عرض مرة اخرى فى اليوم التالى .

الزوار الأجانب

من المعتاد ان يؤم الزوار مدينة دلهى فى شتاءها القصير المدة، ولم يتخلف الحال فى هذا العام. فقصدها زوار من مختلف انحاء البلاد ومن شتى اقطار العالم، ولعب المجلس ايضا دوره فى تزويد التيار فرحب بعدد من الضيوف الاجانب ونظم لهم رحلات ومحاضرات، وكان من بينهم فى هذا الموسم.

(١) البروفيسور ك. بالكان
استاذ علم الاشورية فى جامعة انقرة

(٢) البروفيسور ب. الكيم
استاذ الاثريات فى الشرق الاقصى،
فى جامعة استانبول

(٣) المستر برنارك بالمر
مندوب جمعية المكتبة الانجليزية

وتجول هؤلاء الزوار فى مدن الهند الاخرى والقوا محاضراتهم فى امكنة مختلفة وافادوا المهتمين بالموضوع كما القى المستر بالمر فى بانجلور محاضرات نظمها مؤسسة ساردارنجاناتهن .

فى ميادين المدنية

ومن بين من استقبلهم المجلس بفرح كان العالم السياسى البريطانى الممتاز البروفيسور السيردانيس بروغن وقد اقام فى الهند ضيفا على المجلس

فى شهر ديسمبر من ٨ الى ٢٣، وحدث البروفيسور عن مشاكل الخدمة المدنية فى الدولة الجديدة وافيد كذلك من عاومه فى مؤتمر دراسى نظامه المعهد الهندى للادارة العامة .

التبادل الثقافى

ودعا المجلس تحت برنامج التبادل الثقافى بين الهند وبولاند ، الدكتور طاديوزبيبوزنيكا استاذ اللغة السنسكريتية فى جامعة كاراكو ببولاندة ، وسيدرس البروفيسور اللوذعى المشكلة الهامة مشكلة اللغة الهندية واللغات الهندية الأخرى ، وتتضمن برنامجه بجانب دلهى وبانجلور وبومبائى وكالكتا ومدراس .

ومن بين ضيوف المجلس كان المستر بيترهيج المدرس فى قسم الادارة الاجتماعية بمدرسة الاقتصاد اللندنية .

الفن والموسيقى

يهتم الكبار والصغار على السواء بمعارض الالاعيب ويستمتعون بها ، ومما يذكر هنا هما المعرضان لهيرنش ماريا دونيرج عقدا - فى ١٠ و ١١ من شهر ديسمبر فى السنة المنصرفة ، ونظم المجلس العرض فى الهند مع تعاون معهد ماكس موللر .

وهكذا سرت العاصمة ومن فيها برقص كاتهك للانسة داميانتى جوشى ، واهتمت الصحف بفنها وعلقت عليه تعليقات تقدير واعجاب وكانت جوقة مانيك فرما من قبل قد عرضت فن رقصها فى مستقر المجلس وجلبت من الحضور الاعجاب والتحسين .

ومثل الفنان جوليان اوليفسكى بنجاح فى شهر ديسمبر الموسيقى الغربى فى مستقر المجلس فى ٢٠ من شهرديسمبر .

ونزل فى الهند كذلك ضيفا على المجلس وفد من ثلثة شعراء من افغانستان ، للاشتراك فى مولد الصوفى الشهير الاميرخسرو .

Statement about ownership and other particulars about Newspaper (Thaqafatul-Hind) to be published in the first issue every year after last day of February.

FORM IV

(See Rule 8)

1. Place of Publication :	AZAD BHAVAN, INDRAPRASTHA ESTATE, NEW DELHI-1.
2. Periodicity of its publication :	QUARTERLY
3. Printer's Name :	INAM RAHMAN
Nationality :	INDIAN
Address :	AZAD BHAVAN, INDRAPRASTHA ESTATE, NEW DELHI-1.
4. Publisher's Name :	INAM RAHMAN
Nationality :	INDIAN
Address :	AZAD BHAVAN, INDRAPRASTHA ESTATE, NEW DELHI-1.
5. Editor's Name :	S. TAIYEBALI LOKHANDWALLA
Nationality :	INDIAN
Address :	AZAD BHAVAN, INDRAPRASTHA ESTATE, NEW DELHI-1.
6. Names and addresses of individuals who own the newspaper and partners or shareholders holding more than one percent of the total capital.	INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

I, Inam Rahman, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

New Delhi
1-4-1966

(Sd.) INAM RAHMAN
Signature of Publisher.

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

AZAD BHAVAN, NEW DELHI 1

President: Mr. M. C. Chagla

The objects of the Indian Council, as laid down in its constitution, are to establish, revive and strengthen cultural relations between India and other countries by means of:

(*i*) Promoting a wider knowledge and appreciation of their language, literature and art;

(*ii*) Establishing close contacts between the universities and cultural institutions;

(*iii*) Adopting all other measures to promote cultural relations.

11. Lal Bahadur Shastri ... Mr. S. L. Ghosh ... 64
Tr. Mr. Zahir Al-Zoghbi

12. Lal Bahadur Shastri ... Prof. D. C. Sharma, M.P.
Tr. M. M. Nainar ... 68

13. Lal Bahadur Shastri ... Mr. Baqir Ali Mirza, M.P.
Tr. Mahmud Hasan Nadvi ... 77

14. Spot Light on the History of Islam in India ... Mr. M. M. Alwaye ... 84

15. Book Reviews 100

16. Cultural News 103

THAQĀFATU'L-HIND

Vol. XVII April 1966 No. 2

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

	Subjects	Contributors	Page
1.	Shastri and a Challenge of Great Events	Mr. Muhammad Wahbi Abdul Aziz	1
2.	Shastriji, a Life Sketch	Mr Fasihuddin Dehlavi	6
3.	Shastriji, Tributes from World Leaders		8
4.	Indira Gandhi, the Product of Contemporary Indian Democracy	Mr. Lutfi Shalash	16
5.	Personality of Shastriji as Gathered from His Writings & Speeches	Mr. Ameeduz Zaman Qasimi Kairanvi	22
6.	The Martyr of Peace	Dr. George Hanna	29
7.	Indira, Nehru's Daughter and Shastri's Successor	Mrs. Tahani Badawi	30
8.	Shastri – a Life of Struggle and Heroism	Mr. Zahir Al-Zoghbi	35
9.	Indo-Arab Relations in Ancient Times		42
10.	Some of the Muslim Poets of Hindi Language	Dr. Nazir Ahmed Tr. Mr. Said ul Azami	51

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

(JANUARY, APRIL, JULY and OCTOBER)

Rates of Subscription, Post Free

INLAND		FOREIGN	
Single Copy	Rs. 2.50	Single Copy	5 Sh.
Annual	Rs. 10.00	Annual	20 Sh.

Copies are sent only on prepayment and not by V. P. P.

All remittances and requests for supply of copies are to be addressed to the Secretary, I. C. C. R. and not to the Editor.

Books for reviews and journals in exchange etc. are to be addressed to the Editor.

Printed and published by
Inam Rahman,
Secretary, Indian Council for Cultural Relations,
Azad Bhavan, New Delhi-1.

Printed at the Nuri Press Limited, Madras-13.

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)
SPECIAL NUMBER

VOL. XVII No. 2

علينا الآن ان نكافح من أجل السلام بنفس
الشجاعة والتصميم اللذين كافحنا بهما ضد العدوان

لال بهادور شاستری

THE INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS
AZAD BHAVAN, NEW DELHI 1

APRIL
1966

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

آزاد بهون ، نيودلهي .

طبعها ونشرها
إنعام الرحمن ،
سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية .
آزاد بهون ، نيو دلهى – الهند
فى مطبعة نورى المحدودة بمدراس ١٢ .

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية

المجلد السابع عشر
العدد الثالث

يوليو ١٩٦٦

مجلد ١٧
شماره ٣

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس : المستر محمد على كريم تشاجلا

يهدف المجلس – كما ينص دستوره – إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع فى معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها

(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية

(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

مجلة علمية ثقافية
يصدرها مجلس الهند للروابط
الثقافية مرة كل ثلاثة أشهر
يناير – ابريل
يوليو – اكتوبر

بدل الاشتراك عن سنة (ويدفع مقدما بحوالات أو شيكات) : فى الهند عشر روبيات فى الخارج عشرون شلنا . ثمن العدد فى الهند روبيتان ونصف . فى الخارج خمس شلنات .

المراسلات : باسم سكرتير المجلس اذا كانت تتعلق بارسال المجلة أو بدل الاشتراك . وباسم رئيس التحرير : اذا كانت تتعلق باستعراض الكتب أو مبادلة المجلات .

ثقافة الهند
رئيس التحرير
شمعون طيب على
لوكهند والا

محتويات العدد

الصفحه

١ الفن فى الهند (المسرح والرقص والموسيقى) ٩

٢ أضواء على التاريخ الاسلامى فى الهند (٢) .... الاستاذ محى الدين الألوائى ١٤

٣ الادب فى الهند الحديثة .... الاستاذ س . ك . چاتيرجى ٣٠

٤ الصناعات الريفية فى الهند .... للاستاذ جميل الرحمن الدهلوى ٤٤

٥ أغانى الشعب الكشميرى .... للاستاذ ابومحفوظ الكريم المعصومى ٥١

٦ تاج محل (شعر) .... للشاعر الكبير الاستاذ على ابو العلاء ٧٥

٧ اسطول كجرات (٣) .... الاستاذ السيد ابى ظفر الندوى ٧٨

٨ المرأة فى فن الرسم المغولى .... الاستاذ محبوب الله مجيب ١٠٦

٩ الانباء الثقافية ١١٣

الفن فى الهند

(المسرح والرقص والموسيقى)

ان المسرحية الهندية وثيقة الصلة بالرقصة والاغنية والترنيمة الدينية، ونحن نعثر على اصول المسرحية الهندية فى رقصات المعابد القديمة ولا زالت مثل هذه المسرحيات شائعة فى الريف الهندى كما ان لها مكانة بارزة فى الاحتفالات الهندية لانها مجال متوقد مؤثر فعال قادر على التعبير بعمق عن العواطف الدينية والافكار الفلسفية.. فبفضل التآزر بين القصة والاغنية والايماءة يعبر الممثل الهندى وهو على خشبة المسرح عن كثير مما يجيش فى نفوس الناس.

وترجع المسرحية الهندية الى اصول فريدة لم تتأثر بغيرها من المسرحيات القديمة. وقد نمت المسرحية الهندية القديمة حتى وصلت الى أوجها من حيث الشيوع بين الناس والقدرة على التعبير فى القرن الثالث الميلادى، وقد نشر فى هذا الوقت بحث عن الدراما وفنه، ولا يزال هذا البحث هو المرجع الاول للمسرحية الهندية القديمة. ولعل الاديب «اشناغوسا» هو أول من اشتهر من كتاب المسرح الهندى، وقد عاش فى أوائل الفترة الاولى من المسيحية وكان «اشناغوسا» بوذيا تقيا كتب عدة مسرحيات من بينها مسرحية «بوذاكرتيا» التى تدور حول حياة «بوذا».

ولكن اعظم كتاب المسرح الهندى هو «كاليداسا» الذى عاش فى القرن الخامس الميلادى وكتب كثيرا من المسرحيات والاشعار قد عرفته اوروبا فى اواخر القرن الثامن عشر حين قام سيروليم جونز بنشر بعض أعماله.

وشعب الهند مفتون بمسرحياته التى يدور معظمها حول المعابد والبيوت المقدسة والاحتفالات الدينية والشعبية ، وقد نبعت من كل هذا قوم من رجال المسرح والممثلين خلفت تقاليد لذريتها حتى اصبح العمل المسرحى مرتبطا بعائلات معينة ومناطق محلية محددة ازدهر فيها الفن المسرحى بشكل خاص .

ونستخلص من هذه العلاقة حقيقة هامة وهى ان المسرح الهندى التقليدى كغيره من فروع الفن والصنعة القديمة ، قد خلق ونما وتطور على يد رجال من الناس لم ينعزلوا مطلقا عن الجماهير ولم يزعموا يوما انهم فلتة من فلتات الزمن ، ولهذا الامر أهمية فقد أصبح اسمى شكل من اشكال التعبير الفنى صادرا عن الجماهير ككل ، ولهذا يمكننا القول أن المستوى الثقافى للجماعات كان ذا مستوى رفيع .

وقد بقيت لنا خلال الاجيال المتعاقبة بعض الحقائق العظمى التى كشفها الاجداد القدماء كما بقى لنا أيضا ، بعض الفلسفات التى وصلوا اليها وبعض الفنون التى نمت على أيديهم ، وقد حدث ذلك بفضل فرق المسرح المتوارثة والتى لا تزال تجوب قرى الهند حاملة معها تراثا ضخما من الحضارة الهندية .

وانه لفرق جوهرى بين الحضارة الهندية التى لم ينقطع خط تطورها مطلقا وبين حضارات اوربا القديمة فى اليونان ، وروما التى نقلت حضارات اخرى ما كان لها من تراث ، ولا ريب فى ان هذا الامتداد التاريخى للحضارة والثقافة فى الهند هو المنارة التى تضئ للهند

سبيل المستقبل والتى تقود خطى رجال المسرح وهم فى طريق التطور والنمو لان أى اندفاع وطنى يراد له البقاء لا بد وان تكون له اصول راسخة فى آمال الجماهير ونشاطهم، وللجماهير تراثها القديم.

وينبغى ان يكون للمسرحيات التقليدية فى الهند مركز هام فى حياة الهند القومية لانها تنطوى على وفرة من العواطف المباشرة وانفعالات القادرة على اثارة المتفرجين ورفع مستواهم. ورغم ان المسرحيات التقليدية تشيع احساسا صوفيا لدى العامة من الناس فان أفكارها الرهيفة تنطوى على حقائق تمثل القلب من الجسم وهى تحمل معها قيما اجتماعية وتبرز هذه القيم اذا قدمت المسرحية من زاويتها السليمة وفى وضعها الصحيح لانها تحفل بالاحداث التى تمثل التاريخ فى تطوره، ومن الخطأ ان تقدم هذه المسرحيات القديمة كأفكار منعزلة أو دعاوى أخلاقية أو موعظة دينية.

ولكن هذه المسرحيات القديمة بما لها من روعة وكمال لم تعد صالحة فى شكلها التقليدى للتعبير عن افكار الناس فى الوقت الحالى ولا يعنى هذا القول ان تتخلى الهند عن المسرح التقليدى وتخلفه حتى يذبل ويندثر بل يجب أن يظل كقاعدة تضفى على تجارب الهند الحديثة الوانا زاهية من التراث العتيدة فبهذا يحفظ رجال المسرح على انفسهم اليقظة الفنية تجنبهم الرخيص من الاعمال والتى تشير دائما الى كل ما هو نبيل وملهم.

وقد تعرض المسرح الهندى لمرحلة من الركود خاصة عقب ظهور اللهجات الحديثة المتباينة فى شبه القارة الهندية وتطور هذه اللهجات.

ولكن هذه الحالة الراكدة اخذت تتبدد منذ ثلاثين عاما بفضل النهضة السياسية العظيمة التى تجمعت قواها بين الجماهير العريقة وأخذت تنبت فى الناس مشاعر وآمال ورغبات تتحقق مع الزمن. ومع هذه النهضة ظهر المسرح فى افق الحركة الثقافية الهندية ليقوم بدوره التاريخى وليفصح عن مكنون الآمال الوطنية والرغبات التى بذرت فى ارض الهند لتنبت مستقبلا زاهرا.

لقد كانت اليقظة القومية هى الدافع للانتشار الثقافى الحديث ثم اخذت الاشكال الثقافية التى انبثقت عن مختلف الفنون تنشر الخيال والطموح والكرامة الوطنية فالهند تعيش فى عصر تكثر فيه الحركة ويزداد فيه الطنين وتشتد فيه المصادمات وهو عصر يفقد فيه كل ما هو قديم كيانه ليذوب فى بوتقة جديدة ولكن الجديد لم يكسب بعد الحيوية ولم يصبح جسورا حتى الآن ليؤكد نفسه. وان أول ما تحتاجه الهند هم الكتاب القادرون على مواجهة مشاكل اليوم وعلى التعبير بكفاءة عن الدوافع والعواطف والافكار والافعال التى تقوم بها الجماهير العريضة فاذا نجح كتاب الهند فى تأدية هذا الواجب لامكن للمسرح ان يفك اساره ليصبح ميدانا مفتوحا للابداع الفنى وللتعبير الصادق عن الحياة الوطنية والافصاح عن شخصية الشعب المميزة.

وتمر حركات المسرحية عادة فى دائرة تنطوى على عناصر ثلاث. الاول هو الدافع الثورى الذى يجعل الدائرة فى حركة دائمة. والثانى عنصر توجيهى يضع الافكار فى شكل وبناء ايجابيين يمكنها من تأدية وظائفها باستمرار. اما الامر الثالث فهو عنصر الاستجابة الذى يجعل

المسرح مجالا حيويا للتعبيرات الشاملة وبهذا يصبح لمضمون الانتاج ما للاسلوب الفنى من أهمية .

واذا اردنا للمسرحية ان تحقق وظائفها لابد ان يكون الناس العاديون انفسهم هم القوة المركزية التى تدور حولها الدائرة المسرحية اما اذا كانت فرق المثقفين المنعزلة هى مركز الثقل فى المسرحية فستؤدى لنا وظائف مبتورة ناقصة فالروح الخلاقة لاتنتمى لطبقة معينة وليست احتكارا لفئة خاصة فلابد للمسرح ان يكون كنزا للجميع وحومة تتفاعل فيها كل القوات لتمارس قدرتها الخلاقة ولابد للمسرح ايضا ان يكون وثيق الصلة دائما بمنابع العقل الانسانى .

ولا ينبغى لمثل هذا المسرح القومى الذى تسعى الهند لارساء دعائمه ان يلتزم بشكل واحد من اشكال المسرحية بل ينبغى ان يفرز اشكالا متنوعة من التعبير لان الحياة نفسها تنطوى فى تعبيراتها على مثل هذا التباين والاختلاف .

وحتى يصل المسرح الهندى الى هذا المستوى على رجاله ان يتشربوا اكبر قدر من الثقافات المنتشرة بين الناس ثم يكتشفوا الادوات الفنية المناسبة لهذه الثقافات وبهذا ينمو المسرح ويتطور حتى يصبح مسرحا قوميا للهند واذا نجحت التجارب التى تقوم فى الهند الآن فستضاف الى التراث المسرحى العالمى قيم انسانية جديدة .

الموسيقى

ان اهم ماتمتاز به الموسيقى الكلاسيكية والرقص فى الهند هو المحافظة على التقاليد وعدم خروجها على القاعدة التى رسمت لها منذ مئات السنين .

لان الموسيقى والرقص كفن يدرسان فى المعاهد بنفس الصورة التى بدأت منذ عدة قرون ولم تتحول عن المبادئ التى رسمت لها .

نعم ان هناك بعض التغيير والتوزيع نظرا للتقدم الطبيعى للثقافة والتأثر بالموسيقى الحديثة وتأثير الموسيقى الغربية على الموسيقى الهندية ولكن يمكن القول بوجه عام ان الموسيقى الهندية والرقص الهندى فى هذه الايام لم تدخلها اية شوائب ولا يختلفان عما كانا عليه منذ عدة قرون مضت . واننا لا نلمس هذا التقيد بالتقاليد والعقائد ولا تراه فى اى بلد آخر فى العالم .

ان اقدم عمل فنى فى الموسيقى والرقص فى الهند هو كتاب «ناتيا ساستر» الذى وضعه «بهرت منى» فى القرن الثالث بعد الميلاد وهو وان كان كتابا عن الدراما الا انه فصل التقاليد ووضع اسس الموسيقى والرقص قبل تنسيقها وتوزيعها .

ولكن ظهر ان هناك كتابا وضع عن الموسيقى الكلاسيكية وتناول فنى الرقص والموسيقى باسهاب واسم الكتاب «سلباديكرام» ويعود الى القرن الثانى بعد الميلاد .

وهناك عدة كتب الفت عن هذا الفن الهندى العظيم فى الاجيال المتعاقبة بعد ذلك وظهرت عدة مؤلفات فى القرون الثالث عشر والسادس عشر والسابع عشر ووجدت عشرات الكتب الخطية وهى الآن موجودة فى المكتبات فى انحاء مختلفة من الهند تمتد من كشمير فى الشمال الى تانجور وترافنكور فى الجنوب .

ومما يجدر بالذكر انه من مراجعة هذه الكتب وجد ن الاساس التصويرى والفكرى للموسيقى الهندية والرقص الهندى لم يطرأ عليهما اى

تغير مطلقا فهما لم يتغيرا منذ ان وجدا فى القرن الثانى بعد الميلاد حتى الآن .

ولم تتبدل اسس الروابط بين فنى الرقص والموسيقى بأية صورة من الصور وما زالت مستمرة ايضا بدون تغيير .

والموسيقى فى الهند تنقسم الى قسمين رئيسيين ومنهما يمكن دراسة اسس الموسيقى الكلاسيكية فى الهند فهى تتبع طريقين .

١ — الهندوستان فى الشمال .

٢ — الكارناتيك فى الجنوب .

والارتباط بين السلمين الموسقيين كبير والتجاوب متبادل فى الابداع والانطلاق والحرية واللحن والقاعدة الاساسية حتى يمكن وصف الموسيقى الهندية بانها انقى موسيقى اقليمية من الشوائب والعناصر الدخيلة والمؤثرات الخارجية وهى فى الواقع هندية مائة فى المائة فهى الموسيقى التى وصفها والتر بيتر فى كتابه عن مدرسة (جيور جيونى) فقال :

«انها فى لحظات التكامل الموسيقى لا تختلف الخاتمة عن الاسلوب ، والتكوين الموسيقى عن الاداء ، والموضوع عن المعانى ، انها جزء واحد ومجموعة رائعة مرتبطة مع بعضها كل الارتباط .»

وسنختار بعض الالفاظ الهندية لبعض التعبيرات مع شرحها .

فان الالحان العذبة الرقيقة التى تشتهر بها اقاليم الشمال تعرف باسم (آلاب) وفى الجنوب اشتهر بتجميع الالحان والمقطوعات واطلق عليها (راجا ألاباتا) .

وهذا النوع من الموسيقى هو خير مثل للموسيقى الهندية النقية الخالصة .

ومما يجدر بالذكر ان الموسيقى الهندية لاتعتمد على الكلمات واذا استخدمت مقاطع من الكلمات فانها تكون بلا معنى، وهذا النوع من الموسيقى تنفرد به الهند ، ويجعل موسيقاها فى قمة الاعمال الموسيقية الرائعة .

وتجميع الالحان العذبة هو أساس الموسيقى الهندية كما ان التقاسيم الموسيقية هى روح المقطوعة ، ولا يقدم على وضع النوتة الموسيقية واللحن الا الأشخاص الذين بلغوا مرتبة الاساتذة فى الاطلاع والاحتراف لا فى الايقاع الموسيقى فحسب بل فى نظريات الموسيقى نفسها .

ويأتى بعد هذا فى الترتيب تركيب المقطوعات الموسيقية اوتجميع التقاسيم واحسن مثل لها هى الالحان التى جاءت فى الموسيقى الهندية فى الشمال والتى عرفت باسم (خيال) وهى كلمة مشتقة من العربية عن كلمة الخيال . و(بالا ق) وهى المقطوعات الموسيقية التى تربط بين اللحن العذب وضابط الايقاع وهى المعروفة فى الجنوب وتستخدم فيها بعض الكلمات ولكنها لاتؤدى الى أى معنى فالموسيقى هى الجانب المهم اما الكلمات فليست الا وسيلة للسلم الموسيقى وللتعبير فقط .

وتمتاز الموسيقى الهندية بانها عند ما تبلغ المقطوعة الموسيقية او اللحن المستوى العاطفى تتحول الى مقطوعة موسيقية وادبية وتصبح مزيجا منهما .

والكفاية الادبية للمقطوعة الموسيقية تعرف بالهند باسم « ساهتيا » والعوامل الرئيسية والاسس التى قامت عليها الموسيقى الهندية والمؤثرات

الطبيعية التى خلقتها هى الدين والحب وقد كرست الموسيقى الهندية لهما مع بعض التعبيرات اللفظية ويطلق على الموسيقى الدينية «بهجن» وعلى موسيقى الحب «غزل» والكلمة الثانية مشتقة من كلمة عربية صحيحة وهى الغزل .

ويلاحظ تفوق اقاليم جنوب الهند على شمالها فى الموسيقى الدينية « بهجن » والملحنون لهذه المجموعة هم الكهنة ورجال الدين والقديسيون ومن كرسوا انفسهم لهذا النوع من الموسيقى .

ويمتاز الشمال باغانى الغزل والحب ويلاحظ استاذ الموسيقى فى الشمال دائما ذوق الشماليين الذين يريدون الربط بين الموسيقى والتعبير .

وفى الجنوب ايضا عدد كبير من اساتذة الموسيقى والموسيقيين الذين بلغوا الذروة فى الفن الموسيقى فضلا عن ثقافتهم .

ولاشك فى ان هناك فارقا كبيرا بين موسيقى الشمال والجنوب فبينما الشمال يميل الى الالحان العذبة والخيالية وهما عماد الموسيقى الهندوستانية نجد الجنوب يميل الى الاغانى الدينية ولهذا نجد الموسيقيين فى الشمال منطلقين مجددين بينما يتقيد الجنوبيون بالتقاليد والسلم الموسيقى القديم ونجد انغام الموسيقى الدينية فى الشمال منطلقة بعكس الجنوب وان كانت موسيقى الجنوب غنية جدا بالتعابير واوسع مجالا وأفقا وان كانت كلاسيكية .

والى جانب الموسيقى الكلاسيكية التى كانت قاصرة حتى عهد قريب على قصور الامراء والاغنياء وقاعات الاستقبال وجد ان الهند غنية بالموسيقى الشعبية التى تعتبر «موسيقى خفيفة» اذا اعتبرنا الموسيقى الكلاسيكية (موسيقى ثقيلة) .

والموسيقى الشعبية الشائعة فى الهند منذ فجر تاريخها مثلها مثل هذا النوع من الموسيقى فى اى بلد آخر تتبع للمناسبات ونوع الاقليم والموثرات المحيطة بها فنجد موسيقى الزرع واخرى للحصاد وثالثة للاعياد ورابعة للزواج والمهرجانات والمناسبات الاجتماعية الاخرى او لاحياء عادات او تقاليد فى القرية والاقليم .

وتمتاز الموسيقى الهندية بتعبيرها الفنى لكل ساعة من النهار او الليل ، ولكل فصل من السنة نوع معين من الاغانى الهندية التى تنطبق عليه وتوجد فى الجو اللائق به .

وقد بدأ الشعر يلعب دورا كبيرا فى الموسيقى فى الايام الاخيرة وان كانت لم توضع الالحان الكلاسيكية .

وعدا هذه الالحان لم تكن هناك الحان خفيفة حتى ظهرت الافلام فكثرت الالحان والموسيقى الخفيفة لتساير الاغانى .

وتستخدم الموسيقى فى الافلام طبقا للاجواء التى ستعرض فيها او التى اخرج فيها الفلم وكثيرا ما تستخدم الموسيقى الكلاسيكية ، ومع كثرة الافلام والاغانى الحقيقية فان الموسيقى الهندية ظلت محتفظة باسمها وطابعها ولا يوجد فى العالم شعب يقدس الموسيقى مثل شعب الهند لانه يعتبرها مع الرقص نوعا من العبادة .

والموسيقى الدينية هى ارقى انواع الموسيقى وتستخدم فى تطهير الروح وشفاء الجسد .

وقد ازداد الاهتمام بالموسيقى فى الهند فى الحقبة الاخيرة فى الشمال والجنوب على السواء فنشاهد فى كل مكان الحفلات الموسيقية الطويلة والمهرجانات الموسيقية والموثرات الموسيقية .

والحكومة ترعى الموسيقى وتهتم بها اهتماما بالغا وتعطى للموسيقى حقه الكامل وترعى مصالحه وحقوقه فى التأليف والتلحين .

ويخصص رئيس الجمهورية جوائز عديدة كبيرة للمتفوقين فى الموسيقى فى مدارس «الهندوستان» و «الكار ناتيك» اى فى الشمال والجنوب .

وتذيع محطات الاذاعة كافة الفاصلات الموسيقية الكلاسيكية والشعبية .

ونظرا للتطور الذى يواجه الموسيقى الآن فى انحاء العالم فان هناك شعورا عاما بضرورة الاتجاه الى التجديد وبدأت الفرق الموسيقية تتألف وتعرض انتاجها لاطلاع العالم على مدى ثروة الهند فى الموسيقى الكلاسيكية

ولا يفوتنا فى هذه المناسبة ان نذكر تقدير العالم اجمع للموسيقى الهندية والرقص الهندى التعبير الذى غزا جميع العالم واصبحت له مدارس خاصة فى عواصم اخرى .

الرقص

وبعد ان انتهينا من الموسيقى نتحدث عن الرقص الهندى وهو من روائع الهند الخالدة التى بدأت فى المعبد ثم غزت العالم بفنها وروعتها . وكان يمكن ان يظل فن الرقص الهندى المعبر مختفيا فى المعبد ولكنه سرعان ماخرج فى القرن الثالث عند ما ظهر كتاب «ناتيا ساسترا» عن الدراما الهندية وتناول الموسيقى والرقص وظهرت روعته كفن له اثره فى الحياة الاجتماعية الهندية فقد افتتح كاليداسا «شكسبير الهند» مسرحيته المعروفة باسم «مالافيكا جنيمترا» برقصة فى القصر الملكى .

واهم ما يمتاز به الرقص الكلاسيكى فى الهند هى التعبيرات الرائعة سواء فى الجسم او فى اعضائه وجميع اجزائه - الايدى والشفة والعين والحواجب والانف والقدم لكل حركة تعبيرها .

وقد ذكر كتاب «ناتيا ساستر» تعبيرات مثيرة لحركات اعضاء الجسم وان لكل حركة لغة فقال: ان الرقص يتألف من ١٣ حركة معبرة للرأس و ٣٦ نوعا لحركات العين و ١ حركة معبرة للجفن و ٧ حركات للحاجب وهكذا.

ولكن اهم جزء معبر فى الجسم هو اليد ويقول اساتذه الرقص انها بلغت ٦٧ حركة معبرة ولكن الكتاب بعد ذلك اضافوا عدة تعبيرات اخرى وقالوا ان كل تعبير له معنى خاص.

واليوم توجد عشرات من مدارس الرقص فى الهند للرقص الكلاسيكى ولكل مدرسة تستخدم هذه اللغة التعبيرية. ولكن مدراس جنوب الهند مازالت تحتفظ بتقاليد الرقص الهندى الكلاسيكى وتحتفظ به سليما نقيا بعيدا عن اية مؤثرات وتوديه على اسسه القديمة وفى مقدمة هذه المدارس مدرسة تانجور. وكان الرقص حتى القرون الثلاثة الماضية قاصرا على النساء من طبقات خاصة ومعظمهن من الفتيات اللائى وهبن انفسهن للمعبد.

وجميع مدارس الجنوب تطبق ما جاء فى كتاب «ناتيا ساستر» عن الرقص القديم.

والرقص الهندى فن يتوارثه الابناء عن الاباء وقد انشأ احد هولاء الفنانين فى القرن التاسع عشر مدرسة تانجور وهذا الشخص هو «قاديفلو» وكان له شقيق وكانا يعملان فى بلاط مهراجا تانجور وكانت هذه الاسرة تضم الموسيقيين الذين توارثوا الفن واخرهم «باندا تالور» الموسيقى العظيم الذى مات اخيرا عن ٨٦ عاما بعد ان تخرج على يديه اعظم الراقصين والراقصات.

وقد جاء فى كتاب «ناتيا ساسترء» ان الرقص جزء لايتجزأ من الدراما وافاض فى الحديث عن رقص الدراما الكلاسيكى والراقص الكلاسيكى يستطيع ان يروى قصة كاملة بحركاته ويمثل قصة الدراما بتعبيره .

وهناك مدارس أخرى يعود تاريخها الى القرن السادس عشر اقامها ملوك تانجور وكانت ترسل اليها سائر الفنانين .

ويختلف الرقص الهندى فى الشمال عنه فى الجنوب فهو فى الشمال خليط بين الهندى والمغولى ويتحدث عن الثقافة المشتركة للعنصرين وهو جميل وشيق وخال من الضعف ولكن ينقصه التعبير الدقيق الذى يشاهد فى رقص الجنوب والتنويع .

ويعتمد الرقص فى الشمال على حركات القدم وكاد هذا ان يندثر فى زمن الملك «أكبر» ولكن كبار اساتذة فن الرقص استطاعوا احياءه .

وهناك مدارس أخرى مثل مدرسة مانيبور التى لاتعتمد على الرقص الكلاسيكى وهى تدرس الرقصات الشعبية المعبرة وقد انتشر هذا النوع من المدارس وجلب له اساتذة من مدرسة مانيبور نفسها لتدريب الطلبة ولا يوجد شخص يحب الرقص ولايعرف طريقة مانيبور فى الرقص الشعبى الجميل السهل المعبر .

والى جانب الرقص الكلاسيكى توجد رقصات شعبية وقد شهد استعراض الرقص الذى يقام بمناسبة عيد الجمهورية كل عام مدى ثروة الهند من الرقص الشعبى فى جميع انحاء الهند .

أضواء على التاريخ الاسلامى فى الهند

بقلم محى الدين الألوائى

(٢)

عرفنا مما سبق كيف وصل صوت الاسلام إلى القارة الهندية ، والطرق الثلاث التى دخل منها إليها ، وكذلك عرفنا أن الاسلام قد انتشر فى ربوع الهند بأيدى دعاة مصلحين من العرب والهنود الذين انشرحت صدورهم للاسلام ، واغترفوا من منابعه الفياضة ، وتشبعوا بروحه السامية ، وضحوا بنفسهم ونفيسهم فى سبيل إعلاء كلمة الله .

وننتقل الآن إلى تطور الدعوة الاسلامية فى الهند وتغلغلها إلى أرجائها ، والعوامل التى ساعدت على انتشار دعوة الاسلام فى الشعب الهندى . ومنها أولا : الوضع الذى كان سائدا فى البلاد حينذاك من نظام الطبقات والوثنية ، والعادات الخرافية ، وعدم المساواة فى الفرص واسباب التقدم والرخاء ، وساعدت هذه الحالة على تغلغل التعاليم الاسلامية ، والمبادئ القرآنية فى قلوب الملايين من الطبقات المضطهدة ، فوجدوا فى الاسلام نظاما إنسانيا بمعناه الأصلى ، وتقديرا لكرامة الأفراد والجماعات وتنويرا لعقولهم بنور المعرفة والعقيدة الصحيحة . وثانيا : إخلاص العلماء الذين كانوا يعملون لنشر دين الحق فى أوساط عادات وتقاليد ورسوم وشعائر تناقض كل التناقض لروح الدين الحنيف ، وتعاليمه النقية الطاهرة ، فواجهوا فى أول الأمر موقفا يشابه كل التشابه موقف أبى الأنبياء ابراهيم الخليل عليه السلام مع أبيه وقومه الذين توارثوا الشعائر الوثنية جيلا بعد جيل ، فوقف التوحيد والشرك ، والنور والظلام وجها لوجه ،

وأتى وقت امتحان الدعاة المصلحين ، وقالوا لعبدة الأوثان ، كما قال ابراهيم عليه السلام : «أتتخذ أصناما آلهة ، إنى أراك وقومك فى ضلال مبين» وقال : «يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولايغنى عنك شيئا» لأنك خلقت سميعا بصيرا ، نافعا ضارا ، وآثار الكمال فيك أكثر من هذه الأصنام .

ولما استمع عبدة الأوثان وعبدة الكواكب او عبدة صور نصبت أمام أعينهم إلى نداء التوحيد ، تحركت عقولهم ، واهتزت فطرتهم ، لأن الوثنية تخالف فطرة الله التى فطر الناس عليها والتوحيد فطرة يولد عليها كل مولود ، قبل أن تمجسه أو تهوده أو تنصره العادات والتقاليد الموروثة عن آبائه وأجداده ولما بدأوا يكفرون فى مبادئ الدعوة الجديدة ، قال لهم الدعاة المصلحون ، كما قال خليل الرحمن لأبيه وقومه : «يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا» «فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون» . فهدى الله بأيديهم فى فترة وجيزة من الوثنيين وعباد الثعابين والقردة والأبقار عددا كبيرا إلى هدى الدين القيم والصراط المستقيم ، والنجاة السرمدية وسعادتى الدارين .
وثالثا : القدوة المثلى التى وضعها الدعاة المخلصون أمام القوم ، فكانوا عاملين بمقتضى المبادئ الاسلامية السمحاء ، والأخلاق القرآنية الغراء . واتخذوا القرآن رائدهم ، والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم قائدهم ، وعملوا بما علموا ، من غير افراط ولا تفريط ، وكانوا نبراسا للحائرين ، وهداة للضالين ، وأسوة حسنة للمتقين .

ورابعا : تزهدهم فى الدنيا ، وتجردهم عن متاعها أو شهرتها وفوائدها ، وكان كل همهم الدعوة الى الله وإعلاء كلمته ، وارشاد عباده ، ونشر المحبة والأخوة فى الجنس البشرى كله فانصتوا إليهم ، وتقبلوا دعوتهم المبينة على الاخلاص والمحبة والمساواة والأخوة .

وعرفنا من قبل أن الصوفية قد لعبوا دورا هاما فى نشر الدعوة الاسلامية فى ربوع الهند . وان السر الكامن وراء نجاح دعوة الصوفية فى أوساط الطبقات المختلفة فى الأمة الهندية ، لهو ابتعادهم عن مآرب الدنيا ، وتطهير قلوب أتباعهم من أدران الذنوب والأخلاق الرذيلة ، ونظروا الى الحياة الدنيا بمنظار قوله عزوجل : «كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيما تذروه الرياح» فكانوا بمنجاة عن غرور الدنيا الخلاب ، وسرابها البراق ، وأقاموا بحياتهم مثالا حيا لحياة الدنيا ، وصوروا صورة كاملة لحطامها الفانى لتكون أمام قومهم وأتباعهم ، ماثلة حتى لاتترك لأحلام اليقظة تلعب بعقولهم ، وتعبث بأفئدتهم . ولما أخلد هؤلاء القوم إلى خلوتهم وانقطعوا إلى رؤيتهم ، تبخر فى رؤسهم المعنى الحقيقى لدعوتهم ، وأقبلوا على مجالسهم ، واستمعوا الى مواعظهم ، ودخلوا فى دين الله أفواجا .

وهكذا ازدهرت الدعوة الاسلامية فى الهند بفضل هؤلاء العلماء والمشايخ الذين وقفوا أنفسهم فى سبيل الدعوة والارشاد ، ولقنوا أهلها مبادئ الدين الحق ، وعلموهم آداب الاسلام ، فتأثر أهل البلاد بأخلاقهم الفاضلة وسجاياهم الحميدة ، واختاروا الاسلام دينا لهم عن طيب نفس ،

وانشراح صدر ، وهذه الحقيقة التاريخية ، تفند المزاعم التى حاكها أعداء الاسلام والهند ، والدعاوى الباطلة التى اصطنعها المستعمرون وأعوانهم لبلبة الأفكار وتفريق صفوف الأمم والشعوب التى تعيش منذ القرون فى وئام والتئام ، وود وسلام ، بأن الاسلام قد انتشر فى الهند بأيدى أباطرة وملوك ، وغزاة وفاتحين بطريق حروب وفتوحات ، وبقوة الدولة والصولة ؛ مع أن جميع الحروب والغزوات التى يحدث التاريخ بوقوعها بين الحكام المسلمين وغيرهم فى الهند ، ما هى الا حروب سياسية ، لتوطيد ملك بعضهم ضد بعض ، وما اهتموا بدعوة الاسلام فى قليل ولا كثير ، والا لكان الأمر غيره اليوم ، ولتبدلت الأرض غير الأرض .

ومما هو جدير بالتسجيل فى هذا المقام - مع الأسف الشديد - أن الملوك والحكام الذين دخلوا الهند غزاة فاتحين ، لم يكن لهم علم حتى بمبادئ الاسلام ، ولا بقوانينه الاجتماعية ، ولم تتشرب قلوبهم بنور الايمان كما حقه ، وكيف نقول عنهم بأنهم كانوا دعاة للاسلام ، ودخلو الهند لتلقين اهلها مبادئ هذا الدين ، وتعليم علوم الاسلام !! وأمامنا وقائع تاريخية وروايات ثابتة تقول إن كثيرا من هؤلاء الملوك ، من المغول والأتراك كانوا عراقيل فى سبيل الدعوة الاسلامية وسيرها على المنهاج القويم السليم ، ومن ناحية أخرى كانت حكوماتهم ، حكومات شخصية ارستقراطية لا تستند إلى الشريعة الاسلامية ، ولا تتقيد بقوانينها وأحكامها ، وكان جل همهم أن يروا ممالكهم موطدة الأركان ، وينقاد لهم الأهالى ، سواء ارتفع لواء الاسلام أو انتكس . دعنا نقوم بتطواف خاطف حول الأموال الهائلة التى أنفقها هؤلاء فى الترف والبذخ ولذائذ العيش

ومتع الحياة الدنيا وبناء القصور والأضرحة . مع أن الشعب فى فقر محدق ، ودعوة الحق فى حاجة ماسة ، ولو أنفقوا فى سبيل الاسلام وإغاثة الفقراء والمساكين ، ونشر التعاليم الحقة عشر معشار ما أنفقوه فى تشييد القلاع والقصور ، أو حققوا شيئا يسيرا من العدالة الاجتماعية والأخوة الانسانية التى تدعوا اليها الدعوة القرآنية ، لنرى تاريخ الاسلام فى الهند غيره اليوم ، وسجل لهم التاريخ بمداد من نور ما لم يسجله بعد . فما بالنا بأمرهم والدعوة الاسلامية فى الهند ؟ وهم فى واد وهى فى واد آخر !! ولها رجال آخرون ، ومنهم معروفون ومجهولون ، والله عليم بحقائق الأمور وذوات الصدور !

ومتى تسرب الوهن والضعف إلى صفوف الدعاة المسلمين فى الهند ؟ وما هى الأسباب التى أدت إلى ركود الدعوة الاسلامية فيها ، او فتور فى مجراها ؟ بعد أن لاقت فيها ترحابا وتقدما فى عصورها الأولى ، ووجدت أرضا خصبة فى ربوعها ؟ وكيف توقف تيار التوحيد أمام الوثنية ؟

هذه أسئلة تخطر ببال كل من يهتم بالدعوة الاسلامية وتاريخها فى الهند ، ويبحث فى حاضر الاسلام والمسلمين فيها .

وفيما يلى نلقى نظرة عامة على عوامل تسرب الركود إلى حظيرة الدعوة الاسلامية ، وتقلص ظلها فى الهند ، بعد أن ثبتت أقدامها ، وتوطدت أركانها ، ونالت تقدما ملموسا .

ومن أسباب التقهقر والتنكب عن المنهج القويم فى الدعوة الاسلامية فى تلك البقعة الشاسعة :

١ — إفلات زمام الدعوة من أيدى دعاة مصلحين متنورين إلى أشخاص تكدرت عقائدهم بأوساخ البدع والخرافات، وأدران التقاليد والخزعبلات، وابتعدت عقولهم من المعين الصافى للتعاليم القرآنية، والأخلاق النبوية، حتى فقدت سيرتهم قيمة الأخلاق الزكية، وسجاياهم العالية، بعد أن كان أسلافهم قدوة حسنة، ومثلا عليا لمن خالطوهم وعاشروهم.

٢ — إن العلماء المتأخرين، والمشائخ المتصوفين الذين جاؤا إلى الهند من الخارج فى عهود الملوك المسلمين، والذين خلفوا سلفهم الصالح، كانوا معتمدين كل الاعتماد على العلوم الفرعية، والكتب الفقهية، فما كانوا يعنون بفهم القرآن ومبادئه، والسنة النبوية وارشاداتها، كما كان سلفهم، فانقطعت صلتهم بروح الاسلام، وتقطعت أوصالهم عن دعائم الدعوة الصحيحة، فاصبحوا يتسكعون فى ظلمات علوم هؤلاء وهؤلاء، وتهربوا وراء فلان وفلان، وتبحروا فى قيل وقال، وأكبوا على خلافات وشبهات، لا تغنى من جوع، فاستبدلوا باللباب القشور، وبالأصول الفروع وبالمعانى الألفاظ، وآخرا - وليس أخيرا - استبدلوا بالروح الظاهر، فذهب ريحهم، وفشلت مهمتهم.

٣ — دسائس ومكائد أعداء الهند والمسلمين، من الذين أتوا من البلدان الاستعمارية، لكى يضعفوا مركز البلاد وشعبها، معنويا أولا وماديا أخيرا، لأن الاسلام كان بمثابة شعلة وهاجة لتحرير العقول، وتنوير القلوب، وإيقاظ الهمم، وبناء الوطن، ولم شمل المواطنين.

ولما رأى المستعمرون الغرب من البرتغاليين والهولانديين، وأخيرا الانجليز، تقدم الاسلام وشوكته فى الهند، تيقنوا أن السبيل الوحيد للتوغل إلى أراضيها لامتصاص دماء شعوبها هو القضاء على شوكة الدعوة الاسلامية فى الهند، وإيجاد الفرقة بين صفوف المسلمين والهندوس، وتشويه سمعة الدعوة الاسلامية فى داخل البلاد وخارجها، وبلبلة أفكار الدعاة، وعرقلة سبيلهم بوسائل شتى، فها هى الدعوة الاسلامية الآن تلاقى انحطاطا فى تقدمها، وركودا فى انتشارها، وتحولا خطيرا فى طريق سيرها للأسباب والعوامل التى ذكرناها.

وأما الدعوة الاسلامية وتطوراتها فيها فلم تكن إلا حلقة من حلقات سلسلة الدعوة الكريمة الممتدة عبر تاريخ الأمة الاسلامية، وأن هذا التاريخ حافل بالجهود المتلاحقة التى بذلها المجاهدون العاملون لهذا الدين فى كل بقعة من بقاع الأرض لنشر دين الله الحنيف بين الناس ولاثبات الايمان الصحيح فى نفوسهم وإبعادهم عن الخرافات والخزعبلات والبدع والأهواء، ومادامت طائفة من الصلحاء المخلصين تقوم بالدعوة إلى الله، وتعمل بجد وإخلاص لاعلاء كلمته، ونشر تعاليم كتابه وإرشادات سنة رسوله، تكون الأمة بخير، وعزة وسؤدد. وإلى هذه الحقيقة يشير الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم بقوله: «. . . وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.» وكذلك قوله عليه السلام: «صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس كلهم، وإذا فسدا فسد الناس كلهم - العلماء والأمراء.»

وأول ما نستفيده من العبرة من تاريخ انتشار الدعوة الاسلامية فى الهند، إن الاسلام دين الفطرة التى فطر الناس عليها، وأن تعاليمه

تتمشى مع جميع البيئات والظروف ، ومبادئه صالحة لكل زمان ومكان ، فان عناصر الخلود وعوامل الصلاحية متوفرة فى اصوله وقواعده التى تؤدى حيثما إلى تحقيق أسباب المجد والعزة والتقدم للجنس البشرى كله . وأن فطرة الانسان ونواميس الطبيعة لاتتغير ولا تتبدل مهما حاول المزيفون وسعى المخرفون لابعاد الناس عن فطرتهم . وهذا هو السر الكامن وراء الانسياق الفطرى الذى رآه تاريخ الدعوة الاسلامية فى مختلف البلدان العريقة فى الوثنية والشرك ، أو الدهرية والفسوق ، أو الخرافات والترهات . وكل هذا وذاك إلى جانب محاولات جمة بذلت لصد تيار هذه الحركة الالهية العالمية ، أو تشويه أهدافها ومقاصدها ، أو تزييف كتابها .

والعبرة الثانية من تاريخ هذه الأمة الاسلامية مدى جهود العلماء الصادقين فى سبيل نشر هذا الدين ، ودورهم الفعال فى توطيد دعائم العالم الاسلامى ، وجمع شمل المسلمين وتوحيد صفوفهم ، ولقد كانوا أعلام الهدى ومنار الطريق أمام الحكام . ونستفيد منه أيضا أن الدعوة الاسلامية إذا أفلت زمامها من أيدى علماء مصلحين متنورين إلى علماء جامدين ، أو أشباه العلماء الذين تكدرت عقائدهم بأوساخ البدع والخرافات وبأدران العادات الفاسدة ، وقلت بضاعتهم من العلم ، من المعين الصافى للقرآن والسنة فيتسرب الوهن والضعف إلى صفوف المسلمين .

وأن حلقات سلسلة الدعوة الاسلامية لن تنقطع إلى يوم القيامة ، وتستمر فى مد وجزر حسب تقلبات الزمن وتطورات العصر ، فهى خير مصداق لقوله تعالى : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» ولقوله عليه

الصلاة والسلام، لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة.

ولما صارت الدعوة الاسلامية فى الهند عرضة للركود والجمود بسبب دسائس الأعداء وغفلة العلماء وقلة الدعاة المصلحين، قيض الله رجالا يحملون لواء الاصلاح من جديد وتنقيح الأفكار الجامدة، والعقائد الفاسدة وإذا نظرنا إلى تاريخ الاسلام والمسلمين فى القارة الهندية فى مستهل القرن الثانى عشر للهجرة النبوية، نرى وهنا فى عزيمة أمراء المسلمين، وضعفا فى نفوس علمائهم، بسبب تضعضع دعائم حكم المسلمين، وتفكك حكومتهم المركزية، ورفع خصومهم رؤسهم للنيل منهم. وأما العلماء والمشايخ والصوفية الذين كانوا طليعة نشر الدعوة الاسلامية الحقة فى ربوع الهند، فاصبح خلفهم عاكفين على رسوم وشعائر وطقوس وعادات لاصلة لها بالتعاليم القرآنية، والسنة النبوية، وابتعدوا عن دراسة القرآن والسنة، واكتفوا ببعض كتب المسائل الفرعية، والعلوم العقيمة مثل كتب المنطق والفلسفة والكلام. مع تعليقات وحواش لاتسمن ولاتغنى من جوع.

وهكذا أصبحت الدعوة الاسلامية كجسد بلا روح، وشجر بلاثمر، ونهر بلا ماء يغترف منه المتعطشون إلى التروى من المنابع القرآنية، والسيرة النبوية الصحيحة، وعم التقليد، وانتشر الجمود، وتفشى الفساد فى الأخلاق والفتور فى الأذهان، وتسرب اليأس والقنوط الى خاصة المسلمين وعامتهم فمست الحاجة الملحة إلى من يضطلع بأعباء الاصلاح الشامل ليستعيد المسلمون مجدهم الماضى، ويرجعوا إلى تعاليم القرآن والسنة الصحيحة.

فقيض الله لهم طائفة من العلماء المصلحين المفكرين وسنلقى نظرة خاطفة على نبذة من هؤلاء الذين لهم يد طولى فى إيقاظ المسلمين من غفواتهم، وتنبيههم من غفلاتهم، وتذكيرهم بمجدهم الماضى. ومنهم الشيخ «احمد السرهندى» الملقب بمجدد الألف الثانى (٩٧٧ - ١٠٣٤) ه.

ونشأ الشيخ احمد بن عبد الأحد الفاروقى السرهندى، فى الربع الأخير من القرن العاشر للهجرة، فى أيام حكم الأمبراطور المغولى العظيم «أكبر» ولقب الشيخ احمد بلقب «السرهندى» نسبة إلى بلدة «سرهند» الواقعة بين دلهى عاصمة الهند الحديثة، وبنجاب، وكان الشيخ منذ طفولته مكبا على تحصيل العلوم الدينية من المنابع القرآنية والنبوية، حتى تهذبت نفسه، وتفتحت عينه على ما صارت إليه الدعوة الاسلامية فى الهند من انحطاط وتقهقر بسبب انهماك الحكام المسلمين فى توطيد ملكهم، وانفاق الاموال فى الترف والبذخ ولذائذ العيش، وتسرب الوهن والضعف الى صفوف علماء الدين، فتداركت هذه الحالة رحمة من رب العباد، إذ قيض لها الامام المجاهد، العالم الصوفى، الشيخ احمد بن عبد الأحد السرهندى، وشمر عن أذياله لتهذيب نفوس المسلمين، ومقاومة الفتن ونشر تعاليم الدين الحنيف.

ونستطيع أن نشير الى ثلاث نواحى هامة من جهاد الشيخ السرهندى وسعيه، أولا - قد فهم بثاقب فكره، وواسع اطلاعه، أن المسئولية الأولى فى سبيل نشر التعاليم الاسلامية الحقة، والمبادئ القرآنية الخالصة، تقع على عواتق علماء المسلمين، كما أن تعود تبعات النكبات التى يصاب بها المسلمون من ذلة وهوان، فى الغالب، إلى علماء السوء، الذين يتهافتون على حطام الدنيا الدنيئة، حتى صاروا مثلا سيئا لسمعة الدين الذى ينتمون

إليه، وقدوة سيئة لأمتهم، وبنى وطنهم، فتمسك الشيخ المفضال بقوله عليه الصلاة والسلام «صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس كلهم، وإذا فسدا فسد الناس كلهم، العلماء والأمراء»، وجاهد جهادا مشكورا للكشف عن بدع وأباطيل علماء السوء، ووقف قلمه للرد على ما ابتدعوها ونسبوها إلى الدين الحنيف جهلا أو إهمالا.

ثانيا — قام الشيخ السرهندى بخدمات جليلة، وجهود مشكورة فى سبيل إصلاح الأمراء والحكام الذين فى أيديهم شئون الحكومة. ويتصرفون فى أمور الأمة. وكان يقول دائما فى خطبه وعظاته، ورسائله ومقالاته «والناس على دين ملوكهم، فاذا صلحوا صلحت البلاد والمجتمع وإذا فسدوا فسد المجتمع بحذافيره». ولهذا كان يوجه اهتمامه الخاص نحو إسداء النصائح لحكام البلاد والمتصرفين فى شئون الأمة، ونجحت مساعيه نجاحا باهرا، وأثمرت، شجرة جهاده، فآتت أكلها طيبة تسر قلوب المؤمنين.

ثالثا — بعد أن نجح الشيخ فى المهمتين السابقتين، وجه اهتمامه البالغ إلى محاربة البدع والمنكرات وإبطال القصائد الفاسدة، ونقض أقاويل أصحاب الخرافات والخزعبلات. ونرى كتبه ورسائله مشحونة بالبحوث القيمة فى بيان تعاليم الاسلام نقية من شوائب الشبهات وواضحة بحيث يسهل فهمها لكل من شرح الله صدره للاسلام.

ومن أهم الجماعات المسلمة التى قام الشيخ السرهندى بالرد على بدعها وأباطيلها طائفة من الصوفية الذين تأثروا بفلسفة البراهمة والأفكار الأخرى غير الاسلامية، حتى أصبحوا يهربون وراء العقائد الباطلة،

والمزاعم الفلسفية، وقلما يهتمون بأحكام الشريعة وأوامرها. وكان كل اعتمادهم على الأخبار والأقاصيص التى يحكيها شيوخهم، ولو كانت لا تمت إلى التعاليم القرآنية بصلة. ورد الشيخ على فكرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها مما يقول به أولئك الذين يتسمون بسمة الصوفية فى عصره.

وكان الشيخ السرهندى من أنصار التصوف الاسلامى الخالص الذى ترجع أصوله إلى المنابع القرآنية، والمنابع النبوية. وقد نشأت بعده طريقة صوفية منسوبة إليه ومعروفة باسم «الطريقة المجددية» وكانت أبعد الطرق الصوفية عن البدع والخرافات فى أول الأمر، فلم يلبث أن تطرق إليها الغلو بأيدى القائلين بالكرامات الخارقة للعادات، وعزوا إلى الشيخ أعمالا وأقوالا وهو عنها برىء. ويوجد أتباع عديدون للطريقة المجددية فى كل من الهند والباكستان وأفغانستان.

وأشرنا من قبل إلى أن نشأة الشيخ كانت فى أيام حكم الامبراطور المغولى «أكبر». وتبوأ «أكبر» عرش الملك سنة ٩٦٤ للهجرة، واستمر حكمه لمدة خمسين عاما الى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ١٠١٤ هـ. وتضاربت آراء المؤرخين المسلمين وغيرهم فى نظرة هذا الملك إلى الاسلام، فمنهم من يدافعون عنه وأعماله، ومنهم من ينكرون تصرفاته وأعماله من وجهة نظر الاسلام، وفى مقدمة أعماله التى يعتبرها ناقدوه جريمة شنعاء فى حق الاسلام (١) إعلانه دينه الجديد باسم «الدين الالهى» المبنى على مقتبسات من التعاليم الاسلامية، ومن المراسيم الهندوكية، وجعل شعاره «الله أكبر» (٢) تخلقه بأخلاق الوثنيين وعاداتهم وتقاليدهم. فى ملابسه وطرق معيشته

ادعاء منه بأن هذه الطريقة تقربه الى قلوب أهالى البلاد ، وتوطد دعائم امبراطوريته . (٣) تزوجه من بنات الملوك الهنادكة مع بقائهن على عقائدهن الوثنية ، وأدائهن شعائر دياناتهن فى القصر الملكى ، وتخصيصه لهن غرف العبادة الوثنية فى قصره . (٤) استبداله بالتقويم الهجرى تقويما جديدا يبتدئ بتاريخ جلوسه على العرش باسم «التقويم الالهى» .

وقام جمهور من العلماء والفقهاء فى وجه هذا التيار الجارف ، وقاوموا هذه البدع والمنكرات باعتبار أن الاسلام لايقرها ، وأنها خرق لتعاليمه البينة ، ولكن لم يثبت بعض العلماء أمام جبروت سلطانه القاهر ، ولم يستنكروا صنيعه هذا ، بل أقروه عليه ، وقدموا عريضة إليه باللغة الفارسية تخوله الحق فى أن يشرع من القانون ما يشاء ، ويضع من الأحكام ما يريد . ولما رأى الشيخ السرهندى المجاهد هذه الفتنة الكبرى ، وأدرك أن هذه المحنة لايثبت فيها إلا الصابرون والمصابرون ، وقف موقفا مجيدا أمام هذه المحنة الشاقة واعتبرها بلاء مبينا ، ونزل فى ميدان الجهاد المزدوج ضد طغيان الملك ودعوته الضالة ، وفى وجه علماء السوء الذين لم يتحرجوا من إقراره على ضلالته .

وكان الشيخ بمثابة فجر انبثق عند اشتداد الظلام ، وصبح مشرق انبلج عند ازدياد الحلكة ، كما جرت سنة الله فى خلقه ، وبدأ ظلام الباطل ينقشع أمام نور الحق وشمس الهداية . وكان شأنه شأن القابض على الجمر . فوقف الرجل المجاهد فى وجه هذا الطغيان وحزبه بقلب حازم ، وعقل واع ، وإيمان راسخ ، وكلمة الحق رائده ، ونور الهداية قائده ، ومجد الاسلام بغيته . واستمرت الفتنة الأكبرية - إن صح هذا التعبير - من

أو اخر القرن العاشر الى منتصف القرن الحادى عشر للهجرة ، وبعد أن تولى الملك ابنه «جهانكير» فى سنة ١٠١٤ هـ ، اشتدت هذه الفتنة ، وصار عدد من كبار العلماء والفقهاء عرضة للاضطهاد ، حتى أمر الملك «جهانكير» بزج الشيخ السرهندى فى السجن ، فوضع فى سجن بمدينة «كواليار» فى الهند الوسطى - وقد كانت هذه الحادثة نقطة تحول فى تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند - ولم يمض إلا أيام قلائل على دخوله السجن حتى صار شعلة يستضئ منها الجناة والعصاة الذين يرتكبون الموبقات ، ويقطعون الطرقات ، ويسرقون وينهبون أموال الناس بغير حق ، وصاروا يأتمرون بأوامر الشيخ ويصلون ويدعون الله للمغفرة ، وتابوا توبة نصوحا ، اورجعوا إلى الحق ، حتى صار السجن كله مظهرا لعبادة الله ، والأخلاق الفاضلة . وسواء منهم المسلمون أو غيرهم . فلما علم مدير السجن هذا التحول العجيب الذى حدث فى السجناء بفضل هذا الشيخ الوقور ، كتب إلى الملك عن تفاصيل هذا الحدث الخطير . وقال فى رسالته المرفوعة الى جلالته : إن الشيخ السرهندى لم يعد نقمة على الدولة ، ولا على الملك ، بل هو نعمة من الله ، فلا يصح أن يزج أمثاله فى غياهب السجن ، ولاتجود الايام بمثله إلا قليلا ، ولذلك أرجو من جلالتكم السماح باطلاق سراحه ،

ولما اطلع الملك «جهانكير» على رسالة مدير السجن ، وعلم حقيقة الشيخ أصدر أمره للاخراج عنه فورا ، وإرساله إلى البلاط الملكى بكل تقدير واحترام وعند ما قرب موكب الشيخ إلى العاصمة الملكية ، أرسل «جهانكير» ابنه وولى عهده «شاهجان» للترحيب بمقدم الشيخ ورفقائه بكل حفاوة وتكريم . فنزل معززا مكرما فى ضيافة «جهانكير» فى القصر الملكى -

ويقال: إن الملك رأى مرة فى المنام أثناء وجود الشيخ فى السجن أن رجلا صالحا يقول له: ويحك أيها الملك قد حبست رجلا لاتجد له مثيلا فى الورع والتقى، فانك قد ظلمته. وقيل أيضا، أن هذه الرؤيا قد صادفها وصول رسالة مدير السجن فى أمر الشيخ، فندم الملك على ما فعل، وأمر باحضاره الى حضرته.

وجرت العادة المتبعة فى تلك الأيام أن يسجد الناس أمام الملك حينما يحضرون إلى مجلسه، ولكن الشيخ الجليل حضر إلى الملك وسلم عليه وعلى حاشيته بتحية الاسلام، ولم يسجد له، بل ولم ينحن أمامه.

وكان من البوادر الطيبة من الملك أن أصر عليه بالاقامة فى قصره، لكى يتسنى له أن ينتفع بنصائحه، ويتبرك بمجلسه. فبقى الشيخ أياما فى القصر يسدى إلى الملك ووزرائه وحاشيته مواعظه البالغة، ونصائحه القيمة، فكان من نتائج مساعيه الجميلة أن تفضل الملك بنفسه باصدار المراسيم الملكية بالغاء كثير من البدع والمنكرات التى سادت البلاد، ومنها ما ابتدعها ابوه بنفسه، أو ما أقره.

وبفضل جهود الشيخ أصدر «جهانكير» أمرا بتحريم السجود أمام الملك، تعظيما له، وكذلك أبطل جميع القوانين المعارضة للتعاليم الاسلامية، وعين قضاة مسلمين فى كل بلدة، كما أن أذن بذبح البقر الذى قد منعه أبوه «اكبر» فحصلت بهذا التحول المبارك نهضة جديدة، ويقظة شاملة فى المجتمع الاسلامى فى الهند، وخطت الدعوة الاسلامية خطوة موفقة الى الأمام، واستبشرت به قلوب المؤمنين، وفاضت فيوض هذا الشيخ العالم المصلح على المسلمين فى طول البلاد وعرضها.

وواصل الشيخ السرهندى المجاهد دعوته بين جميع طبقات الأمة، وأتباعه ومريديه، وكان يكاتب الأمراء والرؤساء فى المصالح الحكومية والجيش يدعوهم إلى إتباع الحق، ورفع كلمته، ويحارب البدع والمنكرات فى كل مكان، إلى أن كالت مساعيه المشكورة بنجاح منقطع النظير، وظهرت آثار دعوته فى أرجاء البلاد، وتوفى الشيخ احمد بن عبد الأحد الفاروقى السرهندى سنة ١٠٣٤ ﻫ فى اواخر حكم «جهانكير» ابن «اكبر» وقد ذاع صيته فى الآفاق بلقب «مجدد الألف الثانى» ودفن جثمانه الطاهر فى مدينة «السرهند» وما زال قبره مزارا للناس.

(يتبع)

محى الدين الالوائى
المدرس بجامعة الأزهر
ومحرر القسم الانجليزى
بمجلة الأزهر القاهرة

الادب فى الهند الحديثة

الاستاذ ك . هاتيرجى

للهند تقاليد ادبية جديرة تماما بشعب عظيم وحضارة عظيمة، ويرجع تاريخ هذه التقاليد الى ما لا يقل عن ثلاثة آلاف سنة، اما الأسس غير المكتوبة للادب فهى ترجع من غير شك الى آلاف عديدة من السنين، ولم يحدث هناك اى انقطاع فى تيار التقاليد الادبية للهند منذ عهد وثائق «الفيداء» التى جمعت طبقا للتقديرات التى تتفق مع كثير من الحقائق التاريخية ـ خلال القرن العاشر قبل الميلاد. وقد استمر التحول يطرأ على اللغة الهندية. ففى الشمال تحولت اللغة من السنسكريتية الفيدية الى مختلف اللغات البراكيرتية ومن بينها لغة البالى ولغة الابابهرا مزية بعد ذلك، ثم الى اللغات الهندية الآرية.

وفى الجنوب كانت هناك اللغات الدراڤيدية التى نشأت من أصل مستقل يعود الى زمن قديم ٢٥٠٠ سنة على الاقل، وقد ساهمت هى الاخرى فى ايجاد تقاليد مشتركة للادب الهندى والذى نشأت تقاليده اصلا فى الشمال ثم تلقى بعد ذلك تعديلات جوهرية من الجنوب.

ثروة عظيمة

وهذه التقاليد الادبية هى احدى صور التعبير والثروة الثقافية العظيمة للشعب الهندى ـ وهى تؤلف موسوعة ضخمة فسيحة من الادب، هى فى احدى نهايتها حديثة الى اقصى حد، تسعى الى تمثيل مختلف نواحى الحياة الحديثة، ولكنها مع ذلك تعود راجعة الى الوراء، . . . الى صورة الحياة والمجتمع خلال العصور الاولى والاخيرة للقرون الوسطى، ثم هى تمضى الى الوراء الى فترة العصور القديمة بل الى ما هو اقدم من ذلك.

أعمال خالدة

ولقد أمدت الهند العالم خلال هذه الثلاثة آلاف عام من تعبيرها الادبى ، بعدد من الاعمال الخالدة التى تعتبر ذات رسالة وقيمة عقلية وروحية وجمال ، ليس بالنسبة للشعب الهندى وحده ، بل كذلك بالنسبة الى البشر فى جميع انحاء العالم .

ومن الآثار الادبية التى تحتل مكانا رفيعا فى الادب الهندى كتب : «الاوبانيشد» و «المهبراتهه» و « الرامايانا » وبعض المؤلفات الفلسفية البوذية والأعمال الاخرى ، وكذلك الادب الجينى وعلى الاخص بعض قصصه ، والاداب السنسكريتية القديمة (كمؤلفات البهارا ، وكاليداسا ، وبقية هذه الاعمال الادبية) والتى تضم الآثار الادبية والفلسفية والفنية التى تعالج مختلف فروع الحياة ، وهناك آثار ادبية اخرى تجد لها مكانها المرموق فى حديقة الادب الهندى مثل ذلك العدد الضخم من الاثار والقصص الفولكلورية الشعبية والمحفوظة فى مجموعات «البرانا السنسكريتية» ومثل آداب التامل القديمة وآداب القرون الوسطى المالايالامية - والكانانديه والتلوجية ، والتاملية ، والادب الشفوى للاديفاسيين ، «السكان الاصليين للهند» ومختلف الجماعات التى تتحدث التبتية والتى تقطن اصقاع الهمالايا ، وشمال البنغال وآسام .

العهد الحديث

اما العهد الحديث للادب الهندى فقد بدأ فى الواقع منذ نهاية القرن الماضى ، عند ما بدأ العقل الهندى يخرج من مرحلة المعتقدات والافكار الدينية الساذجة للعصور الوسطى ، ويدخل المرحلة الحالية من

السفسطائية التاميلية . ولم يكن هذا ممكنا الا تحت تأثير الحضارة والعقلية الاوربية التى جلبها الى الهند الادب الانجليزى . وهكذا اصبح لدينا للمرة الاولى كل جديد لنقد الحياة بدلا من ذلك الانفصال التنسكى عن الحياة والذى كان يركز انظاره على القيم الروحية التى لم يكن لمعظمها أدنى صلة بالعالم الذى نعيش فيه »وليس معنى هذا انه لم يكن ثمة نقد غير واع للحياة فى الادب الهندى فى العصور الوسطى والقديمة ، ولكن الشعب الهندى تحت تأثير التربية الحديثة ، تعلم للمرة الاولى فى الحقب الاخيرة من القرن الماضى وعلى الاخص عند ما ظهر الروائيون العظام الاوائل فى البنغال ثم فى انحاء الهند الاخرى بعد ذلك ، تعلم انه يجب على الادب ان يبدى اهتماما بالحياة وان يسجلها كما تعرض هى نفسها .

وقد ترتب على هذه الرغبة مولد اتجاه جديد فى الادب الهندى الذى عمل على دافع داع فى التعبير الادبى .

وبالرغم من ان كشف الجديد فى الحياة قد اصبح خاصية هامة من خصائص المرحلة الحالية للادب الهندى الا ان تقاليد الحياه الهندية القديمة وثقافتها كان لهما كذلك قوة حيوية استمرت طويلا الى حد انه لم يكن من المستطاع تنحيتها جانبا ببساطة واستخفاف وهكذا نما بين المثقفين الهنود اهتمام بتاريخ الهند وماضيها .

وهذه النظرة الهندية الجديدة الطراز التى تختلف اختلافا تاما عن ايمان القرون الوسطى بالتقاليد الهندية والفولكور ، والميثولوجيا ، والطقوس الدينية ، بل وبالطريقة الهندية فى الحياة ، هذه النظرة كانت نفاذة ذكية الى حد بعيد وقادرة على وضع الاشياء فى مكانها الصحيح من المحتوى

العالمى . كما علمتنا الايدلوجية الاوربية مرة اخرى ان ننقب عن تاريخنا الماضى ونقرأ مخطوطاتنا القديمة مثل البراهمى، والخاروكشى، كما أعادت الينا أزوكا الذى كنا نسيناه ، وبوذا الحقيقى الذى كان قد اصبح مجرد شخصية فى الاساطير ، وذلك علاوة على عدد آخر من ابطال الهند القديمة ومفكريها. حقا لقد تعودنا ان ننظر الى الهند خلال عينى القرون الوسطى . وكان ذلك طبيعيا بالفعل ، .

وقد ساعدنا الاهتمام الذى اوقظ من جديد بالادب السنسكريتى على استعادة ماضينا كوجود حى ، ولكنه مع ذلك لم يفقد شيئا من سحره ، او رومانيته ، او جماله او جلاله «وقد عكسنا هذا بوضوح بالغ الدلالة فى ادبنا الحديث ايضا ، وبدأ هذا بصفة خاصة فى البنغال وقد بعث بانكيم شندر شاتيرجى ومعاصروه روح الهند العظيمة فى اعمالهم وكان بانكيم احد الاوائل الذين رغبوا فى العثور على الشخصية التاريخية لكريشنا الذى انطفا واصبح معتما تحت الاقنعة الكثيفة التى كانت تغلفه بها الميثولوجيا والاساطير وركام التزييف الذى تجمع حوله . وكذلك سعى نابين شندر شاعر الملحمة العظيم فى البنغال بطريقته الخاصة لاعادة انشاء الجو الانسانى للمهابهراتا .

وعلاوة على النظرة الواقعية من ناحية ، والتفسير الجديد الناجع للحاضر من الناحية الاخرى ، ظهر هناك اتجاه جديد للادب الهندى فى أيامنا . وهذا هو الدور التحريرى الذى قام به المثقفون الهنود فى الادب الهندى «وقد هيأت الرغبة فى الحرية خلال حركتنا الوطنية العقل الهندى للنظر الى الاشياء نظرة صحيحة وعلى طبيعتها الصادقة وذلك عن طريق

الآثار العظيمة فى الادب الاوربى وكذلك وجد هناك نقد يهدف الى تحسين واقع الحياة.

وبهذه الطريقة عرف الادب الهندى نوعا جديدا من المثالية عن طريق هذا النقد. وقد كان هذا النوع الجديد من المثالية متأثرا الى حد كبير بالتقدم الاجتماعى والسياسى الذى تم فى الغرب. وكذلك كان للاشتراكية، بل والشيوعية الى حدما، اثرهما فى خلق جو جديد فى بعض نواحى الادب الهندى الحديث. وباسم الواقعية بدأ فى اول الامر الحديث صراحة عن مسائل العلاقات الجنسية، وذلك الى جانب الرغبة فى الكشف عن بعض النواحى فى الدوافع والعلاقات الانسانية التى ظلت امدا طويلا لاينظر اليها بعين الرضا من جانب الاخلاق والاداب العامة. ولكن ذلك النوع من الادب لم يستطع ان يبقى على الدوام فى اية لغة من لغاتنا، وذلك بالرغم من ان لدينا نماذج منه فى اللغات البنغالية، والهندية والمهراتية.

وفى نفس الوقت كانت الايدلوجية الاجتماعية والسياسية للشيوعية تقوم بدورها بالفعل خلال اتصالنا ببعض الانماط المتقدمة من الاداب الاوربية وعلى الاخص الادبين النرويجى والروسى. ولقد هزت الثورة الروسية العالم، كما انها حاولت ازالة اسس المجتمع الحالى ونظمه الاجتماعية ولقد دخلت آراء الماركسية اللينينية الاستالينينة الى الهند عن طريق الحزب الشيوعى الهندى وقد قام هذا كذلك بدوره فى ادخال عناصر جديدة معينة فى التعبير الادبى. وهناك شئ علمته الثورة الروسية للانسانية مرة اخرى، وهو ان استغلال الانسان للانسان ينبغى ان ينتهى الى الابد، وان للانسان الحق فى كل ثمرات عمله، وان الاستئثار بملكية ادوات

الانتاج يعد جريمة . وقد احترمت الهند هذه الاراء مثلما مثل بقية العالم المتحضر . وينبغى ان يقال ان هناك فى الوقت الحاضر عددا كبيرا من الكتاب والشعراء الهنود ذوى النفوذ القوى يستلهمون وحيهم من هذه الآراء . ولكن التقاليد الادبية الاساسية لاتزال تقوم بدورها بقوة لاتهدأ ولا تنسى .

ومن الأمور العظيمة المتصلة بحياة الهند الثقافية والادبية فى هذه الايام ، هو عدم وجود اية قيود او توجيه ما افكر فى هذه البلاد . ان الفكر حر فى الهند وبفضل المسلك العقلى الاساسى للشعب الهندى (بكرم ضيافته التى يستقبل بها جميع الافكار العظيمة الطيبة المعقولة) وكذلك بفضل السياسة الديموقراطية للحكومة الهندية ، لم تكن هناك اية محاولة لتوجيه نظرتنا او مسلكنا تجاه الحياة للسير فى طريقة معينة من التفكير .

وكانت الهند هى التى منحت للجميع بلا استثناء حرية التفكير بالرغم من ان هناك بالطبع قدر من التحفظ بالنسبة للحياة الاجتماعية . والحق ان بالعقل مسحة من التواضع نجدها فى العقل اللا أدرى الصادق . فقد يكون الفرد واثقا من نفسه وبنظرته الخاصة الى الحياة والوجود ، ولكنه يعترف على الدوام باحتمال وجود نظرات اخرى ومسالك فى الحياة قد تكون كذلك صحيحة ومجدية بالنسبة للآخرين الذين ليسواهم فى مركزه والجو الذى يعيش فيه . وهذه النظرة الاساسية او العقلية المتحضرة للهنود لا تنظر بعين الرضاء الى اى تقييد او توجيه للآراء . وقد كانت دون شك هذه النظرة الى الاشياء من اعظم النعم التى يتمتع بها الكتاب الهنود والشعب الهندى ، كما انها تجعل الادب الهندى مطلق

الحرية فى التعبير عن نفسه بكل انغام الكرم الانسانى ودرجاته. وقد عبر رابندرانات طاغور عن مثله الاعلى للهند الحرة فقال ان اول شرط لهذا هو ان يكون العقل حرا لا يخاف وان يبقى الرأس مرفوعا على الدوام.

ونحن لا نعلم على وجه اليقين ما عساه يكون موجودا وراء عالمنا المدرك بالحواس الخمس ولكن احتمال وجود شئ ما هنالك امر معترف به، كما ان هذا المسلك لم يزل له مكان فى افكارنا الادبية فى الهند. فان لعالم الجمال وكذلك لجو الالم علاقتهما بشئ ما خالد وراء الحياة. كما ان نظرة الهند ورسالتها التى سيكون اثرها الفعال فى اعطاء التوازن الصحيح للعقل الهندى، وصياغة هذه النظرة والرسالة الهندية صياغة شاملة نجد لها الآن تعبيرها لدى الباحثين فى الادب فى اللغة الانجليزية، حيث تعرف هذه النظرة والرسالة بانها قوة فى السياسة العالمية سعى الى اعلانها شرى جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند الاسبق الراحل فى صياغة المبادئ الخمسة للتعايش السلمى (البانش شيل). وقد حملت رسالة الهند الى العالم باللغة الانجليزية فى اسلوب ادبى قوى فى كتابات امثال سوامى ففيكانندا وسوامى راماتيترا. ورابندرانات طاغور، والمهاتما غاندى، وسروبلى رادها كرشنان.

وقد كان للنظرة الدولية شأن كبير فى التكوين الحالى للعقل الهندى كما هو معبر عنه فى ادبها. وقد جاءتنا هذه الدولية فى بادئ الامر عن طريق النظر فى المسألة بان ارتباطنا ببريطانيا ودراستنا للانجليزية كان لها أهمية كبيرة فى تدعيم الرسالة الهندية الجديدة وتقويتها.. ويجب ان نعترف كذلك انه لا نزال هناك لدى كثير من كتابنا روح التعلق بافكار

القرون الوسطى والتشبث بها . باعتبار انها التعبير الوحيد للعقل الهندى، وهم يفعلون ذلك كما لو كانوا مدفوعين بحكم العادة. ولكن هناك آخرين يرون فى صدق بل وفى حماس انه ينبغى علينا ان نشب عن الطوق ونصبح شعبا حديثا له عقل متحرر.

وقد ادخلت فى الادب الهندى الحديث وسائل جديدة للتعبير وطبعت بالطابع الهندى، ومعظم هذه الوسائل مستمد من الادب الانجليزى والاداب الاوربية. وقد ظهر عدد كبير من القصص الرومانتيكية فى العصور الوسطى والقديمة فى الهند، وبعض هذه القصص له قيمة ادبية بالغة الاهمية، مثل الرومانيات المكتوبة بالسنسكريتية، والقصص التى حفظها الجابين وحكايات العصر الوسيط والرومانتيكية، وقصص الحرب التى ظهرت فى مختلف اللغات الهندية الحديثة وكذلك فى ملاحم البطولة والرومانسية، ومن ناحية اخرى ظهور النمط الحديث من القصة الطويلة والقصيرة خلال اتصاله بادب الغرب.

وبجانب هذه الثروة الادبية فى لغات الهند الحديثة، هناك محاولة طيبة لانتاج ادب علمى مفيد وقيم من صنعنا وبلغاتنا نحن، وفى هذه الناحية لم نحرز نجاحا كبيرا. وذلك لانه تبين حتى الآن ان استخدام اللغة الانجليزية افيد واجدى فى هذه الاغراض. ولكن الشعور الوطنى النامى بالنسبة لهذه المسألة، يتطلب استخدام اللغات الهندية فى المطبوعات العلمية والاعلامية. وينبغى الاعتراف بان النمو الحر غير المقيد للادب العلمى فى اللغات الهندية، ستعرقله السيادة العالمية للغة الانجليزية فى مجال الادب العلمى والتطبيقى. وذلك لان هذه اللغة

لاتزال على اتصال دائم بآخر البحوث العلمية وأحدثها. ومن المؤكد ان استخدام اللغات الهندية وحدها او بالاشتراك مع اللغة الانجليزية فى التعليم العالى للعلوم البحتة والتطبيقية فى الجامعات سيؤدى الى التخفيف من عيوب الادب الهندى فى هذه الناحية. وتوضع الآن باللغات الهندية كتب فنون علمية جديدة لاستخدامها بالجامعات فى مختلف العلوم، كما صورت بهذه اللغات بعض الكتب الجديدة فى العلوم الاجتماعية.

وهكذا نرى ان الادب الهندى يمثل بحق الحياة الهندية ويعكسها وهو يخرج كتابا كبارا، فى الادب البنغالى، وفى اعمال رابندرانات بالذات، وكذلك فى بعض لغات الهند الكبرى مثل الهندية او الاردية، والمهراتية، والجوجراتية، والكانادية، والتلوجية، والتاملية، والمالايالمية، يضفى الكتاب الهنود مزيدا من الرونق والبهاء على الادب الهندى والثقافة الهندية. وهناك آثار ادبية عظيمة تحتوى على كنوز جمالية وشعورية ونفاذ عميق الى العقل الانسانى ينتظر ترجمتها الى اللغة الانجليزية وغيرها من اللغات الاوربية. وليس من شك فى ان هذه الاعمال ستفتن لب العالم الغربى والاهتمامات الانسانية بالدروس التى تلقيها دون اى اثر ظاهر للنصح والتوجيه، وقد بدأت بعض هذه المؤلفات التى تجرى ترجمتها تحتل كذلك مكانها اللائق فى الآداب العالمية؟ وفى هذا المقام هناك دور كبير ينتظر هيئة اليونيسكوو «الساهاتيا اكاديمية» (اكاديمية الاداب الوطنية) التى تديرها وزارة المعارف الهندية، و «مجلس الهند للروابط الثقافية».

الفولكلور أو الادب الشعبى

بعد ان فرغنا من الادب الكلاسيكى الهندى، نريد ان نلق نظرة عابرة على الادب الشعبى الهندى ايضا، الذى يعتبر ثروة حقيقية لكل شعب عظيم ذى الحضارة العريقة والثقافة العالية.

هناك اسطورة اغريقية تتحدث عن السباق بين آخيل ، بطل الياذة هوميروس ، والسلحفاة ، وفيها ان السلحفاة تقدمت قليلا عند ما كاد آخيل ان يلحق بها فاستحال عليه اللحاق بها بعد ذلك . وتنطبق هذه الاسطورة الى حد بعيد على الجهود التى نبذلها فى الوقت الحاضر لفهم الثقافة الهندية القديمة الغنية بالوانها العديدة المختلطة ، وبعبارة أخرى يمثل آخيل عقولنا بينما تمثل السلحفاة الحقائق التاريخية .

وتزداد هذه الصعوبة ظهورا بنوع خاص فى تلك الناحية من الثقافة المرتبطة بحياة الشعب اليومية ، اى الثقافة الشعبية ، وليس مرجع ذلك الى افتقارنا الى وهم التاريخ ، فالتاريخ السياسى لايتمشى دائما مع التطورا الثقافية ، وكثيرا ما حدث ان لونا من الوان المدنية والثقافة ظل يتألق خلال عهود عديدة واستمر مزدهرا بعد ان استنفدت الامبراطورية قواها ، او ان ثقافة معينة كبتت فى عهد اسرة حاكمة ثم تألقت ثانية بعد ان اصبحت ارادة الامبراطور لاسلطان لها .

وهناك عقدة اخرى وهى ان عددا من الوان الثقافة الهندية قام على أساس الايمان بمجموعة معينة من القيم المنتمية فى الحقة الراسخاائق لدين عظيم ، ولكن هذه القيم والا فكار والمثل اندمجت بطريقة غير محسوسة مع قيم دين آخر فاصبح من العسير التفريق بين اصولها ودراسة كل منها على حدة ، وقد يتاح لنا يوما ما جمع ما فيه الكفاية من الحقائق التاريخية للحصول على صورة مجسمة للتاريخ .

وانه لمن حسن الحظ ان انحدرت الينا الثقافة الهندية فى مختلف العصور فى صور مزدوجة الابعاد يمكن رؤيتها وفهمها اليوم كما كان يمكن

رؤيتها منذ مئات السنين فى مختلف الوانها المختلطة، فان الامثال والحكم والاساطير الشعبية التى يرجع تاريخها الى الف سنة مازالت متداولة بيننا وتروى كما كان يرويها الهنود فى حياتهم اليومية ابان العصور القديمة والوسطى، وفى استطاعتنا الاستنارة فى دراستنا للتاريخ بجمال هذه الثقافة المخصبة للذهن والتى تناقلها الابناء عن الآباء عن طريق الرواية.

وان التاريخ ليبدو اقرب الى اسطورة اذا درس على هذه الطريقة التى تنطوى على ميزة عظمى، وهى وجود الصلة الوثيقة مع العقلية الواقعية للشعوب. فضلا عن انها تكشف عن اعماق شبه القارة الهندية، فتبدو فيها الحياة كدوامة مستمرة تتوالى فيها الاحداث ولا بداية لها ولا نهاية.

ويحسن بنا قبل ان نخوض محيط القصة غير المحدود ونشرع فى تحليل عناصرها ان نتحدث قليلا عن صراع هذه الثقافة الشعبية من اجل البقاء.

ان المدنيات والثقافات الهندية المختلفة ترجع فى اصلها الى سكان هذه البلاد الاصليين الذين عاشوا فيها بان العصر الحجرى الاخير والمعروفين باسم «الدرافيديين» وقد صمدوا للغزوات المتكررة ولم ينقرضوا بان فترات الانتقال من العصر الحجرى الى العصر البونزى ومنه الى العصر الحديدى، وتمكن هولاء السكان الاصليون من التغلب على غزاتهم فى النواحى الروحية والنفسية ابان اخضاعهم بمختلف القوى المادية والسياسية.

ثقافة العصر الآلى

واخذت الثقافات الشعبية الهندية الآن فى التفكك والانحلال امام ناظرينا، نتيجة لتحدى مدنية «الالة» التى اصبحت تلاحقنا. وفى بعض الاحيان كانت بعض نواحى هذه الثقافة تتصدع او تزيف وتصبح ثقافة

مضطربة نتيجة لخلط الثقافة الاصلية بطريقة جائرة جنونية ببعض انواع ثقافة الالة ، الفردية التى وردت الينا من الغرب .

ولكن كنز الثقافة الشعبية مازال فى ايدينا وسيظل كذلك مدة من الزمن . فلنعم اذن على اعادة احياء ادب الاساطير الهندية الشعبية من بقايا الماضى التى عاشت حتى انبثاق فجر العصر الذرى .

فلاحون

أما الجزء الاكبر من الحكمة الشعبية فتعالج التربة لان الغالبية العظمى من سكان الهند تتألف من الفلاحين .

ليسوا جهلة

وتبين الامثال الشائعة بين القرويين انهم ليسوا جهلة كما يبدو عليهم

وقد يلوح ان الحقائق التى تشع من أمثال القرويين شئ شائع ، ولكن .. حتى الالفاظ والجمل العرضية التى يتفوهون بها قائمة على أساس نظريات مقبولة فيقولون : مثلا : «منذ قديم الزمن الله صانع المعجزات ،» أو يقولون : «من ذا الذى يستطيع ان يغير ما كتبته الاقدار» .

وتشير الى الاعتقادات الراسخة الثابتة الى وجود الكائن الاعظم هوالله ، وجاء فى عقيدة كارما ، «لاتحصدون الانتاج ماتبذرون» .

أما قولهم «الله العلى القدير» فانه اعتقاد عام شائع فى الامثلة ، ويشيرون دائما الى ضعف الانسان وقوة الله .

كثرة الامثلة

وليس ثمة ظاهرة فى حياة الانسان لايصورها مثل او قول شائع فى أدبنا الشعبى، ولكن قلما تكون هذه الامثال خرافية او نتيجة للخيال الخصيب، ومن حكمهم :

«اذا قفل باب تفتحت ألوف الابواب»

«لاتمش أبدا أمام من هو أعلى منك منصبا أو وراء حصان «لان كليهما يرقص»

«واحد يموت وآخر يغنى الاغانى الشعبية»

وتنعكس حكمة الامثال فى الشعر الشعبى ايضا ، على اختلاف اوزانه وقوافيه . وهذا التصوير القديم الظاهر فى الامثال والشعر الشعبيين ذو أهمية وقد يكون فى بعض الاحيان غامضا ، بيد ان كثيرا منه يرجع فى أصله الى تقاليد كانت سائرة فى الهند ، ولذلك يمكن فهمه بسهولة .

قال الدكتور فيرير الوين: ان الرمزية فى الشعر الشعبى ما هى الا تصوير شعرى للعادات السائدة فى الحياة العادية» . ذلك لان الشعب الهندى ينفق يومه فى التحدث فى الرمزيات .

ان موضوعات الشعر الشعبى تتناول الازمات التى يواجهها الانسان كالظل الاسود الذى يقع بينه وبين أمانيه التى يرغب فى تحقيقها فى أعماله وهذا التوتر الذى يتناوله الشعر يعد مصدرا لها .

بيد ان الشعر الشعبى الهندى يقوم على اساس الجمع بين الذكر والانثى .

وتقول أغنية شعبية رائجة فى أواسط الهند :

«خضراء خضراء أشجار المانجو والتمر التى أملكها وضفتا البحيرة جميلة» .

«ما أجمل حشد البنات المستسقيات اللواتى يقتفين آثار عشاقهن» .

ليلة الزفاف

أما أغنية العروس الجديدة فتقول :

المهر الازرق
لن يدعك تسرجه
والعروس الجديدة
لن تسمح لك بأن تفعل ماتريد

الصناعات الريفية فى الهند

للاستاذ جميل الرحمن الدهلوى .

يبدأ تاريخ الصناعات الريفية فى الهند من العصور العتيقة ، منذ ان عرف الانسان كيف يكتب أو ينقش تاريخه وتطوره ، واحداثه ، ولاشك فى ان الحضارات العظيمة التى ظهرت عند الكادانيين والمصريين والصينيين وغيرهم لم تزدهر الا نتيجة لازدهار الثقافات التى لقيت فيها مواهب الانسان البارزة التشجيع التام . وكانت مقدرة الايدى على الابداع شيئا يقابل باحترام وتقدير بالغين ، حتى ان الانسان الذى يرتكب إثما بتعطيله يد غيره من ذوى المقدرة الفنية كان يواجه عقوبة الموت .

وبفضل التقاليد الهندية الشعبية والثقافات الرائعة ، التى سادت فى عصور كانت الفردية فيها تلقى تشجيعا كبيرا ، بينما التعميم كان امرا كريها ، ترعرعت الحرف اليدوية فى الهند وازدهرت ولقيت التحف الفنية الرائعة رواجا وتقديراً عظيمين . وهكذا كانت الحرف القروية الهندية على مر العصور ، وتخطت منتجاتها مراكز الانتاج المحلية وانتشرت فى جميع اركان المعمورة . وكانت التحف اليدوية تلقى استحسانا واعجابا بسبب امتيازها فى نواحى التصميم والصناعة فضلا عن بساطتها والوان لاتبارى .

وكانت المنتجات اليدوية الفاخرة كالمنسوجات الحريرية الموشاة بالذهب التى اشتهرت به داكا ، والسجاد الفاخر فى ميرزابور والاوانى النحاسية والبرونزية والفضية والعاج والصنادل . . كل هذه المنتجات الصغيرة كانت تنقل من مراكز الصناعة اليدوية فى الهند على قوافل الجمال الى

سمرقند والبصرة وبغداد وإلى اقصى اركان الامبراطورية المغولية. وكانت هذه السلع تنقل الى مصر وافريقيا والجزر الاندونسية عن طريق البحر، وتلقت قصور جنكيزخان والقياصرة هذه التحف التى كانت تمتاز بجمال الصنع كجزية أو كهدايا.

وعلى الرغم من غوائل الدهر، والغزوات المستمرة التى تعرضت لها الهند، والاضطرابات الداخلية والتغير الدائم فى الاحوال السياسية، فان الحرف اليدوية والمنتجات الريفية الهندية لم تتأثر، واستمرت فى سيرها قدما إلى الامام.

وكانت الحرف الريفية فى الهند تواجه الطلب من ناحيتين أولا، المنتجات الشائعة البسيطة الصنع التى كانت الطبقة العامة المنتشرة حول مراكز الانتاج، تقتنيها لتغطية حاجاتها المنزلية وغيرها، وثانيا: المنتجات الدقيقة الصنع التى كان صنعها يستغرق وقتا أطول، وفنا أدق، كانت قاصرة على الطبقة العالية.

الاستعمار البريطانى

ولكن الهند، منذ ثلاثة قرون، خضعت لنير حكم اجنبى جديد، ولاول مرة فى التاريخ اصبحت البلاد قاعدة لاستغلال المواد الخام بدلا من تحويلها الى سلع كاملة الصنع. وعمد البريطانيون الى تدمير الحرف والصناعات الريفية اليدوية فى الهند وفرض قيود تجارية شديدة حتى تضمن الحماية للمصنوعات البريطانية. وقد أدى ذلك إلى تدهور الصناعات الريفية والحرف اليدوية المحلية فى الهند تدريجيا واختفى كثير منها من عالم الوجود. وبالاضافة إلى ذلك، وجهت الثورة الصناعية، والصناعات

الثقيلة ، والطرق الصناعية الفنية للانتاج الجماعى ونمو الاحتكار الاستعمارى ، ضربة قاضية لصناعة تتعارض تعارضا تاما مع الانتاج الآلى . .

وبدأ الاقتصاديون الجدد يطردون ذوى الحرف اليدوية ، ففقد كثير منهم اسباب رزقهم ولجأ بعضهم إلى الآلة حتى يتمكنوا من كسب وسائل العيش ، أما الجزء اليسير من الصناعة المحلية الذى استطاع ان يحافظ على بقائه فانكمشت الاسواق أمامه واقتصرت على الطبقة الارستقراطية فقط . وبهذا اصبحت نهاية الصناعات الريفية التى عاشت على مر العصور أمرا لا مفر من وقوعه .

الاستقلال

فى هذه المحنة التى كانت الصناعة المحلية تعيش فى غمرتها ، حدث أمر ذو بال انقذها ، فقد حصلت الهند على استقلالها التام فى عام ١٩٤٧ ، وواجهت الدولة الهنديه الجديدة مشاكل كثيرة ، منها انقاذ الحرف اليدوية والصناعات الريفية الآخذة فى التدهور والانحلال ، وافساح المجال امامها حتى تستطيع ان تتبوأ مكانها الطبيعى وتساهم فى تنمية الاقتصاد الوطنى ومساعدتها على تنظيم صفوفها بطريقة تمكنها من مواجهة تطور الاحوال والظروف .

ان تنمية الحرف اليدوية والصناعات الريفية امر لابد منها للاقتصاد الوطنى القومى . ولذلك فان طبيعة هذه الحرف تتطلب جهودا مضنية وحكمة فى معالجتها وصبرا ، قبل التاكد من ان هذه الجهود ستؤدى إلى نتائج مثمرة ، تدفع الحرف قدما إلى الامام .

وهذا التراث الهندى العظيم وازدهاره الآن ، كما رأينا ، يخص عصرا آخر غير العصر الذى نعيش فيه ، وجوا آخر يختلف تمام الاختلاف عن

طراز الحياة الذى نحياها الآن. بيد ان الحرف اليدوية، بالرغم من ذلك، على ماتتمتع به منتجاتها من بهاء وجمال وتوفير الضمان لحياة الكثيرين تتلاءم مع العصر الذى نعيش فيه. ومع ان هناك ملايين من الذين يحترفون هذه الصناعات الريفية فى الهند، فانه لايمكن العثور عليهم مجتمعين فى مناطق معينة.

ان تنمية الحرف اليدوية والصناعات الريفية لايمكن ان تقاس بتنمية النواحى الصناعية التى تعتمد على الآلات الصاخبة، لان هذه الاخيرة تتحدث عن عصر انعدمت فيه الكرامة واضطربت فيه مقاييس الجمال.

وحينما أنشئ مجلس الحرف اليدوية كلف بان يسدى النصح للحكومة بصدد المشاكل الخاصة بهذه الصناعة وان يعمل على تنمية الانتاج وحركة البيع فى الهند والخارج، وطلب إلى المجلس ايضا ان ينصح الحكومة بشأن منح القروض لحكومات الولايات والمؤسسات والمعاهد الاهلية حتى يتسنى لها تنمية الحرف اليدوية وتحسينها. والمجلس قسم برامجها إلى عشرة اقسام، وتشتمل هذه البرامج ثلاث نواحى وهى التنمية والابحاث والتقدم ومن هذه البرامج ايضا توفير المواد الخام واستخدام طرق فنية وادوات افضل وتحسين وسائل التصميم ووضع نماذج جديدة للمنتجات واعمال الارشاد الخاص بانتقاء النوع وتدريب اصحاب الحرف وتنمية الابحاث وجمع الاحصاءات واصدار الكتب للارشاد، والمجلات المصورة واقامة المعارض لعرض المنتجات اليدوية والدعاية لها وتوسيع نطاق حركة البيع وتعزيز الهيئات المضطلعة بهذه المهمة فى الهند والخارج.

ولذلك فان هدف المجلس يتلخص فى توفير سلع افضل للمنتجات اليدوية وضمان اسعار معقولة لها وكفالة أجور عادلة لاصحاب الحرف، واقامة منظمة فعّالة تشرف علي شؤون التسويق.

وتعتبر اللعب الهندية جزءا من الفن الشعبى فى الهند ، وهذه اللعب ؛ لعب الاطفال - لايشبه ما ينتجه الغرب منها ، لان اللعب الهندية تصور نواحى الحياة وهى مستمدة من الواقع وليست آلية كاللعب الغربية ومن ميزات اللعب الهندية تنوير اذهان الاطفال وتنمية مداركهم .

وتعد صناعة المنسوجات فى بلادنا من اشهر الصناعات على الاطلاق ، وهذه الصناعة تشتمل المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية والغزل والصياغة والطباعة ، وقد كسبت بعض المنسوجات الهندية شهرة عالمية لا تضاهى .

ومن الحرف اليدوية المشهورة التى نمت على مر العصور صناعة المجوهرات التى كسبت منتجاتها المختلفة ، سواء كانت اصلية أو اصطناعية ، شهرة واسعة ومن ميزاتها العملية انها زهيدة الثمن ورائعة التصميم وترضى المشترى والبائع على السواء .

ويرجع تاريخ الحرف اليدوية المعدنية الفنية فى الهند إلى خمسة آلاف عام ، وكانت هذه الصناعات خلال هذه المدة الطويلة قاصرة على انتاج الاسلحة والشعارات المدنية وغيرها . أما اليوم فان منتجات هذه الحرفة تشمل الاوانى الفنية المصنوعة من النحاس والبرونز وغيرها من الادوات التى تستعمل فى المنازل .

وهناك حرفة نحت الخشب من جميع النواحى ، وهى فن نما وترعرع فى الهند منذ أمد طويل .

وقد انتقلت فنون النحت التى تظهر محاسنها وروعتها فى ابواب الهياكل والاضرحة إلى المنتجات الاخرى التى اصبحت تستعمل كادوات للزينة والتجميل .

ونحت العاج حرفة مشهورة فى الهند تمارسها كثير من الولايات الهندية مثل ولاية ترافنكور كوشين وحيدرآباد ، وميسور ، ودلهى والبنغال الغربية وراجستان . ويستخدم اصحاب هذه الحرفة ابسط وأدق انواع الآلات كالسكين والازميل وغيرها وذلك لينحتوا من العاج أشكالا فنية تمتاز بالدقة والمهارة ، ومن هذه المنتجات صور عادية تمثل الرقص وبعض النواحى الفنية من الحياكة الهندية والازرار والعقود وأوانى الملح وعلب السجائر والأوانى التى تعبأ فيها الروائح العطرية .

ومن الحرف المشهورة فى الهند صناعة الابسطة الصغيرة والحصر والسجاد ، واصبحت هذه المنتجات جزءا لايتجزء من الحياة الهندية اذ حفلت بها جميع المنازل والمدن واتخذها كثير من الاعيان كوسائل للزينة لتجميل بيوتهم وقصورهم ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا انه ليس هناك منتجات اجنبية من هذا النوع تعلو على المنتجات الهندية .

ونمت ايضا صناعة الابسطة الصغيرة المختلفة الانواع منها الابسطة المصورة والابسطة التى تستعمل كساء ومنها الابسطة الحريرية المزركشة التى تضفى على الغرفة أو الصالون جمالا وروعة .

وحرفة الاوانى الفخارية والخزفية التى تمتاز بالجمال ودقة الصنع ، وقد عمد اصحاب هذه الحرفة الى انتاج انواع مختلفة كثيرة من هذه المنتجات حتى يتمكنوا من التمشى ومسائرة الاحوال والزمن الدائم التغيير والتطور .

أما صناعة الجلود الفنية فليست من الصناعات القديمة فى الهند ، ولكنهامع ذلك حازت اعجاب الناس ذوى الاذواق والفنون ، وهى حرفة يدوية وكان اقبال الطالب ، من البلاد الاجنبية ، على المنتجات الجلدية الفنية ، التى ارسلت عينات منها شديد .

وثمة حرفة يدوية اخرى تعتمد على انتاج التحف من اصداف البحر الكبيرة، وهى حرفة جديدة دخلت الهند حديثا. وتجمع هذه الاصداف الكبيرة من اعماق البحر حول جزر اندمان ثم تنحت وتحول إلى أوانى فخمة دقيقة الصنع كالزهريات ومصابيح الموائد والاقراط والازرار الثمينة وغيرها.

وتستخدم فى هذه الحرفة اليدوية ادوات صغيرة تصنع محليا. وهذه التحف الصدفية تضفى جمالا وروعة على غرف القراء والرسم ولا يمكن ان تستكمل غرفة من هذا القبيل جمالها، وخاصة اذا كانت لرجل ذى ذوق كريم، بدون هذه التحف الرائعة.

وصناعة التحف الصدفية قد استقرت اركانها فى البلاد، وتنوعت كثيرا واصبح استعمال ادوات الزينة والحلى المصنوعة من الاصداف البحرية شائعا فى الهند، وتختلف انواع هذه التحف والحلى، فمنها البسيط الصنع ومنها الدقيق الجميل ولبعضها طابع دينى وخاصة عند النساء الهندوسيات، اذ جرت العادة ان تلبس الواحدة منهن السوار والخلخال الصدفى عقب زواجها مباشرة.

أغانى الشعب الكشميرى

للاستاذ ابو المحفوظ الكريم المعصومى

لكل شعب أدب شفوى يتكون من أغان وأساطير وما إليها ، حقيق بأن يباهى به الشعب ويصون معالمه ، فانه من الاعلاق الخطيرة التى وصلتنا على ترادف الأحقاب ، ولا غرو أن أغانى الشعب الهندى من الموضوعات الدسمة ، والحديث عنها مهما يكن طريفا فانه فى الوقت ذاته ذو شجون جداً ، وذلك لأن القطر الهندى على اتساع رقعته من أغنى البلدان بالالسنة واللهجات كذلك الشعب الهندى عبارة عن مختلف الشعوب والامم التى على تمايزها فى فجر التاريخ طالما ارتضعت بلبان التجانس والتآخى الى أن تم اصطهارها فى بوتقة للثقافة الهندية التى تمتاز شبه الطاوس بكثرة ألوانها وتنوع شياتها ، فطبعا تمثل لنا أغانى الشعب الهندى صوراً مختلفة عن تقاليد وآداب متنوعة لهذه الكثرة الكاثرة التى يتكون منها وحدة الشعب .

ولعل خير جزء نستهل به هذا الحديث ، موضوع أغانى الشعب الكشميرى ؛ لما ان الكشمير منذ أقدم العصور تعتبر إحدى منتزهات العالم اجمع ومن البقاع العديدة التى خلعت عليها الطبيعة من جمالها الوضاء حلة سيراء ، وقبل أن اعالج الموضوع ينبغى أن نمهد له بمقدمة سريعة تعرف باللغة الكشميرية وتطوراتها التدريجية .

أصل اللغة الكشميرية

تأتى اللغة الكشميرية بالنظر الى خصائص جوهرية لها كالنسق الصوتى والتركيب اللغوى والتوقيع الشعرى ، فى ضمن الألسنة الدردية (Dardic) والنسبة إلى جيل عرفوا قديما باسم (درد) وقطنوا ذاك الصقع الجبلى المديد من جبال هندوكش إلى ثغور الهند الخاصة . وتكلموا بلغة تشبه لغة ريجويد

(Rigveda) ورد ذكرهم فى المصادر اليونانية والرومانية كما أن المراجع السنسكرتية كالبوراناس (Puranas) و راج ترانجينى (Raja Trangini) تذكرهم وتسميهم بذلك. على أن اللغة الكشميرية تأثرت لدرجة عظيمة من ثقافة الهند الشمالية فقد زودتها السنسكرتية بكمية غالبة من مفرداتها حتى أن كيان الكشميرية مدين للسنسكرتية إلى اكبر مدى، ولعل بعض الكتاب بناء على ذلك يظنها فرعا من شجرة اللغة السنسكرتية.

للكشميرية لهجات يختلف بعضها عن بعض: بوجولى (Poguli) سيراجى (Siragi) وكشتوارى (Kashtawari) واللهجة الكشتوارية خاصة تمتاز بقربها من الأصل الدردى، وهى لاتزال تستعمل فى منطقة الجنوب الشرقى لوادى الكشمير. أما اللهجتان البوجولية والسيراجية فهما مزيجتان تمام المزج ببعض اللغات الجبلية ولغة دوجرى (Dogri).

وكما أنها استمرت تستفيد من اللغة السنسكرتية وفضائلها فكذلك ريثما انبثق فجر الاسلام على ربوع واديها، ظلت تسير سيرتها الاولى وتقتبس من اللغة الفارسية قبسات تزيدها روعة وجمالا اكثر من ذى قبل. ولكن الظروف لم تساعدها قط على أن تتمشى مع اللغات المستقلة جنبا إلى جنب، فلم يكن لها خط متداول ولا قواعد متبعة تثقفها وتصون معالمها وتضبط أساليبها ولكنها كاللغة البنجابية وأمثالها كانت لهجة محلية تلهج بها العامة فقط، وتحسبها الأوساط العلمية قاصرة عن قضاء وطرهم فى أى حقل، وقد ألمع آزاد أحد الشعراء المفلقين بالكشميرية، بوجوه تأخرها قائلا ما مغزاه: إن الالسنة تسير إلى الأمام بمساعدة الحكومة وبأن يعكف الادباء عليها بهمة لاتفتر وحصافة لاتنفد، وكانت قضية اللغة الكشميرية

على العكس، فان ادباء البلاط الملكى ظلوا مقبلين على غيرها من اللغات الناضجة فعلا واعتبروا اللغة الكشميرية غير صالحة لانتاجهم الأدبى ومتنازلة جداً عن حاجياتهم الملحة. فطبعا لم يكن هناك أى حافز يحثهم على بذل مجهودهم فى تثقيف اللغة المحلية وتسوية كيانها الأدبى وعلى أن يصرفوا اعمارهم فى توسعة نطاقها.

هكذا استمرت اللغة المحلية فى كشمير يحيط بها جومكفهر عبر القرون. فقد كانت السنسكرتية لغة البلاط الملكى ردحا من الزمن إلى أن دخلت على اثرها اللغة الفارسية مع انتشار الاسلام فاصبحت هى لغة البلاط وظلت كل واحدة منهما بدورها الخاص تبهر عيون الأدباء الكشامرة بروج آدابها الزاهرة وتختلس ألبابهم بتاتا فلا غرو ان بقيت اللغة المحلية على تقهقر مستمر أمام اللغتين المتناوبتين وهناك لحقتها خسائر فادحة بأن تفقد الحلقات المتواصلة لتاريخها وتحرم ثروة طائلة من القصائد الطنانة والمثل الفكرية وأن يهمل خطها المختص ساردا (Sarda) إهمالا با لكلية. فالهنود كانوا يألفون الخط الهندكى أو ديوناجرى لكتاباتهم بالكشميرية كما أن المسلمين كتبوها بخطهم الفارسى ولم يعرفوا خط (ساردا) غير أفراد معدودين من طبقة البناديت، وغير خاف أنه لم يكن بمستطاع أحد الخطين الفارسى والديوناجرى أن يؤديهم حسب الواقع إلى الغاية المنشودة فى أداء بعض الأصوات المعدودة فى خصائص هذه اللغة، وما اتفق حل هذه المشكلة إلا قبل زمن قصير فقط بأنهم أضافوا بعلامات عديدة الى الحروف الديوناجرية تطبيقا لها على نبرات اللغة الكشميرية.

الأدب الكشميرى

يبتدئ تاريخ الشعر الكشميرى، الآن من سيتى كانت (Sitikantha) الذى ذهب معظم شعره واندثر، غير أنهم ينسبون اليه قطعة فاذة تسمى مهانايا بركاشا (Mahanaya-parkasa) او إشعاع التدريب الاعلى، وهى بقية شعرية من قبيل الموشحات وتتألف من اربع وتسعين دورة شعرية كل منها فى اربعة اشطار، وتضاهيها فى القدم قطعة لبعض الأغفال عنوانها «تشوما سامبردايا» (Chuma-sampradaya) وهى تحتوى على أربعة وسبعين بيتا. وكلتاهما الآن من أقدم الآثار باللغة الكشميرية، وتنتمى الى زمن قبل القرن الثالث عشر للميلاد.

وتتلوهما (أقاويل لل)[1] المعروفة بعنوانها السنسكرتى للاواكيانى (Lallavakyani) وهى مجموعة اناشيد كثيرة. انتشرت على أفواه الجمهور الكشميرى، ثم دونوها فى مختلف الأزمنة فى مجاميع شتى، وهى تنسب الى السيدة لليشورى (Laleshwari)؛ ولعلها عاشت فى القرن الرابع عشر للميلاد وتفاوضت الأخبار الشفوية، لدى الكتلتين الهنود والمسلمين، أنها منذ نعومة أظفارها انقطعت بتاتا عن الدنيا وزخرفها، واستغرقت فى التبتل على طريقة (سيوا) الهندكية. وهذه الأناشيد كلها تطفح بروحانية، وتعبر عن الحقيقة، بأساليب رائعة؛ ومما يعزى اليها هذه النبذة :

---

(١) نشر منها جورج ابراهام جريرسون مجموعة، فى مائة وعشر مقاطيع، مع ترجمة النصوص (لندن ١٩٢٣ م) وذيل عليها البانديت انند كول، بأشياء كثيرة يراجع لها : Indian Antiquary, Vol. LX, pp. 191

ما أنضر وجهك السار ،
إلا ان قلبك (يشبه) صخرة ؛
حيث أن الحقيقة لم تؤثر فيك أصلا .
تقلصت شفتاك ،
وتشنجت أناملك ،
لطول عهدك ، بالقراءة والكتابة .
وبعد فان ضغينة صدرك ،
لم تنسلل عنك قط .

وما إن بدأ عصر السلطان زين العابدين (١٤١٧ - ١٤٦٩ م) الا وانتعشت الثقافة فى كشمير ؛ فما كانت اللغة المحلية إذن تتأخر عن اللغتين الفارسية والسنسكرتية ، وذلك أن الكتاب المعاصرين له وشعراء البلاط الى جانب تبرعاتهم بالفارسية والسنسكرتية ، ظلوا يكتبون وينظمون بالكشميرية أيضا . فكتبوا عن السلطان نفسه ، كتباً تاريخية وتمثيلية منها (جينا كريتا) اى سيرة زين العابدين ، و (جينا بركاشا) قطعة تمثيلية حوله ، و (جينا ولاسا) فى الموضوع عينا . ومما كتب فى العصر نفسه باناسوراودها (Banasuravadha) لمؤلف مجهول ، وهى قصيدة روائية طويلة ، لم ينسج على منوالها فيما قبل .

وفى العصر بالذات ، عاش نورالدين ، أحد النساك المشاهير فى كشمير ؛ ولد سنة ١٣٧٧ م وتوفى عام ١٤٤٠ الميلادى . والهنود يسمونه

---

(١) يراجع له : واقعات كشمير ، تاليف محمد اعظم ، ص ٦٣-٦٤ طبعة لاهور سنة ١٣٣٢ هـ .

ننداريشى (Nanda Rishi)؛ وله مجموعة أناشيد وأقاويل باللغة المحلية، مدونة باسم (ريشى نامه) أو (نور نامه).

ومما يدل على تعضيد السلاطين من أسرة (چك) لجانب اللغة الاقليمية أن كان السلطان يوسف چك (١٥٧٩ - ١٥٨٦ م) يتقن هذه اللغة ويجيد بها الشعر. وكانت قرينته الاميرة حوا[1] خاتون حسب الروايات المحلية، شاعرة مطبوعة واحتلت فى تاريخ الأدب الكشميرى مكانة رفيعة جدا.

ونبغت السيدة روپ بهوانى فى القرن السابع عشر الميلادى (١٦٢٥ - ١٧٢١ م) وكانت متبتلة، كالسيدة لليشورى الآنفة الذكر. واشتهرت على ألسنة الشعب بلقب «ألك ايشورى» (Alak Ishwari) إما لعدم مبالاتها بضفر شعرها، وإما لما زعموا من حلول الألوهية فى ذاتها. عاشت نحو ست وتسعين سنة؛ وأرخ وفاتها الشاه صادق قلندر، بقوله (به رحمت پيوست). وذلك فى شعره الآتى بالفارسية:

عارفى ذات آن الك اوتار قالب عنصرى خويش شكست
كرد پرواز سوى عرش عظيم با دل نيك به رحمت پيوست

---

(١) اسمها الاول زون (Zun) أى سنا القمر واشتهرت بالثانى ويتلفظ به الكشامرة على مثال «Haba» «Habba» وزعم بعض الكتاب انه (حب) ومن العسير ان أوافقه على ذلك إذلم يكن الحب والوداد وأمثال ذلك من الاسماء المألوفة فى البيئة الهندية ولكن الصواب ان «Haba» او «Habba» اصلهما (حواء) لاغير.

وللسنسكرتية أثر بارز على أساليبها ، ومع ذلك كانت تجيد اللغة الفارسية ، واحيانا تنظم بها قطعا شاردة منها رسالة منظومة جاوبت بها أخاها (بال دهر) ، وهى تنم عن براعتها فى اللغة الفارسية .

ولا أتجاوز دون ذكر السيدة أرانى مال (Arani Mal) التى عاشت فى أثناء المنتصف الآخر من القرن الثامن عشر للميلاد . وكان زوجها بهوانى داس كجرو (Bhavanidas Kachru) أحد الشعراء البارزين فى الفارسية . ولكنها تفوق زوجها مكانة ؛ فانها إحدى النابغات الثلاث اللواتى حق ان تتفاخر بهن الكشمير بل الهند من أقصاها الى أقصاها ، أعنى السيدة لليشورى ، والاميرة حوا خاتون ، والسيدة ارانى مال .

وفى اثناء مائتى سنة إلى نهاية القرن التاسع عشر للميلاد ، أنجبت الكشمير شعراء وأدباء كثيرين تتبعوا صنوف الكلام ، من الغراميات والمقطعات اللاهوتية والملحمات والاقاصيص والحماسيات ، فأجادوا وزودوا الكشميرية ، بتبرعات رائعة ؛ وكلها تمتاز بروعة التعبير وجمال الفن وتشبه فرائد اللآلى ، فى الأدب الكشميرى .

وفى القرن العشرين نبغ الشاعر غلام أحمد مهجور ؛ وانتشرت نفثات صدره على ألسنة الجمهور الكشميرى .

الأغانى الكشميرية

وبعد اللتيا والتى ، فانما يهمنا الحديث عن أغانى الشعب الكشميرى ، لكونها المصدر الأصيل الذى انبثقت منه عيون الشعر فى تاريخ اللغة الكشميرية .

وغير خاف أن التلاحين الشعبية مهما اختلفت مزية وجدارة فشأنها فى تاريخ الشعر عند كل أمة ، شأن النبعة الاصلية التى يتسلسل

منها تيار الشعر. فكما أن بحيرة مندا كينى (Mandakini) الأساطيرية - فيما يقول الشاعر الكبير طاغور - تتفجر منها الانهار، فكذلك قريحة كل شاعر مطبوع تأخذ نصيبها من معين هاتيك الأناشيد الشعبية ودائما يفجر منها الأخلاف جداول وشرائع على قدر وكرم وكدهم فتسق حقول فكرتهم وتزيدها خصبا ونماء.

ومن خصائص الأغانى الكشميرية أنها شأن غيرها من أغانى الشعب الهندى، على استمرار، تمثل كل عاطفة حوى للعوانس الخفرات نحو شخصية المحبوب. فيبدين له صميم الود بلا تلعثم وانما يصدهن الحياء والعفاف أن يراودن غيره. فمثلهن فى ذلك مثل الجداول المنحدرة من قمم شاهقة يتسلسل مائها، بتراقص ينم عن حب عميق، وبخرير يشبه النغم المليئة بالحنين، إلى ان تتواصل بعباب البحر.

لا ترضى المرأة الكشميرية قط، أن تظلها سماء ما. وراء حبها للبعل، فلا تقع عيونها الدعج النجلاوات على غيره. إنها تتفانى فى الوفاء له مدى الحياة، ولا ترضى بغير أن ترافقه حتى فى نفس الممات. فيا لها من قداسة وطهارة الذيل! وهى إذن تمثل الربة العذراء (أوما) التى كما تصورها الشاعر الاكبر كالىداس - تنتظر من بعلها (شيوا) تلبية سارة. وتشبه (رادها) التى على ما تصورها جى ديوا - تراود فتاها (كريشن) باروع صفة ملكوتية وبقلب ناعم مجبور غوره لا يدرك.

إنها ملأ تجاليدها روح الوداد ومحض الجمال فقط ومع ذلك فانها لم تحرم البطولة وان لم تكن كالبطلات من طوائف الراجبوت اللواتى ينجبن ابطالا مغاوير. وربما كانت لهن أناشيد حماسية تعبر عن مدى بطولتهن ولكن

الآن لم يبق لها أثر على أفواه الرواة وألسنة الجمهور وانما وصلنا مما يدل على ذلك قصة بطلة وحيدة فقط واسمها كوتا رانى (Kuta Rani) إنها أظهرت فى الذب عن موطنها بطولة خارقة. وبعد عدة أعوام انتحرت نفسها ولم تدع لوزيرها الغشوم فرصة أن يتلاعب بطهارة ذيلها.

كانت الأغانى الكشميرية - فيما يبدو - كثيرة جداً. وكيف لا وهم فى بحبوحة الجنان تحت اديم السماء تحتضنهم الفطرة الجميلة وتوحى إليهم محاسن الطبيعة بسحرها الحلال ولكنهم اعتادوا بحفظها على وجه التناقل الشفوى دون الكتابة فوصلنا القليل من الكثير. ويرجع الفضل فى ذلك الى ابعاض المغرمين بالأدب الكشميرى الذين منذ عهد قريب فقط تلقفوها من أفواه الرواة والمطربين وأودعوها بطون الصحائف. ومقدمهم السير اوريل استين (Sir Aurel Stein) والسير جورج ابرهام جريرسون (Sir George A.Grierson) والبانديت انندكول (Pandit Anand Koul) والبروفيسور ديويندرا ساتيارتهى (Devendra Satyarthi) وأمثالهم الذين استحقوا الثناء على تبرعاتهم الخالدة لاحياء الكشميرى والأغانى الكشميرية خاصة.

يمكن توزيع هاتيك الأناشيد على أبواب عديدة حسب ما تنطوى عليه من مختلف المناسبات ولكننا لسنا فى حاجة إلى الاستطالة ببيان التقسيمات كلها. فهاكم ترجمات منها مع بيان للمناسبات.

أغانى الفلاحين

حقا يكون الفلاح الكشميرى شديد الاعجاب بذاك المنظر البهيج الذى تقدمه حقول الزعفران الساطعة أمام عينيه. وعلى الخصوص اذا ما

البسها سنا القمر فى ليلة هادئة، حللا عسجدية اللون. وهناك فقط يذهل المسكين فلا يدرى بماذا يقضى العجب، أمن حسن ذاك اللون الفاقع الخلاب ام من أريج الزعفران الفواح؟ إنه ليس ذا خبرة بالجمال او بالشذا الطيب كما أنه ليس شاعرا يناغى عرائس الطبيعة الفاتنة ومع ذلك فانه نشأ وترعرع فى هذا المحيط وللزعفران صلة بحياته اكثر من حلم اليقظة، اذن هو يعرف كيف يخاطب زهرة الزعفران وتلهمه الطبيعة أنه كيفما يشدو بجمالها وبطيب شذاها فيترنم بما مغزاه كما يلى:

أنت كالعقيان فى اللمعان
يا ورد الزعفران،
أنت كالعقيان، فى اللمعان
أفديك بكلى، يا ورد الزعفران
أنت كالعقيان فى اللمعان

* * * *

إنك تلوح كالسراج الوهاج
فى الليلة القمراء،
إنك تلوح كالسراج الوهاج
افديك بكلى، يا ورد الزعفران
انت كالعقيان فى اللمعان

* * * *

من ذا منحك الصبغة،
يا ورد الزعفران،

من ذا منحك الصبغة ؟
أفديك بكلى يا ورد الزعفران
أنت كالعقيان فى اللمعان

* * * *

الله أعطانى الصبغة يا فلاح !
الله أعطانى الصبغة :
أفديك بكلى ، يا ورد الزعفران
انت كالعقيان فى اللمعان

* * * *

من ذا وهبك العرف الطيب ،
يا ورد الزعفران ،
من ذا وهبك العرف الطيب
افديك بكلى يا ورد الزعفران
انت كالعقيان فى اللمعان

* * * *

الله حبانى العرف الطيب يا فلاح ،
الله حبانى العرف الطيب ؛
افديك بكلى يا ورد الزعفران
انت كالعقيان ، فى اللمعان
دعنى اعانقك عناقا طويلا ،
يا ورد الزعفران ،
دعنى اعانقك عناقا طويلا ،
افديك بكلى ياورد الزعفران
انت كالعقيان فى اللمعان

إنما ينبت الزعفران فى قرية (بامفور) والفتيات يتمنين المسير اليها وينتظرن الموعد وذلك فى شهر أكتوبر حينما ينفتح الزعفران وهنالك تجيش قلوبهن بتمنيات معسولة وتتراقص على مباسمهن ترنيمات حلوة وهذه قطعة منها :

هلمى يا عذراء : نرح الى بامفور ،
فان الزعفران عندما يتفتح ،
يزيد فى وجيب قلبى ،
ويطير لبى ، بالهفاه :
هلمى يا عذراء ! نرح الى بامفور
عندما تتفتح وردة الزعفران .

والفتاة القروية ربما تحسب أن عشيقها غادرها إلى بامفور حيثما تزدهر حقول الزعفران فهى اذن تئن من ألم الفراق وتحسب الزعفران أسعد حظا منها فتزداد حنينا الى عشيقها وتقول :

إلى بامفور تسارع حبى
وهناك تضمه أزهار الزعفران ضمة حلوة .
آه ! انه وصل هنالك ، ولم أبرح من مكانى ههنا
رباه ، متى تمكننى من لقياه !

وأحيانا يخطر ببالها كأنما الزعفران يحط من شأنها وذلك مما يوغر صدرها حقداً ويحرك الغطرسة فى نفسها فتقبل على وردة الزعفران وتوسعها انتهارا وتنديدا كما أنها تخاطب ضرة لها :

إنك جد معجبة بنفسك ،
يا وردة الزعفران ،

فاعلمى اننى لأشد ظرفا وجمالا منك ،
يا وردة الزعفران :

وهناك فتاة مسكينة ترى العالم كله يتطلع إلى الزعفران البهيج ولا ترى واحداً يلتفت اليها فتقول وهى تتململ على جمرة الحرمان :

العالم أجمع مطل عليك يا زهرة الزعفران
فيا حرقتاه ! لم أحظ بواحد يحتفل بى

ينبت الزعفران فى الكشمير منذ عهد قديم جداً الى ان ورد ذكر ذلك فى تاريخها القديم (راج ترانجينى) ومع ذلك فان الأغرار القاطنين حوالى بامفور يعتقدون أنه نبت أول مرة ببركة الشيخ شوك باب صاب) وهم يجلون هذا الشيخ كثيرا إلى أن عمروا باسمه تكية فى بامفور والأغنية التالية تنم عن هذه العقيدة الخرافية :

يا لك من كرامة لـ (شوك باب صاب) .
يا زعفران بامفور !
انى اخاطبك كأنك عزيزى الوحيد ،
يا زعفران بامفور !
انما اضم كلك الى صدرى ، يا زهرة الوداد !
يا زعفران بامفور !
انك لاروع كرامة لشوك باب صاب ،
يا زعفران بامفور !

وبينما يجتنى الفلاح زهور الزعفران بمراقبة الوكلاء للتجار فتتكون مما يلتقط اكوام مجتمعة ، اذ يدور فى خلده انه حان وقت افتصاله من

متعة الحياة فان المقاولين سيتسلمون منه الزعافر المكومة برمتها ويبعثون بها الى بعض المعامل لاجراء عمليات لازمة عليها وهناك ليس بملكه الا ان يلقى عليها بمجرد نظرة غارقة فى الحسرة واللهفة وان يخاطب زميله (صمد) على حد قول الشاعر العربى :

تمتع من شميم عرار نجد　　فما بعد العشية من عرار

وهذا خطابه بالمعنى :

ما أشبه لون الزعفران بالذهب الخالص يا صمد .
ما أشبه لون الزعفران بالذهب .
تمتع من هذا المشهد الزاهى للغاية يا صمد .
آه كم غمرتنا العواطف الحلوة ،
عند تجميعنا لزهور الزعفران ؛
ولكنها سرعان ما تنقل الى حوزة المقاولين .
تمتع من هذا المشهد الزاهى للغاية يا صمد .
ما أشبه لون الزعفران بالذهب .

جهيلم نهر الحب

يعتبر نهر جهيلم مصدر الهناء والنعيم المخلد فى الكشمير كما أنه فى مجاريه الهادئة سواء أن انثنى وتقوس أو انساب مستقيما يقدم أمام العيون مشهدا أنيقا ويبدو كأنما هو أروع ما اختارته الطبيعة الماثلة فى بحبوحة هذا الوادى تطريزا لغلائلها السندسية . فلا غرو إن نوهوا به فى أغانيهم ولقبوه « نهر الحب » وهذه قطعة مما ينشدون فريقين :

عزمت عليك لتحملنى يا نوتى ! الى الضفة المحاذية .
أى نعم ههنا يجرى (جهيلم) ، نهر الحب العميق .

ان زورقى يحمل فقط اثنين قرن الحب بينهما ،
اى نعم ههنا يجرى (جهيلم) ، نهر الحب العميق .

وهذه أغنية أخرى تردد بها فتاة نوتية وهى تغرى عشيقها الغنام أن ينتهز الفرصة لمقابلتها على ضفة جهيلم ذاك النهر المبارك الذى هى تقدس ماءه العذب الزلال وتعتقد أنه ماء الحب أو ماء الحياة :

هلم الى ضفة (جهيلم) يا غنام من فضلك ،
لتسق نعاجك العطشى علا ونهلا .
سأزين باضاءة رائعة ، زوارقى كلها .
احتفالا بزورتك يا زميلى !
هلم الى ضفة (جهيلم) يا غنام من فضلك ،
لتسق نعاجك العطشى علا ونهلا .
سأدخر لك الكلأ الطيب وماء الحب .
يا هذا أقبل واعلف معزك وضأنك ،
هلم الى ضفة جهيلم ، يا غنام من فضلك ،
لتسق نعاجك العطشى علا ونهلا ،

ولاطفال الملاحين أناشيد قصيرة تعرب عن تقديس النش الكشميرى لهذا النهر منذ فجر حياتهم وبعضها كما يلى :

يا هادئ المجرى ، يا جهيلم :
دعنى فديتك بكلى .
ما أفخم شأنك ، يا جهيلم !
دعنى فديتك بكلى .

ملاك الحب او الصنار

وهناك الأشجار الباسقة منها الحور او الدلب تردد ذكرها فى أغانيهم والدلبة شجرة ضخمة وارفة الظل سامقة فى السماء تقيهم زفرات القيظ وكثيراً ما يأوى المارة إلى ظلها الظليل فيستريحون من وعثاء السفر وبعد الشقة. فلاغرو إن اتخذوها رمزية لربة البيت كما قالت الشاعرة لليشورى:

وبعضهم قرينة كأنها الدلبة الوارفة .
هلموا نسترح الى ظلها الضافى من فيح الظهيرة .

وبما أنها تورق بورقات مسيطرة يخالها الكشامرة رمزية لملاك الحب كما أن ورقتها تبدو للعوانس أنها ورقة الخطاب من أخدانهن وهذه قطعة من أغانيهن الشيقة :

إلى جانبى يا ورقة الدلب ، ارسلك حبيبى
بكلى أتقدم اليك يا ملاك الحب ، قربانا لك
انك يا ورقة الدلب ! ربة الجمال ،
بكلى أتقدم اليك يا ملاك الحب ! قربانا لك

الشال الكشميرى

منذ قديم يعد الشال الكشميرى عديم النظير فى العالم أجمع . وليس عند الكشامرة شئ يساوى صوف الشال فى النعومة والملاسة حتى أن الصوف صار عندهم رمزا للنعومة كما ورد فى بعض الأمثال الكشميرية (پشمين سوى چه نرمى) اى الصوف فقط يتصف بالنعومة .

والفتاة الكشميرية التى دخلت فى حياة الزواج منذ عهد قريب، يكون همها الوحيد أن تغزل الصوف وتبدى حذقها فى صنع الشال الفاخر لقرينها الكريم فهى تتغنى بصوت رخيم :

سأغزل صوف الشال بيدى
وأباشر تصبيغ الخيوط بلون الزعفران
وأنسج الشال الطريف بيدى
وسأصبغه بلون الزعفران

لقد غمرها الحب الى ان نسيت بالمرة أنها صبغت الخيوط أول مرة بلون الزعفران فلم تبق حاجة الى تلوينها مرة اخرى. وكذلك هى تتغنى فى نعومة الصوف بما يلى:

ما أنعم صوف الشال
سأغنى فى ملاسته أنشودة
إن الصوف لنعمة جسيمة
سأغنى فى ملاسته أنشودة
اعتصب قرينى بعمامة الصوف
وانما يزدهى سربال الصوف على شخصه
هذه الاقمشة، أنتجها مصنعى لبرنسه وسرباله.

أغانى الزواج

ومن اهنأ المناسبات التى تملأ القلوب بهجة وحبورا أن تنعقد حفلات الزواج فى بيتى العريس والعريسة. وانما تبتدئ الأغانى الزواجية بالحمد والشكر لله فتغنى المسلمات بما يأتى.

بعد البسملة نبتدى أغانى الزواج
الله أسعدنا بهذا اليوم السعيد

وبهذه التقدمة تتغنى الهندكيات بعد أن طبقنها على عقيدتهن:

بعد (شو كلام) نبتدى أغانى الزواج
ربة (بهوانى) أسعدتنا بهذا اليوم السعيد

وطائفة من أغانى الزواج تشتمل على معانى الدعاء بالبركة والسعادة للعريس والعريسة وانما يذكرون فيها الورد رمزا للعريس كما أن النهيرة المباركة ترمز الى العريسة على ما يلى :

ليكن هذا الورد متفتحا على الدوام
ولتدم هذه النهيرة المباركة دافقة

وأحيانا تشبه العريسة بالمشمشة كما ورد ذلك فى الأغنية التالية :

إنك هبطت إلينا من الجنة يا مشمشة
فنقدم لك التنهئات أيتها الملكة !
لقد تصدق عليك أبوك بألاف مؤلفة
اذ وضعتك أمك أيتها الملكة
حباك الله رزانة الوزراء
نقدم لك التهنئات أيتها الملكة

وانما ورد ذلك طبق هذا المثل السائر لديهم : «فى أقصر وقت تبلغ الجارية نضجها كما يأتى للمشمشة حصادها» .

وكثيرا ما تشبه العريسة بـ «هيمال» (أى ضفيرة الياسمين) والعريس يسمى (نجراى) أى ملك الجان وذلك يدل على مدى تقدير القصة الرومنتكية (قصة هيمال نجراى) لديهم ومن بعض أغانيهم ما يتلو :

سيأتى (نجراى) فيجلس على طنفسة مزركشة
ويعود بعد ومعه هيمال
فى محفة درية اللون

وجاء في اغنية أخرى :

لقد وافانا (نجراى)
على زورقه الذهبي
فتقدمي يا هيمال ، ولا تلعثمي

وفي اخرى يشبهان باللوطس والنرجسة :

سوف يأتي (نجراى) شبيه اللوطس
في مثاله القشيب
ههنا تترقب له هيمال
شبيهة النرجسة

ومن رمزيات العريس والعريسة الرز والشعير على الولاء . وذلك اذا بلغ منهما الانضاج فتبدو الحقول ملبسة حللها المذهبة . ومما تتغنى صواحبات العريسة :

حالا نضجت سنابل الشعير
فقل لي متى يبلغ الرز هذا الحد
ومتى يوافينا موكب العرس ؟

وعند ما يزور العريس بيت العريسة ترحب به ام العريسة موضحة سرورها على ما مثاله :

عشت عيشة الابد ، يا عريس
تقدم الينا مصعدا على درجة الباب
سأزين حمالة سيفك
بازهار الجلجلان

وكذلك تلقى العريسة بترحيبات حارة عند وصولها الى بيت العريس منها هذه النبذة :

هنا ترحب بك ام العريس
فاخرجى (اليها) يا عروسة
وعليك الزعفران ينثر

ولدى منصرف العريس الى بيته تستقبله أمه فتبدى غاية ابتهاجها وحنانها على فلذة كبدها وتشدو بألحان مامغزاه :

اليوم ازين بالانوار
ضفاف نهر (جهيلم)
سيأتى فتانا العريس على شيكاره (زورق)
اليوم ازين بالانوار الكشمير
اقصاها الى اقصاها
سيأتى فتانا العريس على شيكاره

أغانى الربيع

انهم يرحبون بالعام الجديد بتلاحين وانغام الربيع فتارة يقولون :

هلمى بخطواتك المتزنة
يا صديقتى !
فقد أقبل العام الجديد

وتارة اخرى ينشدون ما يأتى :

وقع النغم، يا هزار
بالله وقع النغم

هلمى (ياصديقتى!) الى جوسقى
وتهللى ابتهاجا
وقع النغم يا هزار!
بالله وقع النغم

وكأنما القرويات مع اتيان الربيع الجديد يعدن الى جدة الشباب فيتذوقن حلاوة الصبوة وينشدن فى نشوة الانتعاش:

صارت الدنيا أكثر جدة من ذى قبل،
فيها أنادى أتغنى بأغنية الصبا

وكلما تخرج العوانس إلى المروج تطفح قلوبهن بالنشاط وهناك يحثهن المشهد الأنيق لأزهار الربيع على هذه الترنمة:

إزدهرت الغياض
من أقصاها إلى أقصاها
ألم تسمع عنى يا حبيبى
ترعة (كالسار) وامثالها من المياه
كلها مليئة بعرائس اللوطس
ألم تسمع عنى يا حبيبى!
هلم الى نسرح معاً
الى المروج حيثما يتفتح الزنبق
ألم تسمع عنى يا حبيبى!

ومما يتغنين به فى أثناء لعبة الكيكا:

أفتش عنك في كل مكان
خلال زهرات (اروال) يا حبيبي
لعلك تقابلني في بعض الزوايا
خلال زهرات (اروال) يا حبيبي

أغاني الحضانة

ومن الأناشيد الشيقة ماتردد بها الحاضنة عند ما تهدهد طفلها الناعم لتنويمه فتقول مثلا:

ما أنعم أطراف رجليك يابني!
إخال الزعفران يسعى إليك
فيلثم رجليك

وهي كثيرا ما تشبه طفلها بالرعثة التي ترتمز بلحمة اذنها، فانظروا كيف تتغنى وتظهر الاعجاب بعلقها الوحيد:

دعني أهدهدك يارعثة أذني
بين الفينة والفينة،
ها أناذي أهدهدك
إنك مليك فؤادي لدى الأصائل
إنك شمسي لدى البكور
دعني أهدهدك يا رعثة أذني
بين الفينة والفينة
من أي بساتين الأزهار
هبطت إلي يا زهرة الحياة
دعني أهدهدك يارعثة أذني

بين الفينة والفينة
انما انت برنس (دهلى)
وتحت امرك عاصمة (لاهور)
دعنى اهدهدك يا رعشة أذنى !
بين الفينة والفينة
عقد ذهبى فى جيدك ،
وخاتم فضى فى اصبعك ،
يزيدان فى جمالك وبهائك
دعنى اهدهدك يا رعشة أذنى !
بين الفينة والفينة

انها ما دامت تحلق فى سماء تمنياتها العذبة وتتخيل ان طفلها برنس دهلى ، لاتزال تبدو هشة بشة كالنحلة المستطيرة فى تطوافها حول الازاهير . فلا ضير لئن كانت ضيقة ذات اليد .

انها مرة اخرى تزين طفلها باحجار كريمة وتهدهده فى مهد من خشب الصندل العبق :

هلم الى اهدهدك ،
سأزين سواعدك بيواقيت كريمة ،
واهيئ لك مهدا من خشب الصندل

وهى أحيانا تقارن طفلها بزهرة الشمس فتقول :

بنى يا فلذة كبدى ! يا عباد الشمس !
إخالك تطلب منى قطعة حرير مزخرف

حسبنا هذه الترجمات المجردة دليلا على ماتزخر به الاغانى الكشميرية من بلاغة التعبير وروائع التلميحات وطرائف التصرفات مع سذاجة اساليبها وخلو عباراتها من تشفيف فنى وتطرية صناعية . ولعل المتذوقين

يلمسون وراءها حيوية تتدفق بها مشاعر الجمهور الكشميري وكيفية جذابة تستهويهم وتسترعي انتباههم. وبالجملة فالبقية التي انحدرت الينا من هذه الاناشيد الشعبية على ترادف الاجيال، كلها مما يستحق التقدير. انما تتجلى فيها نفسية الشعب ثم انها تحمل الينا رسالة خالدة عن دنيا الحب والجمال.

ومن الجدير ان نختم المقال ببيتين عزاهما البعض[1] الى شيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردي:

كأنما الكشمير لسكانها جنات عدن هي للمؤمنين
قد كتب الله على بابها ساكنها[2] كان من الآمنين

مراجع المقال:

(١) اندكول، له مقالات عديدة نشرها في المجلة التالية: Indian Antiquary, Bombay, 1921-32.

(٢) اوريل استين، تاليفه عن أقاصيص وأناشيد كشميرية: Hatim's Tales, Kashmiri Stories and Songs, London, 1923.

(٣) جورج ابراهام جريرسون، القسم الثاني من المجلد الثامن لتاليفه الحافل: Linguistic Survey of India, Calcutta, 1919.

(٤) ديويندر ستيارتهي، مقاله الممتع، نشرته المجلة التالية: The Modern Review, Calcutta, 1935.

(٥) سونيتي كمار تشرجي، تاليفه الآتي: Languages and Literatures of Modern India, Calcutta, 1963.

(٦) محمد اعظم، واقعات كشمير (بالفارسية)، ط. لاهور، ١٣٣٢ هـ.

(٧) والتر لورنس، تاليفه الآتي: The Valley of Kashmir, London, 1895.

---

(١) راجع، واقعات كشمير – ص ٨ (٢) المرجع الآنف: لساكنها.

تاج محل

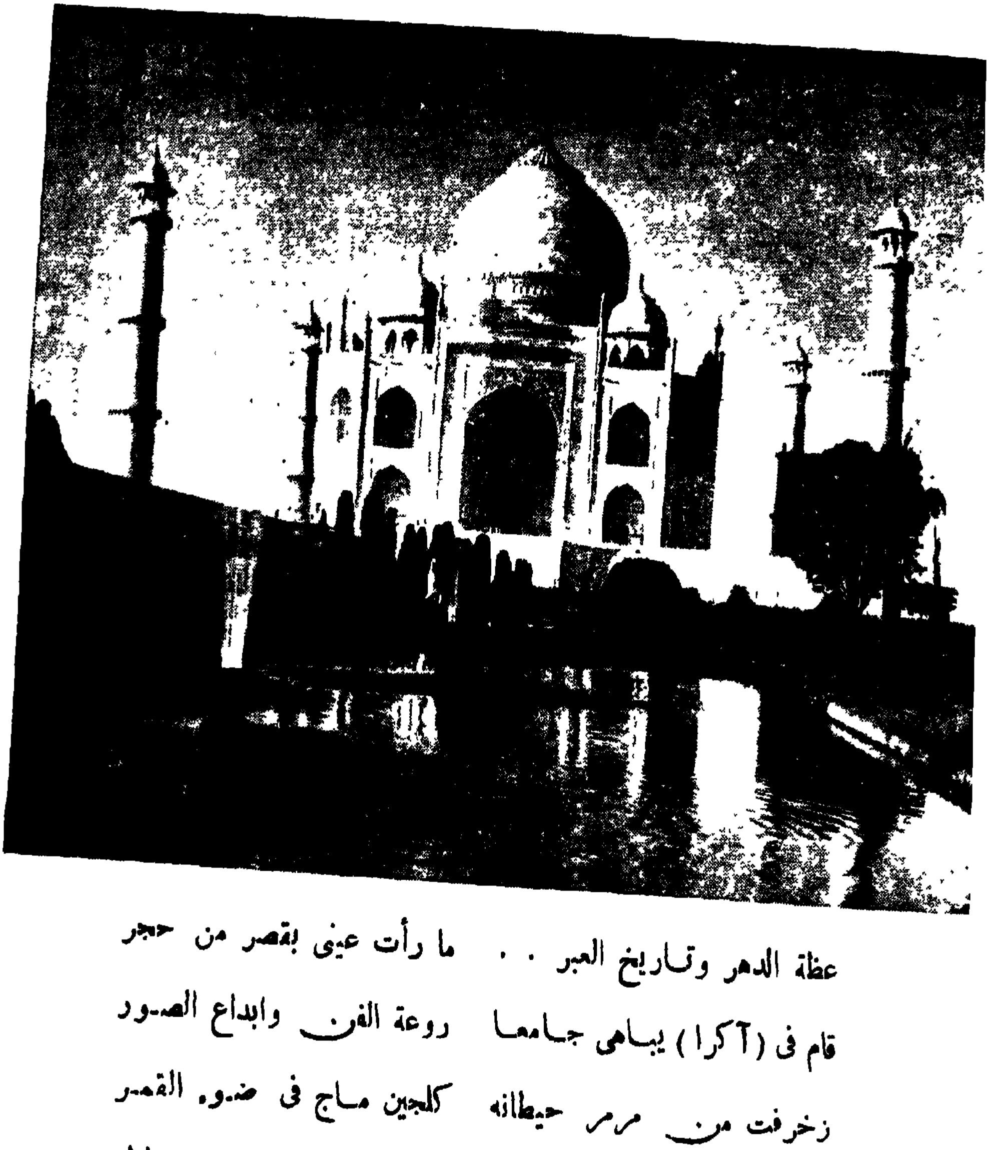

عظة الدهر وتاريخ العبر . .   ما رأت عينى بقصر من حجر
قام فى (آكرا) يباهى جامعا   روعة الفن وابداع الصور
زخرفت من مرمر حيطانه   كلجين ماج فى ضوء القمر
والمنارات على أركانه   تلمس السحب وتستجدى المطر
وقباب أربع فى وسطها   (قبة القبر) تسامت فى كبر
لم تزده الشمس الا ألقا   يتحدى الدهر بالضوء الأغر

* * * *

(شاه جهان) بناه تحفة   لخلود الذكر والحب الأبر
منح الحب وفاءا زوجه   بذل المال لتخليد الأثر
انما الحب بلا تضحية   كسراب لاح أو طيف عبر
ترخص الارواح فيه — عندما   يتناهى وهى من زهر العمر
ويهون المال للذكرى — وهل   يخلد الانسان الا بالذكر
سنة الله سرت فى خلقه   (الحياة الحب) والعيش قدر

* * * *

جمع الصناع من أمصارهم   فبنى القصر وأعلى وعمر
وحباهم كلما يبغونه   من كريم المال والتبر النضر
فانبرى منهم فتى من (فارس)   حمل العبء وكان المقتدر
أخرج التصميم فنا رائعا   لم يزل لليوم مبهاة العصر

* * * *

عشر حجات وعشر بعدها   واثنتان مضتا حتى ظهر[1]
ذلك القصر او القبر الذى   هو «تاج» او «محل» للعبر
جمع «القبر» «ضريحين» وقد   رفرف الحب على العظم النخر
(شاه جهان) الى جانبه   زوجه «ممتاز» حب وسير
صور الماضى أطلت عبرة   وجلال الموت ترويه الحفر

---

(١) استغرق بناؤه - ٢٢ - عاما .

تشهد الرهبة والمجد معا   أينما سرت وصوبت النظر
نقش « القرآن » فى جدرانه   سلسلا ينساب من فيض الدرر
وعلى « التابوت » آى رسمت   تذكر « الخلد » وآيات أخر

* * * *

مدخل من جنة الارض به   ما يروق العين « ماء » « وشجر »
« وطيور الهند » فى أشكالها   تنشد الالحان من غير وتر
والى الشرق أقيمت « شرفة »   تحتها الخضرة فى شط النهر
يا « مغوليا » غدى تشييده   مضرب الأمثال فى دنيا البشر
قرنك الرابع قد شارفته   لم تزل طفلا على درب العمر[1]
قدماء « النيل » فى تاريخهم   شيدوا «الاهرام» من صلد الحجر
وبه قد نحتوا آثارهم   صورا تلمح فيها ما غبر
(والمغوليون) فيما تركوا   من قلاع أو حصون أو أثر
هى للأجيال ذكرى ما مضى   عظة الدهر وتاريخ العبر

الشاعر الكبير الاستاذ على ابو العلاء

---

(١) عمره الآن فى القرن الرابع .

اسطول گجرات

(٢)

الاستاذ السيد ابى ظفر الندوى

اصحاب المناصب فى السفن وعمالها

ولقد كان الذين يعملون فى السفن طبقتين ، احداهما تتكون من الرؤساء المسؤلين ، والاخرى يشكلها الموظفون الصغار والعمال . وفيما يلى نثبت وصفا اجماليا لبعض منهم تزويدا للقارئ بالالمامات الموضوعية .

شاه بندر : (Port Commissioner) المشرف المسئول عن الميناء كله ، لا تدخله سفينة ولا تغادره إلا بتصريح منه ، وكان يشبه تماما ناظر المحطة (Station-Master)

امير البحر : الرئيس الاعلى لجميع الاساطيل والسفن ، يشرف على الموظفين من كل درجة العاملين فى السفن ، وتطلق عليه بالانجليزية كلمة « ايدمرل » .

ناخدا : مالك السفينة ، وهو الذى كان الرئيس الاعلى للسفينة احيانا وكان يعرف بالربان او كبتان ، وقد استعملت الكلمتان لمعنى واحد من بعد .

الربان : الرئيس الاعلى المسئول للسفينة ، وهو يعرف اليوم بكبتن أو بكبتان . وكانت له صلاحيات واسعة تشمل جميع الشئون المتعلقة بالسفينة كملاحتها وتسييرها وايقافها ، وشحنها بالبضائع والتفريغ منها ، فكل أولئك كان خاضعا لأوامره . وكان مثله كمثل كأمين القطار (Guard) .

القائد: رئيس الجيوش والاسلحة، يعنى الرئيس الاعلى للجيش وكان يتولى تنظيم جميع الشئون الحربية والاسلحة.[١]

الرئيس: الخبير بامور البحر من الماء والطرق ونحو ذلك. وكان من اللازم وجود «رئيس» واحد لكل سفينة على حدة.

المعلم: الخبير بالآلات الفلكية والخرائط، والدال على الطريق بواسطة الاستعانة بالنجوم. ومن بعد كانوا يسمونه «العالم» وكان إلى ذلك بارعا فى الفن الرياضى.

الوكيل: وكان هذا اما وكيلا لمالك السفينة، واما وكيلا لجميع تجار السفينة. ووكيل السفينة كان رجلا ذا شوكة وعزة. وكانت له مراسيم وبرتوكولات خاصة. فحينما كان ينزل على البر يمشى قدامه الرماة الشاكوا السلاح من الزنوج، ويصحبونه حيثما ذهب، حينما يحط الرحال وحينما يلمها. وكانت تحمل معه، الطبول والأبواق. وكانت تحرسه دائما فرقة الحرس المسلحة.

الديدبان: ناظر السفينة الذى كان يشرف عليها من على إرتفاع كبير، ويطالع الربان على كل ما يلمحه من شئ فى البحر، ولعله يصح ان يقال ان هذه العملية كانت اشبه بالاشارة (Signal) التى تستعمل فى سكك الحديد وغيرها تنبيها على وجود الخطر القائم وزواله. وانى لاذكر الآن أنى كنت ذات مرة فى السفر البحرى راكبا على سفينة، توسطها عمود كبير مرتفع، وكان يوجد بنهاية ارتفاعه شئ اشبه ما يكون بالحجرة الصغيرة. ورأيت فى وقت النهار أن رجلا من «جاتگام» تسلق إليه سلما صناعيا

---

(١) سفرنامه ابن بطوطه. ج ٢ ص ٣٠٢ - طبعة دهلى.

وجلس فى مقعد له هناك. واخبرت عند السؤال عنه بانه « ديدبان » السفينة. وفى القرن التاسع عشر لما قام اللصوص البنداريون بنهب القرى، واحدة بعد أخرى، اقيم فى كل قرية « ديدبان »، يجلس عليه شخص يكلف بالرقابة.

أشاتمة: هذا الضابط حارس للمسافرين وكفيل لحاجاتهم ومتطلباتهم.

خميس التنديل: رئيس الملاحين.

كرانى: الكاتب (Clerk).

مقدم البحر: غالب الظن ان هذه الكلمة كانت تستعمل لرئيس هؤلاء الكاتبين والموظفين الصغار، وقد تكون اسما لرتبة اخرى.

الخلاصى: (أو الملاح) لجدف السفينة. ومن الأعمال التى كانت تسند إليه كذلك التنظيف، والتطلية، والتشحيم والشحن، والتفريغ، والترميم وما إلى ذلك من الامور المتعلقة بالسفينة.

ويظهر واضحا ما ينقص هذا الفهرس من شئ هام وهو ان السفينة كثيرا ما تتعرض لخلل أو عطب جزئى وهذا يقتضى عمالا يقومون بالاصلاح والتدارك السريع فلا بد من وجود عدد من العمال والخبراء المختصين لذلك. غير أنى لم أعثر على رتبتهم الخاصة بهم فى الكتب. ويقال لهم اليوم المهندسون (Staff Engineering) وهذا المهندس يقوم بالاشراف على جميع الامور المتصلة بالخشب والحديد.

المنارة

لقد كانت توجد المنارة التى يقال لها اليوم باللغة الانجليزية (Light House) فى كل ميناء، وكان ذلك حسب العادة الجارية، غير أنهم كانوا إلى جانب ذلك قد يبنون منارة فى البحر تارة على جزيرة وحينا على قمة جبل، على بعد، تتراوح مسافته بين خمسة وعشرين وخمسين ميلا من الارض. وكان يعين فيها عمال وظيفتهم الاضاءة ليلا باشعال الحطب. وكان يترآى هذا الضوء فى البحر من مسافات بعيدة وبذلك كان يهتدى الملاحون إلى طريقهم، ويعرفون معرفة صحيحة اتجاههم المنشود. وكان هؤلاء العمال القائمون باشعال النيران يدخرون من الحطب الجاف المستجلب من البر ما يكفى لمدة شهر واحد. وقبل ان ينفد الرصيد من الحطب كان يرسل إليهم شاه بندر (Port Commissioner) كمية أخرى منه.

سير السفن

ولا يمكننا أن نقول قولا فصلا عن سير السفن ماذا كان فى الغالب، لأن السرعة والبطء فى سيرها انما كان يتوقف على «الهواء» وكانوا يتخذون إجراءات واعدادات تتسبب فى سرعة سيرها كما علمتهم التجارب اليومية. فعند ما كانوا يشعرون بقلة ضغط الهواء، كانوا يكثرون من عدد الاشرعة، وإذا أرادوا سرعة زائدة جدفوا السفينة بالمجاديف، مضافا ذلك إلى استخدام الأشرعة. وكانت كثرة المجاديف وعدد الستور، باعتبار ضآلة حجم السفينة وضخامتها. وعند ما كان يستخدم جميع الستائر والمجاديف التى كان يبلغ عددها المائتين، كانت تسير السفينة بسرعة كبيرة، وتقطع المسافات الشاسعة فى أمد قصير. واذا قصدوا الاقلال من سرعة

سيرها نقصوا من عدد المجاديف والستائر المستعملة للتجديف والتسيير نقصا مطلوبا. وحينما كان ينقطع الهواء كليا لم تكن تفيدهم الاشرعة وإنما كانوا يضطرون إلى الاكتفاء باستخدام المجاديف، مما يتسبب فى تاخير وصول السفينة إلى المكان المقصود. واما السفن الصغيرة فقد كانت تصنع مستطيلة الأشكال، ذات الزوايا الحادة. فكانت بطبيعه هذا التصميم تمخر وتشق الماء شقا، وتسير سيرا سريعا، وإن السفن تتاثر سريعا بفعل الهواء، والتيار. وقد اتفق لى مرة ان اركب سفينة المجاديف من «مانڈلي» إلى سينكون قصدتها لرؤية ساعة كبيرة هناك، فاستغرق سفرى ذهابا بضع ساعات حينما الأوبة لم تأخذ من الوقت الا ساعة واحدة فحسب، فلما سألت عن السبب أجابنى الملاح بأن الرياح كانت معاكسة وقت الذهاب. وكانت مقاومة هذا الضغط شديدة جدا، كما ان اتجاه السفينة ايضا لم يكن يتلاءم مع التيار. واما وقت العودة فقد كانت الرياح موافقة، وكذلك كانت السفينة جارية على اتجاه التيار.

لوازم السفن

لوازم السفن، كانت من نوعين، هام وغير هام. ومما يندرج فى النوع الثانى كالحبل المفتول من خوص النارجيل الذى لايصيبه البلى بفعل ماء البحر، وربطة كبيرة من الحبل توضع بين السفينة وجدار الميناء، لئلا تحتك به السفينة. وما إلى ذلك من آلات صغيرة وكبيرة، والاشياء اللازمة لتنظيف السفينة. وأما اللوازم التى كانت تتعطل بدونها السفينة فهى كما يلى:

الستائر: الأشرعة، التى يقال لها بالهندية «پال» وفى اللغة الفارسية «بادبان». كانت تتزايد سرعة السير وتتناقص بنشر هذه الستائر وطيها.

والكثرة والقلة فى عددها انما تكون بالنظر إلى صغر حجم السفينة وكبرها. ويقال للخشب الذى يستعمل لنشر الستائر وتعليقها «برمان» والمجاديف (بتوار أو سكان): جمع مجداف وهو خشبة طويلة مبسوطة احد الطرفين فى طرف من السفينة وفى اسفلها كانت تركب خشبة اخرى بالمسامير تركيبا محكما. وكانت تستعمل لتسيير السفينة وتغيير مجراها. ويعين لذلك رجل خاص، يقوم بتحريكها بأمر من كبتان. والخشبة التى كان يتذرع بها عدد من الرجال لتدوير المجداف مجتمعين يقال لها «كمپا». واما المراد بدنبالة السفينة (أى مؤخرتها) فهو ما يقال له بالهندية «نيرم».

المرساة (لنگر): تكون فى الغالب واحدة فى مؤخرة السفينة وتارة تكون اثنتان، احداهما فى المؤخرة والأخرى فى المقدمة. وتلق فى البحر بتمهل وحزم، عند ما يراد ارساء السفينة. وهذه المرساة تتكون من الحديد الثقيل. وكانت توزن بما يتراوح بين اربعين وخمسين من المن الهندى. وكانت فى شكلها كالشوكة. واذا كانت تحت الماء أرض اندست فيها لكونها ذات رأس حاد. وكانت تنفذ فيها نفوذا محكما إلى حد، لم تكن تقلع بعض الاحيان، إلابكد وجهد شديد. واذا لم تكن تحته الارض ظلت تتدلى فى الماء. على أن ذلك كان يحدث فى السفينة بعض الانحناء والميل فى جهة المرساة منها. ولذلك عند ما كانوا يحسون بضغط الهواء، يلقون المرساة الثانية فى الجهة الاخرى كى يحصل للسفينة الاتزان والاستقامة. وكانت هذه المراسى تربط بسلاسل غليظة من الحديد. وكان يعين لذلك عمال يقومون بالقاء المراسى وطيها بواسطة مطاوى خاصة. وكانت هذه المرساة، قد تسقط فى البحر دفعة، اذا لم يعمل العمال المكلفون بالقائها

وتصعيدها بحزم وانتباه. وينتج عن ذلك انكسار السلسلة الحديدية، وان لم تنكسر، تتعرض السفينة لجذبة شديدة، واذا أصيب احد العمال بفعل هذه الجذبة القوية سقط جريحا فى البحر. وتارة كانت تستعمل بدل السلاسل الحديدية الحبال القوية الفتل من النارجيل. كما كانت تستعمل السلاسل والحبال معا فى بعض السفن. وكانت المرساة فى طولها حسب ما كان للسفينة من حجم ووزن. فكان يبلغ امتداد الحبل الغليظ المستعمل لها بعض الاحيان ميلا واحدا.

رهنما، أو راهنامه: وهو مايسمى بالعربية كتاب البحر. وكان ذلك كتابا يحتوى على ما واجهه الاقدمون فى رحلاتهم البحرية من الاحداث، وما قاسوه من المشاكل، وما حصلوا عليه من التجارب والقواعد المتبعة لتسيير السفن، وطريقة الكشف عن اتجاه هبوب الرياح. وفيه وصف لون الماء، وطعمه. ومواصفات اخرى عن المسافة البحرية، وما إلى ذلك وكانت حاجة الملاح إلى هذا الكتاب دائمة لم يكن بامكانه ان يقطع مسافة قصيرة بدونه.

الخرائط البحرية

والخرائط تعتبر اهم مستلزمات الملاحة فقد كان الملاحون دائما يحملونها معهم. وكان التعويل فيها على الالمامات المأثورة عن اسلافهم، ويكملونها بتجاربهم الذاتية. ومما كانت تشتمل عليه هذه الخرائط: الانهار، والسواحل، والجزر، وطول البلد وعرضه. وخريطة الورق التى اطلع عليها البشارى المقدسى فى منتصف القرن الرابع بمكتبة الامير الخراسانى، كانت من هذا النوع بالذات. ثم اطلع على خريطة اخرى من الثوب عند

الامير ابى القاسم ابن الانماطى فى نيشابور. وكانت الخريطة الكاملة لبحر الهند موجودة، عند ابن ماجد حينما قدم بواسكودى غاما البرتغالى إلى الهند. وكان ذلك أول عهد وطئت فيه قدم الاستعمار ارض الهند. والخريطة التى اطلعه عليها ابن ماجد، كانت تحتوى على خطوط نصف النهار، والخطوط المتوازية، مرتبة، بغاية التفصيل. ولكن لم توجد فيها علامات دالة على اتجاهات الرياح. والمربعات التى كانت تنشأ عن خطوط نصف النهار، والخطوط المتوازية، كانت صغيرة جدا، ولذلك فان طريق الساحل الذى كانت تدل عليه الخطوط الشمالية والجنوبية والشرقية المتقاطعة مع خطوط نصف النهار ـ كان صحيحا جدا. ولم تكن على هذه الخريطة علائم كثيرة لمجرى الرياح أيضا، كما كانت توجد فى الخريطة البرتغالية، تلك التى كانت بمنزلة الاساس للآخرين[١].

اصطرلاب: آلة نحاسية، نقشت عليها خطوط، وفق قواعد علم النجوم، يعرف بها حساب الارتفاع السنوى للشمس والنجوم معرفة جيدة[٢]، وهذا الاصطرلاب كان يوجد مع كل ملاح. ولما اطلع ابن ماجد على اصطرلاب خشبى وعلى عدة اصطرلابات مصنوعة من النحاس تلك التى كان يقدر بها ارتفاع الشمس عند واسكودى غاما، لم يبد أية حيرة واستغراب واخبر ان الملاحين فى البحر الاحمر يستعملون الالآت النحاسية، لتقدير ارتفاع الشمس والقطب الذى كانوا يستعينون به كثيرا فى ملاحة السفن وهذه الالآت تارة تشكل المثلث، ومرة المربع. واضاف قائلا انه هو

---

(١) عربون كى جهازرانى (ملاحة العرب) ص ١٣٥ ـ اعظم كره.

(٢) نور اللغات. لكهناؤ.

وجميع الملاحين فى غجرات والهند انما يمارسون الملاحة بالاستعانه ببعض النجوم الجنوبية والشمالية ، وبعدة نجوم أخرى خاصة ، توجد فى السماء مبعثرة من الشرق إلى الغرب . فهم لايلجئون فى تقدير ارتفاع الشمس إلى هذا النوع من الالآت التى أراها واسكودى غاما . بل انهم كانوا يستخدمون لذلك ألة اخرى . وهو نفسه كان يستعمل هذه الآلة . وكان قد أراه تلك الآلة التى كانت تتركب من ثلاث خشبات[1] .

قطب نما : هذه لفظة فارسية . واما العرب فقد كانوا يستعملون لها «الدائرة» وبعد ما طرأ عليها التغيير ، وتحول شكلها إلى شكلها الحالى المحتوى على الابرة ، اخذوا يطلقون عليها «بيت الابرة» والمراد بـ «قطب نما» آلة جاذبة (مغناطيسية) تفيد فى استكشاف الجهات . وتاريخ مخترعها واختراعها محاط بحلكات القدامة . وكل ما يحدثنا به التاريخ الصينى انه كانت توجد عند الصينيين آلة أشبه بصورة السمك ، وكانوا يستعملونها كآلة رياضية . وفى القرن الهجرى الاول (سنة ٦٠٠ م) اخذ العرب منهم هذه الآلة ، واستعملوها فى السفر البحرى للاهتداء بها إلى الجهة المقصودة . ثم استعملها كذلك الروم بعد القرن الثالث عشرة ولم يكن لديهم علم بذلك من قبل . وأول من ذكرها من العرب كتابة الادريسى (سنة ٥٤٩ هـ ١١٥٣ م) وقد احال عليه موسيوليبان فى كتابه «حضارة العرب» وفى مستهل القرن السابع عدها محمد العوفى من نوادر الاشياء فى كتابه «جوامع الحكايات» ولما قدم هو من السند إلى كهنبايت (غجرات) (سنة ٦٢٨) ثم إلى بيلك قبشاقى فى حوالى منتصف القرن السابع (سنة ٦٨١ هـ سنة ١٢٨٢م) - ذكر فى كتابه «كنز التجار» ما يلى :

---

(١) عربون كى جهاز رانى - ص ١٣٦ .

« يحكى ان الملاحين الذين يمارسون الملاحة فى بحر الهند لا يستعملون الابرة والقطعة من الخشب. وانما يستعملون نوعا من السمك الذى يصنع من الحديد المجوف. وحينما يلقى فى الماء يطفو عليه. ويشير برأسه وذنبه الى الشمال والجنوب. »

ومن ذلك يظهر جليا ان العرب اخترعوا حكا ذا ابرة، بدل السمك الحديدى الصينى، ولكن لم يذع استعماله فى البحر الهندى إلى نهاية القرن السابع وقد كتب المقريزى (سنة ٨٤٥ ﻫ سنة ١٤٤١ م) فى خطط مصر:

«عند ما يصعب على المسافرين فى بحر الهند الاهتداء بالنجوم فى الليالى المظلمة الحالكة، ولا يمكنهم الاطلاع على الجهة المقصودة، يلجئون دائما إلى استعمال حديد مجوف مصنوع بشكل السمك ويجعلونه ضئيلا. وفى فم السمك يتخذون شيئا من المغناطيس. وعند ما يوضع هذا السمك فى الماء يدور ويتجه دائما إلى القطب الجنوبى. ويكون ذنبه إلى القطب الشمالى».

وهذا ايضا مما يثبت، ان اهل الهند، لم يكن قد توصلوا إلى اكتشاف حك عقربى إلى منتصف القرن التاسع.

وكان هذا الحك عبارة عن نوع من الابرة المغناطيسية التى كانت تطفو على الماء، اما بواسطة خشبة ذات طرف حاد، أو بواسطة «نركل»[1] وقد رأى القبچانى فى رحلته البحرية، استعماله فى بحار الشام. وقد ذكره كل من الشيخ شهاب الدين احمد بن ماجد السعدى النجدى الملقب بـ «أسد البحر»، والشيخ سليمان المهرى الحضرمى، فى كتابه، بصراحة. مما يدل

---

(١) لعل المراد بذلك غطاء ثمر النارجيل. وهو غطاء متين محيط بلب الثمرة، ويكون بيضوى الشكل

على ان استعماله فى بحر الهند بدأ فى اواخر القرن التاسع. ولا يكتفى ابن ماجد، اسد البحر بذلك فحسب، بل انه ادعى اختراع هذا الحك كما جاء منه التصريح بذلك فى مؤلفه «الفوائد فى اصول البحر» ولكننا قد قرأنا آنفا بيان القبچاقى (سنة ٦٨١ هـ ١٢٨٢ م) ان ادعاءه للاختراع انما يبتنى فى الاصل على اساس شئ آخر. وهذا يعنى انه طوره ورقاه، وحوله إلى شكله الحالى. واخترع له صندوقا (Case) وضع فيه الابرة التى لا تستقر إلا فى جهة الشمال بفعل مغناطيسى. ومن اجل ذلك سماه ببيت الابرة. وقد راج استعمال هذا الاسم من بعد.

ولم يتوصل الأوربيون إلى معرفة الحك المغناطيسى، إلا بعد القرن الخامس عشر المسيحى. واطلقو كلمة «كمپاس» على هذا الحك بدل الخرائط ولا توجد فى الكتب الأوربية شهادة عينية تثبت المامهم بذلك من قبل. ويظهر مما عثر عليه فى بعض الكتب ان السائح المشهور ماركوبولو (١٢٩٥م- ٦٩٥ هـ) حصل عليه اثناء سياحته فى البلدان الشرقية، وقدمه كتحفة إلى ابناء وطنه. وإلى جانب ذلك يثبت من بعض الآثار والنصوص القديمة، ان الجنود الفرنسيين فى الحرب الصليبية امكنهم الاطلاع على هذا السر فى القرن الثالث عشر الميلادى فأفشوه للاوربيين.

وبالاضافة إلى ما ذكر، كانت هناك آلات ملكية، واعتاد بحرية أخرى كان من اللازم تزويد السفن بها. وقد اورد لها أسد البحر وصفا تفصيليا فى كتابه، ولكننا نكف عن ذكرها خشية الاطالة المملة.

العلوم اللازمة للملاحين

وكان من الواجب المحتم، ان يكون الملاحون متزودين بالالمامات، التالية، التى لم يكن بامكانهم أن يصبحوا بدونها الملاحين:

(١) علم الهيئة وعلم النجوم (٢) علم طول البلد ، وعرض البلد (٣) علم الرياح . وذلك ان يكون على معرفة بأن أية رياح تجرى فى بحر بعينه وما هو الموسم والوقت لهبوبها ، ومن أية جهة وإلى اية جهة تجرى . (٤) معرفة الطقس والمناخ فى كل مكان من البحر . وما له من الافعال والآثار (٥) العلم بجغرافية البلدان ، ومواقع الموانئ ، والجبال البحرية الخطرة والطرق البحرية الضيقة (٦) الخبرة فى استعمال مختلف الآلات الفلكية (٧) الاطلاع على احوال البلاد ، والموانئ والجزر وسكانها (٨) الالمام بلغات مختلفة (٩) حساب الايام والشهور الشمسية (١٠) معرفة ما يطرأ على البحر من المد والجزر .

أسماء السفن

وكما ان السفن تسمى باسماء خاصة فى عصرنا الحديث ، كذلك كانت تسمى فى قديم الزمان . فالسفن التى كان قد ركب فيها ابن بطوطه ، وشحنها بالبضائع والامتعة على عهد تغلق ، كانت اسماؤها : عكيرى ، وجاكبر ، ومنورت[١] . وسفينة (الغ خان) التى ارسلها إلى اليمن ومكة وغيرها (سنة ٩٧٣ هـ ١٥٦٥ م) كان اسمها الغ خانى . وكان ملاحها الشهير حسن علوان . وايضا كان فى هذه السفينة الفقيه محمد الزبيدى . ومما يؤسف له ان هذه السفينة كان مصيرها الغرق[٢] . وكانت كذلك سفينة اسمها عيدروس كان قد ادركها الغرق وهى فى طريقها من شحر (عمان) إلى ديو . وكانت هذه السفينة تقل عددا من السادات الحسينيين . وكانت هناك سفينة

---

(١) ابن بطوطة - ج ٢ ص ٢٨٣ - دهلى

(٢) النور السافر ص ٢٨٦ - بغداد

سميت باسم « تيزرو » (السريعة السير) وكان قد استقلها محمد الآصفى مؤلف «ظفر الواله» فى سفره من مكة إلى سورت (غجرات)[1] وكانت سفينة اخرى باسم احمدى[2] ، استمرت ملاحتها فيما بين سورت وجزيرة العرب . والسفينة التى استقلها الشيخ رفيع الدين الدهلوى من سورت إلى الحجاز كانت تسمى بـ « سفينة الرسول »[3] .

الرواتب فى السفن

لم تتعرض الكتب لتفصيل تلك الرواتب التى كان يتقاضاها العاملون فى السفن . ولم يعثر فيها على ما يبين ذلك بجلاء ووضوح . على ان الحقائق التى لاشك فيها يمكننا ان نستنتج منها بعض الحقائق المجهولة فمن المعروف ان المسئول المستقل فى سفينة انما كان هو رئيس الملاحين (الربان أو الكابتن) فهو الذى كان يعتبر فيها الحاكم الاعلى . والمرتب الذى عين لشاغل هذا المنصب ، فى عهد المغول يمكننا ان نستعين به فى تقدير الرواتب التى كان يحصل عليها العاملون تحت رئاسته . فقد كان يتقاضى أحد رؤساء ملاحى السفن فى ميناء «كهنبايت» ثمانمائة روبية شهريا ، كما يصرح به ابو الفضل فى كتابه المعروف «آئين اكبرى» . وبما أن سائر العاملين برئاسته كانوا بالطبع اقل درجه منه . فلابد ان تكون رواتبهم كذلك أبسط وأصغر . ولابد كذلك ان تكون فى بساطة هذه الرواتب ، وضآلتها درجات . باعتبار تفاوت درجاتهم من الملاحين إلى

---

(١) ظفر الواله ـ ج ٢ ص ٥٨٠ .

(٢) حقيقة السورت ـ ص ٧٧ ـ بمبائى .

(٣) عربون كى جهازرانى ص ١٦٦ نقلاعن سفرنامه حرمين .

الحمالين . والمأسوف له ان الرحالين الذين ركبوا السفن لم يلقوا بالهم إلى هذه الناحية ، ولم يعتنوا بها اعتناء كبيرا كما يظهر ذلك من كتبهم التى وضعوها لوصف رحلاتهم . فان كتبهم الوصفية تكاد تكون خلوا عما يتعلق بهذه الناحية . والحقيقة ان الربان لم يكن فى نظره اهمية للراتب فلقد كان يمارس بنفسه التجارة التى كانت تدر عليه اموالا طائلة وارباحا هائلة . وتارة كان يتجر فى بضائعه الذاتية ، وحينا كان يصبح وكيلا لتاجر كبير ، فكان يحمل معه بضائع مختلفة ، ويبيعها فى ميناء يحصل فيه على ربح اكثر وفائدة اعظم . وبمطالعة كتاب « الف ليله وليلة » والكتب الاخرى التى وضعها السياحون فى وصف رحلاتهم . الحافلة بالتجارب ، والمغامرات ، نخلص بان الربانين كانوا عامة يشتغلون بالتجارة . وكان ذلك اكبر مصدر لدخلهم الذاتى .

مرور السفن بالسواحل الكجراتية

ولو أننا قد اسلفنا ان ملاحة السفن كانت تجرى من غجرات إلى جزيرة العرب ، وايران ، وافريقيا ، ولنكا ، وغيرها من البلاد . غير ان الكتاب الذى وضعه سليمان المهرى فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ضمنه فهرسا خاصا . فننقل هنا منه ما يتعلق بكجرات :

« من ديول » (السند) إلى « ديو » . ومن « ديو » إلى « المسقط » ومن « كهنبايت » إلى « عدن » ومن « ديو » إلى « ملاغا » و « شاتغام » (بنغاله) ومن « زيلع » (الحبشه) إلى « غجرات » (أى ديو أو كهنبايت) ومن « براه » إلى « غجرات » ومن « عدن » إلى « غجرات » ومن « قشن » إلى « غجرات » . ومن « ظفار » (اليمن) إلى « غجرات » ومن « ديو »

إلى « مشقاص » ومن « ديو » إلى « شحر » و « عدن » ومن « مهائم » إلى جزيرة العرب[١] .

وتلك هى المناطق التى كان يكثر اليها تردد السفن ذاهبة وآئبة وإلافان ملاحتها كانت تجرى من « كهنبايت » و « ديو » ، و « بهروج » ، و « مهائم » وغيرها من المناطق إلى « البصرة » ، و « قطيف » ، و « لنكا » ، و «مدراس» (معبر) و «كالى كت» ، و «بنغاله» ، و «جاوه» ، و «سماترا» . غير ان معظم السفن التى كانت تمر بجاوه ، وسماتره كانت من السفن القاصدة للصين . واعتقد ان معظم هذه السفن كانت من خارج البلاد (البلاد العربية) فلم يتسنى لى الوقوف على كتابة تثبت ان السفن الغجراتية بالذات هى التى ذهبت إلى الصين .

الطرق البحرية ومسافاتها

يصعب كثيرا ان نذكر ما هى الموانئ التى كانت تعبرها السفن الغجراتية فى طريقها إلى الغاية ، المقصودة . وماذا كانت المسافات الشاسعة بينها ـ غير ان القدر الذى امكننا العثور عليه من ذلك ، بتتبع تلك الكتب التى وصف فيها المسافرون رحلاتهم ، نقدمه فيما يلى :

عند ما كانت تسير سفينة من (البصرة) او (سيراف) ، كانت تمر أولا بجزيرة «خارك» التى كانت على مسافة خمسين فرسخا التى تعادل مائة وخمسين ميلا . وعلى بعد ثمانين فرسخا من «لارك» كانت جزيرة «لاوان» وبينها وبين جزيرة «ايرون» سبعة فراسخ ، وبينها وبين جزيرة «خين» نفس المسافة ، الآنفة الذكر ، ثم على نفس المسافة كذلك جزيرة «كيس» (قيس)

---

(١) قلادة الشموس .

وعلى مسافة ثمانية فراسخ جزيرة «ابن كاوان» ، وعلى بعد سبعة فراسخ جزيرة «هرمز» وكانت تقع على مسافة تقدر بمسيرة سبعة ايام منطقة «ثاوا» التى كانت منطقة مركزية من السند . ومن اجل ذلك فان السفن التى تقصد المرور بالسند ، كانت تصل من هنا إلى «ديول» ميناء السند المعروف ثم تتجه منه إلى گجرات . واما التى كانت تريد الوصول اليها مباشرة فقد كانت بعد سيرها من هرمز ، تقف اولا فى ميناء «كوتش» ثم تغادره إلى «سومناته» ومنها إلى «ديو» فمنها إلى «كهنبايت» (او گوگه) ، فمنها إلى «بهروچ» فمنها إلى «دمن» (أو راندير – سورت –) فمنها إلى «مهائم» فمنها إلى «تهانه» . وكهنبات على بعد ثلاثة فراسخ من «سومناته» وعلى مسافة ثلاثين فرسخا منها «بهروج» وعلى ستة فراسخ منها «سوبان» وعلى مسافة خمسة فراسخ كانت «تهانه» . ومن الموانئ التى كانت تقف فيها السفن كذلك : «صيمور» و «دلبهى پور» و «كانجى» و «درود» .

الاستيراد

يتعذر ان نقدم إلى القراء قائمة دقيقة بتلك الاشياء التى كانت تستورد ، عن طريق هذه السفن من الخارج . ولكن الذى تيسر لنا الاطلاع عليه عن ذلك ، بمطالعة مختلف الكتب والمصادر التاريخية ننقله فيما يلى :

لقد كانت بلادنا فى قديم الزمان ، تستورد من مصر وجزيرة العرب ، الذهب ، والفضة ، والنحاس الاصفر (Brass) والقصدير (Tin) ، والرصاص (Plumb) ، والزئبق (Mercury) والكحل (Eye Powder) ، والزجاج (Glass) ، والاحجار الكريمة ، والخمر ، والمنسوجات وغيرها من البضائع . ومما كان ياتى به التجار من ايران : العبيد ، والاماء ، والذهب ،

واللآلى، والتمور، والخمر، والاقمشة. وكانوا يستوردون الذهب، فى بهروج، من افريقيا. وكانت تستورد التوابل من مالابار، ولنكا. ومما كانوا يأتون به إلى كهنبايت: الذهب، والفضة، والنحاس الأحمر، والخيل، والكحل، والجلود[١].

وأثناء عملية تفريغ السفن فى ديو، كانوا يشاهدون منزلين من البضائع الفستق، والمويز، والورد. ومما كانوا يفدون به كذلك الاسلحة والخيل، والمنسوجات الحريرية، والزرابى.

التصدير

ولا يمكننا كذلك ان نقدم قائمة كاملة بالسلع والبضائع التجارية التى كان يأخذها التجار معهم إلى الخارج. وفيما يلى نعرض اسماء تلك الاشياء التى ثبت عندنا تصديرها إلى الخارج:

كانت كهنبايت تصدر إلى جزيرة العرب، وايران، وافريقيا الزنجبيل والقطن (Cotton) والمقل، والأطياب والسكر، والزيت، وانواع النسيج من الشف، والشمع الأحمر (SealingWax) والآملج، والاحذية، والأقمشة الحريرية. وكذلك كانت بهروج تصدر الرز، والبذر، والسمسم، والقطن والسكر، والشمع الاحمر، والموسلين (Muslin) والمنسوجات الاخرى من الطراز الفاخر الجيد، إلى الجزيرة العربية، ومصر. ومن بين ما كان يصدر إلى ايران كذلك النحاس الأصفر (Brass) والسنغ، والصندل، وانواع أخرى من الخشب. كما كان يصدر من هنا أيضا الشمع الاحمر بوفرة وغزارة، ومن كهنبايت كانت تصدر الاحذية، وانياب الفيل (العاج

---

(١) گجرات، سروسنگهره ص ٣٥١ و ٥٣.

(Ivory) . وكانت منسوجات تهانه مشهورة كان العرب يستوردونها بكميات كبيرة . ومن كهنبايت ، وبهروج كان يصدر خشب «ساگون» إلى البصرة . ومما كان يستصحبه التجار معهم إلى فلسطين : القردة ، والببغاوات واما الورق فكان تحفة هذه البلاد الخاصة فكان يغزو اسواق جزيرة العرب ، والشام ، ومصر وكان الناس يقبلون على هذه التحفة اقبالا عظيما ، ويعجبون بها أيما اعجاب[١] .

ومن الاشياء التى كانت تصدر من گجرات ، من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر (من سنة ١٠٠٠ ه إلى سنة ١٢٠٠ ه) خيوط الزركشة وانواع من الأقمشة المزركشة ، وغير المزركشة (نحو ابريشم ، وزرى وزربفت والخمل ، وكمخواب ، ومشروع) والسيوف ، والنبال ، والقسى ، والمرواريد والمرجان . على ان الفضة كانت تستورد من ايران والروم[٢] ويقول القاضى مرتضى حسن البلكرامى فى كتابه :

«تمتاز گجرات بصناعة القمطر ، والصندوق ، والاقمشة من نسيج الخيوط الذهبية ، المنطقة ، وانواع المنسوجات الاخرى (كمخواب وزربفت ، ومشروع ، وتافته ، وتات بند ، والخمل) وكانت هذه الصناعة راقية جدا . ومما تشتهر به هذه المنطقة كذلك السيف ، والجعبة ، والنبال ، والاقواس . وقد رأيت هذه الاشياء كلها بأم عينى ، فوجدتها فى غاية الجودة والندرة[٣] ،

---

(١) مقدمة مرآة احمدى بمباى (٢) جهارگلشن (مخطوطة) تصنيف رائے جترمن (٢) حديقة الاقاليم ـ الاقليم الثانى . مخطوطه توجد فى مكتبه راجه سليم بور بلكهناؤ .

وفى نفس هذا العهد كان يصدر من سرخيز (سركهيج) إلى الخارج بكثرة هائلة . وعلاوة على البلاد العربية كان هذا الصادر يغزو الاسواق الاوربية . فقد كان طلبه فى البلاد الاوربية كثيرا[١] .

وفى أواخر القرن الثامن عشر ، ازدهرت فى كجرات زراعة التنبك (التبغ) ازدهارا باهرا . وفى سنة ١٠٤٢ هـ سنة ١٦٣٢ م كانت تشحن السفن فى سورت بالتبغ لتصديره إلى الخارج . ومما ثبت ان التبغ قد صدر فى سنة ١٦٢٠ م سنة ١٠٣٠ هـ إلى مخة (اليمن) واراكان ، بنفس الطريقة[٢] .

اسماء ملاحى السفن الكجراتية

من الصعب احصاء اسماء الملاحين للسفن الكجراتيه ؛ لان الاسطول البحرى الرسمى يوجد منذ عهد سلطان احمد بصفة دائمة . وكان هذا الاسطول يحتوى على مختلف السفن . فبعضها كانت للمسافرين ، وبعضها للتجارة ، وبعضها للحرب . وكان من اللازم وجود عدد من الضباط فى سفينة واحدة . ولقد كان مرور السفن ذهابا وإيابا بمعدل الف سفينة للمسافرين ومائة سفينة تجارية سنويا على عهد مظفر الثانى وكان عدد السفن الحربية الراسية فى ميناء ديو ، يبلغ مائتى سفينة وكذلك كانت ملاحة السفن دائبة فى «بهروج» و «راندير» و «سوباره» و «صيمور» و «تهانه» و «مهائم» وغيرها من المناطق . وكان معظم ملاك هذه السفن كجراتيين ، قلة منهم كانت من اصل كجرات . والكثرة الكاثرة منهم كانت تمثل أولئك العرب والايرانيين الذين نزحوا إلى كجرات ، واستوطنوها بناء على ذلك لو اردنا ان نحصى اسماء الجميع من ملك البحر ، و اميرالبحر الكل

---

(١) ظفر الواله . ج ١ ص ٢٢٨

(٢) معاشى حالات هند ، ص ١١٦

ميناء ، والربانين ، والمعلمين فقط ، فان ذلك يجعلنا نحتاج إلى ذكر حوالى ألف اسم . ونحن نورد هنا اسماء الذين عاشوا فى القرن الثامن ، والعاشر والثانى عشر منهم . وان اهتمام المؤرخين بكتابة اسمائهم فى كتبهم يدل على انهم كانوا مهرة ، ودارعين فى اعمالهم وفنونهم . ولقد سبق ان قدمنا اسماء لبعض اولئك الذين شغلوا منصب ملك البحر ، وامير البحر . وهنا نود اثبات اسماء لبعض الضباط والرؤساء الآخرين :

فى القرن التاسع الهجرى كان الربان (اسماعيل نائته) ، رجلا ذاشهرة كبيرة ، ومن اجل هذه الشهرة كان قد اصبح من بعد ملك البحر . وفى القرن الثامن كان يمتاز الربان (ابراهيم) بالسمعة الطيبة ، والصيت الذائع . وكان نفسه يملك عددا من السفن كما كانت فى ملك اخيه كذلك عدة سفن كانت ملاحتها تجرى من كندهار (كجرات بهروج) إلى الصين . وفى سنة ٧٢١ هـ ١٣٢١ م كان يتولى منصب المعلم (حسن) الذى كان يسافر من ناندير (رانديز التى تقرب من سورت) إلى جزيرة العرب .

ولقد وجد كذلك فى القرن التاسع ربان اسمه ، (موسى مندل الزنجى) الذى كان ماهرا كبيرا فى الفن فى عصره . وسفنه أيضا كانت تصل إلى جزيرة العرب . وكان المعلم حيوة المهدى معلما مشهورا ، وقد تعرض لذكره مؤلف ظفر الواله ، على وجه خاص . وعاش فى القرن العاشر . وكان يلازم السفن الذاهبة من كجرات إلى الجزيرة العربية . ووجد فى نفس هذا القرن الربان المشهور (محمد عيسى) الذى كان اتصاله بالسفن العربية كذلك اتصالا اكيدا وفى سنة ٩٧٣ هـ ١٥٦٥ م كان الربان المشهور (حسن علوان) فى سفينة الغ خان . ومات غرقا بسبب غرق هذه السفينة .

وفى حوالى سنة ١١٥٠ ﻫ كان الشيخ واكر (واكور) معلما ومصنفا مشهورا . وفى حوالى سنة ١١٩٦ ﻫ ١٧٨١ م كذلك كان عنايت (عنايت الله) بن الشيخ المذكور ، معلمامشهورا ، وكان يقيم فى جزيرة بمبئ .

المؤلفات البحرية

يؤسفنى انى لا استطيع ان اقدم إلى القراء معلومات دقيقة عن الكتب والمؤلفات التى وضعت فى الملاحة البحرية . فمن الصعب ان استقصى . اسماء الكجراتيين الذين ساهموا فى هذا المضمار العلمى والتاريخى بوضع مؤلفاتهم . غير انه قد اتفق لى ان اطلع على بعض هذه الكتب التى تؤيد تقديرنا انه لابد ان يكون الكجراتيون الآخرون أيضا قد وضعوا المؤلفات فى هذا الموضوع . وتلفت هذه الذخيرة نتيجة لسيطرة الحكومة البريطانية على الهند ، وعدم اهلية ابناء الوطن للتقدير ، والثقافة العالية فى فن الملاحة الاوربية . فهذه الاسباب المتضافرة ، هى التى تسببت فى حرماننا من هذه التحفة العلمية . والكتب التى قدر لها البقاء مبعثرة فى مختلف المكتبات لاتبلغ عددا كبيرا . ومن بين هذه الكتب الموجودة كتاب مؤلف باللغة السندية او باللغة الكوكنية . وحينما سافرت إلى بمبائى سنة ١٩١٣ م بغية الوصول إلى حقائق تاريخية مطمورة وقياما بالبحوث العلمية قدرت لى رؤية الكتابين فى مكتبة المسجد الجامع بيمبائى ، احدهما كان مكتوبا بخط النسخ . وكان موعد سفرى قد حان ، ولم تكن لدى فرصة كافية فلهذا وذاك لم استطع ان اتبين ان هذا الكتاب موضوع باللغة السندية أو باللغة الكوكنية .

ويبدو أن هذا الكتاب شرح لكتاب عربى . وكانت تنقصه الصفحات الاولى . وقد استعملت اللغة العربية فى بعض المواضع منه .

كعبارة: معرفة ابعاد الكواكب المشهور عند الجمهور بعد الجاه عن نقطة الكرة سبع وثمانون درجة، مثلا. وكل شئ معنون بكلمة «معرفة» بالخط الجلى الممتاز. ومما وقع عليه نظرى فى هذا الكتاب جملة: «صحيح قول معلم سليمان» وقد استعملت فيه ايضا الفارسية فى بعض الامكنة. ومما ورد فيه ذكر المسافات البحرية المقدرة، واسماء الجزر. ومن المأسوف له ان الكتاب ليس فيه ما يدل على شخصية مؤلفه واسمه. ومما تهدى إليه المطالعة ودراسة الآثار وتتبعها ان هذا الكتاب قد خرج إلى حيز الوجود سنة ١٠٨٤ هـ ١٦٧٣ م.

والكتاب الثانى مكتوب بخط النسخ، وحجمه متوسط، وهو مكتمل الصفحات. ولغته اما سندية أو كوكنية، كما توجد فيه عبارات باللغة الفارسية. ويكتب كاتبه فى ختامه:

«كاتبه ومالكه فقيرا الحقير پر تقصير معلم عنايت بن معلم شيخ داكو (ڈاكور) در جزيرهٔ بمبئ. ماه رجب» الترجمة:

(كاتبه ومالكه (الفقير الحقير المقصر) «المعلم» عنايت ابن «المعلم» الشيخ داكو (داكور). جزيرة بمبائى - شهر رجب.)

ولم يحرر الكاتب فيه السنة التى تمت فيها كتابته. غير ان القرائن تدل على سنة ١١٩٦ هـ ١٧٨١ م. ويظهر ان هذا الكتاب ليس تصنيفا له وانما هو منقول من كتاب آخر؛ لانه لا توجد فى كتابته نسق وترتيب. وتتخلله اليوميات. فمن الممكن جدا ان يكون ذلك الكتاب فى الاصل مفكرة السفينة للمعلم الشيخ، يسجل فيها يومياته.

والكتاب الثالث فى هذا الموضوع كان باللغة الكوكنية (أو باللغة الگجراتية) الذى كان موجوداً عند الاستاذ يوسف كهتكهتى (بى. اے)

مدير المسجد الجامع - بمباى - سنة ١٩٣٠ م ١٣٤٩ ﻫ ، ولم يعثر على هذا الكتاب بعد وفاته[١] . والكتب التى جمعها الاستاذ قد اشترتها جامعة بمباى على أثر وفاة المغفور له .

وقد وقعت إلى هذه الكتب بالصدفة . ومن المؤكد ان احدا اذا تصدى للبحث عن مثل هذه الكتب وجدها بعدد لا بأس به . وخاصة اذ بحث عنها فى تلك الاسر التى مضى فيها المعلمون قبل اليوم بحوالى بخمسين سنة . ولا تزال توجد فى سورت اسرة من هذه الاسر ، وتعرف هذه الاسرة باسم « عالم » وتشتغل بالتجارة .

وان ابن ماجد كان قد وضع فى هذا الموضوع خمسة وعشرين كتابا وكان احدها « نصيدة مكية » وهذا الكتاب ألفه ابن ماجد سنة ٨٩٥ ﻫ ١٤٧٩ م ، وصف فيه احوال مكة ، وجدة ، وكالى كت ، وديول ، وكوكن ، وكجرات ، وهرمز البحرية .

وكذلك تناول سليمان المهرى جزائر خليج فارس ، وبحر العرب ، وبحر الهند ، وموانئها بالذكر المفصل فى كتابه « تحفة الفحول فى تمهيد الاصول » واشار أيضا إلى جهات النجوم . وذكره لحالة موانئ مدراس ، وكجرات والسند ، وبنغاله اكثر وضوحا وجلاء على وجه الخصوص - وهو من مؤلفات سنة ٩١٧ ﻫ ١٥١١ م . وهناك كتاب آخر اسمه « العمدة المهرية » وهو يحدثنا ما هى الموانئ التى كانت تبدأ منها السفن ملاحتها ، وإلى أية موانئ كانت تتجه عادة . فهو يذكر مثلا ان حركة ملاحة السفن تظل دائبة نشيطة من « زيلع » و « عدن » و « بربرد » و « كشن » و « خلفات »

---

(١) عربونكى جهاز رانى - ص ١٩٨

و «اليمن» و «كلهات» إلى موانئ گجرات دائما طول السنة. وكذلك أن «ديو» و «مهائم» و«كهنبايت» تبدأ منها السفن سيرها قاصدة البلاد الاجنبية.[1]

مواضيع الكتب البحرية

ولقد كانت هذه الكتب تحتوى على مواضيع ومعلومات شتى. وافادة للقارى نقدم فيما يلى موجزها. ونرى ان القراء إلى جانب استفادتهم سيجدون فيها متعة علمية:

فمن أهم ما كانت تشتمل عليه هذه الكتب: منازل القمر، وتقسيم البروج، ومعلومات لازمة عن السفينة، والاشكال المعروفة للنجوم. وضرورة العلوم الرياضية والفلكية. وبيان مختلف الانواع للرياح. وترتيبات السفن، واحوال السواحل ومعرفة البلاد بالنجوم، وحاجة الملاحين من ثلاثة انواع. وبيان الجزر المشهورة والطقوس المعلومة، وتقويمات لمختلف الامم، ووصف سواحل الهند والبحر المحيط، وبيان مختلف البحار وفروعها فى العالم. ومعرفة اللون والطعم والرائحة وما إلى ذلك لكل ماء. والتقويم الذى كان يحتوى على حساب الاوقات وحدوث الطوفان. وتعيين القبلة، وعلم استعمال الحك. وعلم بعض الالآت البحرية وبعض الالآت الفلكية اللازمة. المباحث الفلكية، والبحرية المختلفة وايضاح بعض المصطلحات الخاصة للملاحين واسماء النجوم، وتقدير المسافة بالنظر إلى القطب الشمالى، والجاه، والفرقد، والميخ وبوضع اليد على العين. وبيان معالم البر والعلم بامكنة المنارة التى تعرف بلائت هاؤس (Light House).

---

(١) عربوں کی جہازرانی ص

السفينة الأولى لأوربا

البحوث العصرية تثبت ان سفن الامبراطور الرومى كانت تصل إلى «كالى كت» وقد استكشفت أيضا بعض العملات . على ان هذه السفن انقطعت ملاحتها على اثر تعرضها للزوال والانقراض . ولم تصل بعد ذلك سفينة من اوربا إلى الهند حتى القرن الخامس عشر الميلادى . ولعل القراء يعجبون عند اطلاعهم على ان السفينة البرتغالية التى كانت اول سفينة اوربية فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) كان القادم بها إلى الهند ايضا گجراتيا كان وطنه الاصلى «نجد» بجزيرة العرب . وكان يسمى الربان المعلم احمد بن ماجد . وكان اكبر ملاح مجرب من بحر بربرا إلى بحر الهند وبحر العرب ، والبحر الاحمر ، وبحر فارس وكان اكبر متضلع ماهر فى علوم الملاحة والآلات . وهو الذى كان دليلا لواسكودى غاما (البرتكيزى) فهداه إلى الطريق واتى به إلى الهند . ويعترف بصحة هذا الحادث كل من المورخين العرب والبرتكيزيين . فقد كتب احد علماء گجرات المشهور قطب الدين النهروالى فى كتابه البرق اليمانى :

ان الاحداث التى ظهرت فى بداية القرن العاشر الهجرى كان من بينها حادث وصول البرتغاليين احدى الامم الاوربية إلى بحر الهند . فكان فريق منهم يركب البحر من مضيق سبتة (اسبانيا) ويمر ببحر الظلمات (الاطلنطى) فيصل إلى ما وراء جبال القمر التى هى منبع لنهر النيل . ويبلغ فى الشرق إلى مكان يقع فى مضيق قريب من الساحل . وفى احد طرفيه تقع الجبال وفى الآخر يقع بحر الظلمات (الاطلنطى) حيث كانت الامواج شديدة عاتية . ولم يكن من الممكن ان تبقى سفنهم هناك وتقاوم الامواج

فكانت تصاب بالتكسر والتفكك وما كان احد منهم ينجو بحياته. وهكذا ظلوا يهلكون فى هذا المكان. ولم يستطع احد منهم ان يصل إلى بحر الهند ناجيا بحياته. حتى دلهم رجل ماهر من الملاحين اسمه احمد بن ماجد، فاستصحبه رئيس هؤلاء الاوربيين وقدم اليه فى الطريق الاشياء المسكرة، فعند ما اصبح ثملا بفعلها، لايدرك ولا يعى جيدا تجاذب معه اطراف الحديث، وسأله عن الطريق فدله عليه عن غير وعى ورشد. وقال له عليكم ان لا تقربوا من الساحل بادئ الامر وواصلوا التوغل فى البحر، ثم ارجعوا من بعد ذلك فلا تدرككم امواج البحر العاتية. ولم يعد اليه الرشد الا بعد ان عمل واسكودى غاما بنصيحته. ثم اخذت تصل سفينة بعد اخرى للبرتغاليين إلى بحر الهند. واتخذوا جوا مركزا بحريا لهم.

وكتب فى ذلك احد المصاحبين لواسكودى غاما فى السفر واسمه «بروس» بوضاحة وتفصيل اكثر، حيث يقول:

عند ما كان واسكودى غاما فى «مالندى»، جاء بعض التجار الوثنيين من «كهنبايت الواقعة بكجرات، بقصد زيارة امير البحر. وكان معهم مسلم عربى من قوم «مور»، اسمه «ماليموكنا» (معلم جنجا) وكان ذلك لقبا هنديا لأسد البحر ابن ماجد المعلم. وقد رضى هذا الشخص بان يصحبنا نظرا لتلك المتعة التى احسن بها فى صحبة رفاقنا، وبغية ارضاء الملك المالندى الذى كان يبحث عن دليل سفينة للبرتغاليين يدلهم على طريق الهند. فلما جرى الحديث بينه وبين واسكودى غاما اطمئن الى معلوماته، والماماته الواسعة ولاسيما بعد ان اراه هذا «مور» خريطة كاملة لساحل الهند، وكانت هذه الخريطة قد اعدت مفصلة بترتيب خطوط نصف النهار، والخطوط

المتوازية على طراز خرائط قوم «مور» (العرب المسلمين) . غير انها ما كانت تشتمل على اعلام ورموز اتجاهات الرياح وبما ان تلك المربعات التى تكونت من خطوط نصف والخطوط المتوازية هذه كانت صغيرة جدا ، فان طريق الساحل الذى كانت تدل عليه خطوط الشمال والجنوب والشرق والغرب المتقاطعة لخطوط نصف النهار ـ كان صحيحا جدا . ولم تكن على هذه الخريطه أيضا علامات كثيرة لاتجاهات الرياح كما كانت توجد فى الخرائط البرتغالية . وكانت هذه الخريطة بمثابة اساس للآخرين .

وأرا واسكودى غاما هذا المسلم العربى (من قوم مور) ذلك الاصطرلاب الخشبى الكبير الذى كان عنده . كما اراه عدة اصطرلابات أخرى مصنوعة من النحاس الاصفر . ولكن لم يكن ذلك كله غريبا او جديدا فى نظره ولم يبد منه استغراب وحيدة لرؤيتها . وقال ان الملاحين فى البحر الاحمر يستعملون الآلات النحاسية ، لتقدير ارتفاع الشمس والنجم القطبى . الذى يستعينون به كثيرا فى ملاحة السفن . وهذه الآلات اماتشكل مثلثا . أو دائرة مربعة . واضاف قائلا : انه هو وجميع الملاحين من كمنبايت (كجرات) وسائر الهند لا يمارسون الملاحة إلا بالاستعانة ببعض النجوم الجنوبية والشمالية ، وبعدة نجوم اخرى خاصة . توجد فى اسماء متوزعة من الشرق إلى الغرب . وهؤلاء لم يكونوا يلجئون فى تقدير ارتفاع الشمس إلى هذا النوع من الآلات التى أراها اياه واسكودى غاما وجاء فورا بآلته ليريه اياها . وكانت هذه الآلة تتركب من ثلاث خشبات . وقصارى القول ان هذا الحديث الطويل الذى اجراه هؤلاء الناس مع هذا الملاح كان السبب فى اعادة اهتمام واسكودى غاما له . فقد احس

بأنه لم يكسب رجلا ماهرا فحسب بل انه عثر على كنز فياض ، وظفر بذخيرة كبيرة من المعلومات الهامة . وخشية أن ينفلت من هذا الملاح العليم بصورة ما اذا ابطأ فى السفر إلى ما كان يستهدفه ، بادر إلى اصدار الامر باقلاع السفينة وبدء الرحلة إلى الجهة المقصودة . فقد بدأ سفره التاريخى إلى الهند فى ٢٤ ابريل سنة ١٤٩٨ م (سنة ٩٠٤ ﻫ) حتى انتهى إلى «كالى كت»[١] .

(انتهى المقال)

« مع الشكر لمجلة «معارف» الصادرة عن مجلس دارالمصنفين بأعظم كڈه نقلا عن عددها الصادر فى سبتمبرا ١٩٥١ م » .

تعريب : عميدالزمان القاسمى الكيرانوى

---

(١) انسائكلوبيديا آف اسلام (موسوعة اسلامية) ص ٩٣٤ .

المرأة فى فن الرسم المغولى

للاستاذ محبوب الله مجيب

لم يقدر للمرأة فى حين من الأحيان ان تحظى بمنزلة رفيعة فى شعرنا او فى رسمنا ولكنها بقيت محتجبة مستورة لا يتوسل اليها الشعر والرسم حينا ما .

واذا تيسر لها ان تخرج من مكمنها فلم يكن خروجها الا لتودع الى استارها بسرعة كما اخرجت منها عند ما دعت الحاجة الماسة وادى الامر الى انها لم تحز قط منصب القيادة او منزلة المقود ، فلننظر فى سائر انواع الفنون الجميلة ونجد حقولها باسرها فارغة عنها ـ ولايخص هذا نوعا دون نوع ولكن الظاهرة عامة شاملة ، فلناخذ اى فرع من الفنون الجميلة الرسم ، او الموسيقى او العمارة ، او الادب ، ونفحصها وننتهى الى ان المرأة لم تلعب فى احد منها دور القيادة ولا دور المساهمة فى الزحف ، ولكن لماذا هذا كله ، وماذا كانت الاسباب والعوامل التى اسفرت عن هذه الظاهرة ، وخير الجواب على هذا السؤال ما تدلنا عليه صفحات التاريخ .

وظلت الحالة هى هى الى حد ما فى الرسم المغولى ، ولم تحظ فيها ايضا بنصيب مرموق ، ولعل السبب فى ذلك ان كل قوم وكل بلد يتعلق بها تقاليد ومراسم منها صحية ومنها غير صحية ، ولم يستثن المغول من تلك الكلية المطردة ، اللهم الا انهم كانوا مضطرين اليها باسباب تاريخية .

ومهما كان الامر ، يشهد الرسم المغولى بانه لم يتنسم حتى القرن السادس عشر بنفحة من نفحات المرأة ، فضلا ان يكون لها فيه دور الكل ، ولكن الجهة المنفية للمرأة هذه كما يشهد التاريخ تحولت على مر

الزمن الى جهة ايجابية مستقلة واسفرت عصبية القرون الماضية عن نتيجة ذى عبرة، فان المرأة التى عاشت فيما مضى مستورة بحيث يرتعش يد الفنان دون رسم معالمها، ويعجز قلمه دون تعبير اساريرها، اصبحت الآن متمكنة على منصة الفن، واشربت فى قلب الفنان، فظهر الشعر والرسم اثر التصاقهما بها مظهرا جديدا والمرأة التى كانت تحتشم من وضع خطوة على المنصة اصبحت الآن لا تحتشم ولا تستحيى من كشفها على المنصة كشفا جليا.

ويتقدم فن الرسم فى هذه الظروف الى عصر جهانجير الملك، الذى لو لم يقدر له الملوكية لكان ميكائيل اينجلو، ولو لم يكن من ورثة الاسرة التيمورية لكان مانى وبهزاد. فانه اذا تيسر لشاهجهان ان يبنى بعبرات حبه تاج محل، فبالاخرى لجهانجير ان يخلق بقلبه الواجد مونااليزا،

والحقيقة ان الاسرة الملكية (المغولية او التيمورية) كانت متشددة فى الرقابة على المرأة، بحيث لا يتصور خروجها عن مكمنها او سفورها لمقدرى الفن، فكانت الملكات والاميرات فى القصور الشامخة التى تهيأ لهن فيها جميع وسائل التسلية، تحت رقابة شابات قوية البنية والصحة، والمعهود اليهن تزويد الملك بجميع ما يجرى فى القصور لحظة فلحظة، يقول المنوتشى: تعهد بحراسة الملكة والاميرات الى النساء الكاشميريات والازبكيات اللاتى اشتهرن بقوة الصحة والبنية فكانت هولاء الحارسات يلازمن الملكة والاميرات فى الاسفار، ويحرسن على المحفات بالسيوف المسلولة.

ويقول برنير انه كان فى غاية اشتياق لروية النساء من الاسرة الملكية ولم تتيسر له فرصة الا فى حالة يصفها هو بنفسه.

تيسر لى مرة ان ادخل القصر لمعالجة الخانم الكبيرة التى انهكتها العلة حتى لم يكن فى وسعها ان تصل الى الخارج كالمعتاد ، فالحفونى ببرد كاشميرى يتهدل على الى الاقدام كالخمار الكبير ، واخذ احد الخصيان بيدى وقادنى كما يقود البصير الاعمى .

ثم يذكر برنير العقوبة التى كانت مقدرة لمن يسيئه حظه ويقع بصره ولو عن غير قصد على احدى الملكات او الاميرات فيقول :

من المستحيل ان يتقرب حى متنفس الى اولئك السيدات ، ومن المستحيل ان ينظرهن احد ، والاسف كل الاسف لمصير فارس تجذبه الاقدار صدفة الى محفاتهن ، فانه مهما كان عالى المنزلة ورفيع المرتبة لن يتخلص من ايدى الخواص والخصيان بدون الضرب ، وهؤلاء الخدم ينتهزون فرصة اللطم والضرب ولا يمكننى ان أنسى فيما انساه . ما حدث لى مرة اذ جرنى الشوم الى مثل تلك الحالة ، ولم استطع الا بعد الجهد البالغ ان اخلص نفسى من القسوة التى كانت تصب على كثير من الفرسان . وكنت انا ازمعت ان اذود عن نفسى مهما يؤول اليه الامر ، وان لا اسمح لهم بضربى طوعا ، فسللت سيفى ولحسن الحظ كان حصانى ايضا من اجود الافراس مما امكننى من التسلق من صفوف المهاجمين ، فنزلت ايضا توا فى نهر صادفنى وعبرته سابحا رغم سرعة تيار الماء .

ولم تكن الحراسة موقوفة على اولائك النسوة ولكن كان الخصيان ايضا يوظفون ليحرسوا الملكات والاميرات من جهة ويراقبوا الحارسات من جهة أخرى وقيل ان عهد الخصيان بدأ فى عصر الوليد الثانى .

وهنا رسم يمثل ولادة الامبراطور أكبر، نرى فيها ولادة اكبر من بطن الملكة حميدة بانو، فننظر فيها بجانب الطبيبين المستعدين للاسعاف الطبى مع بعض الجوارى الذاهبات الآتيات فى الاشغال احد الخصيان قائما بينهن بسيفه المسلول وبصدده البارز يكامل الوقار ويقع نظره على جارية لجارية ويفحص حركاتها وسكناتها.

ومما يذكر ان الرسوم لا تصور عامة نساء الاسرة الملكية والطبقة العالية وانما هى تصور مرأة خيالية، اللهم الا انها رسمت بحيث تتجلى امامنا كانها متنفسة حية لجمال تلك المرأة الخيالية وتناسب اعضائها وغضاضة جسمها وبدنها وهيئتها فى ما يحيط بها، لفن يذهب بنا الى عالم الوجد،

فهنا رسم يمثل لنا امرأة تجلس على مكان مرتفع كمقعد صغير تستعد للاغتسال، ويرى على يمينها وشمالها بعض الاوانى للغسل والاغتسال. وهنا نموذج آخر يقدم لنا امرأة يقوم على اغتسالها خادمتها. ونموذج ثالث تجفف فيه المرأة نفسها شعرها فى الشمس.

ونجد نماذج حية كثيرة مثلها فى الرسم المغولى، وكثيرا ما نجد فى الرسم المغولى صورة ذات جهتين، مثلا هنا صورة لامرأة مسلمة لها ضفائر معقودة يلاعب شعرها قفاها، وهنا صورة لهندوسية لها ضفائر معقودة بطريقة هندوسية خاصة، ونجد هذا الفرق فى تصفيف الشعر الى القرن السادس عشر، ولكن لافرق فيما بعد، ولعل السبب فى ذلك يرجع الى تقليد الهندوسية المرأة المسلمة فى تزيين للشعر او اتباع هذه تلك.

وتوجد صورة للملك جهانجير والملكة نورجهان فى مجلس يمثل المأدبة التى اقامها الامبراطور بمناسبة انتصاره فى دكن، فترى فى الصورة اطباق

واوان، على ان الحضور عليها ليسوا الا ثلثة افراد. الملكة نورجهان والامير خرم والملك نفسه، ويوجد بجانب ذلك صور أخرى تمثل مناظر مختلفة من الضيافات باوانيها وظروفها، ففى بعضها تظهر خادمة تحرك مروحة كبيرة عادية او مصنوعة من ريش الطاؤوس ومما لايخفى ان هذه المناظر كلها لم تظهر الا فى بداية القرن السابع عشر، والرسوم فيما مضى خالية عنها،

وما عدا ما ذكرنا، تمثل الرسوم مناظر انزهات النساء فى الحدائق فنجد فى بعضها امرأة جالسة فى حديقة لوحدها وفى جيدها عقد من اللواؤ، وهى تشم وردة.

ومن الظاهر ان الفنان لم يكن ملما بالحياة الاصلية الجارية فى داخل القصور، ولكنه حكى ماتسرب اليه وما التقطه آذانه وهدى اليه فكرة وكثيرا ما اقميت مآدب فى القصور للاقرباء ففى مثل هذه الصور نجد شيشة فى وسط المجلس والنسوة جالسة حولها وفى ايديهن كؤوس كانهن يشربن مشروبا حلوا.

وهنا رسوم تجلس فيها الاميرات، فى المحفات، وهى تمثل رحيل الاسرة الملكية للصيد او النزهة، ونرى فيها احدى الا زبكيات او التاثرات القويات بسيفها المسلول تمشى على فرسها جنبا الى جنب الاميرات، ومثل هذه المشاهد من امتع المناظر واجملها.

وتليه رسوم الحفلات الملكية، وهى نماذج منقطعة النظير تمثل مجالس الرقص والغناء والطبول ولم يكن الراقصات يعرضن فنونهن فى هذه المناسبة ولكن الخصيان ايضا كن يساهمن ويعرضن رقصتهن فى القصر الملكى للاعراب عن ما تكن فى قلوبهم من البهجة والنشر.

ويوجد رسم آخر يمثل ولادة الامبراطور أكبر فى حصن امركوت وابوه همايون يبعد منه بثلثين ميلا على انه يزود بالاخبار لحظة فلحظة، وفى الصورة تظهر الجوارى والخادمات منهمكات فى اشغالهن، ويرى فيها ايضا المنجم الشهير مولانا تشاند الذى اذن فى اذن المولود.

وظل المشروبات الروحية والرقص والغناء من لوازم الحياة فى الاسرة المغولية، فكانت الليالى تقضى فى الرقص والغناء تدار فيها على الحضور الكؤوس، وتعرض علينا الرسوم بعض هذا المناظر ايضا، فنرى فى بعضها احدى الفاتنات تجالس الملك، والرسوم التى يعود زمنه الى نهاية العصور المغولية تمثل الفاتنات وهن يطيرن الطيارات الورقية، كما توجد شابات يقرعن الدفوف والطبول ويعزفن الآلات الموسيقية الاخرى، وهنا رسم من العصر الجهانجيرى فيها صور الراقصات بهذا الترتيب.

روب كمارى   تشندر والى
نادره   مهرو كنور
مهتاب بى بى   رنجيلى
محبوبن   مهرو
وكل رخ

ويتجلى منها ان البلاط المغول اشتمل على الراقصات من الديانتين الاسلام والهندوسية،

وكانت امير ت المغول مولعات بالادب والفن والشعر، ومازال فى المتحف المركزى بلاهور يوجد رسم للاميرة زيب‌النساء وهى جالسة على

فراش رخام فى الملابس السوداء تكتب شيئا ، ويرى خلفها نهر الجانج كما يوجد فى بهارت كلابهون ببنارس رسم من العصر المغولى يمثل امرأة رسامة وخلفها امرأة اخرى ، لعلها خادمتها التى تساعدها على ترتيب الاشياء واحضارها عند لزوم الحاجة ، وامامها امرأتان مسنتان ويقرب منهما طفل وفى يد الرسامة ورق وامامها عدة الوان .

وهكذا توجد النساء الرسامات فى العصر المغولى .

الأنباء الثقافية

عند ما كانت السنة المالية على وشك الانتهاء فى شهر مارس، كان المجلس فى اوج نشاطه لتحقيق اكثر ما يمكنه من الانجازات فى السنة المنصرمة، فاصدر خمس مطبوعات، وهى: موسيقى الشرق والغرب وهو مجموعة تقارير للسيمنار المنعقد حول موسيقى الشرق والغرب الذى تبناه المجلس، والكتاب وصف ممتع ومنعش للقضايا والتاثيرات الاساسية لتطور الموسيقى وهوياتها وقد ساهم فى المناقشات الممتعة كبار رجالات الموسيقى من مختلف اقطار العالم.

والكتاب الثانى: مظاهر من الثقافة الهندية، وهو اول مطبوع من سلسلة البيليوجرافيا التى رسمها المجلس لارشاد القارى العام فى ارتياد الهند، ويشتمل على اسماء نخبة من ما الف فى فنون المتحف والرسم والرقص والمسرحية والصناعة اليدوية والآثار والبناء والنحت وفنون الموسيقى وما على شاكلتها.

وتقدم المجلس خطوة اخرى فى تنفيذ برنامجه لنشر التراجم وهذا بالرغم من المشاكل المتعلقة بمبادلة النقود والمترجمين والموزعين فاصدرت مطبعة جمعية الفنون الاجتماعية يبتغون مع تعاون المجلس، ترجمة لباگوت گيتا وقدمها بطبعة انيقة.

كما ترجمت فى اللغتين الاردوية والهندية، مذكرات مارشل ولى خان بالفارسية، وتحتوى هذه المذكرات على وصف من الايام التى قضتها افغانستان فى الكفاح لاجل الحرية.

وما زالت مجلات المجلس محظية باهتمام القراء ومتعة لهم فنشرة المجلس المسماة «I. C. C. R. News letter» اثبتت فى نهاية سنتها الثانية بانها كفت حاجة لمثل هذه النشرة للطلاب الاجانب فى الهند .

وظل المجلس يرحب بالضيوف الاجانب فاستقبل من بين من استقبل المستر بنيامين موريس سكرتير المعارف من برازيل والدكتور او ب جالوف مدير اكاديمية الازبكستان للعلوم ، والسيدة اى . سى . ايل دورنج كاسبر الخبيرة بالاقتصاديات وطالبة للعلوم الاثرية. والمستر لاورنتين شيبان احد الرومان المكبين على دراسة اللغات الهندية الآرية وقام المجلس بمساعدة كليهما للمضى فى دراساتهما .

ودعا المجلس المستر سينىسى الاخصائى التركى الشهير فى فنون البناء والعمارة. لزيارة الهند ولدراسة فن العمارة وطرق البناء فى الهند ، وزار المستر سيتى سى دلهى وآجرا وتشندى جره وبومبائى وحيدرآباد . وفى اثناء مكوثه بدلهى وجد فرصة للاجتماع مع الدكتور ذاكر حسين نائب رئيس الجمهورية .

ونزل من برازيل ضيفا على المجلس المستر كارلو لاسيروا الصحفى الشهير وزعيم الحزب المعارض .

وساعد المجلس الدكتور ب ـ ن ـ دهر مدير معهد النمو الاقتصادى الذى بعث الى جامعة لندن ليلقى محاضرات الطاغور فى المدرسة اللندنية للدراسات الافريقية والشرقية ، وحاضر الدكتور دهر حول تجارب الهند فى الشوون الاقتصادية .

والدكتور مورتى رئيس قسم الفلسفة فى جامعة والتير بولاية آندهرا برديش ، التى محاضرات فى مختلف بلدان الشرق الجنوبى من بينها اليابان وتهائى ليند وذلك فى طريق عودته من الولايات المتحدة حيث ذهب للاشتراك فى المؤتمر المنعقد حول الديانة فى ملل العالم.

وساعد المجلس بالنيابة عن وزارة المعارف وفدا لطائفة المسرحية من كلكتا ، لتمثيل المسرحيات السنسكرتية فى كهاتمندو (نيپال).

وارسل المجلس المستر جگن ناتهم آزاد احد شعراء اللغة الاردوية الى نيپال لثلثة ايام للمساهمة فى مجلس الشعر الذى اقيم بمناسبة يوم ميلاد ملك نيپال ،

ورحب المجلس البروفيسور على مزورى استاذ العلوم السياسية والادارة العامة فى كلية جامعة مكسرير باوغاندا ، وقدم البروفيسور الى الهند فى رحلة المحاضرات لاسبوع والقى البروفيسور فى دلهى محاضرة تحت اشراف المدرسة الهندية للدراسات الدولية ، وكان الموضوع العلاقات بين الهند وافريقيا.

المعسكرات الصيفية

ونظم المجلس فى هذا الصيف كالمعتاد معسكرتين للطلاب الاجانب ، فى المناطق الجبلية ، فاقيم احدهما فى كاشمير وثانيهما فى اوتى فى جنوبى الهند وافتتحا فى ١٥ من شهرمايو.

الهدايا

واهدى المجلس كتبا الى كوريا الجنوبية واوغاندا لتقديمها الى المكاتب اللائقة والى رجالات الادب ، بالنيابة عن وزارة المعارف،

وارسل كذلك تحت نفس البرنامج كتبا الى كل من نيپال وبولاند وارجنين والمغرب .

وغادر مستر انعام رحمان سكرتير المجلس فى ١٩ من شهر يونيو فى رحلة لمستغرق نحو شهر كامل للاشتراك فى سمينار دولى ينعقد فى تشيوكوسلواواكيا ، بشان تقدير تجارب حول نشر المعارف فى البلدان الشرقية عن طريق التعليم خارج المعاهد . وسيروح المستر رحمان فى رحلته المجر ، ورومانيا وبلغاريا بدعوة من حكوماتها .

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

AZAD BHAVAN, NEW DELHI I

President: Mr. M. C. Chagla

The objects of the Indian Council, as laid down in its constitution, are to establish, revive and strengthen cultural relations between India and other countries by means of:

(*i*) Promoting a wider knowledge and appreciation of their language, literature and art;

(*ii*) Establishing close contacts between the universities and cultural institutions;

(*iii*) Adopting all other measures to promote cultural relations.

THAQĀFATU'L-HIND

Vol. XVII | July 1966 | No. 3

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

Subjects	Contributors	Page
1. Art in India : Drama, Dance and Music ...	...	1
2. Spot-light on the History of Islam in India (2) ...	MR. MOHIUDDIN ALWAYE ...	14
3. Literature in Modern India ...	MR. C. K. CHATTERJI ...	30
4. Village Industries in India ...	MR. JAMIL-EL-RAHMAN DEHLAVI ...	44
5. Kashmiri Folk Songs ...	MR. A. M. K. MASUMI ...	51
6. Taj Mahal (Poem) ...	MR. ALI ABU AL-ALA'A ...	75
7. The Gujarat Fleet ...	SYED ABU ZAFAR NADVI ...	78
8. Women in Mughul Painting ...	MR. MAHBOOBULLAH MUJEEB ...	106
9. Cultural News ...	...	113

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

(JANUARY, APRIL, JULY and OCTOBER)

◆

Rates of Subscription, Post Free

INLAND		FOREIGN	
Single Copy	Rs. 2.50	Single Copy	5 Sh.
Annual	Rs. 10.00	Annual	20 Sh.

Copies are sent only on prepayment and not by V. P. P.

All remittances and requests for supply of copies are to be addressed to the Secretary, I. C. C. R. and not to the Editor.

Books for reviews and journals in exchange etc. are to be addressed to the Editor.

◆

Printed and published by
Inam Rahman,
Secretary, Indian Council for Cultural Relations,
Azad Bhavan, New Delhi-1.

Printed at the Nuri Press Limited, Madras-13.

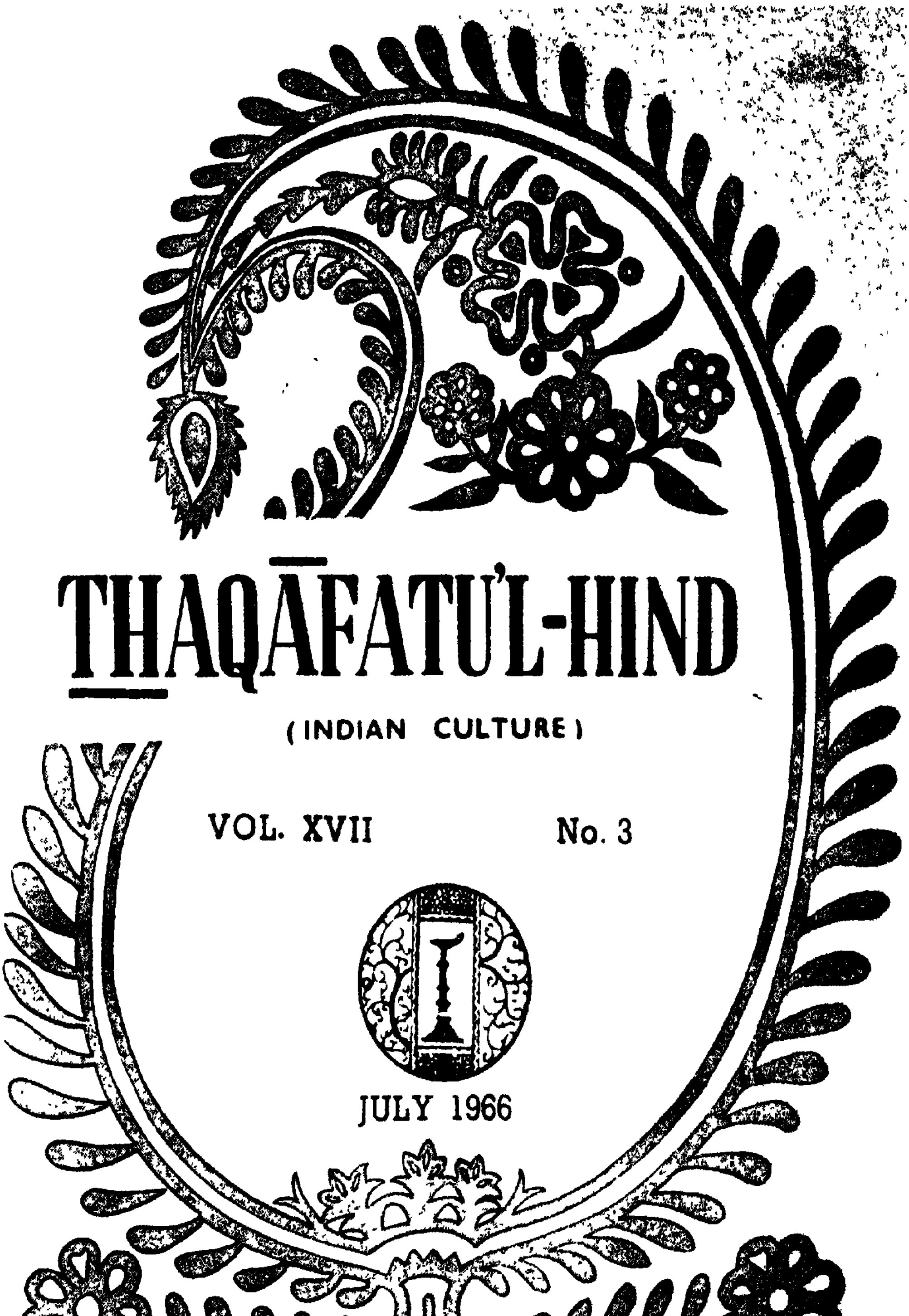

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

VOL. XVII No. 3

JULY 1966

[illegible]

ثقافة الهند

المجلد السابع عشر
العدد الرابع

اكتوبر ١٩٦٦

طبعها ونشرها

إنعام الرحمن ،

سكرتير مجلس الهند للروابط الثقافية

آزاد بهون ، نيو دلهى — الهند

فى مطبعة نورى المحدودة بمدراس ١٣ .

JAMIA MILLIA ISLAMIA
NEW DELHI 25

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية

جلد ١٧
شمارہ ۴

المجلد السابع عشر
العدد الرابع
اكتوبر ١٩٦٦

مجلس الهند للروابط الثقافية

الرئيس : المستر محمد على كريم تشاجلا

يهدف المجلس – كما ينص دستوره – إلى إنشاء وإحياء وتعزيز الروابط الثقافية بين الهند والبلاد الأخرى بالوسائل التالية :

(١) التوسع فى معرفة وتقدير لغاتها وآدابها وفنونها

(٢) إنشاء الروابط الوثيقة بين الجامعات والمعاهد الثقافية

(٣) اتخاذ جميع التدابير الأخرى لتنمية الروابط الثقافية

مجلة علمية ثقافية
يصدرها مجلس الهند للروابط
الثقافية مرة كل ثلاثة أشهر
يناير – ابريل
يوليو – اكتوبر

بدل الاشتراك عن سنة (ويدفع مقدما بحوالات أو شيكات) : فى الهند عشر روبيات فى الخارج عشرون شلنا . ثمن العدد فى الهند روبيتان ونصف . فى الخارج خمس شلنات .

المراسلات : باسم سكرتير المجلس اذا كانت تتعلق بارسال المجلة أو بدل الاشتراك . وباسم رئيس التحرير : اذا كانت تتعلق باستعراض الكتب أو مبادلة المجلات .

ثقافة الهند

رئيس التحرير
شمعون طيب على
لوكهند والا

محتويات العدد

الصفحه

١ حياة غاندى ١

٢ أضواء على التاريخ الاسلامى فى الهند (٣) .... الاستاذ محى الدين الألوائى ١٢

٣ غاندى والسياسة والآداب .... للاستاذ عابد سهيل ٢٦
(تعريب : للاستاذ عامر الانصارى)

٤ حدائق وقصور المغول .... الاستاذ محمد ازهر أنصارى ٣٣
(تعريب : للاستاذ زاهر عزب الزغبي)

٥ اول تاريخ للصحافة الهندية .... الاستاذ نادم سيتاپورى ٦٧
(تعريب : عميد الزمان الكيرانوى)

٦ الأنباء الثقافية ٩٦

حياة غاندى

نشأته

ولد «المهاتما غاندى» فى ٢ اكتوبر سنة ١٨٦٩ فى «بوربندر» احدى الولايات الهندية ، وقد ظل الغانديون الذين هو من سلالتهم وزراء فى مقاطعة «كاتهياوار» مدى ثلاثة اجيال . وكانوا دائما ينالون حظا وافرا من الثقافة .

تربيته

كان والده هندوسيا متدينا ، وغرس فى نفس ولده روح المحبة للمدرسة وللمعتقدات التقليدية ، وهكذا نشأ غاندى زاهدا فى الحياة المادية حتى وصل به الزهد فى الدنيا الى أن ينفق كل ما أورثه جده ووالده فى أوجه البر ونشاط الخير ، وكان يعتقد أن المال سراب زائل لايحسب له حساب .

زواجه

لما بلغ غاندى الثامنة من عمره أعد له والده معدات زواجه على الطريقة المتبعة فى الهند . فلما بلغ الثالثة عشر عقد قرانه — وكانت زوجته تقاربه فى العمر . أنجب منها طفلا وهو فى سن الرابعة عشر والنصف ، حتى اذا بلغ التاسعة عشر أصبح والدا لاربعة اطفال .

سفره الى انجلترا

سافر غاندى الى لندن لدراسة القانون باحدى كلياتها ، وعارض اهل زوجته فى ذلك كما أظهر أهل طائفته الدينية عدم الرضا على هذه الرغبة ، ولكنه تغلب فى النهاية على هذه العقبة ، وتوجه نحو انجلترا ، وهو فى سن التاسعة عشرة من صيف ١٨٨٨ .

عند ما وصل الى لندن بهرت الثقافة الانجليزية أعينه ، وتجلت له لندن بهجة باهرة ، كما نجده يتحدث فى كتابه « تجاربى مع الحق » عن تلك الفترة من عمره . . . حاكيا كيف كان يحلم أن يحيا فى لندن حياة الرجل « الجنتلمان » . . . فيشترى بدلة سهرة بعشرة جنيهات . . . . ويأخذ دروسا فى الرقص والالقاء . . . . ويشترى ملابس فاخرة من بوندستريت — مركز أزياء السادة — فى لندن . . . . ثم لايكتفى بذلك بل يتلقى دروسا فى اللغة الفرنسية ويشترى « فيولين » (Violin) بثلاثة جنيهات ليتعلم العزف عليها .

ولكنه ما لبث ان استفاق يوما على صوت يهتف من اعماق ضميره : « هل أتيت الى لندن لتطالب العلم أم لتنشد المتعة والترف ؟ « أ من أجل هذا تركت وطنك واهلك وكل ما هو أثير لديك عزيز على قلبك » .

وأخذ منذ ذلك الحين يقتصد فى مصروفاته بقدر ما يستطيع ، هجر الموسيقى ، والرقص ، والالقاء ، وعاد الى الحياة التى كان يحياها فى وطنه ، حيث كان كثيرا ما يغشى المعبد ، ويتعلم مبادئ «راما» الروحانية ، وساعدته هذه الحياة البسيطة على التفرغ لدراسته ، فاجتاز امتحاناته بنجاح كبير ، حتى نال اجازة الحقوق فعاد الى وطنه .

غاندى فى جنوب افريقيا

علا اسم غاندى فى المحاماة بعد عودته من انجلترا بعامين ، فدعاه رجل ثرى من بومباى لينوب عنه فى مهمة له بجنوب افريقيا . وكان هذا الرجل كريم الخلق ، فقبل غاندى دعوته بطيب النفس والرضاء .

لقد كان سفر غاندى الى « الناتال » بجنوب افريقيا فى عام ١٨٩٣ نقطة تحول فى حياته وقلبه رأسا على عقب .

غير ان تلك الفترة التى كان غاندى يناقش فيها ظروف القضية التى جاء من أجلها الى الناتال ويقرأ فيها ويهتم بالقانونيات كانت حدا فاصلا وهاما فى حياته ... اذ كان خلال ذلك قد بدأ يدرك ما كان يتعرض له الرجل الملون الذى يعيش فى جنوب افريقيا من أذى وامتهان واحتقار .

فلاول مرة فى حياته تعرض للاهانة بسبب التمييز العنصرى عند ما القى به من القطار الذى يركبه لانه من الملونين فى جنوب افريقيا الذى لايحل لهم الركوب فى قطار واحد مع البيض ... كما ضرب يوما لمسيره فى بعض الشوارع بعد ساعات المرور المحددة للسود .

لقد بدأت مشكلة الملونين فى جنوب افريقيا تشغل باله وتجعله يتجه اليهم بقلبه ، فاخذ على عاتقه العمل على تحريرهم من النواحى القانونية والاجتماعية ، وتحمل فى سبيل ذلك أنواعا شتى من الاذى والعذاب كتعطيل عمله .. وضربه بالارجل .. وحبسه الحبس المتكرر .

وأن هذه الفترة تزداد أهمية من حيث أثرها فى كفاح غاندى فيما بعد ... فى الهند نفسها ... لان نشاط غاندى هذا فى جنوب افريقيا جعله يؤمن بعقيدته ونظريته المعروفة ، تلك هى نظرية — لاعنف ولاتعاون — بمعنى عدم التعاون مع فاعلى الشر من جهة ... ومن جهة اخرى الاستعداد لتحمل الاذى دون ايقاع الاذى بالغير .

العودة الى الهند

عاد الى الهند تلبية لرغبة كثير من أصدقائه لقيادة حركة منظمة لمناهضة الحكم البريطانى . وما كاد غاندى ينادى بالجهاد حتى اندلعت نيران

الثورة فى الهند من أقصاها الى أقصاها ، وأخذت تزداد شدة وعنفا حتى اضطرت الحكومة الى دفع هذا الخطر بالقاء القبض على غاندى وما كاد هذا النبأ ينشر فى البلاد حتى اندفعت الجماهير ثائرة زرافات نحو مدينة «امرتسر» فأمر الجنرال «داير» ضابط البوليس العام بتفريق شمل هذه الجموع المحتشدة .

وفى يوم ١٣ ابريل احتشدت مرة اخرى فى نفس المكان أثناء احدى الحفلات التى جمعت بعض الشعراء الوطنيين . فأصدر الجنرال أمره باطلاق الرصاص على الجماهير صونا للامن فقتل عدد يتراوح بين خمسمائة وستمائة من الوطنيين .

غاندى وحركة العصيان المدنى

سار الشعب بخطى متئدة مؤيدا ومعضدا زعيمه وسلم اليه مقاليد أموره ــ فطالب غاندى الحاكم العام فورا بتنفيذ قرارات حزب المؤتمر الوطنى فى مدى شهر واحد والالجاء الى خطة عدم التعاون مع الحكومة ، وكان نص خطابه كما يلى .

«ان أمامى سبيلين لابد من سلوك أحدهما فاما ان اسلم بكل تصرفات الدولة البريطانية اذا كان الدستور الانجليزى يقرها وعلى هذا يجب أن اطالب الحكومة باقامة العدل تطبيقا لنصوص هذا الدستور الذى لازلت اعتقد أنه من أسمى دساتير العالم ، أو أن أمر الشعب بعصيان الحكومة حتى تجاب مطالبنا» .

وكان غاندى يرى من توجيه ذلك الخطاب الى انذار الحكومة يبدأ حركة العصيان المدنى فتحيرت الحكومة فى الامر ولم تجد سبيلا تسلكه ازاء هذا الوعيد والتهديد .

ثم أعلن غاندى فى يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٠ تنفيذ مبدأ عدم التعاون مع الحكومة وسرعان ما سرت هذه الدعوة الى جميع الولايات الهندية الشاسعة ، ثم نشر فى اليوم ذاته عناصر هذا المبدأ وهى .

١ — التنازل عن جميع الرتب وألقاب الشرف والاستقالة من الوظائف الحكومية .

٢ — عدم الاكتتاب لديون الحكومة .

٣ — مقاطعة مدارسها .

٤ — اهمال تطبيق قانون الدولة ووضع مجلس تشريعى جديد يحل محله ومعنى ذلك رفض التقاضى امام المحاكم بالقانون الانجليزى وابطال عمل المحامين الذين يترافعون بنصوصه .

٥ — مقاطعة المجالس التشريعية فى الولايات .

٦ — عدم حضور اى اجتماعات الحكومة او أداء أوامرها وواجباتها الرسمية .

٧ — الامتناع عن قبول الوظائف الحربية والمدنية .

٨ — مقاطعة البضائع الانجليزية وعدم استخدام وسائل المعيشة الانجليزية .

انتشرت حركة « سوديشى » فى شتى أنحاء الهند وحرص الشعب على مبادئ غاندى بحذافيرها . واجتمع عدد كبير من سكان بومباى حول كومة من الاقمشة الاوروبية التى أشعلت فيها النيران . وأخذوا يرقصون . ولم تستطع الحكومة وقف الاضطرابات والانقلابات التى تتابعت فى الهند وتفاقمت الكراهية بينها وبين الجماهير . وفى مايو سنة ١٩٢٠ أضرب اثنا

عشر الفا من عمال المزارع فاضطر أصحابها بالاستنجاد بالحكومة ، فوقعت اذ ذاك معارك دامية لم يعرف على التحديد عدد ضحاياها .

القبض على غاندى

وفى يوم ١٠ مارس ١٩٢٢ هاجم رجال البوليس دار غاندى وقبضوا عليه وعلى بعض اتباعه تمهيدا لمحاكمتهم ، وسمح للسيدات بمتابعة المقبوض عليهم الى باب السجن .

المحاكمة

كان لهذا الحادث الفاجع وقع صدى الصاعقة فى أنحاء البلاد ، وانتشر النبأ بين طبقات الشعب ، ولم يقتصر انتشار الخبر على بلاد الهند ، بل تعداها الى كافة انحاء المعمورة . فارسلت الصحف العالمية مندوبين لها الى الهند لحضور جلسات محاكمة الزعيم الهندى .

وفى يوم السبت ١٨ مارس ١٩٢٢ غصت قاعة الجلسة فى أحمدآباد بجماهير الشعب ، وكان التحقيق يجرى بسرعة فائقة لكى يصدر الحاكم عاجلا . وفى بدء انعقاد الجلسة تبادل المستر س . ن . برومسفيلد القاضى التحية مع غاندى ، ووجه اليه أسئلة محرجة ولكن غاندى كان يرد عليها بحكمة وثقة .

وجهت الى غاندى تهمة قلب نظام الحكم ، ونشر عبارات مثيرة على صفحات الجرائد ، وألقى غاندى خطابا أمام المحكمة يقول فيه :

« لقد كنت اريد أن أتجنب العنف ثم كان على أن أختار بين أحد الشيئين . . . اما الخضوع لنظام أؤمن بانه يضر ببلادى ضررا بالغا . . واما ان أحتم خطرا لجماهير الثائرة ، وقد انفجروا بعد ان فهموا حقيقة

الامور من شفتى . . انى ادرك ان مواطنى قد طاش صوابهم فى بعض الحالات . .

وانى لحزين ـــ

حزين كل الحزن من أجل ذلك . . .

لهذا فانى هنا أمام المحكمة أقدم نفسى . . .

لا لأنال عقوبة مخففة . . . بل لاتلقى أشد العقوبات . . .

ويرد القاضى على غاندى :

انك فى نظر الملايين من مواطنيك وطنى غيور كبير . . وحتى أولئك الذين يخالفونك فى الرأى ينظرون اليك نظرة احترام بالغ ويرون انك رجل ذو مثل عليا وحياة طاهرة شريفة . . ولكنك مع ذلك لم تجعل لحكومة وسيلة لان تتركك حرا طليقا .

ويحكم القاضى على غاندى بالحبس ست سنوات حبسا بسيطا وهو يقول له :

اذا كان مجرى الحوادث فى الهند يسمح للحكومة يوما ان تخفض هذا الحكم . . . فلن يكون هناك من هو أسعد منى بذلك .

شهد الحاضرون مظهرا رائعا من مظاهر الاجلال والرهبة لم يألفوه فى تاريخ الهند ، اذ بدا تقدير القاضى لغاندى وعطفه عليه ، وتكريمه وتمجيده لشخصه ولكن ذلك لم يمنعه من أن يطبق عليه أخف عقوبة نص عليها القانون . . تلك هى السجن ست سنوات لحكم به .

نظر غاندي الى اصدقائه عقب صدور الحكم عليه نظرة وداع واشفاق واقتيد الى سجن «سابرمتى» واثناء اقامته فى السجن كتب الى اصدقائه يصف مايلاقيه من حسن المعاملة من ارباب السجن ثم نقل الى سجن (يرودا) وهو أكثر عزلة من السجن الاول ومجاور لـ« بونا » ثم اذن له بالقراءة والكتابة وتحرير الرسائل .

وتمضى السنوات بغاندى وهو فى سجنه حتى تسوء صحته مما يقتضى اجراء عملية جراحية له فى فبراير عام ١٩٢٤ ثم الافراج عنه دون قيد او شرط .

وبعد ذلك بدأ غاندى يعمل على توحيد الصفوف بين الهندوس والمسلمين والقضاء على نظام المنبوذين . . والعمل على الاكثار من الاقمشة التى تنتجها المغازل اليدوية فى البيوت . . حتى شجر اخيرا الخلاف فى الرأى بين الفريق الذى يرى ان يقتنع بالاستقلال الذاتى داخل الامبراطورية البريطانية من امثال غاندى وموتى لال نهرو . . وبين الفريق الاخر الذى يتألف من الشباب بزعامة جواهر لال نهرو . . الذى كان يطمع فى اعلان استقلال الهند التام فورا . . حتى كتب الفوز فى ذلك الخلاف لعناصر الشباب . . فلم يسع الا ان ينزل على رغبة الاغلبية . . ومنذ تلك اللحظة . . واصبح الاستقلال الكامل هو الهدف الذى تسعى اليه الهند .

قوانين الملح

وجاء عام ١٩٣٠ من تاريخ سنوات نضال الشعب الهندى بقيادة افكار الشبان السياسيين . . ليعود غاندى من جديد لاعلان العصيان المدنى . . مؤكدا عزمه على خرق قوانين الملح التى أثقلت كاهل الفقراء .

وفى ١٢ مارس ١٩٣٠ مشى غاندى وأتباعه مسافة مائتى ميل حتى وصلوا ساحل البحر وفى مقدمتهم غاندى يحمل فى يده دلوا يملأه من ماء البحر ليقطره ويستخرج منه الملح .

وقبض على غاندى لهذا التصرف . ولكن ذلك لم يوقف حملة العصيان فقد هاجم الهنود مستودعات الملح بقيادة السيدة سورجنى نائيدو ، فضربهم البوليس ضربا مؤذيا فى أكثر من بلد هاجموا فيها مستودعات الملح ، مما أتعب الحكومة ، حتى اضطرت آخر الامر الى الافراج عن غاندى وبقية الزعماء ، وأخذ نائب الملك يتفاوض معهم فى يناير ١٩٣١ حتى استطاع ان يقنع غاندى بايقاف حركة الجهاد السلبى ، ورضى نائب الملك بالغاء قانون احتكار الملح ، ثم اتبع ذلك باصدار عفو عام عن جميع من قبض عليهم . واتفق الطرفان على عقد مؤتمر المائده المستديرة فى لندن لوضع مشروع دستور للهند .

مؤتمر المائدة المستديرة

وأبحر غاندى الى لندن فى ٣١ أغسطس ١٩٣١ يحمل معه ست عجلات للغزل ، كان يعمل على واحدة منها خلال استقباله للجموع العديدة التى وفدت لزيارته من العظماء والمحبين والفضوليين . أما مؤتمر المائدة المستديرة فقد فشل .

واستمر حزب المؤتمر الوطنى للهند فى نضاله للحصول على الاستقلال التام للهند ، حتى جاء عام ١٩٤٢ ، وعرض غاندى للجنة التنفيذية للمؤتمر التى كانت منعقدة اذذاك فى بومباى قراره الشهير - اجلو عن الهند ... ثم اعلن عن عزمه على خوض معركة جديدة ضد الاستعمار البريطانى ، فلم تمض أيام حتى كان الانجليز قد قبضوا عليه .

وقد ظل غاندى فى تلك المرة معتقلا فى قصر «أغاخان» فى بونا حتى فبراير ١٩٤٤ حيث اطلق سراحه بسبب سوء حالته الصحية .

ومع خروج الانجليز من الهند، كانت الفتنة بين الهندوس والمسلمين فى الهند وباكستان قد أخذت تطل برأسها ليثبت غاندى من جديد أنه رجل الساعة، انه المنقذ الوحيد من تلك المحنة، فاخذ يتنقل من بلد الى بلد، يدعو جميع الهنود للمحبة والسلام. فلما وصل الى كلكتا فرض على نفسه الصيام حتى الموت وآلى على نفسه الا يرجع عن ذلك حتى تنتهى الاضطرابات الطائفية، فلم تمض ايام حتى عاهده اهل المدينة على الاستجابة لندائه. ثم انتقل غاندى الى نيودلهى وآلى كذلك على نفسه هناك ايضا أن يصوم مرة اخرى حتى الموت، فلم تمتد ايام صيامه سوى من ١٣ الى ١٨ يناير حيث تقدمت لجنة السلام تمثل جميع عناصر السكان فى دلهى توقع عهدا بان تكون صلتها بالمسلمين صلة الاخ بأخيه، وأن تحمى حياتهم واتذود عن عقيدتهم. ثم لم يمض على ذلك يومين حتى انفجرت قنبلة بالقرب من غاندى وهو يخطب للصلاة فى حشد، ثم تكررت المحاولة بطريقة اخرى فى ٣٠ من يناير ١٩٤٨، عند ما كان غاندى يقترب من منصة الخطابة ليخطب فى المصلين، اذ اعترض طريقه شاب هندوسى فاطلق عليه ثلاث رصاصات من مسدس كان يحمله. تلقاها غاندى فاتحا لها ذراعيه، قبل ان يسقط مبتسما

من أقوال غاندى

ليس رسالتى قاصرة على تنمية الشعور بالاخوة والانسانية بين الهنود وحدهم.. ولا هى قاصرة على تحقيق استقلال الهند.. وان كان ذلك قد ملك على كل وقتى.. ولكننى أؤمل ان احمل رسالة الاخوة بين البشر جميعا عن طريق تحرير الهند.

«ان الحق هو عقيدتى.. والبعد عن العنف هو وسيلتى.. فلقد كفرت بشريعة السيف الى غير رجعة.»

«انى أود أن احس بان ريح الثقافة تهب من جميع انحاء العالم حول بيتى .. ولكننى لا اقبل أن يكتسحنى احد بتياراتها أمامه .»

«ان كلمة الاستقلال تفقد كل معنى لو اننا استبقينا خمس سكان الهند راسفين فى اغلال الذل والعبودية وحرمناهم عامدين من ثمرة ثقافتنا القومية، اننا لو تجردنا من انسانيتنا بالابقاء على هذا النظام فلا يحق لنا ان نطمع فى أن نشكو الى الله عند ما نقف بين يديه من تجرد غيرنا من انسانيتهم نحونا .

تعاليمه ونصائحه

انطوت نصائح غاندى الثمينة على تلقين الهنود واجبات تتلخص فى الامور الآتية :

١ — أن يعملوا على قول الحق .

٢ — أن يتحابوا .

٣ — أن يمرنوا اجسادهم على الرياضة البدنية .

٤ — أن يحافظوا على أودهم فقد بين لهم كثيرا ان الطعام لم يخلق الا لحفظ كيان البدن . وأن من الواجب الاقلاع عن اجهاده بالغذاء الزائد وشرب الخمر ، وادمان تعاطى المخدرات .

٥ — أن يتبسطوا فى اقتناء لوازمهم .

٦ — ان يعتقدوا ان خير المال ما جمع من الكد والتعب ان لا بركة فى مال يجنى بغير مشقة .

٧ — ان معاونة الجار واجبة .

٨ — أن يثق ابناء الشعب ان الناس سواسية ، فلا فرق بين اجناس البشر المختلفة .

٩ — الا يعرقل الخوف مسعاهم .

أضواء على التاريخ الاسلامى فى الهند

بقلم محى الدين الألوائى

(٣)

سبق أن عرفنا الأثر الذى تركه مجدد الألف الثانى الشيخ احمد السرهندى ، فى تاريخ دعوة الاسلام وتطوراتها فى القارة الهندية ، وجاء بعده الشيخ الامام شاه ولى الله الدهلوى (١١١٤ هـ - ١١٧٦ هـ) . فشرع فى مهمة التجديد الدينى من جميع نواحيه بثبات وهمة ونشاط ، وحكمة وأناة ، وبدأ فى ارشاد المسلمين الى مواطن الضعف فيهم . وشرع لهم مناهج علاجه الناجع ، وفى توجيههم الى مبادئ سامية وأخلاق فاضلة ، وخصال حميدة ، حتى نجح فى تكوين فكرة شاملة للاسلام ونظمه ، واهتم بنشرها وشرحها فى كتبه ومؤلفاته ، وخطبه ، وعظاته . حتى أتاح الله له أن تتخرج على يديه جماعة صالحة من أبنائه وتلاميذه وأتباعه . وأما الافاضة فى بيان آرائه وأفكاره ، والاحاطة باعماله وخدماته . فيطول بها الكلام ، ولا يسع لها المقام .

ولقد علمنا مما سبق أن العلماء والمشايخ قلما كانوا يهتمون فى تلك الفترة بدراسة الكتاب والسنة ، وتدبر معانيهما . وكان جل همهم الكتب الفقهية والكلامية ، فأرشدهم إلى هذا الموطن والضعف ، وصنف كتابا جامعا فى اصول التفسير ، وترجم لهم ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته باللغة الفارسية التى كانت اللغة الرسمية السائدة فى البلاد حينذاك لكى يفهم العامة معانيها عند تلاوة القرآن بأصله العربى ، وكذلك أرشدهم إلى

أصول الحديث النبوى ومافيه من معان سامية وتوجيهات حكيمة ، وأسرار بالغة ، ودعا الناس كافة إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله . فنبههم هذا الامام المصلح الى ترك التقليد الأعمى ، والأخذ بأقوال الفقهاء بعد البحث والتحقيق . فبين لهم أسباب اختلاف المجتهدين ، وشرع لهم مسألة الاجتهاد والتقليد . فلايخفى على من اطلع على كتابه الشهيد «حجة الله البالغة» وكذلك «الانصاف فى بيان سبب الاختلاف» أنه كان يسعى للتوفيق بين مذاهب الأئمة . وله بحوث قيمة فى هذا المضمار .

ومن الخدمات الجليلة الفريدة التى يسجلها التاريخ بمداد من نور ، جهده البالغ فى نشر علوم السنة فى الهند ، وهو أول من شرح أول كتاب فى الحديث ، وهو «كتاب الموطا» للامام مالك بن أنس رضى الله عنه فشرحه بالعربية والفارسية تعميما للفائدة ، ونشرا للاحاديث النبوية الشريفة ومعانيها بين العرب والعجم . وكذلك شرح تراجم أبواب البخارى ، ووضع رسالة ممتازة باسم «الفضل المبين من حديث النبى الأمين» ، وأما كتابه المذكور آنفا «حجة الله البالغة» فكتاب فريد لانظير له فى أسرار الحديث والفقه والتصوف النقى . وبفضل حركاته الاصلاحية دب النشاط فى المدارس الدينية وبين العلماء وجمهور المسلمين ، ونشطت اللغة العربية ، ونهضت السنة ، بعد أن كان الناس يأخذون بما جاء فى كتب الفقه ، من غير تبصر ولاتفكر ، وكانوا يقلدونها تقليدا أعمى ، بل كان كل كتاب وضع قبل زمانهم بيد فقيه أو شيخ يعتبر حجة فى الاسلام ، ولايحيدون عنه قيد أنملة ، وينظرون الى من يدعوهم الى البحث والتحقيق ، بعين الازدراء .

وكان هذا الشيخ الجليل نعمة كبرى فى سبيل نشر علوم الكتاب والسنة فى أرض الهند ، وانتشار التعاليم الدينية الصحيحة .

وقد من الله على الأمة المسلمة فى الهند بجماعة صالحة من أبناء هذا المصلح الكبير، وتلاميذه الاجلاء الذين اغترفوا من ينابيع أفكاره الخصبة، وآرائه النيرة، وأرسلوا النور والعرفان الى أرجاء الهند المليئة بالخرافات والشرك والضلال، وأضاءوا الطريق أمام المسلمين بأنوار الكتاب والسنة وأشعلوا فى قلوبهم نور العلم والتقى، وجاهدوا فى سبيل توطيد دعائم الدعوة الاسلامية واعلاء كلمة الله، وتنفيذ الشريعة الالهية وبذلوا كل غال ورخيص فى تذليل العقبات، وتمهيد الطرق أمام الأجيال القادمة ليعيشوا عيشة اسلامية حقة بعيدة عن الجمود والتقليد والخوف والجبن.

وهكذا سجل تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند الشيخ الامام شاه ولى الله الدهلوى، فى سجل أبطال هده الدعوة، ودرة تاجها فى هذه البقعة الشاسعة العريقة منذ القدم.

وأن الامام ولى الله الدهلوى قد سقى شجرة الاصلاح والتجديد التى غرسها الشيخ السرهندى من علمه وفكره الناضج. وقد انحصرت مساعيهما فى تنقيح الأفكار وتذليل العقبات للحركة الدينية الشاملة، وتمهيد السبيل لاقامة شعائر الدين، واعلاء كلمة الله، وكانت أهدافهما الاولى تنوير الأذهان وصقل الأفكار، وتهيئة القلوب لقبول الدعوة، وإعداد النفوس للبذل والتضحية فى سبيل الله، وتحرير العقول من الجمود والتقليد الأعمى، وتخليص نفوسهم من الخوف والجبن.

وقد ظهرت فعلا أمارات الاصلاح والتجديد، وتباشير اليقظة الفكرية، والنهضة الاسلامية فى طول الهند وعرضها، بفضل جهودهما. وظهر من بعدهما مصلحان كبيران قاما بالحركة الدينية العظيمة الشاملة،

والدعوة الاسلامية الجامعة ، واضطلعا بهذه الأعباء الخطيرة حتى ماتا شهيدين فى سبيل تبيين معالم الاسلام ، وإحياء نظمه البيضاء ، بعد أن رسما الخطوات العملية للمصلحين ، وأنارا الطريق أمامهم للبذل والتضحية بكل رخيص وغال فى سبيل تحقيق أهداف نبيلة ، وغاية منشوده .

والامامان المصلحان ، هما السيد احمد بن عرفان ، والشيخ اسماعيل بن عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى .

وقد ولد السيد احمد بن عرفان فى عام ١٢٠٥ ﻫ فى بيت علم وورع وتقى ، وتلمذ على الشيخ المفضال عبد العزيز بن ولى الله الدهلوى ، وقام السيد احمد بن عرفان بالدعوة الاصلاحية بين أصحابه ومريديه للرجوع الى كنف الشريعة الخالصة واجتناب البدع والخرافات ، والابتعاد عن جميع أنواع شوائب الشرك المتغلغلة فى حياتهم الاجتماعية لحديث عهدهم بالاسلام ، أو بشديد اختلاطهم بالمجتمع الوثنى ، وقام الشيخ وأصحابه فى خلال الفتره من ١٢٣١-١٢٣٦ ﻫ بجولات واسعة فى أنحاء الهند .

وكان الناس يقبلون على الاستماع الى مواعظهم وارشاداتهم ، وهرعوا لاستقبالهم والترحيب بهم فى كل مدينة أو قرية نزلوا بها .

وفى أواخر عام ١٢٣٦ ﻫ سافروا الى الحجاز لتأدية فريضة الحج ، والقيام بدعوة شاملة الى الاسلام والاصلاح الدينى فى ربوع القارة الهندية ، وغيرها بقدر ما تتاح لهم الفرص ، وتسمح لهم الظروف . وقاموا بغرس نواة صالحة للدعوة الاسلامية فى أثناء الطريق فى الحدود الشمالية الغربية للهند ، حيث استفحل الانحلال ، وعم الفساد فى اخلاق الناس وعقائدهم وأعمالهم ، وتشرف ألوف من الناس بصحبتهم ، واستفادوا من معارفهم

ومكارم أخلاقهم . غير أن مئات الألوف من الناس قد اسلموا بفضل هذه الرحلة الميمونة .

وفى تلك الأيام قد أفتى بعض العلماء من ضعاف النفوس بسقوط فريضة الحج لعدم الأمن وخوف الفتن فى الطريق ، وجاءت رحلة الشيخ احمد بن عرفان وصحبه الى بيت الله الحرام ، وعودتهم سالمين غانمين بعد ما أثمرت وآتت أكلها دليلا حيا على خطأ رأى هؤلاء العلماء ، وفاتحة عهد جديد فى تاريخ الدعوة الاسلامية الشاملة .

ومما هو جدير بالذكر فى هذه المناسبة ، وفاء لحق التاريخ ، وتذكرة لكل من له قلب أو ألقى السمع ، فكانت دعوة هؤلاء المصلحين قائمة على احياء السنة النبوية الخالصة ، والاعتصام بحبل الله المتين ، وتنقية الدين الحنيف من شوائب البدع والخرافات ، وتصحيح العقائد الدينية من أدران الشرك ، ونشر التوحيد النقى فى الأمة المحمدية ، ولكن علماء السوء وأصحاب البدع لم تعجبهم هذه الدعوة السمحاء ، وخافوا على فوات منافعهم الخاصة ، وضياع نفوذهم الزائف فى عامة الناس ، وأثار هؤلاء العلماء الأوهام والشكوك فى أذهان البسطاء لكى يثوروا عليهم بدافع الحرص على التقاليد الموروثة من آبائهم وأجدادهم ، ودب الخلاف والتفرق فى صفوف المسلمين ، وكادت تذهب ريح هذه النهضة المباركة ، والفتوح الباهرة ، وتبوء مساعيهم الجميلة بالفشل ، ولكن السيد احمد بن عرفان ومن معه من المصلحين الكبار ، لما رأوا اشتداد مقاومه علماء البدع ، وتحريضهم لرجال القبائل ضد هؤلاء الدعاة المخلصين ، بحجة أنهم خارجون على ما وجدنا عليه آباءنا الأولين ، غادروا البلاد الواقعة فى الحدود الشمالية الغربية

للقارة الهندية الى بلاد كشمير . وفى أثناء الطريق نشبت حرب دامية فى موضع بين كشمير والحدود الشمالية وبين هؤلاء المجاهدين وأعدائهم، واستشهد فيها العالمان الجليلان، والمصلحان العظيمان، السيد احمد بن عرفان والشيخ اسماعيل بن عبد الغنى وذلك فى عام ١٢٤٦ﻫ بعد أن أيقظا قلوب الملايين. وأرسلا النور والعرفان الى نفوسهم، وشحذا الهمم والعزائم للجهاد والنضال فى سبيل الدعوة الاسلامية، ومهدا الطريق بدمائهما الطاهرة لحركة اسلامية شاملة فى تلك البقاع الشاسعة .

ويرجع الفضل الأكبر فى النهضة الدينية الاصلاحية التى تراها اليوم فى بلاد الهند الى الحركة المباركة التى قام بها هذان الشهيدان المصلحان وزملاؤهما وبذلوا كل الجهود لنشر المبادئ الدينية الحقة والسنة النبوية الخالصة، ومحاربة البدع والمنكرات وأن الكتاب القيم «تقوية الايمان» الذى ألفه الشيخ اسماعيل الشهيد، فى التوحيد، كان بمثابة مرجع عام للداعين الى التوحيد الخالص، وتطهير عقائد المسلمين من أدران الشرك والالحاد، وترك هو وشيخه السيد احمد الشهيد مؤلفات قيمة، ورسائل نافعة للاسلام والمسلمين، لتكون قبسا للمصلحين، ورمزا للعاملين.

وكان الامام الشهيد اسماعيل بن عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى يعد حقا خليفة أبيه وجده. ووارث علومهما، وهو بمثابة درة التاج لبيت الدهلوى، وخرّج هذا البيت ستة من أعلام العلم والفضل والتقى والجهاد فى تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند، وأصبحوا جزءا لايتجزأ من حياة الأمة الاسلامية وكيانها، ونهضتها الدينية والاصلاحية فى ربوع البلاد، وهم : الشاه عبد العزيز بن ولى الله الدهلوى، ورفيع الدين ابن الدهلوى،

وعبد القادر بن الدهلوى، وعبدالغنى ابن الدهلوى، والشاه محمد اسحاق سبط الامام الدهلوى، والشيخ اسماعيل بن عبد الغنى بن الدهلوى.

ونجحت الحركة الاصلاحية التى قام بها هذان المصلحان فى ايقاظ الحمية الاسلامية، واذكاء قلوب المسلمين، وبعث الهمم الغافلة، وكانت أهدافهما المنشودة هى إحياء نظام الاسلام الكامل وتنفيذه فى البلاد.

وبين السيد احمد الشهيد، والشيخ اسماعيل الشهيد هذه الأهداف فى رسائلهما ومؤلفاتهما ـ بعد أن مهد لهما ولى الله الدهلوى بتنقيح الأفكار، وتطهير النفوس، وتنوير العقول بأنوار الكتاب والسنة، فكان الطريق ممهدا للقيام بحركة اسلامية شاملة، ودعوة اصلاحية جامعة.

وعلى رغم إحراز هذه الحركة نجاحا ملحوظا فى الاصلاح الدينى، واحياء التعاليم الاسلامية الصحيحة، ونشر السنة ومحاربة البدع، لم تحرز انتصارا فى إقامة حكم إسلامى عام، وتنفيذ شريعته فى تلك البقاع، وبينما كانت آثار هذه الحركة الاصلاحية تستمر بأيدى العلماء المصلحين المكافحين فى داخل الهند وخارجها، قامت فى الهند الثورة الكبرى ضد الانجليز المستعمرين، وذلك فى عام ١٢٧٣ ﻫ ١٨٥٧ م وكان المسلمون فى طليعة الثوار، وثار الجيش الهندى أيضا ضد الحكم الانجليزى الغاشم، وأرادوا القضاء على سلطة بريطانيا فى البلاد، ودامت الثورة بضعة أشهر، ولكن القدر لم يسمح لها بالنجاح، والظروف لم تتح لها الانتصار، واستطاع الانجليز بواسطة جيشهم، وبعض عملائهم من الهنود أن يقضوا على الثورة، ويفتكوا بالثوار المجاهدين. ومنذ هذه الثورة تعرض المواطنون المخلصون لأنواع من الاضطهادات والمضايقات من جانب الحكومة البريطانية فى الهند.

وصار المسلمون عرضة لتنكيب الانجليز، ونصب اعينهم الانتقام منهم، لمساهمتهم الرئيسية فى الثورة ضدهم ونظرا لمقاومة الحكام المسلمين الشديدة للمستعمرين.

واستخدم الانجليز سلاحهم الشهير «فرق تسد» واستعملوه فى الهند ذى حدين: للتفريق بين المواطنين عامة، باسم الهندوس والمسلمين، والسيخ والمسحيين، وما إلى ذلك من الطوائف التى تتكون منها القارة الهندية، وللتفريق بين المسلمين خاصة، بايجاد الفتن فى صفوفهم، كهذا سنى وذاك شيعى، وأن فلانا وهابى، وآخر من أهل الحديث، وهكذا؛ ثم كانوا يحرضون العامة والجهلة من أتباع كل جماعة ضد الجماعة الأخرى، وبهذه الوسيلة نجح الانجليز فى بث سموم الفرقة بين المسلمين، واشعال نار الفتن والتعصب الطائفى فى البلاد، وانتشر نوع من الخوف واليأس فى قلوب ضعاف النفوس من المسلمين.

وعند ما أصبح أمر المسلمين، كما ذكرنا من حالة سيئة بسبب اضطهاد الانجليز، وتفرق الكلمة بين المسلمين انفسهم، والجبن، والفزع، واليأس الذى انتشر فى الأمة بأيدى علماء السوء، وضعاف الهمم، قامت فى البلاد حركات ثلاث لها أعظم الأثر فى الدعوة الاسلامية فى الهند، قبيل الاستقلال وبعده، وهى بمثابة مدارس فكرية ثلاث بالنسبة الى مسلمى الهند اليوم. وهذه الحركات الثلاث تستهدف، أولا وقبل كل شئ، الى النهضة التعليمية كل فى دائرة أفكارها، ولها صفحات مجيدة فى ميدان نشر العلوم الاسلامية، والثقافة العربية بين المسلمين فى شبه القارة، وساعدت على تكوين جيل

من ابناء الاسلام، وقد حملوا لواء هذه الدعوة فى ربوعها، وعملوا لاعادة الشجاعة الفكرية، وايقاظ الهمم الراكدة، وايقاد شعلة النور والعرفان فى قلوب الملايين.

وكانت هذه المدارس الفكرية الثلاث ـ إن صح هذا التعبير ـ بمثابة المراكز العلمية لنشر العلوم الاسلامية واللغة العربية بين المسلمين فى القارة الهندية.

وخرجت هذه المراكز رجالا بارزين مسلحين بقدر واف من المعارف والعلوم فقاموا بحمل لواء الدعوة الاسلامية فى تلك البقاع، وعملوا لاعادة الشجاعة الفكريه الى قلوب المسلمين بعد أن اعتراها الفتور والضعف واليأس بسبب اضطهاد الاستعمار الانجليزى وتصرفات علماء السوء واعمال ضعاف النفوس الدين لا ينبسون فى أوقات المحن، ولا يجاهدون فى سبيل الله حق جهاده.

ولما حدثت الثورة الهنديه الكبرى فى سنه ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧ م - بأيدى العناصر الوطنية المتحمسة فى الجيش الهندى للقضاء على سلطة الانجليز فى البلاد، وامتصاصهم لدماء الشعب، نهض المسلمون فى طليعة الثوار لمكافحة الحكم الأجنبى، فقد بلغ اضطهاد الحكومة الانجليزية للوطنيين أشده، ولا سيما المسلمون منهم، لأنهم كانوا فى مقدمة المناضلين لأجل تحرير الوطن، كما أنهم كانوا حكام هذه البلاد قبل حكم الانجليز الغاشم. ومن الأساليب التى استعملوها ضد المسلمين ايجاد الفتن وبث بذور الشقاق فى صفوف المسلمين أنفسهم، ثم بينهم وبين إخوانهم المواطنين من الطوائف الأخرى، وكذلك ابعادهم عن المراكز العلمية

الهامة، ومنابع الاشعاع الثقافى العام. ولما اشتدت وطأتهم بمستقبل المسلمين، ومحاولتهم للقضاء على كيانهم الخاص، قام جماعة من المفكرين المصلحين بعزم وحزم لانتشال المسلمين من هذه الهوة، وسد الثلمة التى حدثت فى حياتهم الدينية والسياسية.

ومن الذين نهضوا بهذه المهمة الخطيرة، من آثروا فتح المعاهد الدينية الحرة، وتعميم التعليم الدينى المجانى فى المدن والقرى، بحيث لا يكون للحكومة الاستعمارية أى إشراف ولا رقابة فيها، لأنهم رأوا فى الحكومة الانجليزية اضطهادا للشئون الاسلامية، والحركات الوطنية، ودعاية للمدنية الغربية. وكان فيهم أيضا من دعا الى ضرورة نشر التعليم العصرى بين المسلمين والاقتطاف من ثمراته، والجمع بين العلوم الدينية والعصرية - على حد تعبيرهم - وفى مقدمة هؤلاء المصلحين، السيد احمدخان، الذى دعا المسلمين الهنود إلى الاقبال على التعليم العصرى، بجانب التعليم الدينى، فأسس كلية كبيرة فى مدينة «عليكرة فى عام ١٢٩٣هـ - وهى التى أصبحت الآن جامعة «عليكرة الاسلامية» الشهيرة فى شبه القارة الهندية. وصارت جامعة عليكرة مركزا للاشعاع الفكرى المزدوج بين الثقافة الاسلامية والثقافة الغربية. وفى ظل هذا المعهد الثقافى العالى نشأت مدرسة فكرية جديدة فى الهند، ولم يسبق لها مثيل فى تاريخها المديد.

وكان لحوادث الثورة الكبرى المضادة للانجليز أثران فى قلوب المصلحين المسلمين. فبينما أفتى جماعة منهم بوجوب مشاركة المسلمين فى الثورة نظرا لسياسة الحكومة الاستعمارية القائمة على اضطهاد المسلمين، ونشر الحضارة الغربية فى البلاد بجميع الوسائل، رأى بعضهم أنه من

المستحسن القيام بازالة سوء التفاهم الذى وقع فى قلوب رجال الحكومة تجاه المسلمين، وللتقريب بين وجهة نظر الطرفين، واختاروا لذلك سبيل نشر الثقافة المزدوجة من الغربية والشرقية، ومحاكاة الانجليز - الى حد ما - فى طرق المعيشة. وكان السيد احمد خان واضرابه من اوائل المؤيدين لهذا الرأى.

ولا يمكن لاحد أن ينكر ما لهذا الرجل من فضل على النهضة التعليمية المتوثبة فى المجتمع الاسلامى فى الهند، بواسطة تلك الجامعة التى أسس بنيانها، وثبت كيانها، وأرسى قواعدها، إذ كان المسلمون حيارى بين الصراعين الفكريين المتطرفين. فصراع يجذبهم إلى النظام التعليمى الغربى الخالص، وآخر يجرهم إلى المنهاج التعليمى العقيم المتبع فى المدارس الهندية القديمة. وعلى رغم العيوب التى يصبها عليه ناقدوه جزافا، والتهم التى يوجهها إليه معارضوه فى مبادئه وفلسفته وآرائه. وفى طرق اصلاحاته ومناهجه، فله يد طولى فى تثقيف الأمة الاسلاميه وتنويرها.

ومن ضمن القائلين بوجوب مقاومة الحكومة البريطانية والمشاركة فى الثورة ضدها، ومقاطعة معاهدها ومدارسها. جمع غفير من الشيوخ والعلماء، ودعوا إلى نشر التعليم الدينى على المنهج القديم الذى ورثوه عن شيوخهم جيلا بعد جيل. وراعوا فى ذلك نظام التدريس والالقاء والاملاء والسماع المتبع لدى السلف الصالح. وأول مدرسة دينية أتت الى حيز الوجود من هذا الطراز هى «دار العلوم» فى «ديوبند». وقد أصبحت الآن هذه المدرسة من أشهر المعاهد الدينية فى الهند، ويأتى إليها الطلاب من شتى بلدان آسيا وأفريقيا، والدراسة والاقامة فيها بالمجان. فضلا عن

أنها تنفق على مئات الطلبة الغرباء . ولعلمائها صفحات مجيدة فى الكفاح الوطنى ، ونشر الدعوة الاسلامية فى ربوع البلاد . وجدير بالذكر أن معظم الزعماء المسلمين السياسيين فى شبه القارة الهندية قد تلقوا علومهم فى جامعة عليكرة ، وتشربت قلوبهم بروح الكفاح فى سبيل الاسلام والوطن والأمة ، وساهموا مساهمة فعالة فى تحرير الوطن من الحكم الانجليزى الغاشم .

وكان من جراء الاختلاف فى وجهة نظر هاتين المؤسستين التعليميتين ـ ديوبند ، وعليكره ـ أن نشأت فى الهند مدرستان فكريتان ، مدرسة تحافظ على منهاج التعليم القديم ، وتقفل أبوابها أمام الأفكار العصرية التى وردت فى طى الاعاصير الغربية ، وأنظمة التعليم الحديثة . وتتبع هذه المدرسة الفكرية مئات من دور العلم ، ومعاهده فى مختلف مدن الهند وقراها . فكما ترى بعض مواطن النقص ومواضع الخلل فى المناهج التعليمية القديمة المتبعة فى هذه المدارس الدينية ، نجد فى مناهج أصحاب المدرسة الفكرية الأولى ميولا متدفقة إلى النظم الأوربية المتطرفة ، وأن أبوابها مفتوحة على مصاريعها أمام الأفكار الأجنبية الطائشة . فربما لا يتفق هذا وذاك مع طبيعة الروح الاسلامية البعيدة عن مظاهر التقاليد الانجليزية الجوفاء ، وحضارة الغرب الفاتنة ، لأن الدعوة الاسلامية حركة قوية علمية بعيدة عن النظريات الحديثة الملفقة ، وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ولا قيمة فى دائرتها للفوارق اللغوية والعنصرية والجغرافية ، وليس فيها غموض ولا تعقيد ، وتدعو إلى الأخوة والمساواة وتعارض التفرقة بين إنسان وأخيه الانسان ، وليس فيها إجبار ولا إكراه ، «لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغي» .

ولا تزال هاتان المدرستان الفكريتان تقومان بخدمات جليلة لمسلمى الهند، وتسيران بهم إلى مدارج العلم والثقافة، مع اختلاف وسائلهما، ونظم المناهج التعليمية لدى اصحابها، والمعاهد التى تتبع طريقة كل منها. ولكل منها وزن فى ميزان الخدمات العلمية فى شبه القارة الهندية. وإلى جانب هاتين المدرستين الرئيسيتين، نشأت فى البلاد مدرسة ثالثة تبذل جهودا فى سبيل نشر العلوم الاسلامية واللغة العربية فى أنحاء البلاد، كما هى تشارك فى شتى ميادين النشاط الفكرى الاسلامى بوجه عام. وأتت هذه المدرسة الفكرية بعد مضى حوالى ربع قرن من الزمن على مدرستى عليكرة وديوبند، إذ أسست «دار العلوم» التابعة «لندوة العلماء» فى مدينة «لكهنو» فى شمالى الهند، وذلك فى عام ١٣١١ هـ. ومن ميزات دار العلوم هذه إدراج الكتب الحديثة واللغات الأجنبية فى مقرراتها الدراسية، إلى جانب منهج قويم من العلوم الاسلاميه والآداب العربية، وتبعتها معاهد عديدة فى مختلف أنحاء البلاد، سواء فى مناهجها التعليمية ونظمها الدراسية. فبينما تهتم «ديوبند» بالكتب العلمية القديمة، تهتم «ندوة العلماء» بالكتب العلمية الحديثة. ويقال إن خريجى الأولى يمتازون بتمكنهم فى الفقه الاسلامى وعلم الحديث، ويمتاز خريجو الأخرى بتمكنهم فى التاريخ والأدب العرب.

وكما رأينا اختلافا فى وجهة نظر «ديوبند» و «عليكرة» وأهدافهما وأفكارهما ونظم التعليم فيهما، نرى فرقا فى آراء مدرستى «ديوبند ولكهنو» الفكريتين فى ميادين النظم التعليمية، والآراء المذهبية، مع أن كلا منهما يتوق إلى الخدمات الدينية والعلمية، وإنشاء المجتمع الاسلامى

المتدين وأنجب كل منهما رجالا فى حقول الدين والعلم والاصلاح . ولا يتم تاريخ الحركة الاسلامية فى القارة الهندية فى القرن الأخير إلا بالاشارة إلى خدمات هذه المدارس الفكرية الثلاث وتوابعها ، وتسجيل جلائل أعمالها فى صفحات من النور . وهى التى تطورت بها الدعوة الاسلامية فى الهند ، وأخذت بيدها إلى مدارج الرقى والنهوض ، وفتحت آفاقا جديدة فى سبيل الدين والعلم والخلق فى تلك البقاع الشاسعة . وكما أن لها فضلا مشتركا فى ربط الهند ولا سيما الهند الاسلامية بالعالم العربى والاسلامى ، وفى توثيق عرى الروابط الودية مع تلك الاقطار النائية .

(يتبع)

محى الدين الألوائى
المدرس بجامعة الأزهر
ومحرر القسم الانجليزى
بمجلة الأزهر بالقاهرة

غاندى والسياسة والآداب

للاستاذ عابد سهيل

لابد للتفكر فى فلسفة غاندى الادبية من ان نكون مستذكرين دائما تقاليد الفلسفة الهندية القديمة. فان غاندى لم يكن فيلسوفا بالمعنى الذى يسود فى اوربا للكلمة، فانه لم يقدم نظرية بسيطة اما بشأن حقيقة للكون او عدم الوجود، كما لم يبحث بمبادئ العلم. بل الفلسفة لها باعتبار الهند معنى مختلف، فقد استخدم فيها للفلسفة كلمة «درش» وهى مشتقة من «ورش» ومعناها الرؤية، والتبصر فى اعماق الروح. ومع ان الفلسفة الاوربية لها تأثير فى نظام حياة على ان الفلسفة الهندية ما زالت علاقتها بالحياة مباشرة، وكانت الفلسفة فى الهند على كل حطوة توجه صبغة الحياة والفكر، والثقافة والحركات الاجتماعية.

ولم يقتصر الفلاسفة الهنود القدماء مثل شنكراچاريه والبوذا و رامانج بتبليغ الفلسفة التى آمنوا بها. وانما صوغوا حياتهم ايضا بصبغتها ومن هنا تقول:

ان علاقة فلسفة غاندى مع ثقافة البلاد وقيمها الخلقية ونمط الحياة، عميقة الجذور. بل ترعرعت فى حجره وتغذت بلبان فكره، ولم يكتف غاندى بدوره بنشر المبادئ التى كان يومن بها. ولكنه صبغ حياته بصبغتها ومن هذه الوجهة لا ريب فى انه كان فيلسوفا.

واعتبر الفلاسفة هيراكلائتس ونيتشے وهيجل وجرين ـ الحرب مما لا مناص لها لبقاء المجتمع البشرى. وقال الفيلسوف الشهير وليام جيمس

خلال اشادته بمزايا الحرب ، انها تخلق فی الامم شعورا بالمسؤلية والاحتفاظ بالنظام وبالاخاء والشجاعة ، على انه يمكن لنا تحقيق هذه الغايات اذا غيرنا اتجاه النفس البشرية وشغلناها فی مهمة تسخير الفطرة .

وهذا يصح الى حد ان يتناسى البشر اختلافاته الاساسية او على الاقل يتجاهلها عند محاولته لتحقيق غاية محددة فيسعى متكتلا لنيل مرامه ، على ان هذا العميان او التجاهل موقت ، فانه بمجرد ان يحقق البشر غايته تظهر الاختلافات الاساسية ولعلها تبرز اكثر من ذی قبل .

والوحدة الحاصلة لاجل تحقيق غرض خارجی - وحدة موقتة مشرفة على الزوال ، محرومة عن المتانة التی من شأنها اصلاح العلائق البشرية وايصال البشر الى السلام الدائم وسلامة المجتمع - ومن هنا يرى غاندی ان الحرب ليس بدله تحويل المواهب البشرية الى التسخير ، ولكنه هو الجهد للحصول على قوة روحية .

واعتبرت النصوص الهندوسية المقدسة الحلم واحتمال المصائب للغير وتحصيل العلم الصدق قيما عالية .

ولو لم تكن فلسفة الهند القديمة موسسة على مبدأ عدم الايذاء ولو لم يرث غاندی هذا التراث الفكری العميق الجذور ، لما تيسر له دعاية مبادئه ولقاسى فی نشرها اكثر مما قاساه .

وغاندی يوكد التقدم الروحی والفردی للبشر جنبا الى جنب تقدمه الاجتماعی ، ويوكد بانما هی فلسفة الحياة البشرية وقد استها التی ترشد الى القضايا المتعلقة بالمجتمع البشری فی تشاوجيه اوپانشياد ، تلقين وتاكيد

تكريس الحياة كلها على التضحية والجهد لنيل المعرفة ، ولضم الذات فى برهما وآتما (الروح العظمى) والا يشور (الاله المطلق) الذى هو الكل ويرى غاندى التمسك بالمبادئ الخلقية من الامور اللازمة للاستمتاع بحياة هادئة عفيفة مليئة بالفرح ، وهذه المبادئ محددة معينة كمبادئ الصحة ، لاتقبل شرطا ومن الممكن مخالفة تلك المبادئ كما يمكن الخروج على مبادئ الصحة على ان مخالفتها تسفر عن انطفاء نور الروح والفرح الحقيقى ،

السياسة والآداب

ولم يكن فى السياسة مكانة للخلق قبل غاندى ، فكانت الفكرة الشائعة ان مهمة الزعماء السياسيين تنحصر فى نيل الحكومة والقيام بمهام بالحكم ، وليست مهمتهم اصلاح اخلاق الشعب ، ومع انه من الامور اللازمة ان يتخلق الفرد بالاخلاق الحسنة ويتبع مبادئ الآداب ، ولكن لايلزم تنفيذ تلك المبادئ فى الحقول السياسية التى تدور حول مصالح الحكومة وتضادها ، وهكذا ليس من الامور المهمة تخلق الزعماء السياسية بالاخلاق الحسنة ، اذ المعهود اليهم حل مشاكل القوم والوطن التى هم منه .

وينقد غاندى هذه النظرية بطريقتين :

١ — بينما نومن باهمية القضايا السياسية للقوم لانرى انها اهم من القيم الخلقية ، اذ اعلى قيمة الحياة ليست الا حياة عفيفة تودى مطالب الخلق كلها ، فان سرور البشر لايتوقف على المال والقوة ، ولكنه يتوف على تكرس الفرد لخدمة البشرية ، وهى اعلى سرور واثمن القيم الاخلاقية ، ولاتتاتى هذه الامور الامن شخص يجعل غايته خدمة البشر دون ما غرض . واسمى الفرح البشرى هو فى كمال روحه وارتقاءه ، ويحتوى هذا على سر

التقدم الفردى والاجتماعى، فانه اذا حاول فرد اومجتمع نيل التقدم على حساب هزيمة الغير، فمصيره الزوال لامحالة.

٢ ــ وان سلمنا بان القيمة العليا هى نفس الثروة والقوة فلا يلزم ان نقول ان نيلهما موقوف على وسائل غير خلقية، بل الحق انهما تصيران عسيرتى المنال ان اتخذنا الوسائل الغير الخلقية. واستدلال غاندى هذا يذكرنا الفيلسوف كانت الذى جاهر بان الافادة من مبدأ غير خلقى لايمكن الا عند ما يستأثر باستخدامه افراد معدودة، ويحترز منه الآخرون، فانه ان استخدمناه على سبيل العموم فسيعارض نفسه ويصبح نقيضا لنفسه فلنأخذ ـ الكذب او خلف الوعد على سبيل المثال، فيمكن لافراد معدودة ان يفيدوا من الكذب ولكن اذا كذب كل فرد فتعدم الفائدة المنشودة به، اذ لن يثق احد احدا ـ وهكذا يقول غاندى اننا اذا استخدمنا للحصول على القوة والثروة جميع الوسائل الخاطئة، فلن نتمكن من نيلهما. وبينما يخلع غاندى الاهمية الاساسية على الصدق وعدم العنف لاصلاح روابط البشر الفردية والاجتماعية، يصر على طمأنينة الروح والفرح الدائم.

ويقدم غاندى ضد العنف حجتين وهما من اهم الحجج.

١ ــ ان الغاية مهما كانت مستحسنة مجيدة لايخلو من التنجس الى حد كبير عند ما تستخدم لتحقيقها وسائل خاطئة، والمنتصر يتنفخ بسكر انتصاره مما يفقده البصيرة الى فوزه.

٢ ــ والانتصار المحرز عن طريق عدم العنف وعدم التعاون على عكس الانتصار الاول، فان المفتوح لايترك عندئذ فى يدى الفاتح، ولكن

كلا منهما يجد فرصة لادراك اخطاءهما ، ويسعيان لايجاد مجتمع حسن قائم على المساواة والديانة فى محل مجتمع قائم على عدم المساواة الاقتصادية .

الخلق والثروة

واعتبر غاندى تحصيل الثروة الزائدة عن الضرورة من الامور المعارضة للخلق الحسن ، فانه ليس من السهل فى مجتمع يسوده السلب والنهب ان نحكم الحب ونجعل منه مهيمنا مسيطرا بل الحق ان الحب والاستحصال شيئان مضادان ، وقال غاندى :

ان تحصيل ما لايلزم البشر فى حاجاته الاساسية العاجلة ، نوع من السرقة ، فان الله خلق من الاشياء ما يكفى لحاجات المرء وسينتهى الفقر والافلاس من العالم اذا عهد البشر ان لايدخر اكثر مما يحتاج .

وتحصيل الثروة الزائدة اثم اجتماعى بل جريمة خلقية . ولكن مع ذلك لاينبغى القضاء على تلك الجريمة بطرق عنفية ، بل المباح للقضاء على عدم المساواة مثلها ، هو استخدام «ستياجره» اى طرق عدم العنف فاننا اذا اكرهنا احدا على فعل شئ فما يجدينا هذا الاكراه اذ الخلق يقوم على اساس الحرية الكاملة والطوعية . ولعله من الممكن اصلاح الظروف لمدة قصيرة عن طريقة الاعمال الماكينكية ، ولكنه يقضى الى انتفاء التزام البشر القيم الخلقية ، فان القضايا لابد لكونها خلقية من ان تصدر عن شعور وعن طوع .

ويقول غاندى فى محل :

وانتهيت الى ان اقناع الفكر لايكفى لتأدية مهمة وانما لابد من اقناع القلب ايضا ، واقناع الضمير والقلب هذا له اهمية بالغة. فى فلسفة غاندى . فان الغاية طبقا للفلسفة الهندية القديمة هو ضم حياة الفرد فى ذات البرهما . ويولى غاندى فى فلسفته لهذه النظرية اهمية اساسية على انه شرحها باختلاف يسير فانه يرى ان الصدق والاله والبرهما اسماء لموجود واحد ، يقول فى محل :

وكثيرا ما اسمى ديانتى ديانة الصدق ، واخذت منذ مدة اقول ان الصدق هو الاله بدلا من القول بان الاله هو الصدق . وذلك ان من انكر الاله كثير ، ولكنى ماسمعت للآن من انكر الصدق ، فغاية الحياة ، سواء تكون صدقا او الها ، لاتغيرفى طرق حصولها ، والطريقة الوحيدة لضم الذات فى الذات الاعلى انما هو دائما عدم العنف والحب او خدمة البشر دون عناد ، والوسيلة الوحيدة لحصول الاله هو العكوف على خدمة مخلوقه . وورد فى رامائن :

ان قوة من يتخذ الجدال والقتال ليست قوة مستحسنة ، ولكن القوة الحقيقية انما هو قوة يحظى بها راهب او زاهد . واكد غاندى التقدم الروحى للبشر ، ويرى من الخطأ ان نعتبر عدم العنف امارة الجبن والوهن ، بل الحق انه لايمكن اتخاذ عدم العنف الا من تكون له سيطرة تامة على نفسه .

وفلسفة الحياة للغاندى مصطبغة بفلسفة رامانج وشنكراچاريا وهو ايضا يرى مثل الويدانتا ان الفرد فى سعى مستمر فى ضم الذات مع ذات

البرهما عن غير قصد ، على انه يقول بضرورة السعى عن شعور ، فانه هو القيمة العليا للحياة . واما القيم الاخرى مثل الصحة والثروة والفرح فهى فى الدرجة الثانية ، ويرى غاندى ان كل شئ يحول دون المقاصد البشرية العليا قبيح غير خلق والثروة قبيحة لانها تقيم جدارا حائلا بين المرء واخيه ومع ذلك يولى فى فلسفة الحياة اهمية عليا الى العمل ، وكان فردا عمليا ، ولم يكتف بالعمل على عدم العنف بنفسه ، ولكنه جعل منها بيد الشعب الهندى سلاحا قويا فى الكفاح الوطنى لاجل الحرية ، وقوم اخلاق وسلوك شعب كان ينوء منذ قرن تحت نير العبودية .

من مجلة «آجكل» الاردوية

حدائق وقصور المغول[1]

للاستاذ محمد اظهر أنصارى[2]

فى عصور ما قبل الاسلام أقام ملوك الهند قصورا جميلة لتذكر الاجيال التى تأتى بعدهم بأعمالهم الجميلة فى فن العمارة[3]، وكذلك شيد ملوك فارس قصورا على ضفتى نهر «دجلة» (Tigris) وفى أماكن أخرى[4]، وبنى سلاطين دلهى كثيرا من القصور وأنشاؤا كثيرا من المدن الجديدة، ومن بين هذه القصور والمدن يمكن أن نذكر كلا من «قصر فيروزى» (Qasr-i-Firuzi) و «قصر سفيد» (Qasr-i-Safid) القصر الابيض «وكشك سبز» (Kusk-i-Sabz) و«تغلق آباد» (Taghlaqabad) و«كوتلا فيروز شاه»[5] (Kotla Firuz shah) والسائحون الأجانب الذين زاروا هذه الأماكن فى تلك الأوقات بهرت هذه القصور أنظارهم بجمالها وعظمتها وجلالها. وقد كتب ابن بطوطه عن مدينة «تغلق آباد».

---

(١) هذا البحث ترجمة للنص الانجليزى الذى نشر فى مجلة «Islamic Culture» عدد شهر يناير ١٩٥٩

(٢) الدكتور محمد أظهر أنصارى محاضر للتاريخ فى جامعة الهآباد وهو يحمل شهادتى الماجستير فى الآداب والدكتوراة فى الفلسفة

(٣) انظر كتاب «Life in Gupta Age» بقلم «Saletar» (Bombay 1943 P. 198) for a short account of Royal palaces of the Guptas

(٤) راجع كتاب اقبال بعنوان «ايران بعهد ساسانيان»

(٥) راجع كتاب «أشرف» ص ١٤٧ بعنوان «Life and Conditions of the People of Hindustan»

فقال: «ان فيها بيت المال (The Treasury) «وقصر بادشاه» (The Palace of Badshah) وفى قلعتها أقيم قصر كبير كسيت بالذهب قطع الآجر التى استعملت فى بنائه، وفى وقت شروق الشمس لايستطيع أى إنسان أن يطيل النظر الى هذا القصر»[١].

ومن المعتاد فى آسيا الوسطى وفارس أن تحيط الحدائق بالمبانى لأن المهندسين قد اعتادوا فى تصميماتهم مراعاة أن يكون كل مبنى فى وسط حديقة ذات تنسيق جيد. ومن ثم نقل الأباطرة المغول فى الهند الطراز المعمارى لأسلافهم فى آسيا الوسطى، ومن ثم أيضا فقد اعتادوا أن ينشئوا أولا الحدائق ثم يبنوا فى وسطها قصورا رائعة.

وإبان غزوة «بابر» (Babar) شمل النشاط المعمارى بعض الأضرحة الرائعة، كما أقام «اللوديون» (The Lodis) بعض المناطق السكنية فى «آجرا (Agra) ولكنهم لم يصلوا الى مستوى جيد. وقد شاهد «بابر» مدن آسيا الوسطى. وكان سلفه العظيم «تيمور» قد حول مدينة سمرقند الى مدينة جديرة بأن تحمل اسمه وقد أورد فى مذكراته وصفا تفصيليا لها. وفى هذه المدينة شيد تيمور قلعة وبنى بها قصرا عظيما من أربع طوابق يعرف باسم «جلسراى» (Gulsarai) كما أنشأ حديقتين: الأولى تسمى «باغ بلندى» (Bagh-i-Bulandi) تسمى الثانية «باغ دلكشا» (Bagh-i-Dilkusha) وأنشأ فيها ممرات جميلة تحفها من الجانبين أشجار «الحور» البيضاء، وأمر الفنانين فى بلاطه أن يسجلوا بالرسم فى كل انحاء القصر أمجاده فى الهند[٢]، كما بنى الأمير «ألغ بيج» (Ulugh Baig) حديقة الميدان

---

(١) راجع «رحلة ابن بطوطة ص ٩٣

(٢) راجع كتاب «Tuzuk-i-Baburi» بقلم «Beveridge» ص ٧٤-٧٨

(Bagh-i-Maidan) بجوار «كوهك أبلاند» (Kohik Upland) وقصرا يسمى «چهل ستون» (Chihl Sutun) وحمامات ساخنة[١]، أما الأمراء على اختلاف مراتبهم وحسب إمكانياتهم فقد حذوا حذو مليكهم فى تشييد القصور وإنشاء المناطق السكنية وإقامة الحدائق، وقد ظلت حديقة «چهار» (Chahar) التى أقامها «درويش محمد ترخان» فريدة فى جمالها وتخطيطها وفوق مستوى المنافسة بين غيرها من الحدائق[٢].

ولما كان «بابر» قد اعتاد على هذه العظمة والفخامة فى الحدائق والمبانى كان من الطبيعى أن يتضايق من المنشئات المعمارية فى الهند، وقد صدمه أن الفن المعمارى الهندى لايهتم إطلاقا بجداول وقنوات والمياه الجارية[٣]، ولم يستطع بابر أن يبعد عن مخيلته صورة حديقة «چهار» التى أقامها «محمد ترخان» فى سمرقند فقرر أن ينشئ على غرارها حديقة جميلة فى «أجرا» (Agra)، ووصف بابر بأسلوبه الجذاب حديقة «چهار» فى كتابه «تزك بابرى» (Tuzuk-i-Baburi)[٤] وعلى نمط الحمامات الموجودة فى سمرقند شيد واحدا فى عاصمته الهندية[٥] واتباعا لتقاليد آسيا الوسطى فان كبار الأمراء أيضا قد حذوا حذو «بادشاه» (Badshah) وهكذا فان مدينة أرستقراطية قد قامت على الجانب الآخر لنهر جمنا (Jamuna)[٦].

ولم يجاوز أبوالفضل الحقيقة اذ يقول: إن الناس كانوا يرتجلون فى إنشاء حدائقهم بلا نظام، ولكن منذ وصول بابر إلى الهند بدأوا يهتمون

---

(١) راجع المرجع السابق ص ٧٩-٨٠، وقد أورد المولف فى مذكراته وصفا تفصيليا لقصر چهل ستون (٢) انظر «Tuzuk-i-Baburi» ص ٨٠-٨١ (٣) المرجع السابق ص ٤٨٧ وص ٥١٩ (٤) المرجع السابق ص ٥٣١-٥٣٢ (٥) Tuzuk-i-Baburi ص ٥٣١ (٦) المرجع السابق ص ٥٣٢

بتنظيم وتخطيط الحدائق التى ينشئونها[١] كما بدأ عهد جديد فى حياة الطبقة العليا فى المجتمع الهندى، وكانت الحمامات والحدائق هما الشيئان اللذان ساهم بهما بابر فى التخطيط المعمارى فى الهند. فبالاضافة الى قصوره الملكية التى أنشأها وسط الحدائق فانه قد استحدث طرازا معماريا نقله عنه خلفاؤه وطوروه وأدخلوا عليه التحسينات. وهذا الطراز يبلغ قمة روعته فى حديقتى فيض بخش (Bagh Fayed Bakhsh) ونشاط باغ (Nashat Bagh) فى كشمير وحديقتى «دل‌كشا» (Dilkusha) وفرح بخش (Farah Bakhsh) فى لاهور. وبعض السمات الرئيسية فى التصميم والديكور المعماريين اللذين اقتبسا من آسيا الوسطى وظلا يعملان حتى نهاية ذلك العصر كانت من الأسس التى تم عليها إنشاء حديقة «چهار باغ» (Chahar Bagh) وإقامة مناطق سكنية بين الحدائق، وبناء الحمامات، وشق قنوات المياه الجارية وتزيين حوائط الغرف بالرسوم والنقوش ذات المغزى الأخلاقى.

نصيب همايون فى التطور المعمارى

وقد ساهم همايون بنصيبه قبل أن ينشغل بغزواته طلبا للعرش، فقد بنى المدينة التى أطلق عليها اسم دين پناه (Din Panah) فى دلهى كما بنى ثلاثة عمارات أخرى، وقد سجل ذلك مؤرخو عصره. وعلى الرغم من أن معظم عماراته الفخمة لم يعمر طويلا فاننا نقرأ أوصافها ونقدر دوره فى المساهمة بنصيب فى النواحى الثقافية خلال عهده القصير الذى لم يتعد ثمانية أعوام.

---

(١) «Ain-i-Akbari» الطبعة الفارسية جزء أول ص ١٠٠ والطبعة الانجليزية جزء أول ص ٨٧

دين پناه (Din Panah)

والمدينة التى أقامها همايون كانت على ضفة نهر جمنا (Jamuna) فى الموقع الذى شيد فيه شير شاه (Sher Shah) فيما بعد قلعته التى تعرف الآن باسم قلعة پرانا (Purana Qil'a) ، وقد فكر همايون فى أن يقيم فى هذه المدينة قصرا فخما مكونا من سبع طوابق تحيطه الحدائق وبساتين الفاكهة[١] . وحين عودته من جواليار (Gwalior) سنة ١٥٣٣ تحين اللحظة السعيدة فأرسى بيديه حجر الأساس فى حفل ضم رجال الدين والأشراف والأمراء والجنود[٢] ، وكل من هؤلاء تقدم بدوره فأرسى بعض الأحجار مثلما فعل الملك ، ثم سارت أعمال البناء بهمة ونشاط ، وطبقا لما جرت به العادة فى مثل هذه المناسبات فان الشعراء قد نظموا مقطوعات الشعر التى أرخت لهذا الحدث السعيد ورفعوها الى الامبراطور ، وكان من بين هؤلاء الشعراء أمير الظرفاء (Amirul Zurafa) مولانا شهاب الدين احمد مؤيمائى وخواندمير[٣] (Khwandmir) .

بيت السحر (Khana-i-Tilism)

وأكثر العمارات التى بناها همايون بهجة كانت مجموعة العمارات التى شيدها وسماها «خانه طلسم» (Khana-i-Tilism) أو «بيت السحر» ، وكانت تضم عددا من العمارات على ضفة نهر جمنا فى «آجرا» وكانت فى

---

(١) (Qanun-i-Humayuni) ص ٨٤ بالطبعة الفارسية وص ٦٠ بالترجمة الانجليزية (٢) الطبعة الفارسية من المرجع السابق ص ٨٥ وص ٦٢ من الترجمة الانجليزية (٣) المرجع السابق ص ٨٦ من الطبعة الفارسية وص ٦٢ من الترجمة الانجليزية .

مجموعها تسمى بيت السحر أو «عمارة سحر»[1] (Imarat-i-Tilism) والجزء الرئيسى من هذه المجموعة كان عبارة عن ثلاث على صف واحد تسمى على الترتيب: «خانه مراد» (Khana-i-Murad) و«خانه سعادت» (Khana-i-Sa'adat) و«خانه دولت» (Khana-i-Dawlat)، أما بقية العمارات فكانت تحيط بهذه الثلاثة.

وكانت «خانه مراد» أكبر هذه الثلاثة، ومكونة من طابقين وعلى هيئة مستديرة مثمنة الأضلاع وفى وسطها خزان للمياه مثمن الجوانب، وفى وسط هذا الخزان توجد فتحة تتفرع منها فروع تتجه إلى كل الاتجاهات وتتصل بكل غرفات وأجنحة المبنى[2]. وحول هذه الفتحة أقيم برج مثمن الجوانب[3]. وفوق هذا البرج ثبت لوح من الحجر المنقوش، وقد سدت جميع الفجوات بعناية كبيرة وملئت بالملاط والجير حتى لاتتسرب المياه نحو الفتحة إذا ما امتلأ الخزان[4]. وكان «خانه مراد» مبنى من طابقين يحتوى على قاعة علوية نصب فيها سرير مذهب ووضع بها صندوق كبير من خشب الصندل وبعض «الشلت»، وفرشت أرضيتها بأبسطة خاسية (Khasa Coverlets)، ونشرت على هذه الأبسطة مفارش من الحرير الموشى بالتطريز وضع عليها عديد من مختلف أنواع الفاكهة والشراب. وفى الواقع كان هناك كل شئ يجلب البهجة والراحة والسرور[5].

---

(١) (Qanun-i-Humayuni) ص ٧٨ و (Gulbadan) ص ٣٣
(٢) المرجع السابق ص ٧٩   (٣) المرجع السابق ص ٧٩
و (Gulbadan) ص ٣١   (٤) (Gulbadan) ص ٣١.
(٥) (Gulbadan) ص ٣٤

أما «خانه سعادت» «فكانت تقع وسط العمارتين الآخريين ، وكانت أيضا مثمنة الجوانب ، ولكنها كانت أصغر من الأولى فى الحجم ، وكانت تحتوى على خزان للمياه فى وسطها وعدد من الأروقة والشرفات ، وفى كل من جهاتها الأربعة كانت توجد بعض الدهاليز[١] ، وأحد هذه الدهاليز كان يطل على «خانه مراد» وآخر كان يطل على «خانه دولت» ، وكل منهما كان على هيئة «شرفة للقصر[٢]» ، وكان مصمما بحيث إذا أغلق أحد الأبواب يظهر باب آخر ، واذا أغلق هذا الأخير ظهر الباب الأول وهكذا[٣] . وفى حجرته العليا فرشت سجادة للصلاة كما كان يوجد عدد من الكتب ولوحات الصور واللوحات الخطية التى علقت بتنسيق وبنظام[٤] .

والعمارة الثالثة التى كانت تعرف باسم «خانه دولت» لم تكن تقريبا على هيئة الشكل الثمانى[٥] ، وفى الدور العلوى منها كانت توجد القاعة التى اتخذها همايون مجلسا لتصريف مهام الدولة[٦] . وهذه القاعة كانت مزينة بأنواع من الأسلحة مثل السيوف العربية المرصعة بالجواهر والدروع المذهبة والخناجر العريضة المنقوشة وما إلى ذلك[٧] .

---

(١) (Porticoes) (٢) (Dalan) (٣) فقدت من كتاب «جلبدن» بعض الصفحات التى كان من المحتمل أن تفسر سر الحركة الميكانيكية لهذه الأبواب (٤) «مرقعهاے لطيف مع تصويرها» (٥) لم يرد «بجلبدن» ما يفيد أن هذا المبنى كان ثمانيا كما لم يذكر ذلك «خواندمير» (٦) (Qanun-i-Humayuni) ص ٨٠ (٧) المرجع السابق ص ٨٠ ، ٨١ و (Gulbadan) ص ٣٣ ، ٣٤

قصر روان والعمارات الأخرى

وبالاضافة الى هذه العمارات الثلاثة بنى همايون عددا قليلا من القصور، فبجوار قلعة آجرا بنى قصرا به عدد من الحجرات وكثير من القاعات، وكان هذا القصر شاهق الارتفاع مما جعل الكتاب الذين شاهدوه وقتئذ يقولون عنه: «إن الذى يجلس على سطحه يجد نفسه قريبا من سكان السماء»[1] كما شيد مبنى فى قلعة جواليار من الحجر المزركش وكل جوانبه كانت محلاة بالنقوش والديكورات[2].

قصر روان

وهذا القصر هو أحدث مابناه همايون، وهو مكون من ثلاث طبقات، وكانت أجزاءه المتفرقة مرتبطة بطريقة فنية بحيث يصعب أن تفصل جزءا عن آخر، وهذه الأجزاء المترابطة كان من الممكن تحريكها وأن تنتقل من مكان الى آخر حسب الرغبة، أما السلم الذى يوصل الى الدور العلوى فكان من الممكن أيضا تحريكه ونقله. وكان القصر مزينا بمختلف الألوان، وكانت ستائره المستوردة من ختن وتركيا وأوروبا مزركشة بسبعة ألوان، وكانت تعلو القصر قبة ذهبية تتلألأ فتحسب أن العالم الأرضى يبتهل الى الشمس.

الامبراطور اكبر وخلفاؤه

إبان حكم الامبراطور أكبر وخلفائه كان الأباطرة يقيمون معظم أيام السنة فى ثلاث مناطق هى آجرا (Agra) ويتبعها فتحپور (Fathpur)

---

(١) (Qanun-i-Humayuni) ص ٨١، ٨٥ (٢) المرجع السابق ص ٨٢، ٨٩.

ولاهور (Lahore) ودلهى (Delhi) التى أضيفت الى القائمة فى عهد «الشاه جهان» .

فتحپور سيكرى (Fathehpur-Sikri)

كانت آجرا هى عاصمة الأباطرة المغول منذ أن غزا بابر (Babar) الأراضى الهندية الى أن أنشئت مدينة شاهجهانآباد (Shahjahanabad) ، وقد ظلت أجرا عاصمة اللوديين طوال حكمهم . وقد هدم «أكبر» القلعة القديمة وبنى مكانها قلعة جديدة ، ولم يقع اختياره على آجرا لتكون عاصمة له وإنما اختار فتحپور سيكرى (Fathehpur Sikri) التي تقع على بعد أربعة عشر ميلا من آجرا ، ومن الغريب أن هذه المدينة الجديدة لم يتعرض لها مؤرخو البلاط ولا الجغرافيون فى ذلك العصر ولم يرد لها فى كتاباتهم وصف دقيق ، وهذا يلجئنا للرجوع الى ما كتبه عنها علماء الآثار فى عهدنا الحديث حتى يمكن وصف هذه المدينة ومبانيها .

وحينما قوى نفوذ أكبر ، وازدادت مكانته واتسع ملكه وتضاعفت ثروته فكر — ككل ملوك الشرق — فى أن ينشئ عاصمة جديدة ، وبالاضافة الى موقع «سيكرى» فى مكان مرتفع فان نصيحة الشيخ «سليم چشتى» الذى كان له نفوذ متسلط على الامبراطور «أكبر» جعله يختار «سيكرى» لينشئ عليها عاصمته الجديدة ، وهناك أقام عدة عمارات تحمل مزيجا من الطرازين المعماريين الهندى والاسلامى ، وقد اهتم «أكبر» بهذا العمل اهتماما كبيرا ، فكان من نتيجة ذلك أن قامت فيلات أنيقة وقصور جليلة حققت مهمتها كملجأ من الحر المحرق ووقاية من القر الزمهريرى .

وفى شهر ربيع الأول عام ٩٧٠ هجرية (أكتوبر نوفمبر سنة ١٥٦٢ ميلادية) أمر الامبراطور «أكبر» مهندسين بأن يبدأوا العمل فى بناء المدينة الجديدة ،

وقد تم تشييد عدد من الأبنية تشمل قصرا خاصا لاقامة الامبراطور وحمامات وحدائق وملعبا للفيلة وساحة للفروسية ولعب البولو والبرجاس، وديوان عام وهذا كان يقع بمقره الخاص المسمى «دولت خانه» (Dawlat Khana) وكان عبارة عن قاعة للاجتماع ذات اتساع كبير ومظهر جميل وتشرف على كل المدينة، وديوان خاص، و«پانش محل» وهذا كان عبارة عن بناء هائل يرتكز على أعمدة تربطها عقود وفيه بهو واسع، و«خوابجاه»، والحرملك (جناح الحريم)، وكانت نوافذ هذا القصر من الزجاج، وفى فصل الصيف كان «الخس» يوضع أمام الأبواب ويرش بالماء فيرطب الهواء ويعطره. وفى أجنحة الامبراطور الخاصة بنى قاعة داخلية، وأنشأ فيها خزانا كبيرا نظيفا للمياه نحته فى الحجر وسماه «كپور تلاؤ» (Kapur Talao) وكان مربعا تقريبا، إذ كان طوله يبلغ ثمان وثلاثين ياردة وعرضه ست وثلاثين وعمقه أربع ونصف ياردة، وقد قام الامبراطور ذات مرة بملء هذا الحوض بقطع النقود النحاسيه التى وزعها على الفقراء والمحتاجين.

وقد أنشئت بهذه المدينة حدائق كبيرة تشبه جنات الفردوس فجعلت احياء الامبراطوريه جميلة رائعة، وكانت هذه الحدائق تروى بماء يضخه اليها جهاز اخترعه الامبراطور بنفسه. وكذلك أقيمت السواقى لجلب الماء من مسافة بعيدة. وهذه السواقى كان يديرها الرجال أو الثيران بمعدل رجلين لكل ساقية واحدة أو ثور واحد لكل ساقيتين.

وبالاضافة الى القصور الملكية فان المدينة قد امتلأت بالقصور التى بناها النبلاء وموظفو الدولة، ولابد أن «فتحپور» إبان مجدها كانت مركزا تجاريا واقتصاديا مزدهرا، وقد اجتذبت الرغبة فى مجاورة الامبراطور

الناس من كافة الأماكن القريبة والبعيدة ، ومسافة الأميال الأربعة عشر التى تفصل «فتحپور» عن «آجرا» لم تكن أرضا مهملة ، وقد وصفها فينش (Finch) فقال : «إنها كانت سوقا للمواد الغذائية وغيرها من الأشياء ، ومفعمة بالعمران كما لو كانت جزءا من المدينة ، وحافلة بالناس كما لو كانت سوقا عامرة» .

وعظمة «فتحپور» لم تعمر طويلا فان السد الذى كان يحجز المياه فى الخزان الكبير قد تداعى فطغت المياه وجرفت كل شئ فسببت الشقاء والدمار ، ومن حسن الحظ لم تصب المبانى الامبراطورية بأية اضرار ولكن المدينة لم تستعد مجدها بعد هذه النكبة ، كما أن بقاء الامبراطور «أكبر» فى مدينة لاهور (Lahore) بعيدا عن «فتحپور» قد جردها من نكهتها ، وحينما عاد «أكبر» اقام فى قلعة «أجرا» ، وقد أقام «الفيضى» فى «فتحپور» ـ المدينة المهجورة ـ مدة يومين وهو فى طريقه الى «أحمد نجر» (Ahmadnagar) وكانت «فتحپور» آنذاك مدينة بهيجة حتى بعد زوال مجدها ، وقام «الفيضى» بزيارة القصر الامبراطورى والقصور الأخرى ، وذكرته هذه الزيارة بالأيام الماضية فبكى وانتحب ، وحينما زارها «فينش» كانت مدينة مهجورة وقد كتب فى وصفها ما يلى : «فى وسط كل الأطلال التى تمتد كصحراء مهملة ، والتى تحف الأخطار بمن يجتازها ليلا توجد المبانى المهجورة التى ليس بها أحد من السكان ، وكان كثير من الأراضى قد حولت الى حدائق ، ومن كثرة ما بها من الحشائش والاعشاب يستبعد المرء أن يكون هذا الموضع قد كانت به ذات يوم مدينة» .

المقر الامبراطورى فى آجرا

«آجرا» مدينة قديمة جدا ، وقد برزت شهرتها فى عهد «سكندر لودى» (Sikandar Lodi) وصارت فيما بعد عاصمة للمغول وللسورس (Surs) وفى

عهد «أكبر» وخلفائه كان من الممكن أن تبارى وتباهى كثيرا من عواصم العالم، وقد وصفها «فينش» بقوله : «لقد كانت مدينة لطيفة واسعة الأرجاء كبيرة ولايمكن إحصاء من تزدحم بهم من السكان» وفى الواقع أنها كانت مدينة بهيجة ورائعة على الرغم من وصف «چوردين» (Jourdain) لها بغير ذلك إذ يقول: «بأن شوارعها كانت قذرة ضيقة فيما حيها التجارى (The Bazar) فقد كان هذا الحى كبيرا ولطيفا، وكانت شوارع هذه المدينة مزدحمة حتى أن الناس كانوا يعانون مشقة كبيرة أثناء السير فيها، وللضخامة الهائلة فى عدد المارة كان لايمكن التحرك فى الشوارع او فى السوق الا بصعوبة، وكانت مدينة مفتوحة بلا أسوار. وتمتد بحذاء النهر الذى كان يرغب كل شخص أن يكون منزلة على ضفة. وكانت تضم عددا من قصور النبلاء التى كانت تقع فى الأغلب على ضفتى نهر «جمنا» الذى كان يخترقها متخذا شكل الهلال، وكان معظم الناس يسكنون على الضفة الغربية حيث يوجد قصر الامبراطور. وقد أطلق «شاهجهان» على هذه المدينة اسم «أكبراباد» (Akbarabad).

وفى مدينة بمثل هذه الروعة أقام الثلاثة الأول من أباطرة المغول على الضفة الغربية من نهر «جمنا». فقد بنى فيها «أكبر» حصنا كانت حوائطه فى البداية من الآجر، ولكنه أعاد بناءه مرة ثانية من الحجر الاحمر المنحوت، وقد تم بناء هذا الحصن تحت إشراف أمير البحر «مخلص خان» واستمرت عملية البناء ثمانية أعوام، وكان طول السور الذى يحيط به ثلاثة آلاف ياردة، وارتفاعه ثلاثون ياردة أما عرضه فكان عشر ياردات، وحول هذا الحصن حفر خندق عرضه عشرون ياردة وعمقه عشر ياردات ويملأ من مياه

«جمنا» وكان لهذا الحصن أربع بوابات رئيسية واثنتين صغيرتين، وكانت مكاتب الموظفين بداخل الحصن وكذلك الاسواق والقصر الامبراطورى وهذا القصر كان يحتوى على قاعتين للاجتماعات وعلى جناح خاص بالامبراطور أكبر، وحدائق الحرملك ومكتبة.

وقد وصف «فينش» هذا الحصن وقاعات الاجتماع، وطبقا لهذا الوصف فانه كان للحصن أربع بوابات تقع إحداهما فى الجهة الشمالية بينما توجد أخرى فى غربى السوق وكانت تسمى «كاتشيهرى جيت» (Kachehri Gate) وفى داخل هذه البوابة كانت تقع المحكمة أو بيت القاضى (Kachehri)، وتجاه بيت القاضى كانت توجد محكمة أخرى تنعقد ثلاث ساعات فى صباح كل يوم لتفصل فى منازعات الايجارات والكفالات والاراضى والغرمانات والديون، وخلف هاتين البوابتين كانت تقع الثالثة - ومن المحتمل أن تكون هذه البوابة الثالثة هى التى كانت تسمى «هاتيپول» (Hatipol) - وقد نصب عليها تمثالان لاثنين من الراجات الهنود (أمراء الهند)، وبعبورها يدخل الزائر شارعا لطيفا تحفه من الجانبين المنازل التى تتخللها الترسانات والمعدات الحربية، وفى نهاية هذا الشارع توجد البوابة الرابعة التى توصل الى المقر الامبراطورى، وهذه البوابة كانت دائما مغلقة، وليس هناك من أحد الا الامبراطور وأعضاء أسرته وكان موقعها فى الجهة الجنوبية وتعرف باسم «بوابة أكبر» (Akbar Darwazah) وفى هذه المنطقة يوجد بيت الراقصات، حيث كان يوجد منهن المئات ينتظرن طوال الأربع وعشرين ساعة يوميا وهن على استعداد لتلبية طلب الامبراطور أو إحدى حريمه للرقص أو للغناء، وكانت البوابة الخامسة تقع بجوار النهر وتسمى

«درشنى» (Darshani) ومن هناك كان الامبراطور يتأمل شروق الشمس ويوزع العطايا على الناس الذين يتجمهرون أمامها، وأمام هذه البوابة كانت توجد الساحة التى تنعقد فيها مبارزات بين الفيلة والأسود والجاموس وغيرها من الحيوانات.

وبعد عبور البوابة الثالثة يصل الانسان الى قاعة فسيحة تتصل بها غرفة الحرس، وحول غرفة الحرس هذه يظل القواد - حسب رتبهم - فى نوبة استعداد تدوم سبعة أيام، وعلى مسافة من هذا المكان توجد قاعة اخرى حولها سور من الحديد ولايسمح بدخولها الا لمن تقتضيه الضرورة، وبعدها توجد قاعة أخرى حولها أيضا سور ويعلوها برج، وهنا يوجد مرتفع فيه قاعة يتربع فيها الامبراطور على عرشه، وعلى يمين العرش رسمت صورة المسيح، وعلى اليسار صورة للعذراء مريم، ولم يكن يسمح بدخول قاعة العرش هذه الا للقواد الذين يرأسون أربعمائة فارس على الأقل وفى نهاية «الحضرة» - كما كانت تسمى قاعة العرش - علقت اجراس ذهبية.

وقد وصف «بلزايرت» (Pelsaert) عظمة وفخامة قصور البلاط المغولى فقال: خلق مساكن النبلاء يقبع «برج الشاه» (Shahburj) وحوائطه قد بنيت من الحجر المنحوت، وقد بنى على ارتفاع متوسط وله مشارف جميلة على كل جانب، ولاسيما ناحية النهر، وهو يتفوق على معظم البنايات الشهيرة فى العالم، وعلى مسافة قصيرة منه كان يوجد مبنى الـ «غسل خانه» (Ghosl Khanah) وقد زين فى إسراف بالرخام وله أربع زوايا، وفيه مقاعد مرتفعة وتعلوه قبة حلى سطحها بصفائح الذهب فبدت عليه الفخامة الامبراطورية لا من المسافات القصيرة فقط بل كانت الأبهة تبدو عليه من

المسافات البعيدة أيضا، ولم يكن بالحصن الا حجرات قليلة - أو ليس فيه منها شئ - بل كانت كل مساحته تشغلها بصفة رئيسية البنايات الفخمة والدور والأجنحة التى تشغلها سيدات القصر مثل «مريم الزمان» و«أم جهانجير» وزوجة الامبراطور «نور محل»، وبالحرملك كان يوجد ثلاث بنايات تسمى «إتوار» (The Itwar) و«سنيشر» (The Sanichar) و«منجل» (The Mangal) وفيها قد اعتاد الملك أن ينام أثناء النهار، وهناك أيضا كانت توجد بناية ثالثة تسمى «بنجالى محل» (Bengali Mahal) حيث تقيم نساء من جنسيات مختلفة، ومن ثم فان الحصن كان يبدو أكثر شبها بالمدينة منه كمجرد قلعة حربية.

وقد أحدث «شاهجهان» بعض التغييرات فقد حول مبنى «الغسل خانة» القديم الى قاعة مرتفعة من الرخام، وبنى بجوارها عدة مبانى أخرى كان أهمها هو «الحمام» الجديد، وكان هذا الحمام بديعا فى بنائه، ويصفه القزوينى فيقول: «أن أساتذة فن النحت لا يمكن أن يتصوروا أفضل منه» وكان هذا الحمام مزينا بالنقوش وبعض الفنون الأخرى، ويحتوى على حجرة للملابس ومغسل بارد ومغسل ساخن، وفى القاعات والحجرات علقت المرايا المستوردة من حلب على الحوائط الداخلية المواجهة للنهر وللحديقة لتعكس للجالس بداخلها مناظر الحديقة والمياه، وبنيت الكبارى المتحركة التى يمكن أن ترتفع بسلاسل من الحديد، وكانت هذا الكبارى — المقامة على الخندق المحيط بالحصن أمام البوابات الرئيسية — ترفع ليلا وتستوى نهارا، كما أقيمت مئذنتان بداخل الحصن وصفهما «المانريق» (Manrique) فقال: إنهما كانتا جميلتين بحيث تستحقان أن يتجسم الانسان سفرا طويلا

كى يراهما «وكانت حوائطهما الداخلية مكسوة برقائق الذهب التى بذل فيها أساتذة «الصياغة» كل جهودهم ليظهروا مهاراتهم وبراعتهم لا فى التشكيل والنقش فقط بل فى التلوين أيضا، وقد اتخذ الامبراطور فيها حجرة استراحته، وعلى مسافة قصيرة كانت توجد حديقة مليئة بالأشجار تتضوع بالروائح العبقة، وتنتهى هذه الحديقة بممر مورق يمتد حتى يصل الى نهر «جمنا» المتدفق بهدوء وفى وقار، وهناك يوجد مرسى للقوارب الامبراطورية حيث كان الامبراطور يستقل أحد قواربه طلبا للنزهة أو لزيارة أحد النبلاء فى منزله على النهر.

وفى الربع الثانى من القرن السابع عشر وصف تافرنير (Tavernier) أيضا القصر الامبراطورى فى «أجرا» مع اختلاف بسيطة فى التفاصيل، وليس هناك من جديد يستحق الملاحظه سوى أنه فى السنة الثانية من عهد أورنجزيب (Aurangazeb) بنى حائط مزدوج. وربما كان سبب هذا هو رغبته فى الاحتياط حتى لا يهرب والده.

حصن لاهور

فى عام ١٥٨٦ نقل أكبر عاصمته من «فتحپور» الى «لاهور» حينما ازداد خطر خصمه «أوزبك» وتهديده له، فقد كان من الضرورى أن يكون على حذر دائم، وعلى مسافة مناسبة تمكنه من أن يوجه الى وكر خصمه ضربة قاضية فى الوقت المناسب. وكان هذا الوكر يتمثل فى عاصمة خصمه (كابول)، وفى لاهور بنى أكبر حصنا وأقام عدة بنايات لسكناه، ولاتزال القلعة قائمة حتى اليوم، وقد ظل هناك حتى عام ١٥٩٨، وهو العام الذى توفى فيه عدوه «عبد الله خان أوزبك».

وفى يوم الاثنين ٢٠ نوفمبر عام ١٦٢٠ ميلادية (٥ محرم عام ١٠٣٠ هجرية) اتخذ «جهانجير» القصر الامبراطورى فى لاهور مقرا لسكناه، ومنذ ذلك الوقت حصلت بعض التغييرات بناء على أوامر الامبراطور فقد هدمت بعض البنايات القديمة وبنيت مكانها أخرى جديدة تحت إشراف مأمور خان (Mamur Khan) الذى اجتهد فى بناء قصور جميلة ودور تنعش النفس لتكون قصرا لسكنى الامبراطور وقد زينت هذه البنايات بالرسوم والنقوش التى قام بها فنانو البلاط، كما أنشئت أيضا الحدائق الجميلة. وقد كلف هذا المشروع كله الخزينة الامبراطورية مبلغ سبعة ملايين روبية تقريبا.

والوصف الذى جاء على لسان «فنش» للقصر الامبراطورى فى لاهور يعتبر أكثر دقة وشمولا من وصفه للمقر الامبراطورى فى آجرا ولكنه طويل ومعقد، ولهذا لايمكن أن ننقل هنا الا بعض السمات الواضحة فيه، وقد أورد أولا وصفا جميلا للصور المرسومة على حوائط القصر، وكما جاء على لسانه فان واحدة من هذه الصور كانت فى حجرة استراحة الامبراطور، وثانية كانت فى إحدى القاعات، أما الثالثة فكانت فى قاعة أخرى تقع بالقرب من نافذه الـ «درشن» (Darshan)، وكانت الرابعة فى الجناح الداخلى، والخامسة كانت فى دار «أم خسرو»، والسادسة كانت فى إحدى قاعات هذا المبنى، ثم قال: ان منار Akash Diya، قد أقيم أمام المقر السكنى لـ «أم خسرو» وقال أيضا: إن الحوائط والسقوف كانت مكسوة برقائق الذهب كما ازدانت الحوائط من أسفلها الى ما يقارب طول قامة الرجل — أى حوالى ثلاثة أقدام — بما ركب عليها

من المرايا التى استوردت من فينيسيا (البندقية) فى وحدات متلاصقة كل منها ثلاث مرايا.

وقد وجد «الشاهجهان» أن كلا من جناح النوم والمقر الامبراطورى والحمام لايناسب ذوقه ولا يوافقه فترك كل هذا على حاله وأقام عدة بنايات أخرى فى نفس المنطقة، ودعا مهندسيه وأمرهم بأن يقدموا له تصميمات جديدة، وقد أحدث بعض التغييرات، واقترح بعض التحسينات القليلة، وفى النهاية وافق على المشروع الجديد، وعهد بالتنفيذ إلى قادرخان (Qadir Khan) وأعطاه تعليمات محددة بأن ينتهى من البناء كله قبل عودة الامبراطور من كشمير، وقد تم كل شئ طبقا لما كان مقررا. وهكذا فان المبانى التى تجتذب اليوم اهتمام السياح فى حصن لاهور قد بنيت على الأرجح فى النصف الأول من القرن السابع عشر.

حصن شاهجهان آباد فى دلهى

كانت دلهى عاصمة للهند منذ عهد التتمش (Iltutmish) حتى عهد سكندر لودى (Sikander Lodi) الذى نقل عاصمة ملكه الى «آجرا»، وقد اتخذ المغول آجرا أيضا كعاصمة لهم، وكانت «دلهى» بالنسبة لهم مجرد محطة استراحة يتوقفون فيها كلما قاموا بزيارة للشمال، وقد اعتاد «جهانجير» أن يعسكر على أرض سليمجره (Salimgarh) وفى السنة الحادية عشر من حكم «شاهجهان» فكر فى أن يتخذ من دلهى عاصمة له مرة أخرى فبنى مدينة جديدة تسمى «شاهجهان آباد» وبنى حصنا جديدا فى موقع يجاور نهر «جمنا» جنوب «سليمجره» والذى اختار هذا الموقع هم فلكيو البلاط، وفى خلال تسعة أعوام ونصف ظهرت الى الوجود فى دلهى القلعة الحمراء

بكل أمجادها وعظمتها ولتخلد ما يسمى بعهد شاهجهان الذهبى — ومبانى هذه القلعة — على ماهى عليه اليوم — ليست الا شبحا لما كانت عليه أيام شاهجهان وأورنجزيب بعد أن جردها مما كانت تتحلى به من صحائف ونقوش ذهبية «المهراتيون والأفغان والبريطانيون» فقد تهدم عدد كبير من المبانى الأصلية وسوى بالأرض ولايمكن أن نعطى وصفا دقيقا لكل القصر الامبراطورى لأنه خارج عن نطاق هذا البحث، وإن كان لابد من أن نقرر وصفا مختصرا لحالته التى كان عليها.

كان هذا الحصن «القلعة الحمراء» مجموعة من المبانى ومحاطا بحائط جميل بنى من الأحجار الرملية الحمراء المنحوتة، وتعلوه بعض الشرفات متفرقة هنا وهناك، وكان يظل على النهر الذى لايفصله عنه الا منطقة رملية، وفيما عدا الناحية التى يطل منها على النهر كان الحصن محاطا من جميع جوانبه بخندق، ويتصل بهذا الخندق حديقة كانت تظل مليئة بالأزهار والشجيرات الخضراء فى كل فصول السنة، وتتسق الوان هذه الحديقة مع اللون الأحمر لحائط الحصن فتؤثر فى نفوس المشاهدين تأثيرا حسنا، وكان يتلو الحديقة أحد الأحياء السكنية الامبراطورية الكبيرة فى مواجهة بوابة الحصن حيث ينتهى شارعان كبيران من شوارع المدينة، وكان الحراس من قبائل الراجبوتانيين يتولون حراسة هذا الحى وينصبون خيامهم فيه، وعند مدخل البوابة الرئيسية لم يكن هناك شئ جدير بالاهتمام سوى تمثالين من تماثيل الفيلة يعلو كل منها راكب — ووصف بيرنير (Bernier) هذين التمثالين فقال: «ان هذين الفيلين الضخمين اللذين يعلو كلا منهما أحد الأبطال ينبعث منهما شعور بالرهبة والجلال، وقد جعلا نى أشعر برهبة واحترام لايتيسر لى وصفهما»؛

وبعبور بوابة الحصن يدخل الانسان شارعا طويلا واسعا تقسمه فى الوسط قناة تجرى فيها المياه، ويحفها من كلا الجانبين طريق، وعلى كل من الجانبين توجد دواوين (Diwans) ترتفع عن الأرض بخمسة أو ستة أقدام، وهذه كانت تحدها بواكى مغلقة يبلغ عرضها حوالى أربعة أقدام، وفى هذه الدواوين كان جباة ضرائب السوق وصغار الموظفين يزاولون أعمالهم، وعلى الطريق المرتفع كان صغار الأمراء والعسكريون يشرفون على الحراس أثناء الليل.

وكانت هناك بوابة أخرى تقع فى الجانب الغربى للحصن، وكان لها شارعا واسعا ودواوين، ولكن الشارع كان محاطا بدكاكين بدلا من البواكى، وهنا كان يقع السوق، وبالاضافة الى هذين الشارعين الرئيسين كان هناك الكثير من الشوارع الفرعية الأخرى التى تتفرع الى اليمين وإلى اليسار، وكل من هذين الشارعين كان ينتهى الى بهو كبير فى وسطه حوض مليئ بالمياه، وكانت النقار خانه (The Naqqar Khanah) تقع على الجانب الشرقى منه، وعلى الأغلب كانت المبانى التى تحيط بهذا البهو يقيم فيها مختلف العمال والخدم الذين يعملون فى خدمة الامبراطور.

وعلى البوابة الرئيسية كانت توجد «النقار خانه» وفى مقابلتها من جهة اليمين توجد قاعة الاجتماعات الخاصة والعامة التى قال عنها «بيرنير» أنها قاعة فخمة تزينها عدة صفوف من الأعمدة التى طعمت بالذهب وكذلك كان السقف أيضا «محلى بالذهب»، وكانت هذه القاعة ترتفع عن الأرض ارتفاعا ملحوظا، وكانت جيدة التهوية ومفتوحة بغير جدران من جوانبها الثلاثة التى تطل على البهو، وفى وسط القاعة المجاورة للقصر الامبراطورى

وعلى ارتفاع أعلى من قامة الانسان كانت توجد فتحة فسيحة أشبه بالنافذة الكبيرة ، وفيها كان يتربع العاهل العظيم كل يوم على عرشه ، وهذه الفتحة كانت محاطة من ثلاثة جوانب بقضبان فضية كما أقيمت أيضا قضبان ذهبية بالقرب من الحافة التى كانت تسمى «جهروكا» (Jharoka) .

وهناك بناء هام آخر وصلت إلينا أوصافه وهو مبنى الاستحمام (Ghosl Khanah) - وهذه الغسلخانه كانت تقع على مسافة قصيرة من القاعة السابقة فى مواجهة النهر ، ولكى نصل إليها لابد من عبور بهوين ، وكانت تواجه النهر من جهتها الشرقية ، وفى ناحيتها الغربية يقع أحد الأبهاء ، وعلى يمينها يوجد الحمام . وعلى يسارها يوجد مبنى يسمى «خوابجاه» (Khwabgah) وهذا المبنى كان عبارة عن صالة أنيقة فسيحة بها نقوش ذهبية وترتفع عن الأرض بحوالى أربعة أو خمسة أقدام ، وفيها كان يجلس الامبراطور مع القلة من خاصته ، وفى وسطها كان يجرى نهر بهشت (Bahisht) الذى يبلغ عرضه أربع ياردات وبه كثير من السمك الجميل الذى طوقت رأس كل واحدة منه بطوق ذهبى محلى بفصوص من الياقوت واللؤلؤ ، وكان لايسمح بدخول أحد من الغرباء الى مجلس الامبراطور حين تربعه على كرسى العدالة ، وحتى السفراء لم يكونوا يستثنون من هذا الحظر .

وبجوار الغسلخانه يقع مبنى الحمام الذى كان يحتوى على مغسل ساخن ومغسل بارد وعلى حجرة للملابس ، وكانت أرضية المغسل الساخن - بما فيها من نتوء مستطيل مرتفع عن الأرض فى وسطها ويشبه المصطبة - كلها من المرمر ومطعمة بمختلف الجواهر والاحجار الكريمة ، أما المغسل البارد فقد كان فى وسطه حوض مربع تحوطه قناة يجرى فيها الماء وتتصل

بهشت» وعلى كل من الزوايا الأربع للحوض ركبت صنابير تمده بالمياه، وكانت أرضيته أيضا مثل أرضية المغسل الساخن مكسوة بالمرمر المطعم بالأحجار الثمينة، وكذلك كانت أرضية حجرة الملابس التى كانت تقع بجوار النهر، وعلى حائطها الداخلى المواجه للنهر ركبت عدة مرايا مستوردة من سوريا لتعكس الى داخل الحجرة جمال النهر.

وقبل أن نتناول بالبحث بعض الملامح العامة للمبانى ينبغى علينا أن نقول شيئا عن الحدائق الامبراطورية التى كانت موجودة داخل الحصن والتى كانت عبارة عن حديقتين متصلتين إحداهما تسمى حديقة متعة الحياة (Hayat Bakhsh) والثانية تسمى حديقة ضوء القمر (Mahtab Bagh). ولا يزال جزء من «متعة الحياة» موجودا حتى اليوم بينما أزال البرطانيون «مهتاب باغ» إزالة تامة، وكانت هاتان الحديقتان متلاصقتين كل منهما بجوار الأخرى وتقعان فى المساحة التى تبدأ فى شرفة بيت اللؤلؤة (Moti Mahal) وعلى اليمين إذا رسمنا خطا وهميا يبدأ من الديوان العام ويسير عموديا نحو الشمال كان هو الفاصل بين الحديقتين. ومن هذا الخط كانت تبدأ الحديقة الثانية وتنتهى بالشارع ذى البواكى.

ولما كانت حديقة «متعة الحياة» أجمل من حديقة «ضوء القمر» فقد أسهب الكتاب فى وصف الأولى التى كان بها «بيت اللؤلؤة» فى الجانب الغربى، وفى شمالها كان يوجد مبنى يسمى «استراحة الربيع» (Bhadon Pavilion)[1] وفى جنوبها كانت توجد «استراحة ساون[2]» وكان

---

(١) بهادون (Bhadon) اسم هندى للشهر الخامس من السنة الشمسية أى يقابل شهر مايو (May) فى فصل الربيع - المترجم.

(٢) ساون (Sawan) اسم هندى لشهر ابريل (April) - المترجم

فى جانبها الشرقى استراحة أخرى ، ولو قسمنا المساحة المربعة بين هذه الاستراحات الأربعة إلى أقسام متساوية كل منها طول ضلعه عشرون ياردة تقريبا لوجدنا أن فى وسط كل منه هذه المساحات الأربع المربعة بركة صغيرة وتجرى فيها قنوات تتقابل وتتقاطع عموديا . وعدد هذه القنوات أربع وعرض كل منها ست ياردات ، ويبدأ كل منها من أسفل إحدى الاستراحات الأربع وينتهى فى وسط المساحة حيث توجد بركة كبيرة مربعة مساحتها (٦٠ × ٦٠ جز) وقد أقيم على كل قناة ثلاث صفوف من النافورات ، وبالبركة المتوسطة تسع وأربعون نافورة بداخلها ومائة واثنتا عشرة نافورة على جوانبها الأربع بمتوسط ثمان وعشرين فى كل جانب ، وكل منها كانت مطلية بالفضة . وفى بداية كل قناة كان هناك شلال صناعى كما لو كان الماء ينبثق من مبانى الاستراحات ، وأسفل هذه الشلالات أقيمت كوة على هيئة قبو اصطفت فيها زهريات من الذهب والفضة مليئة بالزهور المختلفة الألوان فى النهار أما فى الليل فكانت هذه الزهريات تستبدل بالشمعدانات المضيئة .

وقد غصت الحديقة بمختلف أنواع الأشجار ، وازداد جمال الممرات بسبب ما كان يحف بها من كلا الجانبين من أشجار «السرور» وتضوع فى كل أرجاء المكان شذى الأزهار المختلفة الألوان مثل البنفسج والنرجس والورد والياسمين التى زينت المكان وجعلته مثل جنان السموات .

وقد فرش المقر الامبراطورى شاه محل (Shah Mahal) بالسجاجيد التى صنعت فى المصانع الامبراطورية وكلفت ستين ألف روبية ، وكان هناك اثنان من أكبر المهرة فى صناعة السجاجيد قد استخدمهما الامبراطور

أحدهما « علامى سعدالله خان » وهو الذى أشرف على صناعة سجاجيد المقر الامبراطورى . أما الثانى فهو « على مردان خان » وهو الذى تولى صناعة السجاجيد التى فرش بها « الحرملك » الامبراطورى . وعلى كل الأبواب علقت ستائر من المخمل المطرز بوشى من خيوط الذهب والفضة صنعها المهرة فى فن التطريز من إقليم جوجرات . وفى كل حجرة وضعت مشيان (شلت) موشاه بالذهب .

وبناء القصر الجديد بكل نقوشه الذهبية وطلائه كان عبئا غير عادى على الخزانة الامبراطورية ، وقد بلغت تكاليفه باستبعاد اجود العمال ستة ملايين روبية تقريبا .

إضاءة القصر

قبل العهد المغولى كانت طريقة الاضاءة فى الهند طريقة غريبة ، ووصف بابر (Babar) طريقة الاضاءة الهندية على النحو التالى : بدلا من الشموع والشعلات كان الهنود يستخدمون جماعات كبيرة من الرجال الذين تعلوهم القذارة . وكان هؤلاء الرجال يسمون «رجال الاضاءة دواتى» (Dawati) ، وكان الواحد من هؤلاء الرجال يمسك بيده اليسرى ركيزة خشبية ذات ثلاث أرجل مثبت فى اعلاها قاعدة تماثل الجزء العلوى من الشمعدان الذى تثبت فيه الشموع . وفى هذه القاعدة التى تعلو الركيزة وضعت فتيلة فى حجم إبهام اليد ، وفى نفس الوقت يمسك الرجل فى يده اليمنى إناء ينساب منه الزيت من خلال ثقب صغير ليغذى الفتيل بحاجة من الوقود ، وكان كل واحد من العظماء يستخدم مائة أو مائتين من رجال الاضاءة هؤلاء ، وكانت هذه هى الوسيلة الهندية للاضاءة بدلا من

المصابيح والشمعدانات ، وكان كل واحد من الحكام أو العظماء إذا أراد أن يؤدى عملا بالليل أمر هؤلاء الرجال القذرين فنصبوا أجهزة الاضاءة هذه ووقفوا بجوار سيدهم حتى يفرغ من عمله.

ويقول «بابر» : أنه أحضر إلى الهند الشمعدان الذى عرف آنذاك باسم «الناموس» والذى ظل مستعملا حتى عهد الامبراطور «أكبر» الذى أضاف الى تصميمه تحسينات شملت أيضا المادة التى يصنع منها الفتيل ، وبعض شمعدانات التى صممها أكبر كانت تزن عشرة أرطال ، ولم تكن هذه الشمعدانات التى اخترعها الامبراطور على هيئة واحدة بل كانت على أشكال مختلفة ، فبعضها كان له فتيلة واحدة ، وبعضها كان لفتيلته فرعان أو أكثر وأحد هذه الشمعدانات - بصفة خاصة - كان له فتيلة رئيسية وعدة فتائل فرعية كل منها على هيئة أحد الحيوانات ، وكان طول بعض هذه الشمعدانات يبلغ الى ثلاث ياردات وأكثر وبعض الشمعدانات التى اخترعها أكبر كانت بالغة الطول .

ضوء الشمس

فى أحد الأعياد الذى كانوا يلقبونه بـ «يوم الشرف» (Sharaf Day) (وهو اليوم الذى تدخل فيه الشمس منطقة البروج) كانوا يبدأون الاحتفال عند الظهر تقريبا فيعرضون لأشعة الشمس حجرا أبيضا براقا من أحجار الهند يعرف باسم سورجاجرانت (Surajagrant) وهى تسمية هندية معناها (قداسة الشمس) ، ثم يضعون بجوار هذا الحجر قطعة من القطن لتشتعل ، وهذه النار السماوية كانت توضع تحت رعاية شخص معين وتحفظ فى إناء يسمى أجنىبن (Agniban) وكان مضيئو الشموع وحملة المشاعل

والعاملون فى المطبخ الامبراطورى يشعلون ما يحتاجون اليه من النار الموجودة فى هذا الاناء ، وفى نهاية العام كانوا يكررون هذه العملية ويستمرون نارا جديدة من شمس السماء المضيئة .

الاحتفال بوقت الاضاءة

قبيل غروب الشمس كان يترجل أكبر إذا كان راكبا أو يستيقظ إذا كان نائما ، وفى لحظة الغروب كان الخدم يسارعون الى إشعال الشمعدانات ويحملونها فى اثنى عشر صينية من الذهب والفضة ويقفون بها أمام جلالته بينما يقف رجال الحاشية فى خشوع واحترام . ويبدأ أحد المنشدين ـ وبيده شمعدان مضاء ـ فى ترتيل مقطوعة شعرية جميلة يشيد فيها بأمجاد الله ثم يختتم الحفل بدعاء للاسرة الامبراطورية بالمجد والعز وللامبراطور بطول العمر وبالصحة وبالرخاء .

وقد أمر جهانجير حملة الشمعدانات ومنشدى الادعية أن يبدأوا دعاءهم بمقطوعة من تأليفه .

وفى أول الشهور القمرية كانت تضاف على الاحتفال المعتاد بعض الاجراءات لتزيد من جماله وجلاله ، وكان الحد الأقصى لعدد الفتائل فى مشعل واحد ثمانى فتائل بينما كان الحد الأدنى فتيلة واحدة ، وكانت هذه المشاعل تستعمل مع الشمعدانات لاضاءة القصر من الداخل والخارج ، وكان يستخدم لهذا الغرض أيضا بالاضافة الى ذلك المسارج التى توقد بالدهن بدلا من الزيت .

المنارة (Akash Diya)

لا يمكن أن يتم هذا البحث بدون أن نورد ذكرا للمنارة (Akash Diya) وكانت هذه المنارة عبارة عن عمود طويل يبلغ ارتفاعه

أربعين ياردة أو أكثر ثبت بالأرض وقام منتصبا ومدعما بستة عشر ميلا ، وفى أعلى هذا العامود فانوس كبير يمكن أن يرى ضوءه من مسافة كبيرة جدا ، وأغلب ما كان يقام هذا المنار فى المعسكرات الحربية حيث يهتدى بضوئه من ضل الطريق من الجنود أو عابرى السبيل ، وكانت هذه المنارة من امتيازات الامبراطور فلا تقام الا أمام قصر الامبراطور أو فى المعسكر الذى ينزل فيه ، وقد روى «فينش» أن «جهانجير» قد نصب منارة أمام مقر «أم خسرو» تكريما لها لأنها أنجبت له أول أبنائه وولى عهده .

حدائق عظماء المغول

قام المغول ببناء الحدائق فى جميع أنحاء البلاد لتكون مجلبة للمتعة أو لتكون مقرا مؤقتا إذا قاموا بزيارة عابرة لأحدى الجهات ، وقد أقيمت هذه الحدائق على مستوى الاسراف والمبالغة فى فخامتها وعلى مساحات شاسعة ، وبها ممرات وأحواض للزهور وقنوات للمياه وبنايات للسكنى . وطبقا لتخطيط هذه الحدائق وما يحيط بها وادائها للغرض من إنشائها وهو المتعة والسرور والراحة يمكن تقسيمها الى ثلاث مستويات .

نموذج لحديقة مغولية

وصل إلينا وصف لحديقة چهار باغ[1] (Chahar Bagh) التى أنشأها «بابر» فى مدينة آجرا ، ومن الممكن أن نتخذ هذه الحديقة كنموذج لغيرها من الحدائق وقد أقيمت الحديقة على مساحة مربعة تقريبا ومحاطة بسور عبارة عن حائط عريض ولها أربع بوابات كبيرة ، وقسمت مساحة الأرض

---

(١) تسمية أردية معناها «حديقة الأربعة» فكلمة «چهار» معناها أربعة وكلمة «باغ» معناها حديقة أو منتزه - المترجم .

الى أربعة أقسام متساوية ، وفى كل واحد من هذه الأقسام بنيت نافورات وقنوات المياه التى تستمد ماءها من أحواض أو من آبار حفرت لهذا الغرض وفى سرهند (Sarhind) توجد حديقة تعتبر نسخة من هذه الحديقة :

وفى حديقة «سرهند» أقيم حوض ضخم عظيم وقد بنى هذا الحوض بالأحجار وفوقه قنطرة ترتكز على خمسة عشر عقدا لتصل بأرض الحديقة منزلا صيفيا أقيم وسط الحوض ، وحفرت قناة تتصل بالحوض لتنقل الماء الى الحديقة الامبراطورية التى تقع على مسافة قريبة ، وكان هناك أيضا طريق تحفه الأشجار من كلا الجانبين يوصل الى هذه الحديقة التى كانت تسمى دلكشا (Dilkusha) ، وهى تعد من أقدم الحدائق التى كان ينتجع فيها الامبراطور «أكبر» كلما كان فى طريقه الى الشمال الغربى ، وفى عهد «جهانجير» كانت هذه الحديقة قد فقدت ما كان لها من رونق وبهاء ، ولكنه فى السنة الرابعة عشرة من حكمه عين خبيرا فى فلاحة البساتين وفن العمارة هو خواجه واعظى (Khwaja Wayzi) وأعطاه تعليمات محددة كى يصلح هذه الحديقة إصلاحا شاملا فيزيل الأشجار العتيقة ويستبدلها بأخرى (شابة) ويصلح المبانى القائمة أو يزيلها ويبنى بدلا منها عمارات جديدة مثل الحمامات وغيرها فى المواضع المناسبة ، وفعلا تمت عملية تجديد الحديقة حسب تعليمات الامبراطور ، وحينما زارها «فينش» و «المانريق» حكما بأنها من خلق الخواجه واعظى ومن صنع يديه ، وقد كانت مسورة بحائط من الآجر به أربعة بوابات ضخمة ، وكانت مقسمة الى أربعة أقسام متساوية يفصلها ممران رئيسيان متقاطعان يبلغ عرض كل منها أربعين قدما ويرتفع ثمانية أقدام ويجرى فى وسط كل ممر قناة مبنية بالأحجار تتدفق فيها المياه ، ويحف بجانبى

كل منها صف كثيف من أشجار الحور التى تفصل بين كل منها مسافات متساوية ، وأحد هذه الممرات رصف بحصى الأحجار الملونة بشكل بديع ، وعند نقطة تقاطع الممرين أقيم المقر الامبراطورى المزين بالطلاء والنقوش ، وكانت الحديقة مزروعة بمختلف أنواع أشجار الفاكهة وشجيرات الزهور ، كما كانت تنتج أيضا كثيرا من أنواع الخضروات ، وكانت تغل سنويا مبلغا قدره خمسون ألف روبية .

وكثير من المراجع التى تضمنت ذكر الحدائق المغولية قد كتبت فى ذلك الوقت ، وحديقة « نور باغ (Nur Bagh) التى أنشئت فى عهد «جهانجير» بالقرب من آجرا وكلفت مائتى ألف روبية ورد لها وصف تفصيلى فى كتاب «تزك جهانجير» (Tuzuk-i-Jahangiri) وفى لاهور كانت توجد بعض الحدائق من هذا الطراز مثل حدائق «باغ دلكشا» (Bagh Dilkosha) و «باغ ميرزا كامران» (Bagh-i-Mirza Kamran) و «باغ نولكهم» (Bagh-i-Navlakh) وكذلك حديقة «باغ عزاباد» (Bagh-i-Izzabad) التى كانت تقع بالقرب من دلهى وتعرف أيضا باسم شاليمار (Shalimar) .

وبعض الحدائق على هذا المستوى كانت توجد فى إقليم كشمير ، وأرض كشمير مليئة بالجمال والروعة ، فتلالها مليئة بالزهور الجميلة وفى وديانها تكثر الشلالات والينابيع الطبيعية بغزارة ووفرة ، وقد استرعت انتباه الاباطرة المغول رياضها الخضراء الجذابة وحقولها الناضرة بزهور الزعفران وعاصمتها «سرى نجر» بكل مايحيط بها من بحيرات ومناظر خلابة ، وكل هذا الجمال جعل كشمير تجتذب كل أباطرة المغول ليقضوا فيها فصل

الصيف أو الخريف من كل عام وليستمتعوا بجوها الصحى المنعش ، وكان الامبراطور «جهانجير» يقضى هناك فصل الصيف من كل عام ، وكذلك «الشاهجهان» والامبراطور «أورنجزيب» قد زاراها ليرا بأعينهما جمالها ، وقد بنى الأباطرة قصورا وحدائق فى كل بقعة فيها فأضافوا لجمال الطبيعة روعة الفن الذى اخترعه الانسان ليجمل به وجه الأرض ويجعله جديرا بأن يحيا فيه الانسان وينتعش به ، وحصل ذات مرة بينما كان «جهانجير» فى إحدى رحلاته بكشمير أن صادفته عاصفة ثلجية فلجأ الى معسكر معتمدخان (Mutamid Khan)، ومنذ هذا الوقت أمر بأن يقام مبنى على كل مرحلة لتكون استراحة امبراطورية ، وجاء «الشاهجهان» فأجرى بعض التعديلات إذ أمر بأن توضع هذه الاستراحات الامبراطورية تحت إشراف أحد النبلاء وفى رعايته .

وكانت «سرى نجر» عاصمة لمملكة قديمة ، وكانت بها بحيرة جميلة ، وعلى ضفاف هذه البحيرة بنى المغول كثيرا من الحدائق البديعة ، ولكن لم يكن بين هذه الحدائق ما هو أجمل من حديقة شاليمار (Shalimar) وهذا الاسم كان يطلق على مجموع حديقتين هما «فيض بخش» و «فرح بخش» .

وطبقا لما رواه «القزوينى» فانه لم يكن بين الحدائق الامبراطورية فى « سرى نجر » ما يضاهى حديقة «باغ فيض» فى اتساعها وجمالها وإبداعها . وهذه الحديقة أنشأها « الشاهجهان » وقت أن كان أميرا قبل أن يعتلى العرش ، وقد سميت آنذاك باسم «شاليمار» ، وحينما اعتلى العرش وصار امبراطورا زاد فى تجميلها بأن أضاف اليها بعض المبانى والبرك والأحواض وخزانات المياه وبعد تمام هذه التحسينات تغير اسمها الى «فرح بخش» ، وخصصت كلها لتكون منتزها ومنتجعا للحريم الامبراطورى .

كانت هذه الحديقة مليئة بالطرقات من بدايتها الى نهايتها ، وقد أنشأ فيها «الشاهجهان» إبان عهد ولايته للعهد (إمارته) جدولا عرف بعد اعتلائه العرش باسم نهر الشاه (The Shah Nahr) وكان عرض هذا الجدول عشر ياردات تقريبا ، وكان يبدأ من الناحية الخلفية للحديقة ، ويدخل الممر ، ويسير فى وسطه حتى يدخل المبنى الذى يتوسط الحديقة ، وبعد أن يعبر هذا المبنى ينزلق فى شلال عرضه عشر ياردات ليصب فى بركة مساحتها (٣٠ × ٣٠ ياردة) ، وفى هذه البركة يبرز نتوء مسطح فى وسطها كما كان بها أربع صنابير فى أركانها الأربعة ، ثم يستمر الجدول فى سيره حتى يدخل ممرا آخر ويسير فى وسطه على نفس السابق وصفه فى المرحلة السابقة ، ثم بعد أن يجتاز عددا من المبانى ينزلق فى شلال آخر ويصب فى بركة أخرى تماما مثل المرة الأولى ، ثم يخرج من هذه البركة فيجتاز ثلاث شلالات ، وحينئذ يدخل الممر الشهير الذى يحيطه أشجار الحور والسيكامور التى غرسها « الشاهجهان » حينما كان أميرا وجعل بين كل شجرة وأخرى مسافة مقدارها عشر ياردات ، وكان عرض هذا الممر يبلغ ثلاثين ياردة وطوله نحوا من خمسمائة خطوة ومغطى فى جميعه بالمروج النضرة الجميلة ، وكان عرض «نهر الشاه» أثنى عشرة ياردة ويستمر فى سيره خلال هذا الممر حتى يصل الى بحيرة تسمى «دل ليك» وهنا كانت القوارب تسير فى النهر ابتداء من «دل ليك» حتى المبانى التى ينتهى عندها : وكان «نهرالشاه» مبلط بقطع مرصوصة من الحجارة ، وفى وسطه أقيمت صفوف طويلة من النافورات كل مجموعة منها فى مساحة يبلغ طولها خمس عشرة خطوة ، وفى الحديقة أيضا تناثرت هنا وهناك

أحواض كبيرة مستديرة وخزانات للمياه أقيمت فيها نافورات اتخذت أشكالا وصورا مختلفة .

والمبانى الامبراطورية التى سماها «بيرنير» دورا صيفية وصفها وصفا كاملا فقال : كانت هذه الدار الصيفية تبنى فى وسط مجرى للمياه ، وبالتالى كانت المياه تحيطها من جميع الجهات ، وكانت تحاط هذه الدار بمحيط كامل من أشجار الحور ، وكانت تبنى على شكل قبة تحاط ببهو تنفتح فيه أربعة أبواب يطل اثنان منها على امتداد النهر من الجانبين أما الاثنان الآخران فينفتح كل منهما على قنطرة توصل المبنى بضفة مجرى الماء ، ومن المعتاد أن يكون بالمبنى حجرة كبيرة فى وسطه ، وأربع أبهاء فى كل ركن واحد منها ، وداخل المبنى كله محلى بالنقوش وطلاء الذهب ، وعلى حوائط الحجرات نقشت جمل تتضمن حكما وأمثالا وأدعية كتبت بالخط الفارسى وبحروف كبيرة ، وقد صنعت الأبواب الأربعة من مواد غالية الثمن كما كسيت واجهاتها بمواد ثمينة جدا .

وكانت اشجار الفاكهة التى زرعت فى هذه الحديقة تضم بين أنواعها المختلفة أشجار العنب والتفاح واللوز والخوخ الخ .

وكانت هناك قطعة منخفضة من الأرض تجاور حديقة «فيض بخش» فاختارها «شاهجهان» لينشئ عليها حديقة أخرى ، وجعل فيها ممرا مماثلا لما سبق وصفه ، وأنشأ فيها جدولا مستقلا ولكنه متصل بنهر الشاه ، وبنى فى وسط الحديقة بركة مساحتها (٤٠×٤٠ ياردة) ، وفى وسط هذه البركة شيد بناء مساحته (١٠×٨ ياردة) به عدد من القاعات المبنية بالحجر ، وبجوار سور هذه الحديقة بنى مقرا للاجتماعات الخاصة والعامة ، وفى الناحية الأخرى

من الحديقة بنى حماما ، واستعمل المبنى الذى يقع فى وسط الحديقة كـ «غسل‌خانه» وهكذا فان حديقة «فرح بخش» كانت الاطار البهيج للمقر الامبراطورى بينما كانت حديقة «باغ فيض بخش» عبارة عن جناح خاص بالحريم .

وقد تبنى «شاهجهان» الطراز الكشميرى فى الحدائق فأقام على غراره حديقة جميلة فى لاهور كانت تنقسم الى حديقتين عرفتا باسم «فرح بخش» و«فيض بخش» وكذلك أطلق عليها اسما واحدا هو «شاليمار» .. وكذلك كانت حديقتا «ماهتاب بخش» و«حياة بخش» فى دلهى متجاورتين جنبا لجنب ويطلق عليها نفس الاسم «شاليمار» . وفى حديقة لاهور أنشأ «على مردان خان» جدولا يسمى «نهر الشاه» ، وقد تكلف بناء هذه الحديقة مائة ألف روبية تحملتها خزانة الدولة ، وقد أمر «خليل الله خان» بأن يختار موقعا مناسبا للحديقه بحيث يشتمل على قطعتين من الأرض احداهما مرتفعة والأخرى منخفضة لتقام فيها برك وقنوات ونافورات المياه ، وقد بدأ العمل على أساس رسم مشروع أقره الامبراطور ، وقد تكلف المشروع كله ستمائة ألف روبية .

وتنقسم هذه الحديقة الى ثلاثة أقسام ، وكان القسم الأول يشتمل على حجرة للنوم «خوابجاه» وقاعة للاجتماعات وجناح الامبراطورة ، وقد سمى هذا القسم بـ «فرح بخش» وكان به كثير من القنوات وخزانات المياه والبرك والنافورات الخ ، وكان القسمان الثالث والرابع يسميان فى مجموعهما «باغ فيض بخش» ، وكان بالقسم الثانى يوجد الحمام الذى كسيت صالاته بالرخام والحجر الأحمر وكان هذا الحمام يشتمل على مغسل ساخن ومغسل بارد وحجرة

للملابس وبالاضافة الى الحمام كان يوجد بهذا القسم أيضا بركة كبيرة تبلغ مساحتها (٨٢ × ٦٠ ياردة) ، أما القسم الثالث والأخير فقد كان به قاعة العرش وجناح للحريم وكثير من البحيرات وقنوات المياه .

وكان بالحديقة كثير من أشجار الفاكهة التى تثمر فى الفصول الحارة والتى تثمر فى الفصول الباردة من فصول العام مثل البرتقال والخوخ والكمثرى الخ .

كما كانت بالحديقة أيضا أنواع كثيرة من أشجار الزينة التى يمكن أن نذكر من بينها أشجار السرو والسيكامور والأرجوان وكذلك تجملت الحديقة بأنواع الزهور المختلفة التى زرعت فى أحواض خاصة ، ومن بين هذه الزهور يمكن أن نذكر النرجس الياسمين الأصفر والسوسن والتيوليپ .

تعريب : الاستاذ زاهر عزب الزغبى

أول تاريخ للصحافة الهندية

للاستاذ نادم سيتابورى

مما ورد فى خطاب اذاعى للاستاذ قاضى عبد الغفار المرحوم بعنوان : « الصفحافة الهندية » :

ان قصة الصحافة الهندية هذه فى حالة فوضوية ، وفى شكل غير منسق فليست هناك آداب ومواد تساعد على دراسة تاريخها . اللهم الا كتابين او ثلاثة كتب موجزة ، وبضع مقالات . فكتاب « اختر شاهنشاهى » الذى وضعه (اختر الدولة) السيد محمد اشرف نقوى معتمد الهيئة العلمية بلكهناؤ ، هو الكتاب الوحيد الذى كان قد نشر سنة ١٨٨٨ م . ونسخه نادرة الوجود اليوم . وفى سنة ١٩٠٩ نشر مكتب جريدة «پيسه اخبار» الصادرة فى لاهور كتابا احتوى على تراجم الصحفيين . وهذا الكتاب وان لم يكن مكتملا فى الموضع غير ان له قيمة لابأس بها . واما المعلومات الاخرى عن صحافة اللغة الاردية . . المعلومات التى لاتستند إلى هذين الكتابين فانما المصدر الاكبر لها مقالات «كارسان دتاسى» التى نشرت ترجمتها فى مجلة «اردو» الصادرة عن « انجمن ترقى اردو » (هيئة ترقية الاردية) .

(مجلة « نكار » الشهرية عدد نوفمبر ١٩٤٠)

والحقيقة كذلك ان ما نجده اليوم فى الصحافة الهندية من وجهة النظر التاريخية بصورة كاملة او غير كاملة ، مصدرها اما نفس كتاب «اختر شاهنشاهى» لاختر الدولة أو محاضرات ومقالات للدكتور «كارسان دتاسى» . ولا توجد علاوة على ذلك اية مواد اخرى فى اللغات الهندية ، يمكننا بالتأسيس عليها ان نستعرض الصحافة الهندية استعراضا دقيقا

وتاريخيا . على انه لايصح عندنا رأى الاستاذ قاضى عبد الغفار ان الكتاب «اخبار نويسون کے حالات» (احوال الصحفيين) لمنشى محمد الدين فوق ، الذى نشرته جريدة «پيسه اخبار» سنة ١٩١٩ م بعد كتاب «اختر شاهنشاهى» الذى تم نشره فى يونيو سنة ١٨٨٨ م — كان محاولة ثانية ناقصة فى موضوع الصحافة الهندية ، لان جريدة «پيسه اخبار» (لاهور) نفسها كانت قد اصدرت من قبل كتابا بعنوان فهرس الجرائد سنة ١٩٠٤ . وقد تضمن هذا الكتاب لستمائة واربعين جريدة من جرائد الفارسية والهندية ، والگجراتية والمرهتية ، والبنغالية ، والانجليزية . غير ان هذا الكتاب ناقص من مختلف النواحى ، فهو لايعيننا حتى اذا احتجنا إلى الاطلاع على سنة اجريت فيها جريدة من الجرائد ، كما انه لم يتعرض لذكر كثير من جرائد اللغة الاردية التى كانت تصدر حينذاك وكانت ذائعة الصيت وحائزة للتقدير والاعجاب .

ومما لا خلاف فيه ان ماكتب فى الصحافة الهندية فى مدة نصف قرن بعد عام ١٩٠٤ ، لم يكن الا نزرا يسيرا . فكل ماكتب لا يعدو عدة مقالات ناقصة غير مشبعة للبحث . ولكن ماكتبه من بين هذه المقالات علامة كيفى وتاتريه الدهلوى ، ومولوى انعام الحق حق ومولانا احسن مارهروى ، وقاضى عبد الغفار — يجوز إلى حد كبير وصفه بأنه يحمل طابع الدقة والبحث . على أنه قد صدر كتابان بعد ثورة ٥٧ يستحقان الذكر والتنويه . احدهما للاستاذ امداد صابرى ، واسمه «تاريخ صحافت اردو» (تاريخ الصحافة الاردية) وهذا الكتاب صدر سنة ١٩٥٢ كما اذكر والآخر كتاب بعنوان ترجمته «الصحافة الهندية فى عهد الشركة» اهتمت

بنشره هيئة «انجمن ترقى اردو ، الهند» . واذا قارنا بين هذين الكتابين ، وجب علينا ان نقول بان الكتاب الذى صدر عن «انجمن ترقى اردو» يستحق ان يوصف بانه اول كتاب فى الصحافة الهندية من ناحية اهميته التحقيقية ، وصبغته البحثية .

ويقول الدكتور قاسم على سجن لال (رئيس قسم التاريخ بالجامعة العثمانية بحيدرآباد دكن) عن كتاب «اختر شاهنشاهى» : «هو تراث ثمين من ثقافتنا وحضارتنا» . فلا نبالغ اذا قلنا انه حجر الزاوية لصحافة الهند البدائية .

والدكتور سجن لال أول من ترجم الكتاب «اختر شاهنشاهى» إلى الانجليزية بعد ان قضى فترة غالية من حياته عاكفا على دراسة تاريخية للصحافة الاردية . ولم تصدر هذه الترجمة بعد . على انى استطيع ان اقول حسب معلوماتى ان هذا الكتاب المترجم سوف يعتبر من روائع البحث والدراسة عند ما يبرز . والرأى الذى ابداه الدكتور سجن لال فى «اختر شاهنشاهى» فى اول ترجمته نقدمه فيما يلى بتعبيره ، والذى يلقى الضوء الكافى على فائدة هذا الكتاب واهميته

«لقد ظللت اعمل على دراسة تاريخ الصحف الاردية منذ عشرين سنة ماضية . والآن (فى سنة ١٩٥١ م) تشتمل ذخيرتى الشخصية على حوالى الفى عدد من الصحف الاردية . ويسرنى ان اعترف بان كتاب اختر الدوله الحاج السيد محمد اشرف «اختر شاهنشاهى» قد افادنى كثيرا وساعدنى كدليل مساعدة كبيرة . واستقطبت منه حوالات كثيرة .

ولاشك ان «اخترشاهنشاهى» (طبعة يونيو ١٨٨٨) (الذى كتب عنه المصنف بخطأ انه ترجمة حياة الصحف الاردية) كتاب هام فى هذا الموضوع. ويمكننى ان اقول عن هذا الكتاب بلا تردد انه كتاب منقطع النظير. لانه لم يتم عمل من مثل هذا النوع بشأن صحف لغة اخرى من اللغات الهندية حسب مايتسع نطاق علمى فى ذلك إلا انه قد صدر مؤخرا كتاب باسم «هندى اخبارات كى كتابيات» ومما يبدو ان هذا الكتاب يتوقف معظم اعتماده على كتاب لـ «Margarita Borns» وفيه ملحوظات تفصيلية عن صحف اللغة الهندية.

والعمل الجليل الذى انجزه العالم الفرنسى: كارسان دتاسى وهو على بعد خمسة الآف ميل من بلادنا ندين له، ونقدره كثيرا. ومعاصره اخترالدوله الذى كان يصغره سنا نزل فى ميدان الصحافة، واصبح ركنا هاما من اركان «الولاية الرابعة» أى الصحافة.

وهو يستحق منا الشكر والتقدير لكل ما كتب فى هذا الموضوع، فانه خلف لنا تراثا ثقافيا عظيما.

ويظهر بالمطالعة ان كارسان دتاسى قد وقع فى عدة اخطاء من ناحية الحشو والزوائد. وان لم يخل «اختر شاهنشاهى» ايضا من هذا النوع من الاخطاء، غير ان ذلك لايحط من قيمة الكتاب واهميته، بل انه يعطينا مجالا للعمل على ازالة مثل هذه النقائص مما يعمل فى هذا الموضوع فى المستقبل.»

وان الصحافة الهندية، وان كانت قد بدأت فى اواخر القرن الثامن عشر، ولكن اولى صحف اللغة الاردية انما اصدرها مولوى اكرام على

(مترجم اخوان الصفاء) سنة ١٨١٠م من كلكتا باسم «اردو اخبار». واما جريدة «جام جهان نما» وجريدة «مرآة الاخبار» لصاحبها راجه رام موهن فانما بدأ صدورهما بعد صدور جريدة «اردو اخبار». ومن الغريب ان احدا لم يشعر بهذه الحاجة الهامة للتاريخ. ولم تتطرق إلى بال احد فكرة عن ذلك سوى اختر الدوله، إلى ثورة ١٨٥٧ وذلك على الرغم من تلك العشرات من جرائد الاردية، والفارسية، والهندية، والبنغالية، والمرهتية التى كانت تصدر بصفة الاستمرار والمواظبة. غير ان الخدمة الجليلة التى اداها المستشرق الفرنسى فى بلاد نائية ستبقى على مر العصور منة كبيرة على الادب الاردى والصحافة الاردية. وانما أنتجه هذا المستشرق بجهوده المضنية من بحوث وما كتبه من مقالات فى تاريخ الصحافة نعتبره ذخيرة علمية ثمينة، كما نعتبره من معالم الطريق، مثل كتاب «اخترشاهنشاهى».

وهذا الكتاب يحتوى على مأتين واربع وتسعين صفحة. وورد فيه ذكر الف وخمسمائة وثمانى عشرة جريدة ومجلة ومطبعة. وقد تم نشر هذا الكتاب فى يونيو سنة ١٨٨٨م بالمطبعة الشخصية لاختر الدولة «اخترپريس لكهنؤ». وتوجد فى آخر الكتاب تقاريظ لبعض الشخصيات. واسم مولانا عبد الحليم شرر اكثر جدارة بالتصريح منهم، ويبدو انه نظر إلى هذا العمل الصعب المستعصى بمنظارلون المستوى العالى. مع ان كل خطوة بدائية من التاريخ تبدو متعثرة على مناهج «المبادئ». ومما لاشك فيه ان نظم الصحف والجرائد الهندية فى سلك واحد كان عملية صعبة المراس. واما بالنسبة لأهمية هذا الكتاب الافادية فلم ينكرها الاستاذ شرر ايضا. حيث قال:

انى اقدر جهد المؤلف (اختر الدولة) فلقد خطرت على باله فكرة طيبة وبديعة حملته على وضع هذا المؤلف».

(اختر شاهنشاهى ــ «اختر پريس لكهنؤ» ــ ١٨٨٨ م)

لم يكن هذا الكتاب لاختر الدولة مكتمل الجوانب باعتبار مبادئ التاريخ عند «شرر» وقد يكون السبب فى ذلك ان هذا الكتاب قد تعرض فى عدة امكنة لذكر الطابعين والناشرين الى جانب محرريها ورؤساء تحريرها. وقد يكون ذلك من اجل ان تكون هذه التفاصيل تعتبر فى ذلك الوقت جزءا لاطائل تحته. ولكن الذين يشتغلون اليوم بالتتبع والبحث عن تاريخ الصحافة والمطبعة إنما يكملون أبحاثهم مستعينين بمثل هذه الجزئيات غير الهامة. فان التفصيلات التى جعلت «شرر» بالامس يقرر ان كتاب «اختر شاهنشاهى» لم يجئ وافيا بمبادئ التاريخ. هى التى اصبحت اليوم اهم ما نحتاج اليه وفاء بمقتضيات التاريخ وحاجاته.

ان الازدهار والتقدم المضطرد الذى حققته صحافتنا فى الهند بعد ثورة عام ١٨٥٧ م جنبا إلى جنب مع انتشار استخدام المطابع بسرعة هائلة، يمكننا ان نقول ازاءها انه لم يكن من السهل تكميل هذا العمل إلى حد كبير. فقد ذاع فى ذلك العصر اقبال الناس على الصحف والجرائد والمجلات. فأخذت تصدر الصحف والمجلات من كل مدينة وقرية. وكان يقوم بكفالتها الحكام والامراء والاغنياء واصحاب الممتلكات والعقارات. ولم تكن هذه الصحف والمجلات من الذيوع ووسعة النطاق بحيث يسهل تهيئتها فى كل مكان. وذلك كان هو السبب فى أن احدا من الباحثين والمؤرخين لم يوجه

عنايته إلى هذه الناحية الهامة من التاريخ بعد صدور مؤلف «اختر شاهنشاهى» إلى ما يقارب خمسين عاما . وفى سنة ١٩٣٤ م كان مولانا ظفر الملك العلوى قد كتب فى الكلمة الرئيسية لـ «الناظر» :

«عاشت فى لكهنؤ شخصية اسمها اختر الدولة الحاج سيد محمد أشرف النقوى الذى كان يملك مطبعة اختر ، وجريدة «اختر هند» . وكان أيضا سكرتيرا شرفيا لمجلس علمى» فى زمنه . وقد وضع مؤلفا باسم «اختر شاهنشاهى» الذى يحتوى على ثلاثمائة صفحة ، وطبعه بمطبعته فى يونيو عام ١٨٨٨ م . والاسم الثانى لهذا الكتاب «سوانح عمرى اخبارات» (تراجم حياة الصحف) وان الجهد الكبير الذى بذله المؤلف يستحق عليه الشكر والتقدير . فقد سجل فى هذا الكتاب كل ما امكنه الاطلاع عليه من المطابع والصحف والمجلات على ترتيب الحروف الهجائية» . (ص ٤٩ ، بمجلة «الناظر» الشهرية لكهنؤ سبتمبر سنة ١٩٣٤ عدد ٣ ج ٣٨ .)

ان العقبات والعراقيل والصعوبات الخطيرة التى يصادفها الانسان عند ممارسة هذا العمل الجليل الخطير لايمكن أن يقدرها ويشعر بوعورة الطريق إلا أولئك الذين قضوا أثمن ساعات واغلى اوقات من حياتهم فى هذا العمل . ولذلك فان ما كتبه محمد عتيق الصديقى عن جهود «اختر الدولة» فيه تقدير لها واعتراف بقيمتها العلمية . فانه وضع كتابا «الصحافة الهندية فى عهد الشركة» بعد ان قام فى سبيل ذلك بجهود متواصلة مدة تتراوح بين خمسة عشر وستة عشر عاما وقد جاء كتابه هذا ذخيرة قيمة :

«ليس عندنا للجرائد والمجلات الاردية البدائية الا مصدر واحد وهو «اختر شاهنشاهى» الذى نشر فى يونيو ١٨٨٨ . هذا الكتاب يتناول بالذكر

الجرائد والمطابع والمجلات. ويستحق ان يقال عنه انه موسوعة تحتوى على بيان الجرائد والمجلات والمطابع. وان ما يكون المؤلف قد صادفه من الصعوبات والمعضلات فى جمع المواد وتهيئة المعلومات اللازمة عن الصحف وغيرها لايمكن ان يقدره إلا الذين سبق لهم العمل على موضوع الصحف والمجلات.» (ص ٢٨١ - اردو اخبار نويسى كمپنى كے عہد ميں (الصحافة الهندية فى عهد الشركة.)

ومن صدف التاريخ الممتعة ايضا ان الايام التى كان يعد فيها المستشرق الفرنسى «الدكتور گارسان دتاسى» فى باريس ابحاثا عن الادب الاردى والصحافة الاردية. فى نفس تلك الايام كان اخترالدولة يبذل جهوده فى جمع المواد عن الصحف والمجلات والمطابع الهندية متنقلا من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية فلم يبق واحد من لكهنؤ، ودلى، وحيدرآباد، وكلكته، وبمباى، وبتنه، ولاهور، وميرته، وبنارس، وآگره، وبهوفال وغيرها من المدن، إلا وقد وصل إليه. وقد بدأ العمل على تاليف هذا الكتاب سنة ١٨٧٩ م. وكان ذلك عصر تقدم سيتابور فى مضمار الادب والصحافة. العصر الذى اسس فيه رياض خيرآبادى «رياض الاخبار» بعد ان اصدر جريدة «غالب الاخبار» كما اصدر بعد ذلك بقليل جريدة يومية تار برقى من خيرآباد (بمديرية سيتابور)، كانت تطبع هذه الجريدة بمطبعة رياض المعروفة بـ «رخشان پريس خيرآباد» غير ان مقر مكتبها التجارى كان فى مدينة «سيتابور» ولعل قيمة هذه الجريدة كانت بيسة واحدة. و«گلكدهٔ رياض» أيضا كانت من نتاج ذلك العصر. وفى نفس هذه الايام اصدر منشى منى لال بلگرامى

مجلة شهرية باسم «تهذيب الآثار» التى اهتمت بنشر قائمة باسماء الصحف والمجلات التى كان يقوم باعدادها «اختر الدولة» ولقد استمر نشر هذا الملحق بهذه المجلة تحت عنوان «ذخيرة أشرف» عدة سنوات. ونفس هذا الملحق المنشور فى مجلة (تهذيب الآثار) بالحلقات المتواصلة شكل كتابا مستقلا نشر بعد، وسمى بـ «اختر شاهنشاهى» وننقل هنا بالحرف الواحد ماكتبه اخترالدولة عن «ذخيرة اشرف»:

« «ذخيرة أشرف» ملحق جريدة «تهذيب الآثار» الشهرية ان هذه الجريدة تهتم بنشر فهرس عن الصحف، بترتيب المدن التى تصدر فيها. وهذه اولى الجرائد الهندية من نوعها اعتبارا لهذه الناحية. » (اختر شاهنشاهى - ص ١٢٧)

ويكتب عن «تهذيب الآثار»:

«تهذيب الآثار» سيتابور، لغتها واضحة وسهلة مفهومة للعامة ومقالاتها وطنية ذات فائدة عميمة، وسواءا كانت تلك المقالات متعلقة بتخفيض نفقات الزواج، أو بالزواج الثانى أو زواج الارامل أو بشئون اخرى.

تصدر من سيتابور (قطر أوده) حارة تامس گنج. منزل السيد محمد صادق المحامى الحكومى ومالك المطبعة.

اسسها منشى منى لال بلگرامى، المدرس الثالث بالمدرسة الثانوية للمديرية، ومحرر «ماهوارى».

٨ صفحات صغيره. اشتراكها السنوى لولاة البلاد والوجهاء والاعيان والرؤساء، واصحاب العقارات، ومجالس البلدية خمس روبيات ونصف. ولعامة القراء: روبية ونصف. وللطلاب خمس عشرة آنة.

ويتولى ادارتها: منشى فرزند حسين رئيس بالى - المطبعة: «صبح صادق سيتابور» اجريت: فى اول سبتمبر سنة ١٨٧٩. (اختر شاهنشاهى ص ٨٥)

وعلاوة على مجلة «تهذيب الآثار» كانت هناك جرائد أخرى كان يشرف على ادارتها اختر الدولة. وهى: «اخترهند» و «اشرف گزت» - وكانتا تصدران من لكهنؤ - ومجلة «انجمن علمى» التى كانت تصدر فى بدايون، وپبلك اوپينيين (Public Opinion) التى كانت تصدر فى بنارس. فلقد كانت هذه الجرائد والمجلات ترتبط بصلة ما بذلك المجلس العلمى «انجمن علمى» الذى كان سكرتيره اختر الدولة. وكان هذا المجلس يهدف إلى بث العلوم الشرقية وتوسيعها. ومما يعتز به هذا المجلس هو أن كلا من مولانا عبد الحليم شرر، ومنشى سجاد حسين (اوده پنچ) خواجه بنده حسن خان ووارث على علوى، وخواجه مير اسد جعفرى كانوا من المساندين المتحمسين لهذا المجلس. وفى لكهنؤ يوجد حى باسم «كتره محمد على خان» بالقرب من حى «منصور نگر»، وفى هذا الحى كان يسكن اختر الدولة، وفيه كانت مطبعته. وكذلك مكتب «انجمن علمى». وكان هذا المجلس يهتم بعقد حفلة او حفلتين فى الشهر تارة كانت تتلى فيها المقالات العلمية، وفى بعض الاحيان كان يكتفى بعرض التقرير المتضمن لنشاطات المجلس واعماله التى انجزها. وفى اعقاب ثورة سنة ١٨٥٧ م عند ما لجأ الانجليز إلى أساليبه المتنوعة محاولة منهم لتحويل عناية الشعب الهندى عن السياسة الوطنية، انشئت حركة ادبية باسم «تهذيب» بايعاز منهم. وقد ذكرها الدكتور

كارسان دتاسى فيما كتبه عن الادب والصحافة الهندية . وقد أنشئت بنفس هذا الاسم مؤسسات ادبية فى مختلف المدن . وكانت ايضا تصدر عن هذه المؤسسات جرائد ومجلات . وكانت للمجلس العلمى صلة بنفس هذه الاتجاهات . فكانت قد اسست له عدة فروع فى اتربرديش وبيهار . وقد ظل اختر الدولة يعمل بنشاط دائب على توسيع هذه الحركة وتطويرها . جريدة « اختر هند » و « أشرف گزت » ومجلة « انجمن علمى » كانت تتم عملية الترتيب لكل منها فى مدينة لكهنؤ ومنها كانت تنشر وتوزع . واما مكتب مجلة « انجمن علمى » الذى كان فى بدايون لم يكن إلا رسميا أو اسميا فان جميع الاعدادات والاعمال اللآزمة كانت تتم فى لكهنؤ . واما جريدة : پبلك اوپينيين (Public Opinion) ، فانما كانت تطبع فى بنارس ولم يكن اختر الدولة إلا مديرا اسميا وشرفيا لهذه الجريدة . وانما كان يقوم بجميع اعمالها الدكتور امير على بنفسه . وقد اجريت هذه الجريدة فى ٤ مايو سنة ١٨٨٣ م وطبعا كانت لغتها الاساسية الانجليزية غير أنه كانت قد خصصت فيها عدة أعمدة للاردية ايضا . ومجلة « انجمن علمى » انشئت فى اغسطس سنة ١٨٨٢ . وفى سنة ١٨٨٨ م اسس كل من جريدة « اختر هند » و « اشرف گزت » .

وكان اختر الدولة (سيد محمد اشرف) من سكان سيتابور (اوده) وقد كان اجداده يعيشون فى « آمل » فهجروها إلى الهند . وعاشوا فى دهلى أول الامر ثم انتقل احد اجداده منها إلى سيتابور ، إما فى عهد السلطان شيرشاه سورى او فى عهد نصير الدين همايون . وسكن فى موضع يعرف بـ « ساڑى » قرب قرية « آنٹ » بسيتابور . وقد توفاه الله فى نفس

هذا الموضع فى ٢٩ جمادى الاولى سنة ٩٨٠ ﻫ. وقد ذكره صاحب كتاب « شجرات طيبات » كما يلى :

« سيد شاه سلطان العالم قطب الزمان حضرة الحاج سيد شاه عبد الرحمن الملقب بـ « شاه سلطان » بن شاه فضل الله الآملى بن سيد عبد الله بن سيد ملك بن سيد مجاهد الدين بن سيد كمال الدين ، بن سيد علاء الدين سيد مرتضى الآملى بن سيد محمد بن سيد شاه ابو طالب بن سيد شاه على بن سيد حسن بن سيد حسين بن سيد جعفر بن الامام على نقى عليه السلام .

ومن اراد ان يطلع على احوال « قطب الزمان » وترجمة حياته فعليه ان يطالع كتاب « منقبت سلطانى » لمصنفه العلامة الشيخ عبد المجيد تشاندپورى ، وكتاب « كتاب الأخيار » لمؤلفه الشيخ عبد الحق الدهلوى » . (صفحات : ٨٩٨-٨٩٩ شجرات طيبات - مطبعة امير المطابع سيتابور)

كان قطب الزمان من اقرباء افضل خان والى ولاية بنغاله (بن علامى ابو الفضل) فان كريمة افضل خان «اوليا بى بى» كانت قد زوجت مع نجل قطب الزمان «سيد شاه مصطفى الذى كان ينحدر من سلالته اختر الدولة . وقد ورد فى كتاب « شجرات طيبات » ذكر تفصيلى لنسبه الكامل . وفيما يلى ننقل نسبه بالحرف الذى اتى به صاحب « شجرات طيبات » :

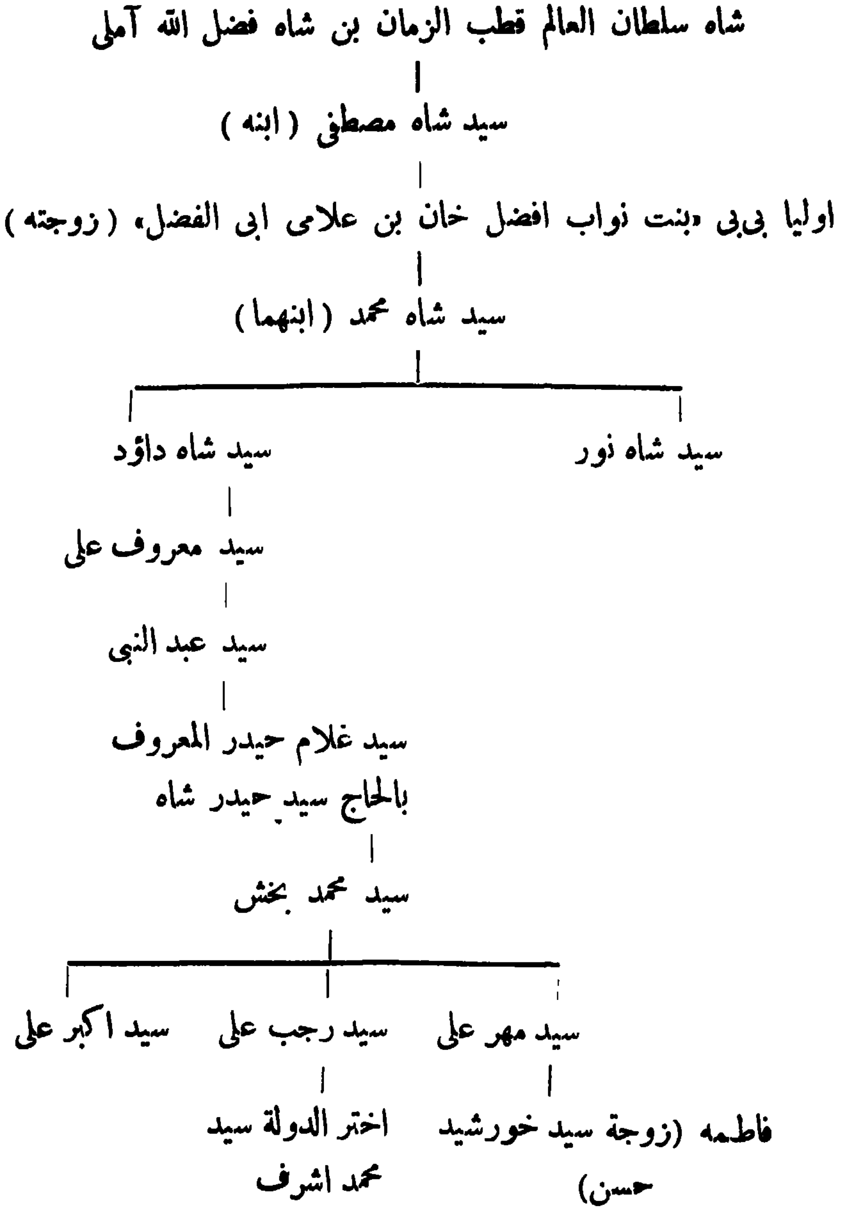
شاه سلطان العالم قطب الزمان بن شاه فضل الله آملى
سيد شاه مصطفى (ابنه)
اوليا بى‌بى «بنت نواب افضل خان بن علامى ابى الفضل» (زوجته)
سيد شاه محمد (ابنهما)
سيد شاه نور
سيد شاه داؤد
سيد معروف على
سيد عبد النبى
سيد غلام حيدر المعروف بالحاج سيد حيدر شاه
سيد محمد بخش
سيد مهر على
سيد رجب على
سيد اكبر على
فاطمه (زوجة سيد خورشيد حسن)
اختر الدولة سيد محمد اشرف

لم نستطع ان نعرف بالضبط السنة التى ولد فيها اختر الدولة غير انه عند ما توفى سنة ١٩٢٨ م أو سنة ١٩٢٩ م كان قد بلغ من عمره زهاء مائة سنة. وكان مولده فى سيتابور. وفيها شب وترعرع وتثقف

بالثقافة الابتدائية . وقبل انقراض مملكة اوده انتقل إلى لكهنؤ وهو فى ريعان شبابه . وكان عمه « مهر على » قد اتخذ لكهنؤ وطنه من قبل . وكان عمه هذا من صفوة اصدقاء « مير انيس » الذين كانوا يجالسونه ليل نهار . وقد ظلت هذه العلاقات القائمة بينهما تنمو وتتوطد حتى جاء اليوم الذى تحولت فيه هذه العلاقات إلى صلات القرابة والنسب .

وكان بيت « مير مهر على » ندوة علمية ادبية فى لكهنؤ فى تلك الايام . فكان يجتمع فيه كل من «مير نفيس» و «سيد صاحب نقش» و «اسير» و «برق» و «جلال» و «كامل» وكثيرون آخرون من اهل العلم والكمال فى ذلك العصر . وكانت تجرى بينهم احاديث ادبية . ومساجلات علمية . وتعقد المهرجانات التى كانت تنشد فيها الاشعار . وكانوا يتجاذبون اطراف الحديث ويتطرقون إلى مواضيع ادبية مختلفة ، وكانت لهم تعليقات على مجالس «مير انيس» و «مرزا دبير» . ولم يكن اختر الدولة بنفسه شاعرا غير انه كان يحب الشعراء والادباء ويقدر مكانتهم . وقد اثبتت مجالسه الادبية انها كانت فى الحقيقة مدارس ادبية عظيمة . وقد كانت المهرجانات الشعرية التى كانت تقام عند نواب سليمان قدر بهادر ـ مما تسبب فى انهاض ذوقه الادبى . وظل ينمو هذا الذوق حتى تمخض عن تلك النشاطات الصحفية التى قام بها بعد .

وفى هذه الفترة توظف اختر الدولة عند احد حكام لكهنؤ ولكن هذه الوظيفة لم تدم طويلا جدا . فقد زالت هذه الوظيفة بانقراض لكهنؤ المؤلم فى ثورة عام ٥٧ . وكان اختر الدولة مجدا امينا فى عمله . وتقديرا لتلك الجهود المخلصة الامينة التى كان يبذلها للقيام بواجباته اثنا

الوظيفة منحته الحكومة لقب « اختر الدولة » الذى عرف به بعد . وقد عد من ميزات هذا اللقب ان كلمة « اختر » اختاره نواب واجد على شاه ـ آخر ملوك اوده ـ لنفسه لقبا مميزا له كشاعر ، طبق العادة المتبعة عند شعراء الهند .

وعلى اثر حرب التحرير الكبرى التى استعراوورها سنة ١٩٥٧ م لما بدأ جو البلاد المكفهر يعود إلى طبيعته ، واخذت المياه تعود إلى مجاريها ، قام اختر الدولة بجولة طويلة زار فيها مدن الهند ، يتفقد فيها احوال الصحف والمجلات . وقد قضى عدة سنوات وهو كذلك يجمع المعلومات من هنا وهناك عن الصحافة الهندية والمطابع . ولم يكن اختر الدولة متقاربا مع المستشرق الفرنسى الدكتور كارسان دتاسى فى السن ، غير أنه كان من دون شك معاصرا له وقد سار اختر الدولة فى كتابه « اختر شاهنشاهى » على منوال الدكتور كارسان دتاسى فى أنه حاول ان يكون معظم ما ذكره فيه من تلك الجرائد والمجلات التى حصل عليها أو قدر له الاطلاع عليها بصورة ما ، كجعله الاعلانات المنشورة عن الصحف والمجلات وسيلة من وسائل اطلاعه ولكنه يلتزم ان يكتب ملحوظة ايضاحية تحت صحيفة أو مجلة عرف عنها من بعد انها لم تصدر لسبب من الاسباب المانعة .

وقد تسنت لى فرص للاجتماع باختر الدولة وكذلك لرؤية مكتبته القيمة . وكان اختر الدولة طويل القامة ، ابيض اللون المشرب بالحمرة ، متناسب الجسم ، كبير العينين ، واسع الجبهة . ذا لحية بيضاء وكان يهتم بالتزيين وارتداء اللباس الفخم حتى فى آخر العمر . وفى اخريات ايامه كان قد انتقل إلى سيتابور بصفة دائمة . وكان يسكن فى بيت عتيق بزاوية

[illegible] كاظم التى يطلق عليها اليوم اسم آخر . وفى نفس هذا البيت كانت توجد تلك الحجرة التى كان يستعملها كمكتبة تضم من مجلدات مختلف الصحف والمجلات عددا يتراوح بين الف وخمسمائة وبين الفين . واما الكتب التى كانت تحتوى عليه هذه المكتبة فكانت هى ايضا تقارب فى عددها عدد مجلات الصحف والمجلات . وكانت هذه الذخيرة العلمية هى المتاع الذى كان يعتز به اختر الدولة . ولم أر حتى اليوم مكتبة علمية شخصية تضم مثل هذه الذخيرة النفيسة عن موضوع الصحافة . وكان بعض هذه الكتب والمجلدات من الصحف وغيرها موضوعا فى صناديق خشبية ضخمة ، وبعضها كان موضوعا فى الخزانات الخشبية غير الواقية التى كانت قد صنعت ملحقة بالجدار خصيصا لهذا الغرض . وفى وسط هذه الحجرة كان يوجد سرير صغير ، بسطت عليه سجادة . ووضع على احد اطرافه قمطر خشبى ، وكانت توجد بعض الاحيان على نفس هذا السرير خزنة صغيرة من صناعة الدآباد . وكان يحتفظ فيها بكنز ثمين من العملات والمصكوكات التاريخية القديمة والجديدة .

وقبل وفاته ببضع سنين كان قد اصيب بنوبة شديدة من الجنون . وكان ذلك هو السبب فى انه كان دائما ساخطا على اقربائه ، فكان يعيش بمعزل عنهم . وكان قد تزوج بعدة نساء . ولكن لم تبق زوجة من زوجاته حية فى آخر عمره . وفى هذه الفترة الاخيرة من حياته كان يقضى معظم اوقاته فى بيتى . وكان قد اصبح مطرقا ، يلتزم الصمت كأنه غارق فى تفكير عميق . وكنت بعض الاحيان اجلس اليه . فكان يحدثنى ويستطرد فى الأحاديث التى قد لا تكون لها نهاية . ولم اكن قد بلغت من السن درجة

الادراك والشعور الكامل فلم أكن افهم هذه الاحاديث الادبية جيدا . كما كان يحدثني بعض الاحيان بحديث عادى بسيط يتعلق بالاسرة والامور العائلية . وكان حبه للكتب وولوعه بالمكتبة إلى ابعد حدود الحب والولوع . ولم يكن يظهر بمظهر السخى الكريم اذا كان الامر يتصل بالكتب فلم يكن يتحمل ان يمسها أحد بدون الاستئذان فضلا عن أن يعطيها للناس للمطالعة إلا افرادا قليلين جدا ، ولقد كنت احد هؤلاء السعداء الحظ الذين كان لهم الاذن برؤية كتاب عند الحاجة شريطة ان يوضع الكتاب بعد ذلك فى مكانه المخصص له .

وقد آثرته رحمة الله اما فى سنة ٢٨ أو فى سنة ١٩٢٩ م . ودفن فى مكان مخصص للقبور بالقرب من مصلى مدينة سيتابور ولم يكن له اولاد ذكور . وانما رزقه الله الابنتين اللتين انجبتا الاولاد . وهؤلاء لا يزالون احياء يرزقون حتى اليوم . وما تعرضت له مكتبته القيمة الغالية بعد وفاته من اللامبالاة التى اودت بها واتلفت كتبها نهائيا ـ كان من دون شك مأساة أليمة تنتابنى حتى اليوم قشعريرة شديدة كلما اذكرها .

وكانت عندى مسودة للجزء الثانى من كتاب «اختر شاهنشاهى» ، الذى كان قيد التاليف . وقد ورد فيه ذكر الجرائد والمجلات التى صدرت بعد سنة ١٨٨٨ م إلى حوالى سنة ١٩٢٠ . غير ان هذه المسودة ناقصة ، فيوجد عدد كبير من الصفحات التى لم يكتب فيها شئ . وفى بعض الامكنة سجلت اسماء الصحف والمجلات فقط ولم يتح له ان يكتب امامها شيئا من الاحوال والبيانات التفصيلية عن تلك الصحف والمجلات . وبالاطلاع على هذه المسودة يظهر ان اختر الدولة لو لم تصبه الامراض الدماغية فى اواخر عمره لبلغ هذا الجزء مرحلة التكميل وقدر له الطبع والنشر .

وان فائدة كتاب «اختر شاهنشاهى» التاريخية والصحفية حقيقة واقعة لاجدال فيها. وبالرغم من أنه قد اختلف مع اختر الدولة فى بيانه فى بعض الامكنة - لاتتضاءل قيمة ما قدمه فى هذا الكتاب. وبالرغم من ذلك فان ما قدمه اختر الدولة من بيانات وتفصيلات أكثر تكميلا وشمولا وثقة مما ضمنه كارسان دتاسى فى مقالاته من تفصيلات كما انه لم يكن ايضا من الممكن ان يهيئ كارسان دتاسى - وهو مقيم فى باريس - تلك المعلومات والالمامات عن هذه التفاصيل، التى كان قد حصل عليها اختر الدولة بالتجوال والترحال والتنقل من مكان إلى مكان. وعلاوة على ذلك فان النتاج الذى قدمه لنا كارسان دتاسى لايوجد فيه ذكر السنة التى بدأ فيها اصدار الصحف والمجلات عادة، واذا وجدت سنة انشاء صحيفة اومجلة نادرا، فليس له اساس من الصحة. فهو مثلا يكتب عن «غالب الاخبار» ما يلى:

«جريدة «غالب الاخبار» تصدر فى سيتابور باللغة الاردية. وانشئت فى اول مارس سنة ١٨٨٦. وتصدر اسبوعيا كل يوم الاثنين».

(مجلة «اردو» ثلاث شهرية حيدرآباد دكن اكتوبر ١٩٣٤)

واما اختر الدولة، فقد كتب انها اجريت فى اول مارس سنة ١٨٦٩ م ونصه فى ذلك كما يلى:

«غالب الاخبار»: حي تاس گنج - اسبوعية - ٨ اوراق بقطع متوسط - تصدر كل يوم الاثنين - قيمة اشتراكها السنوى: احدى عشرة روبية. اصدرها سيد محمد صادق المحامى الحكومى وآغا عبد الغنى محامى المحكمة. طبعها بمطبعة «نادره كار» ونشرها منها مرزا محمد قاسم مدير الادارة فى اول مارس سنة ١٨٦٩ م». (ص ١٨٠ - «اختر شاهنشاهى»)

وكذلك تناول كارسان دتاسى جريدة «آ گره اخبار» بالذكر. فذكرها فى بضع كلمات بغاية من الايجاز والاقتضاب. ومما قال عنها ان «ايجوكيشنل گزت» هى التى كان قد استبدل باسمها اسم «آ گره اخبار» ويظهر مما كتبه اختر الدولة أن «ايجوكيشنل گزت» انما صدرت بعد صدور «آ گره اخبار» بعدة شهور. وقد ذكر كارسان دتاسى «آ گره اخبار» بالكلمات التالية:

«آ گره اخبار» هذه الجريدة الاسبوعية تصدر من آ گره. وتشتمل على ثمانى صفحات. وكل صفحة تنقسم إلى عمودين، فى احدهما تكتب الاردية وفى الآخر الهندية. وفيما مضى كانت هذه الجريدة تعرف باسم: «ايجوكيشنل گزت» غير انها لاتزال تهتم بنشر المقالات الثقافية حتى اليوم.
(سه ماهى اردو - حيدرآباد دكن - يناير ١٩٣٨ م)

واما كتاب (اختر شاهنشاهى) فيتناول كلا من هاتين الجريدتين بالذكر علاحدة فى مكانين مختلفين. وفيما يلى ننقل ترجمة ما ورد فيه عنهما:

«آ گره اخبار» تصدر هذه الجريدة كل عشرة ايام بتواريخ ١٠ - ٢٠ - ٣٠ من كل شهر. لغتها سلسة واضحة. اسلوبها بديع ينفذ إلى القلب تتسم بحرية الرأى وصراحة القول فى كل ماتعالجه من موضوعات تتوخى من ذلك الانصاف والعدالة. وتعميم الحرية فى الهند هو الغاية المقصودة وليست الصحافة إلاوسيلة من الوسائل المختارة لذلك. وتقدم هذه الجريدة خلاصة ما تنشر على صفحات الجرائد الانجليزية. وكذلك تهتم بترجمة جميع المقالات المنشورة فى صحف مختلف اللغات، التى تتسم بالبسالة والصراحة فيما يعالج من الموضوعات. وتنشر هذه الترجمات المنتقاة على صفحات الجريدة.

تصدر فى آ گره، بحى «نئى بستى». تحتوى على اربعة اوراق متوسطة القطع ـــ رقم التسجيل (٢٠) بدل الاشتراك السنوى تسع روبيات.

صاحب امتيازها مولوى خواجه يوسف على سكرتير مجلس القانون بآكره، ومدرس العربية الاول بكلية آكره الحكومية. ومديرها منشى خواجه تجمل حسين — تطبع بمطبعة: «آكره اديوكيشنل پريس». اسست فى اول يناير سنة ١٨٦٩ م.

آكره اديوكيشنل گزت (ايجوكيشنل گزت)

العنوان: آكره، نئ بستى — تصدر ثلاث مرات كل شهر — تحتوى على اربعة اوراق متوسطة القطع — الاشتراك السنوى: تسع روبيات مالكها خواجه يوسف على مدرس العربية الاول بكلية آكره الحكومية. مديرها منشى امير الدين المدرس بكلية آكره، وعضو مجلس البلدية، والوكيل المحلى. مطبعة: آكره اديوكيشنل پريس. طلعت لاول مرة فى اول يوليو سنة ١٨٦٩ م. (ص ٣٩ — «اخترشاهنشاهى)

ومن هذين المثالين يمكننا ان نقدر الفرق الكبير الذى يوجد بين ما يقدمه كل من هذين المؤرخين للصحافة الهندية من تفصيلات. ونعرف ان المعلومات والتفاصيل التى يعطيها لنا اختر الدولة اكثر واكمل واصح من تلك التفاصيل التى اوردها كارسان دتاسى فيما اعده من البحوث والمقالات عن تاريخ الادب الاردى والصحافة الهندية. على أنه ايضا يوجد هناك عدد من بعض الصحف والمجلات الهامة التى وصلت إلى الدكتور كارسان دتاسى، ولم يتمكن اختر الدولة من العثور عليها، فلذلك نجد ان صفحات كتابه لا تتعرض لذكرها مطلقا. فمثلا تتضمن مقالات كارسان دتاسى ذكر «آئنۀ لندن» (مرآة لندن) التى كان قد اصدرها من لندن وجاهت على، فى حين يسكت اختر الدولة عن ذكرها

سكوتا مطلقا مع ان كتابه يحتوى على ذكر عدة صحف كانت تصدر آنذاك فى « لندن » كالصحف التالية :

١ — « آئنه انگريزى سوداگرى » (مرآة التجارة الانجليزية) — لندن ، سينت جان اسكوائر — ثلاث شهرية — انشئت فى يناير سنة ١٨٨٧ م .

٢ — «آئرن ذكر » — كاتن استريت لندن — اسبوعية وطبعة شهرية — وكان ايضا ينشر معها ملحق اردى . اجريت هذه الجريدة سنة ١٨٨٦ م .

٣ — «هندوستان» منير بارك رود ، هارنڈن — كانت تنشر بلغتين الاردية والانجليزية . كانت مجلة شهرية . وقد انشئت فى اغسطس سنة ١٨٨٤م .

وعلاوة على الصحف الانجليزية ، لا يخلو هذا الكتاب عن ذكر الصحف والمجلات العربية ، والفارسية ، والتركية ايضا . وتوجد ايضا من بينها تلك الصحف التى كانت تصدر من البلدان الاخرى . فقد ذكر فيه جريدة «العروة الوثقى» العربية المشهورة للمصلح والمفكر الاسلامى الجليل الشيخ السيد جمال الدين الافغانى ، فقد كتب عنه :

«العروة الوثقى» — باريس ، فرنسا — اسبوعية — تشتمل على ورقتين كبيرتى القطع — تصدر كل يوم الخميس — مطبعة حديدية — لغة عربية — صاحب الامتياز مولانا سيد جمال الدين الحسينى الافغانى المدير : مولوى الشيخ محمد عبده . انشئت فى ابريل سنة ١٨٨٤ م .

وقد قامت فى الهند حركات مختلفة ، وفى هذا العصر بالذات كانت مختلفة الحركات السياسية والاجتماعية والدينية فى ذروة نشاطها . فحركة التبشير

[illegible]ية، وحركة الآرياسماجيين. والحركة التعليمية لسر سيد احمد خان وما الى ذلك من مختلف الحركات ــ كانت كلها تستند إلى الصحافة. فان تأييد هذه الحركات ومعارضتها قد ساهمت صحافة ذلك العصر فى كل ذلك ولعبت فيه دورا لابأس به. والجرائد التى كانت قد اجريت فى ذلك العصر لتعميم الحركة الآرياسماجية كانت معظمها تصدر باللغة الاردية. كما كانت بعضها تصدر بالاردية والهندية معا. فان «آرية بركاش» امرت سر ــ و «آرية درپن» شاهجهانبور ــ و «اريا سماچار» ميرته ــ و «ارياامتر» ــ و «آريه پتر» بانس بريلى ــ و «آريا گزت» فيروزبور ــ كلها كانت تصدر باللغة الاردية. وان الطباعة الحجرية كانت قد راجت فى الهند فى ذلك العصر رواجا كبيرا. فكانت المطابع تنشأ فى الهند فى مدينة اثر اخرى بسرعة هائلة. وكان ثلثا هذه المطابع الحديثة العهد بالانشاء فى ملك الهنادك. ومعظم المواد التى كانت تطبع فى هذه المطابع كان يتمثل فى الكتب والجرائد الاردية والفارسية. ومن ناحية النشاطات التبليغية كان الدعاة المسيحيون فى مقدمة الجميع من زملائهم العاملين لبث حركاتهم ونشر دعواتهم. فان البعثات التبشيرية التى كانت تعمل فى الهند. كانت قد اصدرت عشرات وعشرات من الجرائد والمجلات. وكانت الاردية هى اللغة التى كان يصدر بها اكثر هذه الجرائد والمجلات. وكانت حركة سر سيد احمد تلقى حماية، ومعارضة كذلك حينئذ. فكانت تصدر بمراداباد مجلة شهرية فى معارضة هذه الحركة باسم «تائيد الاسلام»، وقد ذكرها اختر الدولة[١] فى غير اختصار حتى نقل من احد اعدادها. عناوين المحتويات[٢].

---

(١) «اختر شاهنشاهى» ص ٨٥ (٢) اثبتها صاحب المقال، غير اننا آثرنا ان نحذفها «الادارة»

ومن الوجهة التاريخية نجد فى هذا الكتاب اشياء كثيرة من الصعب العثور عليها عادة فى مكان آخر . ومن هذه الاشياء نجد مثلا شيئا جديدا عن الداعية المسيحى المعروف «رجب على» وهو انه كان يمت بصلة القرابة إلى العلامى ابى الفضل وإلى اسرة فيضى . اعتقد ان ذلك شئ يكاد لايعرفه احد . فقد قال اختر الدولة اثناء ذكره لـ «بنجاب ريويو» ما ياتى :

وهى — على حسب الرأى العام — تشتمل إلى جانب بحثها للشئون الوطنية ، على استعراضات للحضارة ، والاخلاق ، وحسن السلوك . والعلوم الجديدة . وتحتوى على احوال عن شخصيات معروفة . المدير والمالك : پادرى رجب على ايچ - ايم (الوزير) ايم - اى - سى . من اسرة فيضى وابى الفضل والمدير السابق للجريدة الاسبوعية «هند وسفير هند» ، وشمس الاخبار «كوكب عيسوى» وهند وپركاش» امرت سر . («اختر شاهنشاهى» ص ٧٤) .

وان المحاولات التى قام بها الانجليز بعد ثورة سنة ٥٧ ببزر بذور النفور والكراهية فيما بين الهندوس والمسلمين ليس من الصعب الوقوف على رد فعلها بواسطة تلك الميول والاتجاهات التى اتسمت بها صحافة ذلك العصر . فان روح التضامن والوئام الذى وجد بين هذين الشعبين الكبيرين من البلاد فى اعقاب الحرب التحررية التى نشبت سنة ١٨٥٧ م لم يوجد له نظير فى التاريخ . فقد تقارب الهنادك والمسلمون فى الحياة الاجتماعية وحصل فيهم التفاعل والانسجام إلى حد كبير جدا ، حتى ان الهنادك كانوا يعظمون الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والأئمة كما يعظمهم المسلمون . ومن الامثلة الدالة على ذلك ان الشاعر الهندوسى المشهور منشى راج بهادر زخمى كان يصدر مجلة مختصة باشعار مقروظة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم . وقد تناولها اختر الدولة بالذكر حسبما يلى :

رياض النبوى : (شيوراج بور بمديرية كانپور) شهرية . اربعة اوراق بقطع صغير . كانت تنشر فيها قصائد مدحية ممثلة بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم . قيمة الاشتراك السنوى : روبية ونصف انشأتها لجنة بيت العلم ــ صاحب امتيازها : منشى راج بهادر زخمى . وكانت ايضا يعرف باسم «فرياد زخمى» ــ صدر اعلانها فى نوفمبر سنة ١٨٨٧ م .

(«اختر شاهنشاهى» ص ١٣٢) .

وكذلك لم تكن قلوب المسلمين ايضا خلوا عن هذا الروح من التسامح . فكانوا يشاركون الهنادك اعيادهم . وكان هناك عدد من المسلمين الذين ادى بهم التفكير إلى انه يجب عليهم التنازل عن ذبح البقرة لاقامة علاقات الاخوة والصفاء مع الهنادك . وتحقيقا لهذا الغرض التسامحى كانت تصدر فى بجواره (بمديرية هوشيار بور ــ بنجاب) جريدة اسبوعية باسم «گئوركهشا» . ومما ذكره عنها مؤلف كتاب «اختر شاهنشاهى» .

«گئوركهشا ـ بجواره، مديرية هوشياربور ـ اسبوعية ـ اربعة اوراق بقطع متوسط . تصدر كل يوم الاربعاء ـ لتهيئة الجو للدفاع عن البقر والمنع عن ذبحه ـ اشتراكها السنوى اربع روبيات ـ المالك : منشى سندى خان صفى المدير والمحاسب : باوا ارجن سنگه ـ مطبعة : سفير بنجاب پريس ، بجواره ـ انشئت فى ٢٠ يناير سنة ١٨٨٤ م» . («اختر شاهنشاهى» ص ٢١٤)

وبغض الطرف عن النواحى التاريخية العامة ، فان كتاب «اختر شاهنشاهى» ايضا يميط اللثام عن النواحى التاريخية العديدة للادب الاردى ، فقد ورد فيه بهذا الصدد اشياء كثيرة لم نطلع عليها فى الكتب الادبية عادة .

فالنواحى التى ظهرت لنا عن شخصية خواجه حالى الادبية حتى الآن، لاتكفى لابراز ملامح حياته الصحفية. ولا امل فى ان توجد مجلدات من «خادم الطلباء» محفوظة فى مكان ما، اليوم ولكن «اختر شاهنشاهى» على ما يبدو لى - هو اول كتاب ذكر هذه المجلة التعليمية التى كان قد اصدرها «حالى» ومولوى ذكاء الله خان من دهلى. وكان مكتب هذه المجلة الثلاث شهرية فى «حوض قاضى» وانشئت سنة ١٨٨٧ م.

وكذلك نجد الاعتقاد السائد على العموم عن جريدة «رياض الاخبار» لرياض خيرآبادى، انها كانت قد اصدرت من گوركهبور. فى حين يبين لنا اختر الدولة ان هذه الجريدة كانت تصدر فى بادئ الامر من خيراباد، ثم ابدل مكان صدورها بمكان آخر. والى جانب ذلك اعتقد ان كتاب «اختر شاهنشاهى» هو الذى يكشف لنا لاول مرة عن حقيقة تاريخية، وهى ان رياض ايضا استعمل لنفسه كلمة «آشفته» لبعض مدة من الزمن كلقب مميز له بصفته شاعرا. (كالعادة المتبعة عند الشعراء الهنود) وفيما يلى نقدم اليكم خلاصة اختر الدولة عن «رياض الاخبار».

«رياض الاخبار» هذه الجريدة كانت تصدر اول الامر من خيراباد بمديرية سيتابور. وكان شهرها ثلاثة اعداد. وقد اجراها فى اول اكتوبر سنة ١٨٧٤ رياض الدولة بهار الملك منشى سيد رياض احمد آشفته رئيس بن مولوى سيد طفيل احمد كرمانى المفتش الاول بالمحكمة وحافظ نظام احمد انداز رئيس، من مطبعة «لمعة رخشان» وبأمر من المالكين المذكورين اخذت هذه الجريدة تصدر الآن من مدينة گوركه بور بادارة لاستيلابخش. تحتوى

على ثمانية اوراق متوسطة القطع. قيمة اشتراكها السنوى اثنتا عشرة روبية وثلاث عشرة آنة». («اختر شاهنشاهى» ١٣١)

وإلى جانب ما تضمنه كتاب «اختر شاهنشاهى» من حقائق ومعلومات جديدة ونادرة عن الصحف والمجلات فقد نقل الينا كذلك اشياء كثيرة اخرى تستحق ان تعتبر اكتشافات ادبية ومن بين هذه الاكتشافات نجد انه هو الكتاب الوحيد الذى يذكر لنا لاول مرة ان المطبعة الاولى للخط الاردى انما كان قد أقامها مولوى أكرام على المترجم لكتاب «اخوان الصفاء» فى كلكتا سنة ١٨١٠ م باسم «هندوستانى پريس». وقد تعرض لذكر هذا الاكتشاف التاريخى ايضا الاستاذ قاضى عبد الغفار - مما تعرض له - فى خطابه الاذاعى: ومما قال فى ذلك:

«وان المعلومات التى استطعت ان احصل عليها تفيد ان المطبعة الاولى للغة الاردية - ولعلها كانت من الاحرف الحديدية - انما انشئت فى كلكتا سنة ١٨١٠ م باسم «هندوستانى پريس» وكان يملكها شخص اسمه أكرام على. (مجلة «نكار» لكهنئو عدد نوفمبر سنة ١٩٤٠ م)

وطبعا ان المصدر لهذه المعلومات التى عثر عليها الاستاذ قاضى عبد الغفار، ليس إلا نفس هذا الكتاب «اختر شاهنشاهى» حيث ورد فيه ذكرها كما يلى:

«هندوستانى پريس» - كلكته - مالكها مولوى أكرام على ومديرها: مولوى خليل الدين. اسست فى اول يناير سنة ١٨١٠ م»

(«اختر شاهنشاهى» ص ٢٨٤)

وانني لا اوافق الاستاذ قاضي عبد الغفار على رأيه في أن «هندوستاني پريس» بكلكتا كانت اول مطبعة للخط الاردي على الاطلاق، لانه كانت هناك ايضا المطابع الاردية التي كانت تستخدمها «شركة الهند الشرقية» وكلية فورت وليم قبل. غير انه يجوز ان يقال انها كانت اولى المطابع الاردية غير الحكومية وقد اختلف ايضا في سنة انشائها المذكورة. فيقول الاستاذ محمد عتيق الصديقي:

«واذا غضضنا الطرف عن مطابع الصحف الانجليزية التي كانت توجد فيها حروف خط اللغة الفارسية للطباعة فانه تأتي امامنا تلك المطبعة التي انشئت. اما في اواخر سنة ١٨٠١ م أو في اوائل سنة ١٨٠٢ م، بصفتها المطبعة الاولى لخط اللغة الفارسية. وكان اسمها «هندوستاني پريس» ومن المحقق ان كتابا واحدا لكلية فورت وليم - على الاقل - كان قد طبع بهذه المطبعة وكان اسم هذا الكتاب:

« The Stranger's East India Guide to the Hindustani »

. واما الكتاب الآخر المطبوع بهذه المطبعة، الذي نجده اليوم فهو كتاب «اخلاق هندي» الذي نشر سنة ١٨٠٣ م. وسنقدم صورة غلافه ايضا في هذا الكتاب. وقد ذكر بعض الباحثين ان مطبعة «هندوستاني پريس» كان انشاؤها سنة ١٨١٠ م، وطبعا انه لخطأ كبير، فليس لهذا القول اساس من الصحة والواقع. وانما اوقعهم في هذه الغلطة مؤلف «اختر شاهنشاهي» (١٨٨٨) الذي صرح بانها انشئت في اول يناير ١٨١٠ م. وكان مالك هذه المطبعة مولوي اكرام علي ومديرها مولوي خليل الله. طبق بيان مؤلف كتاب «اختر شاهنشاهي» في حين اننا لا نجد على كتاب

«اخلاق هندى» (١٨٠٣) اى واحد من هذين الاسمين ، بل يوجد عليه اسم غير الاسمين المذكورين حسب ما يلى : «هندوستانى چهاپنے خانه ميں چهاپه كيا هوا مولوى غلام نبى كا» غير انه لا يكفى دليلا لدحض ما ذكره عن ملكيتها وادارتها من الاسماء. فيجوز بالرغم من ذلك ان يكون الصحيح هو ما ذكره فى ذلك تماما من أن هذه المطبعة كان يملكها مولوى اكرام على وكان يتولى ادارتها مولوى خليل الله.»

(ص ٤٣-٤٤ من كتاب «الصحافة الهندية فى عهد الشركة»)

وانما يتضح ويتجلى لنا مما ذكرناه آنفا نقلا عن كتاب الاستاذ الصديق ، هو ان مطبعة «هندوستانى» ومطبعة كلية فورت وليم كلتاهما كانت انشئت فى زمن متقارب قبل سنة ١٨١٠ م. ولكننى لم استطع ان افهم كيف يثبت عدم ملكية اكرام على بمجرد عدم وجود اسمه على غلاف «اخلاق هندى». فانه توجد اسماء مختلفة على الكتب العديدة المطبوعة بمطبعة هندوستانى كالطابع أو مراقب الطبع. ومن بين هذه الاسماء «هابرڈ» و «پى - پريرا». وكذلك ترجمة «اخوان الصفاء» لمترجمها مولوى اكرام على ، طبعت طبعتها الاولى فى مطبعته نفسها سنة ١٨١١ م. غير ان الاسم الذى يوجد عليها كالطابع انما هو اسم «هابرڈ» ولا نجد عليه من اسماء «غلام نبى» و «مولوى خليل الدين» و «پى - پريرا». «وا كرام على» واما ما اعتقده فى ذلك فهو ان كلا من هؤلاء الذين سبقت اسماؤهم قد تولوا ادارة المطبعة وقاموا باعمالها كمسئولين فى فترات مختلفة ؛ لان اكرام على نفسه لم يكن ملما بالشئون المطبعية.

ولقد طبع الكتاب «اختر شاهنشاهى» طبعته الاولى سنة ١٨٨٨ م، ولم يطبع بعد، فكانت تلك الطبعة هى الأولى والأخيرة. وليس فقط انه اصبح اليوم نادر الوجود، بل انه يكاد يكون معدوما. وان الجزء الثانى الناقص من هذا الكتاب، الذى كان عندى - كما اشرت اليه فيما سبق - تحتفظ به اليوم مكتبته رئيس محمود آباد التاريخية «سقراط.»

(مع الشكر لمجلة «آجكل» الصادرة فى دهلى عدد يوليو سنة ١٩٥٨ م.)

تعريب: عميد الزمان الكيرانوى

الأنباء الثقافية

جائزة نهرو

منح المجلس جائزة نهرو الى اوتهانت السكرتير العام للامم المتحدة طبقا لتوصية اللجنة المكونة لهذه الجائزة. وذلك على مساهمته البارزة فى سبيل تنمية التفاهم الدولى والصداقة بين شعوب العالم.

وستكون الجائزة مائة ألف روبية نقدا يمكن تحويله الى العملة الاجنبية، وستوجه الدعوة الى السكرتير العام لزيارة الهند، ولتلقى الجائزة فى حفلة خاصة يعقد بمناسبة عيد ميلاد نهرو. وتقوم الجائزة على خطوط جائزة نوبل وهى مفتوحة لجميع الناس بغض النظر عن الجنسية والطبقة والعقيدة.

واللجنة المقررة للنظر فى منح الجائزة كانت مكونة من سبعة اعضاء تحت رئاسة الدكتور ذاكر حسين نائب رئيس الجمهورية.

المائدة المستديرة حول شخصية نهرو

عقدت فى دلهى الجديدة فى نهاية شهر سبتمبر مائدة مستديرة حول شخصية جواهر لال نهرو، وبحثت شخصيتها باعتبارها ملتقى الثقافتين ودوره فى النضال من اجل الحرية والسلام العالمى. وذهب المندوبون عامة الى ان نهرو لم يكن قط وليدا للثقافة الاوربية، وكان فى رأى المندوب السوفياتى يحب الثقافة الهندية مع احترام ثقافة الآخرين.

وقال مدير الثقافة فى الجمهورية العربية المتحدة ان مستر نهرو يكن له العرب غاية الاحترام فانه كان يوكد نظريتهم بان الثقافة لا تستطيع تأدية مهمتها الا اذا كانت انسانية .

وقال الدكتور كلويس مقصود كبير ممثل جامعة الدول العربية فى الهند ان عدم انحياز نهرو لم يكن بغرض الانعزال ولكن كان للجمع بين القوى المتضاربة .

ومن بين الاقتراحات التى قدمت فى المائدة اقتراح قائل بان يضع اليونسكو مشروعا جديدا كبيرا برسم طريقة العيش تكريما لذكرى الزعيم .

وخطب الدكتور ذاكر حسين نائب رئيس الجمهورية الهندية فى المجلس الختامى للمائدة . وقال فى كلمته ان سعى جواهر لال نهرو لتحقيق حرية جميع الشعوب لم يكن هى سياسيا او بحثا لتشكيل الاحلاف بل كان انطلاقا من مبدء معنوى . وان العدالة الاجتماعية كانت بالنسبة له امرا معنويا لايمكن ان يترك تحقيقها لظروف مواتية ، واضاف الدكتور نائب الرئيس ان نهروا خلف جوا من تكريس المساعى والالهام المعنوى وعلينا ان ننمى هذا الجو بوسائلنا الخاصة لنجعله مظهرا دائما لوضع عالمى .

* * *

يقوم مجلس الهند للروابط الثقافية حينا بعد حين بتنظيم الدراسة الشرقية لتعريف الطلاب بالثقافة الهندية واصولها مع تعريفهم بالمجتمع الذى نعيش فيه اليوم فى البلاد الهندية ، وعقدت هذه الدراسات عامة فى العاصمة للطلاب المتوجهين الى الخارج ، وعندما زاد الاقبال على هذه الدراسات بحيث لم يمكن تلبية كل طالب موجه لهذا الغرض ، قام المجلس بطبع كتاب نحو

دراسة الهند، اصدره فى السنة الماضية، وتلقاه رجال الادب بالقبول والتقدير حتى ادخلته جامعة من جامعات الهند الجنوبية فى كتب القراءة للطلاب المعاهد العليا على ان الطبعة الاصلية كانت غالية الى حد ما بالنسبة للطلاب، اذكان ثمنها ١٣ روبية و ٧٥ بيسا، فاصدر المجلس طبعة ثانية ارخص من الاولى بكثير، بحيث لم يزد ثمنها من ثلاث روبيات هندية، ويتوقع المجلس ان هذه الطبعة الرخيصة ستمكن الطلاب والمولعين من الالمام بما يلزمهم.

ومن الاخبار السارة ان المجلس يفكر فى نشر الكتاب باللغة العربية ايضا.

وبجانب ذلك اصدر المجلس حديثا ترجمة عربية لشاكنتلا المسرحية الشهيرة للشاعر السنسكرتى الشهير كاليداس نقلها الى العربية الفقيد وديع البستانى اللبنانى

المعارض

نظم المجلس معرضا حول حياة شعب منغوليا، واقيم المعرض فى مستقر المجلس بآزاد بهاون من ١٢ الى ٢٠ بوليو، وتولى تدشينه المستر بهكت درشن نائب وزير المعارف، وكان تلو الافتتاح عرض سينميائى حول منغوليا.

* * *

ونظم المجلس معرضا آخر من ٢٦ يونيو الى ٢ يوليو، للفن الهولاندى واقيم المعرض فى مدراس.

* * *

ارسل المجلس المستر سكيش تشندرا من البنغال الغربية الى سيلان لتعليم الحان واغانى طاغور فى معهد سرى بالى بهورانا، وتمتد بعثته لسنة .

واقام المجلس حلقات الدراسة كالمعتاد ثلاث مرات افاد منها ٣٧٠ هنديا ما بين موظفين وفنين قاصدين الى الخارج للتعليم، و ١٥ طالبا من الوافدين الى الهند

* * *

وتنفيذا لبرنامج التبادل الثقافى بين الهند ويوغوسلافيا، عين المستر ويتومور لوكى بجامعة دلهى محاضرا فى لغة سربوكورواسى، فى قسم اللغات الاوربية الحديثة وبلغ عدد الطلاب المهتمين بهذه اللغة الى ٢٢ طالبا. وهم سيحصلون شهادات بعد اتمامهم الدراسة .

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

AZAD BHAVAN, NEW DELHI 1

President: Mr. M. C. Chagla

The objects of the Indian Council, as laid down in its constitution, are to establish, revive and strengthen cultural relations between India and other countries by means of:

(*i*) Promoting a wider knowledge and appreciation of their language, literature and art,

(*ii*) Establishing close contacts between the universities and cultural institutions;

(*iii*) Adopting all other measures to promote cultural relations.

THAQĀFATU'L-HIND

Vol. XVII | October 1966 | No. 4

Editor:

S. Taiyebali Lokhandwalla

CONTENTS

	Subjects	Contributors	Page
1.	Life of Mahatma Gandhi	(Adapted from various sources)	1
2.	Spotlight on the History of Islam in India	MR MOHIUDDIN ALWAYE	12
3.	Gandhi, Politics and Ethics	MR. ABID SUHAIL TR. MR. S. A. ANSARI	26
4.	Places and Gardens of the Great Moguls	DR. MOHD. AZHAR ANSARI TR. MR Z A EL ZOGHBI	33
5.	First History of the Indian Press	MR. NADIM SITAPURI TR. MR. AMIDUZ ZAMAN KAIRANVI	62
6	Cultural News		96

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

(JANUARY, APRIL, JULY and OCTOBER)

◆

Rates of Subscription, Post Free

INLAND		FOREIGN	
Single Copy	Rs. 2.50	Single Copy	5 Sh.
Annual	Rs. 10.00	Annual	20 Sh.

Copies are sent only on prepayment and not by V P.P.

All remittances and requests for supply of copies are to be addressed to the Secretary, I. C. C. R. and not to the Editor.

Books for reviews and journals in exchange etc. are to be addressed to the Editor.

◆

Printed and published by
Inam Rahman,
Secretary, Indian Council for Cultural Relations,
Azad Bhavan, New Delhi-1.

Printed at the Nuri Press Limited, Madras-13.

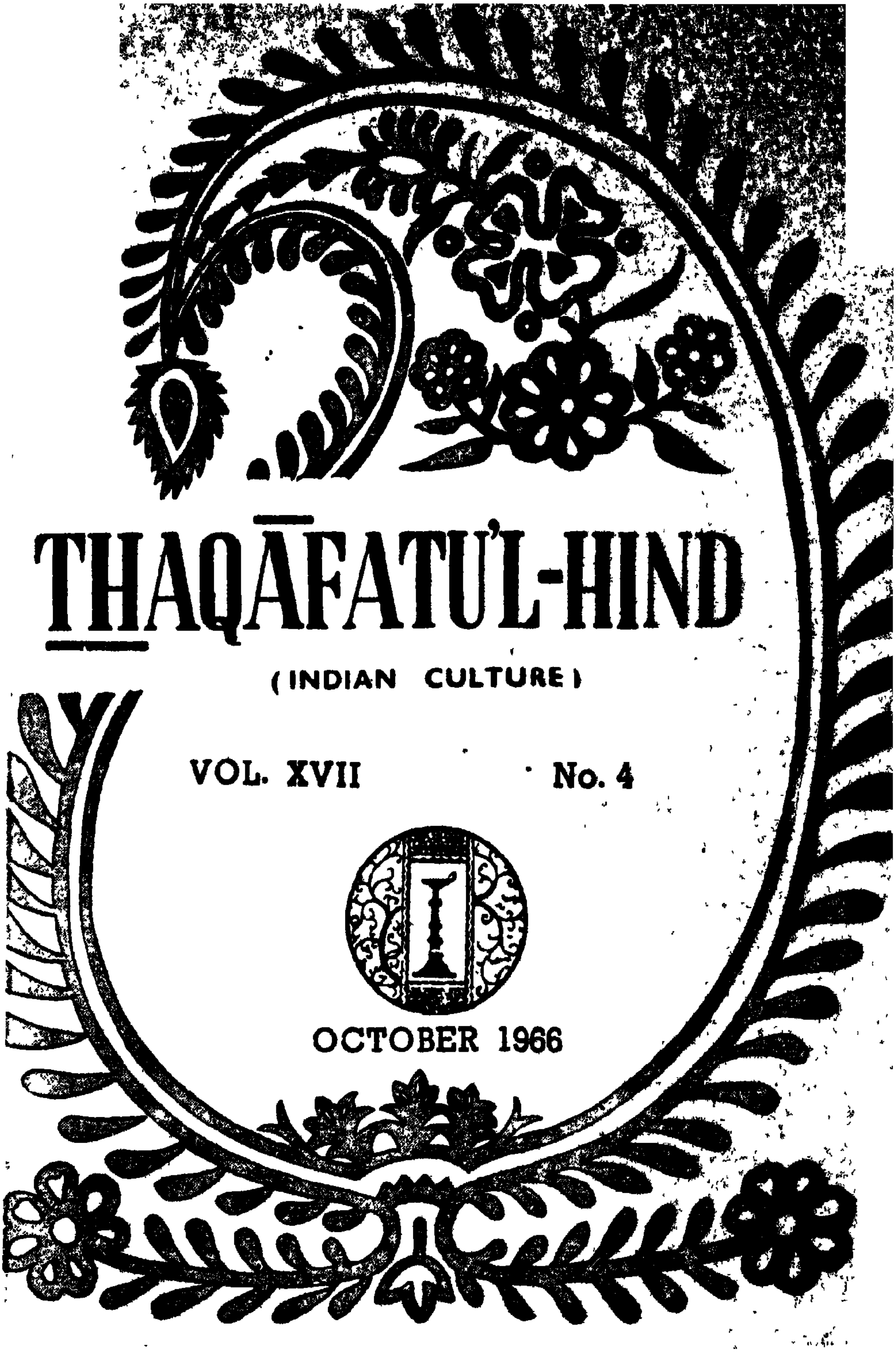

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

VOL. XVII No. 4

OCTOBER 1966

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS

[illegible] NEW DELHI 1